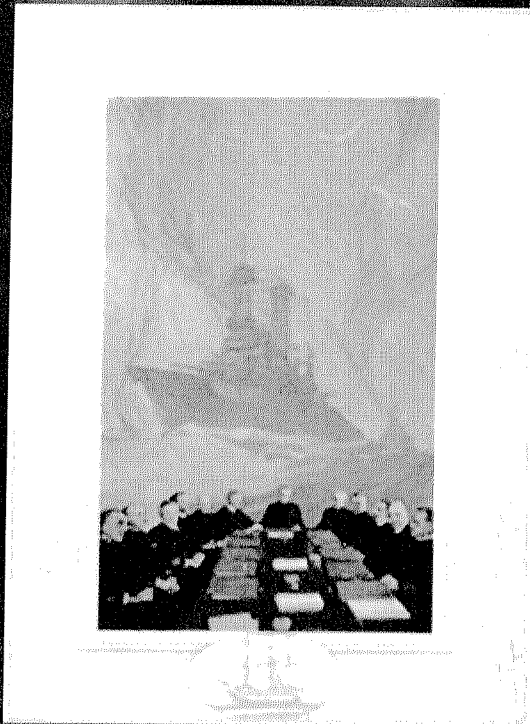
إعداد
مجموعة من المؤلفين

موسوعة مشاهير العالم

الجزء الثالث



مشاهير القادة العسكريين و السياسيين

دار الصداقة العربية
بيروت

موسوعة مشاهير العالم

مشاهير القادة العسكريين والسياسيين

موسوعة مشاهير العالم

مشاهير القادة العسكريين و السياسيين

الجزء الثالث

إعداد
مجموعة من المؤلفين

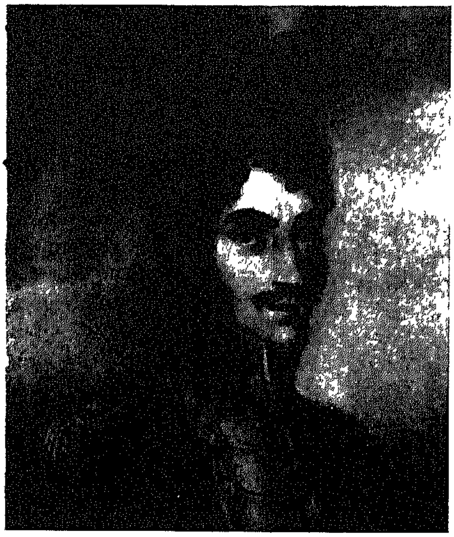
دار الصداقة العربية
بيروت

الطبعـــــة الأولى ٢٠٠٢

دار الصداقة العربية بيروت لبنان

Printing - Publishing للطباعة والنشـــر

هاتف ٠٣/٤٩٠٧٩٩ ٠١/٦٥٧٥٧٢ فاكس ٣٠٧٧٠٧ ص.ب ١٠٠/٤١٨



سيمون بوليفار

SIMON BOLIVAR

قائد أميركي لاتيني

محرر أمريكا الجنوبية

(1830 - 1783)

نظم سيمون بوليفار، الملقب بمحرر أمريكا الجنوبية، وقاد قوات عسكرية لا تتجاوز عشرة آلاف رجل ليحرر بها الجزء الشمالي في أمريكا الجنوبية من الحكم الإسباني في مطلع القرن التاسع عشر. وأدى جهده المباشر إلى تحقيق الاستقلال لكل من كولومبيا وفنزويلا وبيرو والإموادور وبوليفيا. وحين اكتفى آخرون بالحديث أو الحلم بالاستقلال، قام بوليفار بتوحيد وحث مجموعة صغيرة من أتباعه ليهزموا المحتلين الإسبان باستخدام الهجمات المفاجئة والقرارات الصائبة في خضم المعركة.

ولد بوليفار في 24 تموز/ يوليو 1783، لأبوين من أصل إسباني في

كركاس عاصمة فنزويلا، وعاش طفولة مرفهة رغم وفاة والديه قبل أن يصل إلى سن الصبا. وعمل ولي أمر بوليفار على ضمان توفير تعليم متقدم له على يد مدرسين في كركاس، ثم تلقى المزيد من التعليم في إسبانيا عام 1799. تزوج بوليفار في التاسعة عشرة من عمره بامرأة من نبلاء إسبانيا قبل وقت قصير من عودته إلى بلاده. وخلال سنة واحدة من وصول الزوجين إلى فنزويلا، توفيت زوجته بالحمى الصفراء.

عاد بوليفار حزيناً إلى أوروبا وتنقل كثيراً في إيطاليا وفرنسا، وانكب خلال هذه الفترة على قراءة مؤلفات الفلاسفة جان جاك روسو وجون لوك وفولتير، كما ازداد إعجابه بالإنجازات التي حققها نابليون. وفي طريق عودته إلى موطنه في أمريكا الجنوبية، سافر بوليفار عبر الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت قد نالت استقلالها للتو عن بريطانيا العظمى. وحين وصل إلى فنزويلا كان اقتناعه بحتمية استقلال بلاده عن إسبانيا قد ترسخ في نفسه، كما ازداد إيمانه بقدره لقيادة حركة المطالبة بالاستقلال.

انضم بوليفار عام 1810 إلى فرنسيسكو ديه ميراندا (Francisco de Miranda) في ثورة ضد الإسبان واحتل كركاس بسرعة خاطفة. وعقب رحلة ثالثة إلى أوروبا لتأمين الدعم المالي اللازم للثورة، عاد بوليفار ليشارك في الأحداث التي قادت إلى إعلان استقلال فنزويلا في الخامس من تموز/ يوليو 1811. إلا أن إسبانيا لم تتخل عن تمسكها بالمنطقة وقادت هجوماً مضاداً على الفور وهزمت قوات ميراندا. وقاد بوليفار الدفاع عن ميناء بورتوكابيو (Puerto Cabello)، ولكنه خسر المعركة بعدما كشف أحد أفراده خطط الثوار للقوات المهاجمة.

نجا بوليفار من الأسر، ولجأ إلى جرانادا الجديدة (كولومبيا الحالية) لمواصلة حركة المطالبة بالاستقلال من هناك. وفي صيف عام 1813 قاد قوة أخرى ودخل بها فنزويلا، حيث تمكن بحلول نهاية العام من دخول كركاس وفرض سيطرته التامة على البلادذ. وفي السنة التالية دافع بوليفار عن حكومته

الجديدة في عدة معارك قبل أن يهزمه جيش مشترك من القوات الملكية الإسبانية وقوات أخرى من السكان المحليين.

نجا بوليفار للمرة الثانية من الأسر ورحل إلى جرانادا الجديدة ثم إلى جامايكا. وفي عام 1815، انتقل بوليفار إلى هاييتي وكون صداقات مع حكومتها الجديدة التي نالت الاستقلال عن فرنسا. حاول بوليفار خلال السنوات الأربع التالية القيام بمحاولتي غزو إضافة إلى العديد من الغارات للعودة إلى الجزء الشمالي من أمريكا الجنوبية. وعلى الرغم من فشل تلك الحملات، فقد أضافت المزيد لسمعة بوليفار بوصفه زعيماً لحركة النضال من أجل الاستقلال.

وفي عام 1819 عزز بوليفار جيشه الثوري بمرتزقة أيرلنديين وإنجليز من الذين خاضوا حروباً ضد نابليوه، وكان يدفع لهم من أموال تبرعت بها هاييتي، ليحتل قاعدة أنجستورا (Angostura) في جرانادا الجديدة. ومن ثم قاد جيشه المكون مما يقارب 2500 رجل عبر سهل منخفض وسبعة أنهار عمرتها مياه الأمطار، ليقطع سلسلة جبال الأنديز المغطاة بالثلوج. وفي 7 آب/ أغسطس من السنة نفسها، فاجأ بوليفار الإسبان المدافعين عن بوياكا (Boyaca) وتمكن بعد ثلاثة أيام من تحرير بوجوتا (Bogota).

وفي 17 كانون الأول/ ديمسبر 1819، أعلن بوليفار عن تأسيس جمهورية كولومبيا التي تشمل جرانادا الجديدة وفنزويلا، ونصب نفسه رئيساً عليها. وعلى الرغم من محاولات بوليفار فقد دخل في قتال لمدة عامين آخرين قبل أن يتمكن من تحرير فنزويلا بالفعل من الحكم الإسباني في معركة كارابوبو (Carabobo) التي جرت في 24 حزيران/ يونيو 1821.

بعد ذلك وسع بوليفار رؤيته لتشمل تحرير كل أنحاء مريكا الجنوبية، حيث تمكن من تحرير الإكوادور من السيطرة الإسبانية في أيار/ مايو 1822، بمساعدة من أحد القادة التابعين له، وهو الجنرال أنطونيو خوسيه دي سوكريه (Antonio José de Sucre)، ومن ثم انتقل إلى آخر معقل إسباني في الجزء الشمالي من أمريكا الجنوبية ودخل ليما في أيلول/ سبتمبر 1823. وفي 9 كانون

الأول/ ديسمبر 1824، تمكن بوليفار وسوكور، وبجيش قوامه سبعة آلاف مقاتل فقط، من هزيمة عشرة آلاف رجل من القوات الإسبانية في معركة أياكوتشو (Ayacucho) والتي كان أغلب القتال فيها بالالتحام المباشر، حيث استخدمت السيوق والحراب. وانتهت آخر مقاومة إسبانيا بشمالي أمريكا الجنوبية في السنة التالية، وانضمت بيروت، بالإضافة إلى البلد الجديد بوليفيا، المكونة من الأجزاء الجنوبية الشرقية لبيرو، إلى الشعوب التي حرزها بوليفار.

لم يكن بوليفار ناجحاً في دور رجل الدولة كنجاحه في دور القائد العسكري الذي يقود الثورات. فقد أصر فرض رؤيته حول «كولومبيا الكبرى»، المكونة من الدول المحررة الموحدة، باعتبارها الرؤية الوحيدة. وأدى حكمه الفردي القاسي إلى غليان داخلي نجمت عنه حروب أهلية وحركات تطالب بالاتسقلال وتعمل ضده. وخلال أربع سنوات فقط كانت كل الدول التي حررها بوليفار قد انفصلت عنه، بحيث أصبح في عام 1828 رئيساً على كولومبيا فقط. ومع تدهور صحته التي زادها سوءاً اغتيال رفيقه سوكر، والذي كان قد هيأه ليخلفه في الحكم، اضطر بوليفار إلى الاستقالة. وقبل أن يغادر إلى منفاه المنتظر في أوروبا، مات بمرض السل الرئوي وهو في السابعة والأربعين من عمره بتاريخ 17 كانون الأول/ ديمسبر 1830، في مدينة سانتا ماريا (Santa Maria).

حقق بوليفار إنجازات مميزة، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أنه قد تمكن بجيش لم يتعد عشرة آلاف رجل في كل مرة، من تحرير أغلب أجزاء قارة بأكملها، وهي مساحة تقارب نصف مساحة الولايات المتحدة الأمريكية بأكملها. كما استحق بوليفار في بعض ما أنجزه لقب «جورج واشنطن أمريكا اللاتينية»، وهو اللقب الذي اقترن باسمه في كثير من الأحيان.

بيد أن بوليفار لا يماثل جورج واشنطن من حيث المرتبة، وفقاً لترتيب هذه القائمة وذلك لقصر مدة سيطرته التي لم تترك أي تأثير عسكري على المدى البعيد، إلا أنه كان بإمكانه أن يحققه لو عاش لفترة أطول. كما أن البلدان التي

حررها لم تحقق أي مكانة متصدرة على مستوى الأسرة الدولة فيما بعد. وتبقى حكومات تلك البلدان ضعيفة في أفضل حالاتها، ولكنها لا تزال حرة إلى يومنا هذا، وذلك إنجاز مباشر يحسب لسيمون بوليفار.



نابليون بونابرت

NAPOLEON BONAPARTE

إمبراطور فرنسي

(1821 - 1769)

«الثورة والثورة المضادة»

هيمن نابليون بونابارت (Napoleon Bonaparte) على الحياة السياسية والعسكرية في أوروبا، كإمبراطور لفرنسا، لفترة تجاوزت العقدين؛ فقد قادته عبقريته العسكرية إلى تحقيق الانتصار تلو الانتصار على أغلب أجزاء القارة الأوروبية، وهو الذي بسط السيطرة الفرنسية لتمتد إلى آسيا وأفريقيا. ولم يكتف نابليون بالاستيلاء على أراض ممتدة، ولكن له تأثيراً في الجيوش والحكومات في كل أنحاء العالم. وبذلك، فقد فرض نابليون نفسه، كواحد من أكثر القادة العسكريين نفوذاً وتأثيراً على مر الأزمان.

لم يكن في نشأة نابليون ما يشير إلى العظمة التي حققها فيما بعد. فقد

ولد في 15 آب/ أغسطس 1769، بمدينة أجاكيو (Ajaccio)، في جزيرة كورسيكا (Corsica)، لعائلة كورسيكية ـ إيطالية من طبقة النبلاء العاديين، ولم يحترف أي من أفرادها حياة الجندية. عاش نابليون طفولة تقليدية، وتركز تعليمه الابتدائي على المواد التي تتعلق بتعليم مبادىء السلوك الحسن، وترسيخ قيم الشهامة والرجولة. التحق نابليون وهو في سن المراهقة بمدارس عسكرية في فرنسا وجمع مع دراسته فيها، انكبابه على قراءة التاريخ العسكري، مما شجعه على السعي للالتحاق بالحياة العسكرية كضابط في الجيش. وبعد التخرج من الأكاديمية العسكرية في باريس في سن السادسة عشرة، انضم نابليون إلى سلاح المدفعية برتبة ملازم ثان (يذكر أن نابليون قد بدل هجاء لقبه من (Buonaparte) إلى (Bonaparte) في عام 1796، ولكن مع تزايد شهرته، تخلى عن هذا اللقب كلياً).

عندما اندلعت الثورة الفرنسية عام 1789، أصبح نابليون نشطاً سياسياً في حركة اليعاقبة (Jacobins) ، مع تقدمه في الرتبة وتزايد أعبائه في الجيش. وحين أعلنت كروسيكا استقلالها في عام 1793، قطع نابليون كل صلاته بموطنه الأصلي وظل على ولائه لفرنسا. بعد ذلك شارك نابليون في الحصار الذي ضربته القوات الفنرسية على القوات البريطانية في طولون (Toulon) ، وعلى الرغم من إصابته بجرح بإحدى الحراب، فقد تولى قيادة المدفعية الفرنسية بعد تعرض قائدها لإصابة خطرة. وقد أدى قيامه بتجميع القوات العامة على المدافع، وتركيز نيران القصف، إلى تحقيق النصر لفرنسا وإضافة المزيد من الشهرة لنابليون الذي ترقى حينها إلى رتبة عميد وهو لما يتجاوز السادسة والعشرين من عمره بعد.

ومرة أخرى استغل نابليون الظرف والمكان المناسبين. حدث ذلك في 5 تشرين الأول/ أكتوبر 1795، حين أطلق وابلاً من قذائف المدفعية دفعة واحدة في سماء باريس ليخمد، بذلك التهديد، انتفاضة الموالين للملكية. وقد تسلم نابليون ـ كمكافأة له ـ قيادة الجيش الفرنسي الذي كان يسمى «جيش إيطاليا»، وشكل ذلك التعيين أول خبرة في القيادة اميدانية له. بدأ نابليون هنا، في بناء

مجد آخر، بتحقيق الانتصارات على النمساويين في لودي (Lodi)، وكاستيليوني (Castiglione)، وأركولا (Arcola)، وريفولي (Rivoli) خلال الفترة 1796 ـ 1797. أظهر نابليون شجاعته وبسالته في معركة لودي حيث قاد هجوماً بالحراب ضد حرس مؤخرة القوات النمساوية، وذلك بعد عبو جسر للوصول إليها. وقد أطلق الجنود الفرنسيون ـ الذين لم يعتادوا مثل هذه الأعمال البطولية من الضباط ذوي الرتب العليا ـ على ذفلك القائد المقدام القير القامة؛ أي نابليون، والذي لقب بـ «العريف الصغير».

اندفع نابليون نحو الجنوب مستفيداً من انتصاراته، وبحلول نهاية عام 1797 كان قد سيطر على إيطاليا والنمسا، وبعد أن أضحى بطلاً معروفاً في كل أنحاء فرنسا، لم يكتف بأمجاده ولكنه استمر في إظهار الطموح وروح الكفاح والحكمة في اتخاذ القرار العسكري الصحيح، وهي المزايا التي طبعت حياته الباقية. فحين أدرك نابليون أن جيشه لم يكن قوياً بالقدر الذي يسمح بتنفيد غزو عبر القنال الإنجليزي ضد بريطانياً، استعاض عن ذلك بالإبحار نحو مصر، مصطحباً معه جيشاً قوامه 40 ألف جندي. وكان هدفه من ذلك، قطع الطريق على تجارة بريطانيا المزدهرة مع الهند والمناطق المجاورة. وكسب نابليون العديد من الانتصارات ضد الأتراك الذين كانوا يحتلون مصر. ولكن قبل أن يتمكن من إخضاع المنطقة لسيطرته، هاجم الأميرال البريطاني هوراشيو نيلسون (Horatio Nelson) الأسطول الفرنسي في الإسكندرية وهزمه.

وبدلاً من البقاء والتمسك بخوض معركة خاسرة، عاد نابليون إلى فرنسا لينضم إلى ثورة ضد المجموعة الحاكمة من المديرين (Directory) [هيئة مكونة من خمسة أعضاء يمثلون السلطة التنفيدية في فرنسا خلال الفترة 1795 ـ 1799]. وبعد انقلاب ناجح في 9 تشرين الثاني/ نوفمبر 1799، أصبح نابليون أول قنصل أو زعيم بحكم الواقع، يقود فرنسا بسلطات دكتاتورية. فقد قام بتعديل الدستور الفرنسي عام1802 ليجعل نفسه «حاكماً مدى الحياة» وعاد ليعلن نفسه إمبراطوراً لفرنسا عام 1804.

عمل نابليون على تدعيم هذه الخطوات التعظيمية التي أضفاها على نفسه بتعزيز سطوته وقوته العسكرية وصقل براعته السياسية. وفي عام 1800، قام نابليون بتجميع جيش جديد مستخدماً نظام تجنيد صارماً، ليغزو النمسا ثانية، ويتفاوض معها على اتفاق سلام ضمن به اختيار نهر الراين ليكون الحدود الشرقية لفرنسا. أما في داخل فرنسا نفسها، فقد وحد نابليون القانون المدني فيما أصبح يعرف بالقانونالنابليوني (Napoleonic Gode) ، وهو قانون يضمن الحقوق والحريات المكتسبة في فترة الثورة الفرنسية، شاملاً حرية الأديان للجميع.

أدت سياسة فرنسا الخارجية المتسمة بالعدوانية ومسلك جيشها ذي التوجه الهجومي إلى إنهاء فترة السلام الوجيزة التي تمتعت بها أوروبا. وفي نيسان/ إبريل 1803، عاودت بريطانيا مواصلة حربها ضد نابليون، وتمكنت بعد مضي سنتين من إضافة روسيا والنمسا كحليفتين لها. وعلى الرغم من أن نابليون قد خسر الكثير من قواته البحرية في معركة أخرى ضد الأميرال نيلسون في الطرف الأغر (Trafalgar) عام 1805، فقد كان يدرك أن الحرب ستحسم براً. بدأ نابليون حملته العسكرية الذكية، بالتحرك بسرعة حاسمة والهجوم بعنف، ليهزم النمساويين في معركة آلم (Ulm) بتاريخ 17 تشرين الأول/ أكتوبر 1805، ثم هزم قوة نمساوية ـ روسية مشتركة في أولسترليتز (Austerlitz) بتاريخ 2 كانون الأول/ ديسمبر. وبعد ذلك هزم نابليون بروسيا في معركة يانا (jena)، في 14 تشرين الأول/ أكتوبر 1806. وقابل الروس وانتصر عليهم في معركة فريدلاند (Friedland) في 2 شباط/ فبراير 1807. وقد أدت معاهدة تيلست (Traty of Tilsit) التي وقعت عقب ذلك إلى تقسمي الجزء الغالب من أوروبا بين روسيا وفرنسا.

وبعد أن بلغ نابليون أوج سطوته، طبق القانون النابليوني، الذي ضمن الحقوق والحريات المكتسبة في الثورة الفرنسية، ليشمل الأجزاء الخاضعة له في أوروبا، وبالإضافة إلى توحيد القوانين، ألغى ذلك القانون الإقطاع وعبودية الأرض، وأسس حرية التدين، ووفر التعليم المجاني للجميع.

بيد أن توسيع النظامين الإداري والقضائي في فرنسا لم يُرض طموح

نابليون؛ فقد استمر في محاصرة طرق التجارة البريطانية وإغلاقها، وأعلن عداءه الصريح تجاه الإنجليز الذين أطلق عليهم اسم «أمة من التجار». كما أضاف إلى مملكته الواسعة أراضي جديدة بالاستيلاء على البرتغال عام 1807. وفي العام التالي، حاول نابليون ضم إسبانيا، ولكن الإسبان الذين كانت تساندهم القوات البريطانية، قاوموا تلك المحاولة، فيما عرف بحرب شبه الجزيرة (Peninsular War) ، والتي دامت حتى عام 1813. وعلى الرغم من أن نابليون قد قاد القوات الفرنسية بنفسه في عدة معارك ناجحة خلال تلك الحرب، فقد ترك لقادة الجيوش الذين عملوا تحت إمرته إدارة الجزء الأغلب من القتال في إسبانيا في الوقت الذي باشر فيه تنفيذ عمليات في أوروبا الوسطى. وقد كلفت حرب شبه الجزيرة الفرنسيين 300 ألف قتيل، ولم تحقق أي انتصار نهائي.

وعلى الرغم من المأزق الذي وقع فيه نابليون بالتورط في إسبانيا، فقد تعامل مع العلاقات المتردية مع روسيا بغزو ذلك البلد، بجيش مؤلف من 600 ألف جندي في 24 حزيران/ يونيو 1812. وكان بإكان نابليون أن يقهر الجيش الروسي، ولكنه لم يستطع التغلب على شتاء روسيا، وعلى سياسة الأرض المرحوقة التي اتبعها عدوه لحرمانه من أي امدادات أو حماية. وحين دخل نابليون موسكو لم يجد سوى مدينة محترقة ومهجورة فضلاً عن فضل شتاء قارس، أهلكت حدته أكثر من جيش غاز من قبل. وحين عبر ما تبقى من قوات جيش نابليون الكبير وهي تعاني الجوع والبرد، في طريق عودتها إلى فرنسا، لم يكن تعدادها الكلي يزيد على عشرة آلاف جندي صالح للخدمة.

في ربيع عام 1813 تحالفت كل من روسيا وبروسيا وبريطانيا والسويد ضد فرنسا، وقام نابليون بتجميع من بقي على قيد الحياة من محاربيه وضم مجندين جدداً إلى جيشه لمواجهة التحالف المعادي. ومع أنه قد استمر يقاتل بكفاءة وذكاء فإنه تعرض للهزيمة في ليبستخ (Leipzig) في تشرين الأول/ أكتوبر 1813 وانسحب إلى شرق فرنسا. وأخيراً وبعد إلحاح مساعديه من قادة الجيوش الميدانيين، وافق على التنازل عن الحكم في 11 نيسان/ إبريل 1814 وتقبل أن يعيش منفياً فيجزيرة إلبا (Elba) .

ولكن نابليون لم يبق طويلاً في المنفي؛ ففي آذار/ مارس 1815 هرب منجزيرة إلبا وأبحر إلى فرنسا. وأرسل الملك قوات من الجيش الفرنسي تحت إمرة المشير ميشيل ني (Michel Ney) لاعتقال الإمبراطور السابق؛ أي نابليون، إلا أن تلك القوات اختارت مناصرته والانضمام إليه. وبعد ذلك بوقت قصير انضم رفقاء السلاح السابقون إلى قائدهم السابق نابليون وتبعوه وهو يباشر الهجوم ويحقق العديد من الانتصارات. ولكن عهد نابليون الجديد لم يدم غير مئة يوم فقط، وفي معركة ووترلو (Waterloo) التي وقعت في 18 حزيران/ يوني 1815، تعرض نابليون وجيشه الذي لم يظهر تصميمه وحميته المعهودة، إلى هزيمة ساحقة أمام قوات دوق ويلنجتون (Duke of Wellington) وجيبهارد ليبرخت فون بلوخر (Gebhard Leberecht von Blucher) . هذه المرة، استسلم نابليون مضطراً إلى قبول النفي في جزيرة سانت هيلينا (St. Helena) البريطانية في جنوب المحيط الأطلسي، حيث مات هناك بعد سنة واحدة.

توفي نابليون في 5 أيار/ مايو 1821 وعمره اثنتان وخمسون سنة، وقيل إنه توفي بسبب مرض سرطان المعدة، بينما تقول روايات أخرى إنه قد مات بفعل التسمم التدريجي بسم الزرنيخ. ولم يعد رفاته إلى فرنسا إلا عام 1840 حيث دفن في مقابر ليانفاليدس (Les Invalides) بباريس.

ولكن المفارقة أن نابليون ـ الذي يعتبر أعظم عسكري في عصره وهو أيضاً أحد أفضل العسكريين على مر الزمن ـ لم يكن مبدعاً على وجه التحديد؛ فهو لم يبدع أي أسلحة جديدة ولم يقدم أي تكتيكات مبتكرة، بل أثبت أنه أكثر من يجيد التكيف وتطويع الأشياء، حيث كان يستخدم منها ما يصلح لاحتياجاته ويترك ما لا يفيده. وكان يزيد في طاقة التقنية المتوافرة؛ ومن ذلك التحسينات التي دخلت على شبكة الطرق الأوروبية مؤخراً وزيادة السعة الإنتاجية للصناعة الحربية الفرنسية. كما تمكن نابليون ـ الذي استغل مهارات التنسيق، والإشراف المباشر، واختيار المرؤوسين الأكفاء، وتكامل جهود القوات ـ من تحقيق وإدامة أعلى معدلات الأداء من جانب جيشه. والأهم من ذلك أننابليون قد أدرك أن

نجاح أي جيش إنما يكمن في ارتفاع الروح المعنوية لأفراده. وقد ساعدت ملكات الحضور القيادي، والشخصية الفذة، وموهبة القيادة والسيطرة، بالإضافة إلى بسالته وشجاعته المتفردة، على خلق وبث روح قتالية لم تعرفها ساحات القتال في أوروبا حتى ذلك الحين.

كان نابليون يبني تكتياكته على عامل السرعة وعنصر المفاجأة والصدمة، وقد درب جيشه على إجادة هذه المهارات وتحقيقأهدافها، وكان يقسم فرقه إلى أسلحة وجيوش ويشكلها على النحو الذي يسمح له بالعمل كتشكيلات مستقلة. وتستطيع الفرق التي شكلها أن تنتشر في الميدان وتتحول من طابور المسير الحربي إلى تشكيلات القتال، ون تشتبك وتدخل في قتال فعلي دون الحاجة إلى تعليمات لاحقة. كان نابليون يختار الأشداء من القادة الذين يسميهم المقاتلين لقيادة هذه الفرق، وبخاصة أولئك الذين كانت شجاعتهم مصدر إلهام واستثارة لمرؤوسيهم. كما كان متفهماً لأهمية عنصر الحظ، وكان غالباً ما يصنف «الحظ» على أنه من الخصائص المهمة التي تساعد على إبراز القائد العسكري.

ولو استبعدنا عامل الحظ، لوجدنا أن نابليون، وبمساعدة رئيس أركانه، لويس ألكسندر بيرتييه (Louis Alexandre Berthier) ، كان يخطط لحملاته ومعاركه باهتمام فائق، كما كان يتولى بنفسه إجازة مرؤوسيه من القادة وتنويرهم، ثم بعد ذلك يتيح لهم التصرف باستقلالية للسيطرة على وحداتهم في خضم المعركة. ومن النواحي التكتيكية والاستراتيجية، ظل نابليون متمسكاً بالقيام بمبادرات محسوبة، مع تركيز أي تحرك يقوم به على أرض المعركة لتحقيق هدف واحد وهو تدمير قوات العدو. وكان يدرك أن من المستحيل على أي بلد أن يدافع عن أرضه دون جيش قوي.

لم يؤثر عن نابليون أي فلسفة مكتوبة عن فن الحرب، ولكن كارل فون كلاوسفيتس (Karl von Clausewitz) وأنطوان هنري جوميني (AnToine Henri jomini) جاءا فيما بعد ليحققا شهرتهما (وليضمنا مكاناً في هذه القائمة) بتعريفهما لقواعد وفن ومفاهيم الحرب المنسوبة إلى نابليون ونظام الأركان الذي

وضعه. ولعى الرغم من أن هذه التحليلات قد سجلت من قبل رجلين شاركا في الحروب النابليونية، فإنها تختلف حول أسباب نجاح نابليون.

ولكن الأثر الذي تركه الرجل الذي نصب نفسه إمبراطوراً كان على قدر كبير من الأهمية؛ إنه القانون النابليوني الذي أسهم بالكثير في توحيد القوانين ونظام الإدارة في كل أنحاء أوروبا. وكان نابليون هو الدافع الذي ساهم في خلق ألمانيا وإيطاليا، أوَ لَمْ تعمل كل منهما على توحيد نفسها لمجابهة التهديد الذي فرضه عليهما؟ لقد ترك نابليون إرثاً عظيماً من أساليب التنظيم العسكري، والتكتيك، والاستراتيجية لتستفيد منه الأجيال المتعاقبة من القادة الأوروبيين وقادة الحرب الأهلية الأريكية ثم زعماء الدول فيما بعد.

كان نابليون ـ الذي يصفه الكثيرون بالطموح والاندفاع الزائد الذي قضى عليه في آخر الأمر ـ رجلاً متفانياً في خدمة بلاده وكرس حياته لتبقى فرنسا متصدرة، كما عمل في الوقت نفسه على تحقيق مكانة بارزة لنفسه. وباعتبار أن نابليون من أوائل الذين تبنوا فكرة تلميع الذات بغرض تحقيق الشهرة والمنزلة الرفيعة، فقد استخدم أفضل الكتاب والفنانين في فرنسا لتمجيد ما حققه من إنجازات، بحيث أصبح اسمه ـ نابليون ـ رديفاً للبراعة والهشرة العسكرية. وقد أقر نابليون، الذي وصف نفسه بأنه «رجل الأقدار»، قائلاً بعد أن تمكّن من أن يصبح واحداً من أنجح القادة العسكريين على مر التاريخ: «القوة هي عشقي».

وعلى الرغم من أن نابليون قد نشر الدمار والموت خلال معاركه، دون أن تأخذه الرحمة بأحد ودون أن يتجاوز في ذلك عن عسكري أو مدني، فقد جلب للبلدان التي دانت له بالسيطرة قدراً من الحريات لم تعرفه من قبل. وما زال اسم نابليون، إلى يومنا هذا، مرادفاً دائماً للمقدرة القيادية المتمكنة والتأثير العسكري البارز. وليس ثمة ما يمنع من تصدر اسمه لقائمة أبرز القادة العسكريين سوى الهزيمة التي تعرض لها على يد القوى الأوروبية المتحالفة؛ تلك الهزيمة التي وضعت حداً لطموحاته الدؤوبة.



جنكيز خان

GENGHIS KHAN

(1162 - 1228م)

فاتح مغولي

«موحد المغول والسيد المطلق»

هو تيموجين وارث الزعامة المغولية وهو لم يبلغ بعد الثالثة عشرة من العمر.

ولد جنكيز خان في أسرة ذات نفوذ بمنطقة وسط منغوليا الواقعة على امتداد نهر أونون في عام 1167 أو في عام 1155 وفقاً للروايات التاريخية المختلفة. اختارت له أسرته اسم تيموجين، وكان والده هو الذي انتقى هذا الاسم تكريماً لعدو من التتار كان يكن له احتراماً خاصاً.

فلاح أميّ، أسر على يد إحدى القبائل المنافسة لقبيلته ولمنع هربه وضع طوق خشبي حول رقبته، كان لهذا الحادث الأثر الكبير في تمرده ليصبح أقوى

رجل في العالم. بعد هربه من آسريه انحصر همه في توحيد المغول لتصبح القوة الأولى في العالم.

استطاع جمع شمل القبائل المغولية بالسياسة حيناً وبالحرب أحياناً أخرى. وفي العام 1206 حقق طموحه الكبير فأضحى أمبراطور العالم وسمى جنكيزخان أي السيد المطلق.

وقبل أن يكمل العشرين من عمره، كان تيموجين قد بدأ بتوثيق عرى التعاون بين العشائر والقبائل العديدة بدبلوماسيتهن، ثم عن طريق زواجه من ابنة جار قوي. وفي الوقت الذي لم تزل تحالفاته معدودة ومحصورة، قامت قبيلة من القبائل المعادية وهي قبيلة «الميركيتس» (Merkits) بغارة على معسكر تيموجين واختطفت زوجته. وعقب ذلك، زاد تيموجين من جهوده لتوحيد العائلات المجاورة، وتمكن خلال سنة واحدة من إلحاق الهزيمة بقبيلة «الميركيتس» وإنقاذ عقيلته من الأسر.

تشجعت قبائل أخرى على الانضمام إلى تيموجين بسبب الانتصارات التي حققها، خاصة وأنه قد عمل على مهاجمة وهزيمة من وقفوا في معارضته. ومن ثم، سمح تيموجين للناجين من الموت في أعقاب كل معركة من معاركه ضد أعدائه أن يختاروا بين الانضمام إلى قواته أو مواجهة الموت. وحين بلغ الخامسة والعشرين من العمر، كان تيموجين قد وحد بالفعل جميع قبائل المغول في اتحاد واحد، واتخذ لنفسه لقب «جنكيز خان»، وهو اللقب الذي اختلفت تعريفاته ما بين «سيد العالم» و«السيد العادل» و«السيد العزيز».

طلب جنكيز خان من كل القبائل التي انضمت إليه أن تحتفظ بقوة دائمة تكون مستعدة للدفاع عن أراضي القبيلة أو القيام بالهجوم. ونظم قواته على أساس هيكل عشري، حيث تضم الزمرة عشرة جنود، وتتكون السرية من عشرة زمر، والكتيبة من عشر سرايا وهكذا، حتى تصل إلى مستوى ما أطلق عليه «تومين» (Tumens) والتي تضم عشرة آلاف رجل. وتولى أبناء جنكيزخان

وأفراد عائلته وعشيرته والذين يهتم بهم المناصب القيادية الرئيسية في جيشه وفرضوا نظاماً صارماً للتدريب والانضباط.

وتتشابه هذه التطبيقات والتجربة التنظيمية بالأسلوب والتجربة التي طبقها أتيلا الهوني (Attila the Hun) قبل أكثر من 700 عام. ولا يكشف لنا التاريخ ما إذا كان جانكيز خان قد نقل أياً من أفكار سلفه أتيلا أو أن تلك الأفكار خاصة به، فقد تمكن جنكيز خان من تنظيم جيشه على نحو منظم ليحقق الحد الأقصى من النتائج المتوقعة.

شكل محاربو الخيالة الثقيلة، المسلحون بالحراب والسيوف، الذين تحميهم الخوذات الجلدية ودروع الصدر، نصف جيش جنكيز خان تقريباً. أما الصفوف المتبقية فقد كانت مكونة من الخيالة الخفيفة، وهم رماة القوس المسلحون بالأقواس والسهام والذين لا يستخدمون أي معدات حماية سوى الخوذة الجلدية. وكان كل أفراد الجيش المغولي راكبين على الخيول ولم يكن فيه أي مجموعة راجلة، وكان أفراد الخيالة يقودون الخيل الزائدة التي تحمل المؤن والمعدات الكافية اللازمة للحملات الطويلة الأمد. وقد أدت التجديدات والتعديلات إلى خلق جيش على قدر عال من القدرة على الحركة والتنقل بحيث تتفوق كثيراً على أي جيش آخر في ذلك الحين.

ولكي يوفر جنكيز خان الإسناد اللازم لعمليات جيشه استخدم شبكة واسعة من الجواسيس والكشافة الذين كانوا ينقلون تفاصيل قوة العدو ومواقفه. وعندما تتمكن عناصر الاستطلاع من كشف موقع ضعف لدى العدو، كان جنكيز خان يسرع إلى حشد قوة مكونة من 250 ألف رجل ليهاجم بها ذلك الموقع، تتقدمها الخيالة الثقيلة ويساندها رماة القوس من المؤخرة. وكان بإمكان أرتال من الفرسان أن يتوزعوا على مجموعات قتال أصغر حجماً ويستغلوا نقاط الضعف، أو أن يعبروا من خلال تشكيلات بعضهم البعض ويطوقوا نقاط العدو القوية. ويعتبر هذا الهجوم الجريء والسريع أول نموذج لأسلوب «الحرب الخاطفة» الذي ظل يطبقع طرق القتال لعدة قرون.

ولم يبق الجيش المغولي جامداً، وإنما كان يتطور باستمرار حسبما يستدعي الموقف؛ فعندما اضطر جنكيز خان إلى مواجهة المدن ذات التحصينات القوية في شمالي الصين قام بإدخال المجانيق وآلات الحصار المختلفة التي يمكن تفكيكها وحملها على ظهور الدواب. وعندما قل أصحاب المهارات الهندسية والطبية عن الحد المطلوب في صفوف جيشه قام بتجنيد خبراء من بلدان أخرى أو خبراء أجانب ممن وقعوا في الأسر لديه.

لقد أدى الرعب، كأداة نفسية وكأحد خصائص فن الحرب في ذلك الوقت، دوراً مهماً في تكتيكات جنكيز خان. ونادراً ما احتفظ جيشه بأسرى الحرب؛ فقد كان يذبح المدنيين والعسكريين على السواء عند الاستيلاء على المدن. وذاع صيت جيش المغول الذي أصبحت سمعته مخيفة للغاية، حتى إن العدو المحتمل يفضل الهرب على محاولة مواجهة جيش جنكيز خان الوحشي.

وبمجرد أن تمكن جنكيز خان من سحق كل عناصر المعارضة في موطنه وإنشاء دولة المغول بالفعل، تطلع إلى أماكن ومناطق أخرى بغرض توسيع إمبراطوريته. فقد غزا الصين عام 1206 وتمكن خلال سنتين من عبور «سور الصين العظيم». وبحلول عام 1215 تمكن جنكيز خان من إخضاع كل مناطق الصين بعد شن معارك هجومية منظمة وفي عام 1218 أضاف شبه جزيرة كوريا إلى إمبراطوريته.

وكرد فعل على قتل تجار مغول، قام جنكيزخان عام 1219 بتوجيه جيشه نحو الغرب ضد الأتراك، وتمكن خلال وقت قصير من الاستيلاء على المنطقة التي تضم اليوم العراق وإيران وتركستان الغربية. وبعد ذلك هاجم خان المنطقة التي تضم شمالي الهند الحديثة وباكستان ثم استولى عليها. وبعد أن دانت له المناطق الواقعة إلى الجنوب والغرب بالسيطرة التامة، قام جنكيز خان بغزو روسيا عام 1222 واحتل الأراضي الممتدة من الخليج العربي إلى المحيط المتجمد شمالاً.

وعلى الرغم من أن جنكيز خان قد قتل وسلب في كل أنحاء آسيا، فإنه

لم يهمل ما تبقى من شعوب البلدان التي هزمها. فقد أقام فيها حكومات راسخة، وعين عليها مسؤولين محليين، كما عمل على توفير قدر كاف من الغذاء والأمن للجميع وسمح بممارسة الشعائر والعادات الدينية السائدة دون أي اضطهاد أو منع. وبقدر ما كان جنكيز خان قاسياً في الحرب، كان حريصاً مهتماً في زمن السلم؛ فقد وفر للمناطق التي احتلها المغول وللسكان المحليين الذين أخضعهم لحكمه تحسناً كبيراً في نوعية حياتهم.

بحلول عام 1226 كان جنكيز خان يحكم إمبراطورية تمتد من بولندا في الغرب إلى كوريا في الشرق ومن فييتنام في الجنوب إلى سواحل روسيا على المحيط المتجمد في الشمال. ولم يكن جنكيز خان ليقف عند ذلك الحد من تلقاء نفسه إلا بعد أن أجبره تقدم العمر على الإبطاء ثم التوقف. فقد حاول بعد أن جاوز الستين من عمره، وبعد أن ساءت حالته الصحية أن يعود إلى منغوليا من الحملة التي شنها لإخماد تمرد في الصين ولكنه توفي أثناء رحلة العودة. وكان قد عين قبل موته بقليل، أحد أبنائه ليتولى قيادة الجيش وأمره بذبح الثوار الصينيين بعد هزيمتهم.

دامت الإمبراطورية التي كونها جنكيز خان لأكثر من 150 عاماً عقب موته بفضل القيادة المقتدرة من قبل أبنائه وأحفاده. وعلى الرغم من تمكن كل من روسيا والصين من اقتطاع أجزاء من إمبراطوريته، فقد بقيت دولة المغول. وما زال جنكيز خان بطلاً قومياً في منغوليا حتى اليوم، فقد كانت الذكرى الـ 800 لميلاده مناسبة للاحتفالات القومية في منغوليات رغم تدخل السلطات الحاكمة في الاتحاد السوفياتي حينها. وما يزال اسم جنكيز خان، في داخل آسيا وخارجها، يمثل المرادف الذي يذكر الناس بالهيمنة على العالم وجبروت القوة العسكرية في كل النواحي. ويحتل جنكيز خان بسهولة مرتبة القائد الذي يعتبر واحداً من أبرز القادة العسكريين نفوذاً في تاريخ العالم، ولا ينافسه في ذلك سوى جورج واشنطن، ونابليون، والإسكندر الأكبر.



بطرس الأكبر

PETER THE GREAT

(1672 - 1725م)

قيصر روسي

«أعظم وأبرز القياصرة»

من أعظم وأبرز قياصرة روسيا، أدخل أنماط الثقافة الغربية لبلده لتتحول روسيا إلى دولة عظمى.

مواليد موسكو يُتم وهو لم يبلغ بعد الرابعة من عمره بعد وفاة والده القيصر ألكس.

تنازع مع أشقائه الثلاثة عشر من زوجة والده الثانية العرش، اضطر بالنهاية إلى الهرب بعد استيلاء أخته من أبيه على عرش روسيا.

عاد أخيراً إلى عرش القيصرية بعد خلع خته وتسميته قيصر روسيا. استلم

روسيا وهي غارقة في الجهل والفوضى والعبودية السائدة داخل المجتمع الروسي فضلاً عن التخلف العمراني والثافي وكل مظاهر الحياة اليومية. تجول في أوروبا متنكراً. مع بداية العام 1700 انخرط في هذا المجتمع يتفحص خباياه وطريقة عيشه وأسباب تقدمه الصناعي والثافي والعمراني ومع المجموعة التي سافرت معه وقدر عددها بثلاثمائة من معاونيه استطاع أن يتعلم الكثير حول الثقافة الغربية والعلوم والصناعات وتقنية الإدارة. عمل تحت اسم مستعار كعامل نجار في أحواض السفن البريطانية ودرس علم المدفعية في بروسيا وحمل كل هذه الثروات و«الكنوز المعرفاتية» إلى روسيا لينطلق ببلده وليحولها إلى دولة عظمى.

بعد عام من تجواله السرى عاد بطرس إلى موسكو وهناك باشر ورشة الإعمار. أرسل العشرات من البعثات الخارجية للدراسة وتعلم الصناعة والتجارة.

بنى بطرس الأكبر أول أسطول روسي ضخم ونظم ورتب الجيش وفق أسس صحيحة واضحة واعتمد على التدريبات العسكرية لزيادة قدراته الإدارية والقتالية وقام بسلسلة كبيرة من الإصلاحات الإدارة وضعت الموظف المناسب في المكان المناسب دون النظر إلى العامل الوراثي في تبوأ هذه المراكز.

أدخل الأزياء الغربية في نمط الحياة الاجتماعية الروسية وانتشرت الندوات واللقاءات الثقافية في عهده وكذلك شهد عهده صدور أول جريدة روسية. ومع أنه لم يحقق نجاحاً كبيراً في دفع الكنيسة الأرثوذكسية للتقدم وفق تطور المجتمع إلا أنه استطاع لحد ما تنظيم وضعها وإنشاء مدارس علمانية متطورة.

دخل في حروب مع جيرانه الأتراك جنوباً والسويد شمالاً.

أعلن بطرس الحرب على السويد عام 1700، وخاض ما يسمى بحرب الشمال الكبرى (Great Northern War) التي استمرت لمدة واحد وعشرين عاماً. وتعرض جيشه المشكل حديثاً إلى هزيمة أولية في مدينة نارفا (Narva)، ولكنه اكتسب الخبر اللازمة حيث حقق انتصاراً حاسماً في معركة بولتافا

(Poltava) عام 1708. وبعد تحقيق المزيد من الانتصارات في الحرب البرية وهزيمة البحرية السويدية في معركة هانجو (Hango)، بدأت حدة الحرب تخفت حتى طالبت السويد بالسلام عام 1721، وتنازلت عن كل من إستونيا (Estonia) وليفونيا (Livonia) وساحل البلطيق الواقع إلى الشمال من فيبورج (Vyborg)، لتؤول جميعها إلى السيادة الروسية.

واصل بطرس خلال فترة الحرب تحديث جيشه وتحقيق المزيد من التقدم على الصعيد الداخلي؛ ففي عام 1712 نقل عاصمته من موسكو إلى مدينة سان بطرسبرج التي وصفها بأنها «نافذة أفضل» نحو أوروبا. كما أصدر العديد من الكتب ومن ضمنها كتاب «قواعد القتال لعام 1708» (Rules of Combat of 1708) وكتاب «القانون العسكري لعام 1716» (Military Code of the Year 1716) وذلك لتوحيد رؤيته في مجالي التدريب والعمليات. وأسس بطرس الكلية العسكرية عام 1718 ليضمن توحيد الهيكل القيادي.

وبالطبع، فقد كلفت هذه التغييرات ومجالات التطور الأخرى الكثير من المال، مما دفع بطرس إلى فرض ضرائب ثقيلة على شعبه. ووقع العديد من الانتفاضات، ولكنه أخمدها بوحشية وقام بإعدام القادة المعارضين له. وفي عام 1718 قام باعتقال وتعذيب ابنه بسبب تآمره ضده، واستمر في اعتقاله حتى مات في السجن لاحقاً.

في وقت مبكر من عام 1725، غاص بطرس ـ الذي كرس حياته لجنوده ـ في نهر متجمد في فنلندا لينقذ عدداً من الجنود المشرفين على الغرق، وأصيب نتيجة لذلك بانخفاض غير طبيعي في درجة حرارة جسمه، وهو المرض الذي لم يُشف منه مطلقاً. توفي بطرس في مدينة سان بطرسبرج في 8 شباط/ فبراير 1725، وكان في الثالثة والخمسين من عمره.

نجح بطرس في تحويل روسيا بأجمعها إلى دولة حديثة، وساعد التقدم الكبير الذي حققه في المجال العسكري على جعل بلاده قوة كبرى. والأهم من ذلك أن بطرس الذي عمل على توفير أفضل الأسلحة والمعدات لجيشه وقواته

البحرية، لم يجد أي حرج في اختيار من هم أفضل منه كفاءة لقيادة القوات في ساحة القتال. وفرض بطرس تأثيره العسكري بزيادة عدد أفراد الجيش والقوات البحرية وبتطويره لاقتصاد قادر على دعم وإمداد الجيش بالأسلحة والمؤن. كما عمل على رفع الروح المعنوية لجنوده في الجيش والبحرية بحضوره المستمر في جبهات القتال وأثناء التدريب في المعسكرات. لقد أدت مهارات بطرس التنظيمية والإدارية المدعومة بحماسه القيادي، إلى خلق مؤسسة عسكرية عصرية رفعت من مكانة روسيا وارتقت بها إلى مصاف القوى العالمية.

ظلت روسيا القيصرية التي تركها بطرس باقية كقوة أوروبية متصدرة طيلة القرنين التاليين. ولم يأت اضمحلالها النهائي من هجوم خارجي، بل جاء نتيجة للثورة البلشفية داخلها عام 1917، وما كان لروسيا أن تتبوأ مكانتها كقوة مساوية لبريطانيا وفرنسا وبروسيا لولا الإصلاحات المباشرة التي قام بها بطرس والتي هيأت الأرضية اللازمة للمزيد من التقدم مستقبلاً، ولما أمكن للاتحاد السوفييتي على الأرجح أن يصبح قوة عظمى في القرن العشرين ويفرض نفوذه في الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة التي تلتها.



جورج واشنطن

GEORGES WASHINGTON

(1799 - 1732)

قائد أميركي

«أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية»

رجل دولة، وقائد عسكري، وأول رئيس للولايات المتحدة الأميركية.

ولد في العام 1732 في ويكفلد ڤرجينيا وانتمى إلى أسرة ثرية.

من عام 1753 حتى 1758 خدم في الجيش واشترك بشكل فعال في الحروب الفرنسية والهندية ونال بذلك خبرة عسكرية واسعة واحتراماً من مرؤسيه.

بعد استقالته من الجيش في أواخر العام 1758 تفرغ لإدارة ممتلكاته الواسعة وأضحى بذلك أغنى الرجال في المستعمرات الأميركية.

حزيران 1775 انتخب بالإجماع قائداً لجيش المستعمرات أو قوات الثورة

التي كانت تخوض حينها معركة الاستقلال الوطني ضد الاستعمار الإنكليزي.

نجح جورج واشنطن بقيادته لجيوش الثورة في التغلب على قوات الحكومة الإنكليزية مجبراً هذه الحكومة على الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة الأميركية الذي أعلن في 14 تموز عام 1776.

أُختير كأول رئيس للولايات المتحدة الأميركية (1789 ـ 1797) واحتفظ بمنصبه لفترتين رئاسيتين.

كان رجلاً لا عيب في سلوكه بجانب تمتعه بمواهبه إدارية وقوة شخصية كبيرة. خدم طيلة الحرب دون أن يتقاضى أجراً وبحماس منقطع النظير.

توفي في بيته في ڤرجينيا في كانون الأول عام 1799.



يوليوس قيصر

(100 - 44ق.م)

«رجل كل العصور»

أشهر رجال الرومان، بل يعتبر بنظر العديد من المؤرخين الأعظم على الإطلاق.

قائد عسكري وسياسي رفيع المستوى، كاتب وخطيب مميز ذا إرادة قوية وشجاعة كبيرة.

مواليد روما 15 تموز 100ق.م، ينتمي لعائلة أرستقراطية ادعت جذورها للبطل الأسطوري أيني ابن الآلهة.

مع بداية القرن الثاني ق. م وبعد هزيمة قرطاجة على يد الرومان تمكن الرومانيون من بسط سلطتهم الواسعة على أجزاء كبيرة من هذا العالم حتى أضحى البحر المتوسط بكامله مناطق نفوذ وهيمنة لروما.

ومع كل ما سببته هذه الفتوحات من ثراء وأغناء لموارد روما إلا أنها بالمقابل انعكست سلباً على الحياة الاقتصادية والسياسية إذ لم يعد بمقدور السياسة الرومانية على حكم هذه الإمبراطورية الواسعة مما جعل الحكم في حينه يغرق في سوء الإدارة للدول، وتفشي الفساد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

في أجواء هذا التخبط السياسي شق يوليوس قيصر طريقه إلى الشهرة والمجد وانخرط وهو ما يزال شاباً في الحياة السياسية والعسكرية واختار حزب الشعب منذ نشأته ومع بلوغه سن الأربعين كان معيناً حاكماً لثلاث ولايات ترزح تحت نير الحكم الروماني وبقيادته جيش مكون من أكثر من ثلاثين ألف رجل.

بين عام 58 ـ 51 ق.م اجتاحت جيوشه رغم قلتها أوروبا الغربية واستطاع بحنكته السياسية والعسكرية أن يتغلب على القبائل الغالية التي كانت تقطن تلك المناطق ويمد سلطة الأمبراطورية الرومانية لتصل لأراضي حوض الراين. انتصاراته الواسعة لم تخفف من استشراء الفساد الاجتماعي والسياسي لدى المجتمع الروماني والذي بدأت معه الجمهوريات والمقاطعات الحليفة تتمرد على السلطة المركزية وتهدد بالإنفصال. قرر قيصر في العام 60 ق. م أن يدخل حلبة السلطة والإمساك بالحكم فتوجه إلى روما على رأس جيشه لتلقي الألقاب والجوائز له ولجيشه القوي المخلص للأمبراطورية، لكن المفاجأة كانت في طلب مجلس الشيوخ له بدخول روما منفرداً بعد تسريح جيشه الذي أضحى خطراً على الطامحين للاستيلاء على الحكم. قاوم يوليوس قيصر هذا الطلب ومع التفاف جيشه حوله دخل مدينة روما فاتحاً بعد أن هزم جيوش المعارضة له على أبواب المدينة ومع مطلع عام 45ق.م أضحى يوليوس قيصر زعيماً ملهماً للأمبراطورية الرومانية بأسرها بعد هيزمته لجيوش بومباي الذي استفرد بالحكم نتيجة لانشغال قيصر في فتوحاته والذي كان قد شكل مع قيصر وكراسوس ثالوثاً سابقاً لحكم روما وأصبح بهذه الطريقة يوليوس قيصر قنصلاً عام 59.

احتكر يوليوس قيصر السلطة بشكل كامل وانتخب حاكماً للأمبراطورية ثم

أمبراطوراً مطلق الصلاحية لمدة عام، ثم لمدة عشرة أعوام، ثم لمدى الحياة. رغم الفترة القصيرة لاستقراره بروما قام بالكثير من الإصلاحات السياسية والاجتماعية وأهمها:

1 ـ فرض السلطة المركزية القوية على كل أجزاء الإمبراطورية.

2 ـ وضع تصميم موحد لكل المقاطعات الرومانية.

3 ـ دعم طبقة الفقراء في المجتمع الروماني ومقاطعاته بتوزيع حبوب القمح عليهم مجاناً.

4 ـ وضع التقويم الروماني.

5 ـ توسيع مجلس الشيوخ الحاكم بضم ممثلين عن المقاطعات المحتلة.

6 ـ وضع شرائع قانونية تحدد العلاقات ضمن المجتمع الروماني.

7 ـ وضع برامج عمرانية وإنشائية واسعة وخلق نظام الإدارة المحلية في المدن.

كل هذه الإنجازات مع مواهبه الخطابية والسياسية والعسكرية وبُعده عن الحقد والضغينة وتعامله المتسامح مع أعدائه جعل منه الأشهر في التاريخ مما حدى بكل الأباطرة من بعده إلى التمسك بلقب قيصر لتتوسع هذه التسمية لتشمل العديد من أبطارة وملوك العالم.

في العام 44ق.م جهز جيشاً جراراً لصد الهجمات التي كانت تهدد الإمبراطورية في الشرق. وفي أثناء دعوة مجلس الشيوخ للاجتماع برئاسته لمناقشة هذه التهديدات توجه صوبه العديد من هؤلاء الشيوخ لأخذ بركته كالعادة وغرسوا في جسده خناجرهم خرّ يوليوس قيصر صريعاً وهو يتطلع إلى صديق عمره بروتس الذي شارك مع القتلة ليقول له كلمته المشهورة:

«حتى أنت يا بروتس».

موت قيصر



شارلمان

(742 - 814م)

«مؤسس الإمبراطورية الرومانية المقدسة»

الإمبراطور شارل الكبير أو (شارلمان) ملك الفرنجة وفاتح سكسونيا ومؤسس الإمبراطورية الرومانية المقدسة وأحد الحكام الأوائل في تاريخ. أوروبا.

ولد شارلمان في عام 742 في مكان غير معروف تماماً ولكن يحتمل أن يكون قرب مدينة آخن التي أصبحت عاصمته فيما بعد. وكان والده يدعى بيبن القصير وكان جده شارل مارتيل زعيم الفرنجة العظيم الذي انتصر على العرب عام 7322 في معركة بواتيه أو بلاط الشهداء. وقد أسس والده بيبن أسرة مالكة جديدة سميت باسم العائلة الكارولنجية (على اسم شارلمان). وتوفي بيبن عام 768 وقسمت مملكة الفرنجة بين شارل وأخيه كارلومان ولحسن حظ شارل وحظ الوحدة الفرنجية، فإن كارلومان توفي فجأة عام 771 وبذلك أصبح شارل

وهو في التاسعة والعشرين الحاكم المطلق لمملكة الفرنجة جميعها التي كانت أقوى دولة في أوروبا الغربية.

عند اعتلاء شارلمان العرش كانت مملكة الفرنجة تتألف مما يدعى الآن فرنسا وبلجيكا وسويسرا بالإضافة إلى بعض المناطق من هولندا وألمانيا. وحاول شارلمان توسيع رقعة مملكته. وقد كانت زوجة أخيه المتوفي كارلومان قد التجأت إلى مملكة اللومبارد فطلق شارلمان زوجته اللومباردية، وقاد جيشه إلى لومبارديا وشمال إيطاليا وفي عام 774 كان اللومبارد قد هزموا جميعاً هزيمة ساحقة، وضم شمالي إيطاليا إلى أملاكه وقد وقعت زوجة أخيه وأطفالها أسرى بين يديه ولم يرحم أحد بعد ذلك.

إن من أهم وأصعب الأعمال التي قام بها شارلمان هو هزيمة السكسون في شمال ألمانيا وقد احتاج فتح تلك البلاد إلى 18 حملة عسكرية وكانت العوامل الدينية تلعب دورها في هذه الحرب، فقد كان السكسون ونيين أما شارلمان فأراد أن يدخل الديانة الكاثوليكية إلى بلاد السكسون الوثنيين وكان يقتل كل وثني يرفض الدخول في المسيحية.

حارب شارلمان أيضاً في جنوبي ألمانيا وجنوب غرب فرنسا للسيطرة على تلك المناطق. وآخر المناطق التي فتحها كانت منطقة (آفار) وكانوا شعباً آسيوياً قريبين من (الهون) يشغلون أرضاً كبيرة فيما ندعوه الآن هنغاريا ويوغوسلافيا وقد قهر شارلمان جيش الآفار.

حاول شارلمان غزو إسبانيا حيث كان العرب لكنه فشل ونتيجة لحروبه الكثيرة، فقد حاول أن يوحد أوروبا الغربية. وقد حارب في 54 حملة خلال الخمس والأربعين سنة التي حكمها.

يذكر التاريخ العربي أنه حصلت مراسلات بين شارلمان وهارون الرشيد في بغداد وقد أرسل هارون الرشيد هدايا لشارلمان منها ساعة مائية كلما مرت ساعة تخرج جنوداً بعدد الساعة المطلوبة وتدق وقد كان لهذه الساعة وقع على الحضور من حاشية شارلمان ووزرائه لدرجة أنهم هربوا واعتبروا أن ذلك من عمل الجن.



وليم الفاتح

WilliAM THE CONQUEROR

(1027 - 1087م)

ملك انجليزي

«قاهر الإنكليز»

هو الابن غير الشرعي لدوق نورماندي روبرت الأول بعد وفاة والده أثنا عودته من الحج إلى بيت المقدس، عين وليم مكان والده وهو لم يبلغ بعد الثامنة من عمره في جو من التصارع والتمزق الداخلي بينه وبين البارونات الإقطاعيين الذين كانوا رجالاً كباراً وطموحهم أكبر من ولائهم لملكهم.

استطاع وليم رغم صغر سنه الحفاظ على رأسه ومملكته رغم كل هذه العواصف التي ضربت ومزقت المملكة.

قاد وليم الفاتح آخر غزو ناجح لإنجلترا عام 1066، وهو الغزو الوحيد لها منذ الفتح الروماني قبل ألف عام. وشكل انتصاره في معركة هاستنجز

(Hastings)، والذي تحقق بفضل إبداعه في استخدام رماة السهام وقيادة المقدمة.

تربى وليم ليبلغ منتصف العقد الثاني من عمره وكان شاباً طويلاً قوي البنية، وأظهر وليم مهاراته الفردية المميزة في القتال وحشد الآخرين للقتال باسمه منذ عمر مبكر، كما تمكن بعد أن بلغ سن الرشد من إنهاء عدد من حالات التمرد التي قادها إقطاعيون في دوقيته ووطد سلطانه على نورماندي بقوة السيف. ومن ثم قام بغزو مقاطعة مين (Maine) وبريتاني (Brittany) المجاورتين واستولى عليهما.

بعد انتهاء وليم من توسعة المناطق الخاضعة له في فرنسا، تطلع إلى مناطق أخرى لضم المزيد من الأراض. ورأى أن الفرصة بانتظاره عبر القنال الإنجليزي؛ فقد نصب نفسه وريثاً لعرش إنجلترا على أساس أن شقيقه جده لأبيه، هي أم الملك إدوارد والذي لم تكن له ذرية ترثه.

وفي عام 1051 أقنع وليم الملك إدوارد بتأييد مطالبته بالعرش، ومضى إلى تعزيز ذلك باحتجاز هارولد جودوين (Harold Godwin)، شقيق زوجة إدوارد، في فرنسا حتى وافق أيضاً على مطلبه. وبعد وفاة إدوارد عام 1066، نكث هارولد عهده ونصب نفسه ملكاً على إنجلترا. رد وليم على الفور بحشد قوة من حوالي خمسة وعشرين ألف جندي، مكونة من أعداء متساوية من رماة الأقواس وحملة الحراب والفرسان. وتتشكل تلك القوة من العبيد والفرسان في دوقيته بالإضافة إلى مرتزقة ومتطوعين من أنحاء فرنسا وأوروبا ممن أغراهم بحصة من الغنائم. كان وليم يعتمد على الفرسان في القيام بالدور الهجومي، ولكنه ظل على مدى سنوات يجرب أقواساً ذات أطول وقوة لرماة القوس، واستخدم هذه المزية ليباغت بها الإنجليز.

وصل وليم بجيشه الغازي إلى الساحل ليجد هارولد وجيشه في مواجهته وراء دفاعات أعدت على عجل على امتداد خط الساحل، على بعد ثمانية أميال إلى الشمال الغربي من هاستنجز. وتقدم النورمانديون الذين جلبهم وليم حتى

أصبح ما بينهم وبين القوات الأنجلو ـ ساكسونية لا يتجاوز مئة ياردة، وبادروا إلى إلقاء موجة من السهام تبعها هجوم من حملة الحراب. وعلى الرغم من الإرهاق الذي أصاب رجال هارولد نتيجة تصديهم لغزو من النرويج قبل ذلك، فقد تمكنوا من صد وإيقاف هجوم الفرسان الذي قاده وليم بنفسه.

وبدا واضحاً أن نجاح الغزو قد أصبح مهدداً حتى بدأ الساكسونيون في الخروج من تحصيناتهم ومطاردة النورمانديين المنسحبين. وهنا، نزع وليم خوذته ليتعرف إليه جنوده ويحتشدوا ليقود بهم هجوماً معاكساً ضد مشاة العدو المتقدم. وفي الوقت نفسه أصدره أوامره لرماة الأقواس بتغيير أسلوب الرماية من المساء الأفقي إلى الرماية بزاوية واسعة بغرض اكتساب قوة اختراق أكبر بفعل سقوط السهام من عل. وتعادلت القوتان في المعركة لفترة، ولكن أصيب هارولد بسهم قاتل مما أجبر على الانسحاب، ولم يبق منهم سوى الحرس الشخصي لهارولد والذي بقي لحماية الجثة.

قام وليم بمطاردة الجيش الإنكليزي المشتت أثناء انسحابه واستولى على مدينة دوفر. وفي 25 كانون الأول/ ديسمبر 1066، دخل لندن ليستسلم التاج البريطاني ويسمى نفسه، وليم الأول ملك إنجلترا. وتمكن الملك وليم خلال الخمس سنوات التالية، من إخماد سلسلة من الثورات وصادر كل الأراضي واستبدل بالأرستقراطية الأنجلو ـ ساكسونية أتباعه النورمانديين.

أنشأ مالك إنجلترا الجديد ـ الذي لم يكن يتحدث سوى لغته الفرنسية ولا يعرف القراءة مطلقاً ـ نظام حكم وإدارة قوياً. وعلى الرغم من وحشيته وتصلبه في الحكم فقد تمكن من مزج الثافتين الأنجلو ـ ساكسونية والنورماندية في قوة واحدة امتد تأثيرها في العالم لمئات السنين.

وفي سعي وليم من أجل تجويد نظام الحكم في مملكته، حقق إنجازاً آخر؛ ففي عام 1086 أصدر مرسوماً بمباشرة العمل في سجل إحصائي بعنوان (Domesday Book) وهو سجل تفصيلي يحوي بيانات كاملة عن السكان والأراضي والممتلكات الأخرى. ويعتبر ذلك السجل الإحصائي ـ الذي لا تزال

نسخته الأصليلة محفوظة في مكتب السجلات العاملة بلندن ـ واحداً من أهم المراجع للمهتمين بالبحوث التاريخية.

وقضى الملك وليم العقد التالي بعد توليه عرش إنجلترا في القيام بأعمال أخرى؛ فقد صرف معظم وقته في فرنسا ليخمد ثورات في دوقيته السابقة. وفي عام 1087 اختلف وليم والملك فيليب ملك فرنسا على حدود سلطاتهما ودخلا في حرب. وبعد وقت قصير من استيلاء وليم على مدينة مانتيه (Mantes) تعرض لإصابة قاتلة بعد إسقاطه من فرسه في معركة رون (Rouen)، وتوفي في 9 أيلول/ سبتمبر 1087 وهو في الستين من عمره.

ما تزال المراجع التاريخية تشير إلى معركة هاستنجز باعتبارها المعركة التي غيرت خارطة العالم ويعتبر عام 1066 نقطة فاصلة في التاريخ؛ فقد استمر إرث الملك وليم قائماً طيلة الألف عام التالية عبر أحفاده وسلالته التي لا تزال تتربع على عرش إنجلترا حتى اليوم. وهم الذين بسطوا نفوذ إنجلترا وفرضوا هيمنتها على العالم ليجعلوا من بلادهم أكبر قوة تنجح في استعمار بلدان أخرى وتتحول إلى قوة عظمى دائمة التأثير.



عبد القادر الجزائري

(1807 - 1883)

«أمير الحرية»

قائد ثورة الجزائر الأولى ضد الاحتلال الفرنسي، زعيم وطني وتحرري بارز، مثقف ثقافة إسلامية عالية وحج إلى الحرمين وزار المشرق العربي عدة مرات مما جعله شديد الالتصاق بمشاكله وبمعاناته والتي كانت جزءاً من معاناة الوطن العربي الذي ابتلي خلال تلك الحقبة بأشكال متعددة وجنسيات مختلفة من الاستعمار وأعوانه.

تأثر بالتيار الإسلامي الإصلاحي وأصبح من أنصار السلفية وحين تمت مبايعته من زعماء القبائل كأمير عليهم لمحاربة الاستعمار الفرنسي دعا الناس إلى السير بمقتضى الشرع الإسلامي والاقتداء بالخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم).

نجح الأمير عبد القادر في محاربته الفرنسيين وانتصر عليهم في معركة وهران واضطرهم إلى مفاوضته والاتفاق معه عام 1834.

بجانب معركة تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي اهتم بتطوير البلاد تطويراً عصرياً فبنى بعض المصانع ونشط الزراعة والتجارة والصناعة وفتح العديد من المدارس للتخلص من الأمية.

بعد اتفاق عام 1834 تملصت فرنسا من اتفاقها وعادت لمحاربة حركة عبد القادر التحررية لكامل التراب الجزائري والمغربي واستطاع بالتالي إخراج الفرنسيين من تلمسان. استمرت معارك عبد القادر في مقارعة الفرنسيين حتى أقرت فرنسا باتفاق «التافنا» في أيار 1837 وبموجبها اعترفت فرنسا بالدولة الجزائرية الداخلية مقابل اعتراف عبد القادر بنفوذ فرنسا على الشاطىء الجزائري. بقيت هذه الاتفاقية سارية المفعول حتى العام 1846 حين حشدت فرنسا قوات عسكرية ضخمة للقضاء على الدولة الفتية المستقلة. استطاعت قوات الاحتلال بداية من عزل عبد القادر عن المغرب الأقصى بالضغط على سلطان المغرب لوقف دعمه العسكري والاقتصادي للجزائريين. وبذلك فقد عبد القادر داعماً مهماً لاستمراره في توطيد حكمه وحركته التحررية. في الأول من كانون الأول 1847 استسلمت قوات عبد القادر بعد أن تم عزلها ومنع المدد العسكري لها شرقاً وغرباً. استقر عبد القادر الجزائري بعد استسلامه للفرنسيين في دمشق معرباً بذلك عن التماسك القومي الذي كان يشعر به هذا الزعيم بين مشرق هذا الوطن العربي ومغربه، اشتهر ببراعته الدبلوماسية وبعبقريته العسكرية وبتدينه الشديد.

يقول هنري تشرشل المؤلف الإنجليزي عن عبد القادر أنه كان حريصاً جداً على تأدية الصدقات للفقراء، وفي كل يوم جمعة كان الشارع المؤدي إلى منزله يزدحم بالفقراء الذين جاؤوا للحصول على نصيبهم من الخبز، وكان يقضي بجوار قبر الرسول أشهر عدة ولا يتناول خلالها سوى الخبز والزيتون رغم كل الهدايا الثمينة التي كانت ترد له من ملوك وأثرياء العالم الإسلامي. أهم مؤلفاته كتاب «المقراض الحاد في الرد على أهل الإلحاد» و«ذكرى العاقل وتبينه الغافل» وقد ترجم هذا الأخير إلى الفرنسية ونشر في العام 1858 وفي

نفس الوقت كانت مادة كتاب «المواقف» تتجمع لديه وعندما فاضت روحه الطاهرة كانت كتابه الكبير «المواقف» لم يتم استكماله نهائياً بعد.

توفي في دمشق في العام 1883 لتنقل رفاته إلى الجزائر في العام 1968 في موكب مهيب يليق بنضالاته وليستقبل استقبال الأبطال ـ العائدين.



باتريسا لمومومبا

BATRISA LOMOMBA

(1961 - 1925)

زعيم أفريقي

«ضمير أفريقيا وقلبها النابض»

مواليد الكونغو (زائير سابقاً) من أسرة شديدة التدين كان والده معلماً للدروس الدينية في إحدى المدارس المحلية بينما كانت والدته تعمل في حقل الزراعة.

في ظل الاحتلال البلجيكي لبلده طمعاً في نهب ثروة الكونغو المنجمية عمل في بدء حياته في الكثير من المهن والوظائف العامة الوضيعة شأنه في ذلك شأن كل الموظفين الوطنيين حيث كانت الإدارات العامة والوظائف العليا احتكاراً للمستعمرين البلجيك والمتعاونين معهم.

عرف بكرهه الشديد وبعدائه المتطرف للاستعمار البلجيكي لبلده وكان

يستغل كل المناسبات المختلفة لإظهار هذا العداء ولتأليب الرأي العام الداخلي والخارجي ضد المستعمر لبلده ولكل أنواع الاستعمار والاستعباد.

أول إطلالته السياسية على شعوب العالم كانت حضوره مؤتمر الشعوب الإفريقية والذي عقد في أكرا ـ غانا 1958 بصفته رئيس الحركة الوطنية الكونغولية والتي أسسها في أكتوبر 1958 لتواجه الاستعمار البلجيكي وتطالب بالحرية والاستقلال الوطني. أمام تعاظم دور الحركة الوطنية ورئيسها رضخت بلجيكا أخيراً لمطلب الاستقلال للكونغو بعد أن واجهت سلطات الاحتلال دعوات الاستقلال هذه بالعنف والقوة وحرق الكثير من القرى وإبادة الآلاف من الشعب الكونغولي.

بعد مفاوضات ما سمي بالمائدة الستديرة بين سلطات الاحتلال والوطنيين ثم الاتفاق على إعلان استقلال الكونغو يوم الثلاثين من حزيران 1960.

في أيار 1960 جرت الانتخابات البرلمانية ففاز حزب لومومبا بأغلبية المقاعد وأصبح بذلك زعيم أول حكومة في جمهورية الكونغو المستقلة.

كان المشروع الوطني لحكومة لومومبا يرتكز على تدعيم الدولة المستقلة الموحدة التقدمية المناهظة لكل أشكال الاستعمار وأدواته.

وهذا المشروع الوطني كان لا بد من معارضة قوية له تمثلت بالمصالح القبلية الداخلية وبالمصالح الغربية الطامحة إلى الاستمرار في نهب ثروات الكونغو الغني بمناجمه وبثرواته الطبيعية.

لم يمض أسبوعان على ترؤس لومومبا لحكومة الاستقلال حتى أعلن تشومبي بتأييد وتحريض من بلجيكا وأميركا انفصال إقليم كاتنغا أغنى مقاطعات البلاد على الإطلاق بالثروة المعدنية.

أمام عجز لومومبا على التصدي لحركة الانفصال هذه بسبب تمرد الجيش الذي كان لا يزال مرتهناً للاستعمار الخارجي، أقال رئيس الجمهورية كازافوبو لومومبا بحجة الفوضى في البلاد والتمرد داخل الجش. وأمام إصرار لومومبا

على مواصلة إنهاء حالة التمرد وإعادة الوحدة للبلاد وفضح التدخلات الاستعمارية في شؤون بلده نجح قائد الجيش موبوتو في القيام بانقلاب عسكري في 14 أيلول 1961 واعتقال لومومبا وتسليمه إلى ألد أعدائه تشومبي في كاتانغا.

أعدم الزعيم الوطني باتريس لومومبا في كانون الثاني 1961 على يد تشومبي الذي نفذ قرار المصالح الأجنبية بالتخلص من رمز إفريقيا في الحرية والاستقلال.

كان شديد الإعجاب بالزعيمين الوطنيين جمال عبد الناصر وكوامي نكروما وشكل معهما ثالوثاً وطنياً مهماً في المناداة بحرية واستقلال كل شعوب العالم والتخلص من كل أشكال الاستعمار وأدواته والهيمنة الأجنبية.



أرنستوتشي غيفارا

ARNESTO CHI GIFARA

(1967 - 1928)

«رمز الثورة والتمرد»

الرمز لكل الثوريين خلال حقبة الستينات وما زال.

أرجنتيني المولد، شكل مع فيديل كاسترو الرئس الكوبي الثنائي المتمرد على قوى الاستعمار والاضطهاد في العالم أجمع.

ماركسي الولاء، أضحى بعد اغتياله في بوليفيا بطلاً عالمياً ورمزاً لكل الرافضين للظلم وللتبعية.

تخرج طبيباً في بداية حياته العملية عام 1953 من جامعة بيونس إيرس وتوجه إلى البيرو ثم إلى كافة أرجاء القارة الأميركية الجنوبية لتصقل كل معاناة هذه الشعوب تمرده على التخلف وعلى تحكم وسيطرة الشركات الأجنبية على

مقاليد الحياة اليومية للمواطنين وعلى إمساكها بالسلطة بدمى إقليمية تحت سيطرة هذه الشركات تلبي نهمها واستغلالها لهذه البلدان.

في المكسيك وفي العام 1955 تعرف على الزعيم المتمرد فيديل كاسترو الذي كان يهيأ لثورة في كوبا وشكل معه رأس الحربة في قلب نظام حكم الديكتاتور باتيستا.

كان غيفارا على رأس قوات الثورة التي دخلت إلى هافانا لتحريرها عام 1959.

بعد انتصار الثورة عين وزيراً للاقتصاد ثم للصناعة ومثل كوبا في عقد اتفاقيات نصب الصواريخ الروسية فيها وفي المؤتمرات الدولية للأمم المتحدة.

كل هذه المناصب لم تغرِ غيفارا طالما بقية الشعوب واقعة تحت الهيمنة والسيطرة الأجنبية فقرر على طريقته تصدير الثورة للخارج وآثر في رسالة الوداع التي وجهها لرفيقه كاسترو أن يترك كل هذه المناصب الوزارية وعائلته وليكمل «مهمته الثورية» على جبهات أخرى طالما أن مهمته الأولى في كوبا قد أنجزت.

تأثر غيفارا بالتجربة الڤيتنامية في مقاومة الاستعمار الأميركي وحاول أن يطبقها في بلدان أميركا اللاتينية وفي بوليفيا تحديداً والتي توجه إليها سرّاً لتنظيم عمليات المقاومة.

حقق في البداية عدة انتصارات هامة واستطاع كسب العديد من البوليفيين ضمن صفوف حركته وسيطر على منطقة نانكاهوازو في بوليفيا.

سخرت المخابرات المركزية الأميركية كل إمكانياتها لتحديد مكان وجود غيفارا وعندما تأكدت من وجوده في بوليفيا نسقت مع الحكومة للقضاء عليه. في 8 تشين الأول 1967 ألقي القبض على غيفارا بعد تجريد حملة عسكرية ضخمة للقضاء على حركته، وتم إعدامه على أيدي رجالات الـ C.I.A.

ألّف كتاب «حرب العصابات» ويعتبر هذا الكتاب من الإنجازات الهامة في تعليم كيفية قيادة وممارسة هذه الحرب. اغتياله أحدث دوياً عالمياً كبيراً فأضحى رمزاً وما زال حتى يومنا هذا لكل قوى التمرد والثورة.

من أقواله في الثورة والاشتراكية:

«إن الاشتراكية الاقتصادية الجافة لا تهمني، علينا أن نصل إلى الضمير الاشتراكي قبل الخطط الاشتراكية، وعلينا أن نبني الإنسان الجديد، ونغير عقلية الجماهير، إذا أردنا فعلاً أن نحقق المجتمع الاشتراكي المنشود».

إن الاشتراكية الحقيقية هي حين يصبح ضمير كل فرد هو الضمير الجماعي، والضمير الجماعي هو ضمير كل فرد. وذلك يتطلب بناءً جدياً عميقاً وطويل المدى».

«التاعسون هم مصدر القوة والثورة في العالم، سأبحث عنهم، وسأثور من أجلهم، أن الثورة تتجمد، والرجال ينتابهم الصقيع حين يجلسون على الكراسي، ويبدأون بناءً ما ناضلت من أجله الثورة. وهذا هو التناقض المأساوي في الثورة. وهذا هو التناقض المأساوي في الثورة... أن تناضل وتكافح وتحارب من أجل هدف معين، وحين تبلغه، تتوقف الثورة وتتجمد في القوالب. وأنا لا أستطيع أن أعيش ودماء الثورة مجمدة داخلي».

«لا يهمني متى وأين أسموت. لكن يهمني أن يبقى الثوار منتصبين، يملأن الأرض ضجيجاً، كي لا ينام العالم بكل ثقله فوق أجساد البائسين والفقراء والمظلومين».



جمال عبد الناصر

JAMAL ABED AL NASER

(1970 ـ 1918)

زعيم عربي

«الرئيس، الزعيم، الملهم ـ

الحرية والاشتراكية والوحدة»

ـ «ما أُخذ بالقوة لا يستردّ بغير القوة».

ـ «لقد أعطيت لهذه الثورة عمري... وسيبقى لهذه الثورة العربية عزمي، ولسوف أبقى هنا ما أراد الله لي أن أبقى أقاتل بجهدي كله من أجل مطالب الشعب.. وأعطي حياتي كلها لحق الجماهير في الحياة... لقد أعطتني هذه الأمة من تأييدها ما لم يكن يخطر بأحلامي.. وليس عندي ما أعطيه غير كل قطرة من دمي».

«سوف نظل دائماً تحت علم التحرير.

وسوف نظل دائماً تحت علم الاستقلال الوطني.

وسوف نظل دائماً تحت علم الوحدة العربية.

وسوف نظل دائماً تحت علم الاشتراكية.

وسوف نظل دائماً تحت علم عدم الانحياز.

وسوف نظل دائماً تحت أعلام الحرية البانية للتقدم والسلام القائم على العدل لشعبنا ولكل شعوب الأرض».

«كل الحرية للشعب... ولا حرية لأعداء الشعب».

«إن الوحدة... ليست نداءً يُردّد أصداء الماضي.. وإنما الوحدة العربية أصلاً وأساساً... هي نداء بالتجمّع... وانطلاق إلى بناء المستقبل وتوفير رخائه».

البطل التاريخي

إن جمال عبد الناصر كان نتيجة تحديات كثيرة وكبيرة، خاضها ونجح فيها شخصية البطل التاريخي وكان اتصاله بجماهير الأمة العربية مباشراً ولم تكن الجماهير تفرّق بين وجودها ووجوده، بين انتصارها وانتصاره وبين هزيمتها وهزيمته.

إن جمال عبد الناصر كان شخصية عالمية كاملة وكان تأثيره قادراً على اقتحام حدود وحواجز بعيدة يصل وراءها إلى أكبر مما تصل إليه سلطة الدولة التي كان يحكم فيها.

كان عبد الناصر أمام العالم الخارجي تعبيراً ظاهراً عن الرأي الغالب لهذه الأمة.

كان ناصر في وجوده وبطبيعة دورة التاريخي، يستطيع أن يكون وحده دائرة. الحوار، وقد أثبت ذلك فعلاً في مواقف حاسمة في قصة نضاله وأعماله، ويجب أن تكون هذه النقطة أيضاً موضع دراسة مستفيضة عندما يحين الوقت لاستكشاف الأبعاد الرحيبة لهذه الشخصية الضخمة.

مذكراتي (*)

«أنا جمال عبد الناصر أفخر بأن عائلتي لا تزال في بني مر مثلكم.. تعمل وتزرع وتقلع من أجل غزة هذا الوطن وحريته.

إنني أفخر دائماً بأنني واحد من أهالي بني مر، وأنا أقول هذا لأسجِّل أن جمال عبد الناصر نشأ في عائلة فقيرة، وأعاهدكم أن جمال عبد الناصر سيستمر حتى يموت فقيراً في هذا الوطن»(**).

إنني الابن الأكبر لأسرة مصرية... من الطبقة المتوسطة الصغيرة.. كان أبي موظفاً صغيراً في مصلحة البريد.. مرتبة الشهري حوالي عشرين جنيهاً، وهو مرتب يكفي بصعوبة لسد ضرورات الحياة.

وُلِدْتُ في الإسكندرية.. لكن ذكرياتي الأولى كلها في قرية «الخطاطبة» وهي قرية قرية تقع بين القاهرة والإسكندرية حيث كان أبي يعمل وكيلاً للبريد.

كنَّا دائماً أسرة سعيدة.. يحكمها أبي.. وأمي، كنا نتفانى في حبِّها.. أنا وإخوتي.

وظللتُ مرة أحاول أن أفهم عبارة لطالما هتفت بها، طفلاً صغيراً حينما كنت أرى الطائرات في السماء:

«يا ربنا نيا عزيز.. داهية تأخذ الإنجليزي».

اكتشفتُ فيما بعد أننا ورثنا هذه العبارة عن أجدادنا على عهد المماليك ولم تكن يومها منصبّة على الإنجليزي.. تغيَّر اسم الظالم.. كان أجدادنا يقولون:

«يا رب يا متجلّلي.. أهلك العثملّلي».

(*) بقلم جمال عبد الناصر.

(**) إن رصيد عبد الناصر في البنك بعدج وفاته كان جنيهين اثنين مصريين فقط إ غير. (محمد حسنين هيكل).

في سنة 1933.. كنت تلميذاً في الإسكندرية لم أبلغ بعد الخامسة عشرة من عمري. وكنت أعبر ميدان المنشية في الإسكندرية، حين وجدت اشتباكاً بين مظاهرة لبعض التلاميذ، وبين قوات البوليس. ولم أتردَّد في تقرير موقفي.. فلقد انضممت على الفور إلى المتظاهرين دون أن أعرف أي شيء عن السبب الذي كانوا يتظاهرون من أجله..

ومرَّت لحظات، سيطرة فيها المظاهرة على الموقف، لكن سرعان ما جاءت إلى المكان الإمدادات. لوريين من رجال البوليس لتعزيز القوة، وهجمت علينا جماعتهم..

لكني حين التفتّ هوت على رأسي عصا من عصي البوليس تلتها ضربة ثانية، سقطت. ثم سحنت إلى الحجز، والدم يسيل من رأسي.

ولما كنت في قسم البوليس، وأخذوا يعالجون جراح رأسي، سألت عن سبب المظاهرة فعرفت أنها مظاهرة.. للاحتجاج على سياسة الحكومة.

وقد مضى بعد ذلك زمن طويل، قبل أن تتبلور أفكاري ومعتقداتي وخططي.

ولكن حتى في هذه المرحلة الباركة كنت أعلم أن وطني يخوض صراعاً متصلاً من أجل حريته.

بعد اشتراكي في المظاهرة السياسية الأولى.. دخلت الميدان بكل جوارحي، وأصبحت رئيس لجنة لتنظيم المقاومة ولا سيما مقاومة السيطرة الساخطة. ولقد كان ذلك تنفساً لعواطفنا الحادة ولشعورنا بالكبت الذي يضغط على وطننا.

في نهاية الأمر ضاق المسؤولون في المدرسة ذرعاً بنشاطي، ونبَّهوا أبي. وأرسلني أبي إلى القاهرة، لأعيش مع عمِّي، والتحق بمدرسة أخرى هناك.

أعجبتُ بسيدنا محمد ﷺ وبغاندي

ذكر أنني أعجبتُ في طفولتي بعدد كبير من الأبطال.. لقد أعجبني غاندي كثيراً، وعندما كنت صبياً أتلقّى دروس الديانة في المدرسة.. استحوذ سيدنا محمد ﷺ كل إعجابي وتقديري، فقد كان قائداً وزعيماً، كرّس حياته لخدمة قومه وتحريرهم من ظلمة الجاهلية وظلالها.

ومنذ عام 1934.. بدأت أقرأ الكثير عن مصطفى كامل.. قرأت تاريخ حياته ومقالاته الوطنية الحماسية، ثم شرعت في قراءة مؤلفات توفيق الحكيم والدكتور طه حسين.

كنت أجد متعة عند قراءة الكتب عن الثورة الفرنسية.. أعجبني فولتير، وقرأت لشارلز ديكنز، وعندما كنت طالباً بالمدرسة الابتدائية ساءني أن أقرأ في كتاب التاريخ، أن نابليون قد غزا مصر وأنه قد وضع مدافعه فوق تلال المقطم، وأمطر القاهرة بوابل من القنابل..

إني فلاح.. وما زالت عائلتي تشتغل بالزراعة في الصعيد، وإني لأذكر كيف كان الفلاحون يشحنون في اللوريات أيام الانتخابات.. إذ كان ملاّك الأرض يرسلون بهم إلى مراكز الاقتراع، والويل للقرية التي كان يجرؤ واحد من أهلها على إعطاء صوته للمرشح المنافس لسيد المنطقة. وإزاء هذا المشهد.. لم أكن أعتقد مطلقاً أن ما أراه مظهر من مظاهر الديمقراطية.

وبدأت طلائع الوعي العربي.. تتسلّل إلى تفكيري.. وأنا طالب في المدرسة الثانوية، عندما كانت مشاعري تهتز وإحساساتي تتفاعل مع كل ما يدور في الوطن العربي من أحداث... وكانت أهم الأحداث التي ملكت عليّ تفكيري في ذلك الوقت، هي ثورة العرب في فلسطين، ثم الفظائع التي كان يرتكبها الفرنسيون في سوريا.

كثيراً ما سئلت هذا السؤال: «متى أصبحت ثورياً لأول مرة؟» وهو سؤال تستحيل الإجاة عليه.. فهذا الشعور أملته ظروف تكويني وتنشئتي، وغذّاه شعور عام بالسخط والتحدّي، اجتاح كل أبناء جيلي في المدارس والجامعات، ثم انتقل إلى القوات المسلّحة.

في سنوات التكوين هذه.. شغلت اهتمامي كل الأحزاب السياسية التي كان هدفها الأول، أن تردّ للشعب المصري حريته، وقد انضممت إلى جماعة مصر الفتاة ولكني تركتها بعد أن اكتشفت أنها رغم دعواها العالية، لا تحقّق شيئاً واضحاً. وقد فوتحت في عدة مناسبات للانضمام للحزب الشيوعي.

وقد كان لي اتصالات متعدِّدة بالإخوان المسلمين رغم أني لم أكن قط عضواً في هذه الجماعة.. فقد كان في تصرّف الإخوان المسلمين ضربات من التعصب الديني، وما كنت أرضى بأنكار عقيدي.. ولا بأن تحكم بلادي طائفة متعصبة.. كنت واثقاً من أن التسامح الديني لا بدّ وأن يكون ركناً أساسياً من أركان المجتمع الجديد الذي كنت أرجو أن أراه قائماً في بلادي.

وتبلورت مشروعاتي المستقبلية، بعد عقد المعاهدة المصرية الإنجليزية عام 1936 التي نجم عنها أن حكومة الوفد أصدرت مرسوماً يقضي بفتح الكلية الحربية للشبان، بصرف النظر عن طبقتهم الاجتماعية أو ثروتهم. وكنت أنا، مع نفر من الآخرين، الذين ظلُّوا فيما بعد رفاقاً حميمين، من بين أول من استطاعوا الانتفاع من هذا الوضع.. فالتحقت بالجيش بعد أن كنت أدرس في كلية الحقوق.

التخرج من الكلية الحربية

وتخرَّجت بعد سنتين، في عام 1938 من الكلية الحربية بالعباسية، برتبة ملازم ثان.

وعُيِّنتُ في حامية منقباد - وهي حامية بعيدة - بالقرب من أسيوط في الصعيد. وذهبنا إلى منقباد، تملؤنا المثل العليا، ولكن سرعان ما أصبنا بخيبة الأمل.. فقد كان أكثر الضباط عديمي الكفاءة وفاسدين. وقد دفعت الصدمة بعض زملائي من الضباط إلى حدّ الاستقالة. أما أنا فلم أرَ جدوى من الاستقالة رغم أن سخطي كان لا يقل عن سخط الآخرين. واتجه تفكيري بدلاً من ذلك إلى إصلاح الجيش وتطهيره من الفساد.

في عام 1939 نقلت إلى الإسكندرية.

وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية بزمن وجيز، نقلت إلى كتيبة بريطانية تعسكر خلف خطوط القتال، بالقرب من العلمين. وكان ذلك بقصد التدريب لعدة أشهر. وكانت هذه أول مرة أحتكّ فيها احتكاكاً حقيقياً بالبريطانيين كجنود وكأشخاص.

.. كان شعوري العميق بضرورة التخلّص من السيطرة البريطانية ومن النفوذ البريطاني.. بأي ثمن.

ترسيخ فكرة الثورة

في هذه الفترة.. رسخت فكرة الثورة في ذهني رسوخاً تاماً. أما السبيل إلى تحقيقها، فكانت لا تزال بحاجة إلى دراسة. وكنت يومئذ ما أزال أتحسّس طريقي إلى ذلك، وكان معظم جهدي في ذلك الوقت، يتجه إلى تجميع عدد من الضباط الشبّان، الذين أشعر أنهم يؤمنون في قراراتهم بصالح الوطن.. فبهذا وحده كنا نستطيع أن نتحرّك حول محور واحد، هو خدمة هذه القضية المشتركة.

وفي عام 1942، كانت بريطانيا تقاتل وظهرها للحائط وكانت في الصحراء الغربية الحرب تمر في مرحلة حيوية، وكان البريطانيون مصمّمين على أن تقوم في مصر حكومة تؤازرهم. وذهب السفير البريطاني «السير مايلز لامبسون» ليقابل الملك فاروق، بعد أن حاصر القصر بالدبابات البريطانية، وسلّم الملك إنذاراً يخيّره فيه بين إسناد رئاسة الوزراء إلى مصطفى النحاس مع إعطائه الحق في تشكيل مجلس وزارء متعاون مع بريطانيا، وبين الخلع..

وقد سلّم الملك بلا قيد ولا شرط.. كان ذلك في 4 فبراير (شباط) 1942.

ومنذ ذلك التاريخ.. لم يعد شيئاً كما كان أبداً.. وحين جاءني هذا النبأ في العلمين وما زلت أذكر انفعالي الشديد.. كتبت رسالة إلى صديق أقول: «ترى ماذا نحن فاعلون بعد هذا الحادث التعيس الذي قبلناه بتسليم قوامه الخنوع والمهانة الحقيقة... إن حوادث 4 فبراير قد ألحقت العار بمصر، لكنها

رغم ذلك ألهمتنا بروح جديدة، فقد أيقظت هذه الحوادث كثيرين وعلّمتهم أن هناك كرامة تستحق أن يدافع عنها الإنسان.. بأي ثمن».

كان عام 1945 بالنسبة لي أكثر من مجرّد عام انتهاء الحرب.. فقد شهد بداية حركة الضباط الأحرار.. تلك الحركة التي أشعلت فيما بعد شعلة الحرب في مصر، ليتحوّل استياؤنا وسخطنا المتزايد.. إلى خطة ملموسة للثورة.

وحتى سنة 1948.. ركزّت على تأليف نواة من الناس الذين بلغ استياؤهم من مجرى الأمور في مصر مبلغ استيائي.. والذين توافرت لديهم الشجاعة الكافية، والتصميم الكافي للإقدام على التغيير اللازم. وكنا يومئذ جماعة صغيرة من الأصدقاء المخلصين، تحاول أن تخرج مثلناالعليا في هدف مشترك وفي خطة مشتركة.. في تلك الفترة قرأت هارولد لاسلكي، ونهرو.. بل وانورين بيفان.

في مايو 1948 أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين، وأحسسنا جميعاً بأن اللحظة جاءت للدفاع عن حقوق العرب ضد ما اعتبرناه انتهاكاً صارخاً لا للعدالة الدولية وحدها، ولكن للكرامة الإنسانية جميعاً.

الى القدس متطوّعاً

وفي دمشق ـ كان يجري تأليف فرقة من المتطوعين. ذهبت. مفتي القدس، الذي كان لاجئاً، يقيم في مصر الجديدة، وعرضت عليه خدماتي وخدمات جماعتي الصغيرة، كمدرِّبين لفرقة المتطوعين وكمقاتلين معاً ـ فأجابني المفتي بأنه لا يستطيع أن يقبل العرض دون موافقة الحكومة المصرية، وبعد بضعة أيام، رفض العرض.

تضايقت، فقد كان هذا يتيح الفرصة أمام الضباط المصريين الشباب، ليثبتوا قدرتهم على العمل. وتقدمت بطب إجازة حتى أتمكّن من الانضمام إلى المتطوعين.. لكن قبل أن يبتّ في طلبي، أمرت الحكومة المصرية الجيش رسمياً، بالاشتراك في الحرب.

لم يكن هناك تنسيق بين الجيوش العربية، وكان عمل القيادة على أعلى مستوى في حكم المعدوم، وتبيَّن أن أسلحتنا في كثير الحالات أسلحة فاسدة وفي أوج القتال صدرت الأوامر لسلاح المهندسين ببناء شاليه للاستحمام في عزبة للملك فاروق. كنت شديد الاستياء من ضابط الفوتيلات أو محاربي المكاتب الذين لم تكن لديهم أية فكرة عن ميدان القتال أو عن آلام المقاتلين.

وصدرت الأوامر إليّ بأن أقود قوة من كتيبة المشاة السادسة إلى عراق سويدان، التي كان الإسرائيليون يهاجمونها، وقبل أن أبدأ في التحرك، نشرت تحركاتنا في صحف القاهرة. ثم كان حصار الفالوجا الذي عشت معاركه حيث ظلّت القوات المصرية تقاوم رغم أن القوات الإسرائيلية كانت تفوقها كثيراً من ناحية العدد.

الحرب في فلسطين والأحلام في مصر

وحين أحاول أن أستعرض تفاصيل تجاربنا في فلسطين، أجد شيئاً غريباً.. فقد كنا نحارب في فلسطين، ولكن أحلامنا كلها كانت في مصر. كان رصاصنا يتجه إلى العدو الرابض أمامنا في خنادقه، ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذي تركناه للذئاب..

لم ألتقِ في فلسطين بالأصدقاء الذين شاركوني في العمل من أجل مصر، وإنما التقيت أيضاً بالأفكار التي أنارت أمامي السبيل. وأنا أذكر أيام كنت أجلس في الخنادق وأسرح بذهني إلى مشاكلنا.. هذا هو وطننا هناك إنه فالوجا أخرى على نطاق كبير. إن الذين يحدث لنا صورة من الذي يحدث هناك، وطننا هو الآخر حاصرته المشاكل والأعداء وغرِّر به ودفع إلى معركة لم يعدّ لها. ولعبت بأقداره مطامع ومؤامرات وشهوات.. وترك هناك تحت النيران بغير سلاح.

وقتل القائمقام أحمد عبد العزيز الذي كان قائداً للمتطوعين حين هوجمت سيارته وهو في طريقه إلى اجتماع في القدس. وكان أحمد عبد العزيز يقول دائماً: «إن المعركة الحقيقية في مصر».

كذلك أوشكت أنا أيضاً أن أقتل في الحرب. فقد جرحت مرتين وفي

المرة الثانية مرّت الرصاصة بما لا يزيد عن خمسة سنتيمترات تحت قلبي، وبينما كنت طريح الفراش في المستشفى كانت أفكار كثيرة وتأملات تمرّ في خواطري.

ولقد اتضح لي عندئذ، أن المعركة الحقيقية هي بالفعل في مصر... فبينما كنت ورفاقي نحارب في فلسطين، كان السياسيون المصريون يكدِّسون الأموال من أرباح الأسلحة الفاسدة التي اشتروها رخيصة، وباعوها للجيش.

وأقمنا تنظيماً ونسقّنا نشاطنا ببطء ونشبت في منطقة القنال حرب عصابات لتدمير المنشآت البريطانية وكنت أعلم أن عدم قيامنا بأية محاولة كبرى للاستيلاء على السلطة، قبل أن نستعدّ تماماً، أمر حيوي لنا وكان في نيتي أن نحاول القيام بثورتنا في 1955.

وإزاء تطورات الحوادث العنيفة المتوالية في بداية سنة 1952.. هنا نبتت فكرة ترى أن الحل الوحيد هو اغتيال أقطاب النظام القديم. وأذكر ليلة حاسمة في مجرى أفكاري. كنا قد أعددنا العدة للعمل واخترنا واحداً قلنا إنه يجب أن يزول من الطريق، وهو أحد قواد الجيش الذين تورَّطوا تورّطاً خطيراً في خدمة مصالح القصر.. ومع أن ميولي الطبيعية كلها كانت معارضة لهذه السياسة..

أيمكن حقاً أن يتغيَّر مستقبل بلدنا إذا خلّصناه من هذا الواحد أو من واحد غيره، أم المسألة أعمق من هذا..؟ المسألة أعمق. إننا نحلم بمجد أمة. إذن يجب أن يتغيَّر طريقنا. وغمرتني روح الارتياح عندما قرأت في صحف الصباح أنه لم يصب حتى برصاصة واحدة. وقد وافقني الجميع على العدول عن هذا الاتجاه، وصرف الجهود إلى تغيير ثوري إيجابي.. وبدأنا نرسم الخطوط الأولى للثورة.

ولقد بدأ الحديث بسؤالين:

أولهما: ما الذين نريد أن نصنعه..؟

ثانيهما: ما هو طريقنا إليه..؟

الضباط الأحرار

وكان السؤال كيف السبيل إلى العمل. وكان السبيل إلى العمل، هو الثورة الشاملة. واشتدّ التوتر حتى بلغ قمّته. وهنا بدأت معركة التعبئة وبدأنا نوالي إصدار منشورات «الضباط الأحرار» وكنا نطبعها ونوزّعها سراً.

كان السياسيون يراشقون بالاتهامات، والأحداث تتطور بسرعة لا نملك السيطرة عليها. . والجماهير تعبّر عن غضبها وسخطها.

في العام السابق للثورة، عام 1951، تبلورت في ذهني القومية العربية، كمذهب سياسي، كنا ندرس في كلية أركان الحرب المشكلات الاستراتيجية الخاصة بمنطقة الشرق الأوسط، كنت قد قرأت تاريخ العرب منذ أقدم العصور، وعرفت أنه عندما كان العرب وحدة متماسكة استطاعوا رد المعتدين على أعقابهم كما حدث أيام الحروب الصليبية، ولكن بعد أن فرّق المستعمرون بين العرب أصبحوا عرضة للهزيمة وفريسة للسيطرة الأجنبية. وكانت هذه الحقيقة ماثلة أمام عيني طوال فترة المناقشة في العام السابق للثورة سنة 1951 ـ التي كانت تدور حول وسائل الدفاع عن مصر ـ ولأول وهلة اتضح لنا أن مصر مثلها في ذلك مثل كل جزء من أجزاء الوطن العربي لا يمكن أت تضمن سلامتها إلا مجتمعة مع كل شقيقاتها في العروبة، في وحدة متماسكة قوية. والشيء الثاني هو أن موقع مصر الجغرافي والاستراتيجي الهام كان دائماً هو نقطة الضعف بالنسبة لها وأنه بالنسبة لهذا الموقع الممتاز تسابقت الدول إلى احتلالها. ففي عام 1517 احتلها الأتراك، لأنها كانت تسيطر على طريق التجارة والمواصلات إلى الشرق. ولنفس هذا السبب احتلها نابليون في عام 1798 ثم بريطانيا عام 1882. لذلك كان هدفنا هو أن نجعل من هذا الضعف قوة.

وقمنا بعد ذلك بدراسة ثروات العرب، وخاصة البترول، وعرفنا أن هذا البترول يمكن استخدامه لصالح العرب وهذا هو نفس الذي حدث في القتال. وفي 26 يناير سنة 1952 حدثت مأساة حريق القاهرة ولم تتخذ السلطات

المصرية أي إجراء، النحاس رئيس الوزراء لزم داره في جاردن سيتي، وظلّ فاروق في قصر عابدين. ولم تصدر الأوامر للجيش بالنزول إلا في العصر بعد أن دمَّرت النار 400 مبنى أنزلت بها خسائر فادحة وتركت 12,000 شخص بلا مأوى وقد بلغت الخسائر 23 مليون جنيه.

ولقد أحسست أن تأخير محاولتنا القيام بثورتنا حتى 1955 مسألة مستحيلة.. فإن الحوادث تتحرَّك بسرعة والاستعداد الثوري أصبح متحفِّزاً. ثم أن هيبة فاروق كانت في الحضيض. لقد قدّرت أن الموقف ساعتها مناسباً.

اراقة الدماء تؤدي إلى المزيد من الدماء

وفي منتصف شهر يوليو دعوت الموجودين في القاهرة من أعضاء الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار، إلى اجتماع وأبلغتهم بأن احتمالات القيام بالثورة مفتوحة للنجاح. ولم يكن من رأيي إعدام الملك. فقد كنت أحسّ أن إراقة الدماء تؤدي إلى مزيد من الدماء، وكنت أريد للثورة أن تضع المقاييس التي ستحاسب دائماً بها.

ولم يكن في القاهرة إلا ثلاثمائة ضابط يمكن أن يناصرونا وبصورة محقّقة. ولقد قرّرت ألا أشرك الكثيرين من هؤلاء إشراكاً إيجابياً. فقد كان الاحتياط أمراً جوهرياً لنجاحنا. ومن ناحية أخرى، فلقد تصوَّرت أنه ربما كان خيراً لو تركنا قوة أخرى من زملائنا تغلي قلوبها بالثورة لتواصل العمل إذا ما أخفقت محاولتنا ورسمت الخطة الأساسية بعد اجتماعات عقدناها في بيوت عدد منا. كنا نريد أن نبدأ في التنفيذ بعد 24 ساعة أي في ليلة 21 يوليو، لكن كان من الخطر استكمال خطتنا على هذا الأساس. وبناءً عليه أجّلت ساعة الصفر إلى الساعة الواحدة من صباح 23 يوليو.

في نحو العاشرة من مساء 22 يوليو جاء إلى بيتي ضابط من ضباط المخابرات، وعضو من جماعتنا وإن كنا لم نخطره بما اعتزمنا القيام به لتحذيري بأن القصر قد تسرَّب إليه نبأ استعداد الضباط الأحرار للتحرك وأنه قد اتصل برئيس أركان حرب الجيش الذي دعا إلى عقد اجتماع عاجل في الساعة

الحادية عشرة لاتخاذ الإجراءات ضدنا. وكان لا بدّ من اتخاذ قرار فوري. فقد يدركوننا قبل أن ندركهم. وكان من أصعب الأمور الاتصال بكل من له صلة بالموضوع أن خطتنا كلها في خطر ولم يبق عل ساعة الصفر إلا تسعون دقيقة، إن خطة الثورة كلها في مرحلة من تلك المراحل الخطيرة في التاريخ عندما تدخل قوى أكبر منا لتوجيه الحوادث ولقد تأكد لي من تطورات الأمور أن عناية الله كانت تلك الليلة معنا. فقد انطلقنا لنتوجّه إلى ثكنات ألماظة كحل أخير.

وفي طريقنا التقينا بطابور من الجنود قادمين في نفس الطريق تحت الظلام، وأخرجنا الجنود من السيارة وألقوا القبض علينا.

لكن الجنود كانوا في الحقيقة من قوات الثورة، وكانوا ينفّذون أوامري بالقبض على كل ضابط فوق رتبة قائمقام دون مناقشة ولم يكن الجنود يعرفون من أكون، فتجاهلوا كل كلامنا لمدة عشرين دقيقة تقريباً، كل دقيقة منها أثمن ما يكون. ولم تصدر الأوامر فوراً بإطلاق سراحي إلا حين تقدّم البكباشي قائد المجموعة وأحد زملائي المقرّبين ليستطلع سر الضجة.

ولم أسعد برؤية أحد في حياتي، كما سعدت حين رأيته يخرج من الظلام، قلنا له ما الذي حرّكك بدري؟ قال الميعاد الساعة 12. قلنا له الميعاد الساعة الواحدة. قال على العموم أنا تحرّكت الساعة 12. وانضممنا إلى الطابور وقرّرت ألاّ ننتظر واتجهنا فوراً إلى القيادة. وكانت قواتنا لا تزيد عن قوة سرية، لكن عنصر المفاجأة كان في جانبنا.

ثورة 23 يوليو

يوم 22 يوليو كنت أتحرّك بالعربية من كوبري القبة إلى الروضة وإلى الجيزة أو إلى مصر الجديدة أو إلى راي القبة. . كانت كل ذرّة من إحساسي تشعر بالحال التي كنا وصلنا إليها. كانت الوزارات تباع وتشتري، كانت الأحزاب والقصر والسفارة البريطانية بتحكم.

بعد الحرب العالمية الثانية خرجت الشعوب تقاتل من أجل حريتها ومن

أجل استقلالها وكنا نحن نصدر البيانات ونتفرّج نقول مفاوضات. مفاوضات صدقي بيفن. تصريحات وبيانات وكلام إن دلّ على شيء فعلى أن الإنجليز سيبقون في بلادنا إلى الأبد. وكان السؤال كيف السبيل إلى العمل؟ وكان السبيل إلى العمل هو الثورة الشاملة.

وفي الطريق اعتقلنا عدداً من قادة الجيش، الذين كانوا يحضرون الاجتماع في القيادة لتوجيه الضربة ضدنا. وحدثت مقاومة قصيرة خارج القيادة ثم اقتحمنا مبنى القيادة نفسه ووجدنا رئيس هيئة أركان حرب وكان على رأس المائدة يضع مع مساعديه خطة الإجراءات التي ستتخذ ضد الضباط الأحرار وقبضنا عليهم جميعاً. وفي الساعة الثالثة صباحاً التقت نفس مجموعة الضباط الذين كانوا التقوا قبل ذلك بعدة أيام. التقوا من جديد، لكن التقاءهم هذه المرة.. كان في حجرة الاجتماعات بالقيادة العامة.

وفي السابعة صباحاً أعلنّا على الشعب المصري من محطة الإذاعة نبأ عزل الوزارة المصرية، وأن البلاد أصبحت أمانة في يد الجيش، وأن الجيش أصبح الآن، تحت إشراف رجال يستطيع الشعب أن يثق ثقة تامة في كفاحهم ووطنيتهم.

ووقع الملك وثيقة التنازل عن العرش مرتين، بعد أن قرأها وقّعها أول مرّة ويده ترتعش، فاضطرّ إلى توقيعها من جديد.

لقد نجحت العملية الأولى للثورة.

السجل الحافل: حياته ونضالاته

ولد بالإسكندرية من أسرة تنتمي إلى بلدة بني مر بأسيوط، نشأ وتعلّم بالإسكندرية وبالقاهرة. التحق بالكية الحربية عام 1937 ورقّي ضابطاً (1938). عُيّن بسلاح المشاة بأسيوط، ثم نقل إلى الإسكندرية. عمل بالعلمين وبالسودان، ثم عُيّن مدرّساً بالكلية الحربية والتحق دارساً بكلية الأركان وعُيّن مدرّساً بها، ثم اشترك في حرب فلسطين سنة 1948. حوصر مع رفاقه في الفالوجة، وبدأ يخطّط للتفنيد العملي للثورة المصرية ضد الفساد والخيانة. أخذ

ينظِّم جماعة «الضباط الأحرار» الذين قاموا في 23 يوليو (تموز) 1952، بالثورة. في حزيران (يونيو) 1953 تقلَّد منصب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، وفي شباط (فبراير) 1954 عُيِّن رئيساً للوزارة. أصدر كتاب «فلسفة الثورة». وفي عام 1955 لعب دوراً هاماً في مؤتمر باندونغ، حيث انطلقت دعوة الحياد الإيجابي من دول آسيا وإفريقيا وتطوَّرت إلى مبدأ عدم الانحياز، فكان له دور بارز بارز فيها. وفي العام نفسه، كسر احتكار السلاح بعقد أول صفقة أسلحة مع الكتلة الشرقية. رفض سياسة الأحلاف: حلف أيزنهاور. وفي عام 1955 لعب دوراً هاماً في مؤتمر باندونغ، حيث انطلقت دعوة الحياد الإيجالي من دول آسيا وإفريقيا وتطوَّرت إلى مبدأ عدم الإنحياز، فكان له دور بارز فيها. وفي العام نفسه، كسر احتكار السلاح بعقد أول صفقة أسلحة مع الكتلة الشرقية. رفض سياسة الأحلاف: حلف أيزنهاور. وفي عام 1954 وقَّع معاهدة مع إنكلترا لجلاء القوات البريطانية من قاعدة القتال بعد استعمار دام ثلاثة أرباع قرن (1882 ـ 1956).

وتمَّ الجلاء عام 1956. وفي هذا العام أصدر مشروع دستور جديد وتمَّ استفتاء شعبي على الدستور وعلى رئيس الجمهورية، واجتمع (1957) أول مجلس أمة بعد الثورة. وفي 26 تموز (يوليو) 1956 أمَّم قناة السويس على أثر انسحاب البنك الدولي وأميركا وإنكلترا من تمويل بناء السد العالي. وفي تشرين الأول (أكتوبر) 1956 اعتدت إسرائيل وفرنسا وإنكلترا على مصر كرد فعل على تأميم القناة، فرفض الإنذار النهائي الذي قدَّمته إنكلترا وفرنسا، ودعا إلى مقاومة الغزو في بورسعيد. آزرته حركة التحرر العربي، ولما صدر قرار من هيئة الأمم المتحدة بانسحاب الجيوش المعتدية كانت زعامته العربية قد تأكَّدت. وفي شباط (فبراير) 1958 قامت أول جمهورية عربية متحدة بين مصر وسوريا. ثم قام اتحاد فيدرالي بين الجمهورية الجديدة واليمن. وفي 17 نيسان (إبريل) 1963 وقع ميثاق الوحدة بين العراق وسوريا ومصر. وفي 26 تموز (يوليو) عام 1961 أصدر قرارات اشتراكية واسعة النطاق أنزلت الحد الأعلى للملكية الزراعية إلى مائة فدان وأمَّمت المؤسسات الكبيرة إكمالاً لعملية التأميم والتمصير التي سارت بسرعة منذ فشل العدوان الثلاثي (1956) وتحلَّلت مصر من كل اتفاقاتها السابقة

مع إنكلترا وفرنسا خاصة، كما حدّدت ملكية الأسهم وأصبح للعمال والفلاحين نصف المقاعد في المجالس المنتخبة على الأقل، ودخلوا مجالس إدارات الشركات. وفي أيار (مايو) 1962 صدر الميثاق الذي أقره المؤتمر الوطني لقوى الشعب العاملة وفيه التزام بالخط الثوري الذي يقوم على الاشتراكية العلمية والقومية العربية. وفي هذا المؤتمر أعلن نظام الاتحاد الاشتراكي العربي ليحل محل الاتحاد القومي سنة 1957 وهيئة التحرير سنة 1952. وفي المجال العربي ساند ثورة الجزائر (1954 ـ 1962) على الاستعمار الفرنسي بالعتاد والرجال. كما ساند ودعم في عام 1958 ثورة لبنان ضد حكم كميل شمعون المرتبط حينها بحلف بغداد. كما ساند بالعتاد والجيش ثورة اليمن على حكم الإمامة سنة 1962 حتى تثبيت حكم الجمهورية. وفي المجال الإفريقي شارك الرئيس في مؤتمرات دول الدار البيضاء سنة 1962، وأديس أبابا سنة 1964، حيث وضع ميثاق الوحدة الإفريقية. وشارك في مؤتمر بلغراد عام 1961. ووقّع اتفاقيات اقتصادية وثقافية مع كثير من البلدان الحديثة الاستقلال. سافر إلى الهند وإلى يوغوسلافيا وروسيا، وشارك بشكل بارز في دورة هيئة الأمم المتحدة (15) سنة 1960. وفي حزيران (يونيو) 1967 أصيبت مصر بهزيمة عسكرية قدّم على أثرها استقالته(*)، فرفضتها جماهير الشعب في مصر والوطن العربي في يومي 9 و10 حزيران (يونيو). شن حرب الاستنزاف من 1968 حتى أيار 1970. توفي فجأة في أيول (سبتمبر) 1970 بعد انتهاء مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في القاهرة خلال أحداث أيلول في عمّان.

عاصفة البرق والرعد

سرى نبأ وفاة جمال عبد الناصر كعاصفة برق ورعد. . . وزلزال يهز البحر الأبيض ـ قلب الدنيا وبؤرة التاريخ ـ من أعماق الأعماق إلى ذرى الأمواج العالية.

(*) خطاب الاستقالة والعودة عنها في مكان آخر.

وفي شرق البحر الأبيض ـ في عمَّان ـ تسمَّرت الدبابات في أماكنها، وخرج رجال المقاومة من خنادقهم يصرخون وينادون عليه.

وأجهش الرئيس حافظ الأسد وزير الدفاع السوري حينها بالبكاء وهو يقول: كنا نتصرَّف كالأطفال، وكنا نخطىء... وكنا نعرف أنه هناك يصحِّح ما نفعل ويرد عنا آثاره».

وفي شرق البحر الأبيض ـ في تل أبيب ـ كان النبأ أُطر من أن يصدَّق للوهلة الأولى، قالت غولدا مائير رئسة ورزاءة إسرائيل:

«من الذي أطلق هذه النكتة السخيفة؟»

ثم تأكد النبأ، وخرجت غولدا مائير تشارك شعب إسرائيل فرحته بالخلاص من أعدى أعداء إسرائيل.

وأصدر ديان أمره إلى القوات المعدة للتدخل الإسرائيلي ـ الأميركي أن تتفرَّق...

وفي شمال البحر الأبيض، كان الرئيس الأميركي ريتشارد نيكسون قد صعد لتوّه إلى ظهر حاملة الطائرات ساراتوجا... ثم توجه إلى كابينة القيادة التي سيحلّ بها أثناء مناورات الأسطول الأميركي السادس، التي كان الهدف منها أن يسمع جمال عبد الناصر في القاهرة، صوت مدافعه.

ودخل عليه مساعده هالدمان بالنبأ.

وذهل نيسكون...

ثم كان قوله بعد قليل:

«لا داعي الآن لهذه المناورة كلها».

وصمتت قعقعة السلاح على قطع الأسطول الأميركي السادس، وطأطأت المدافع رؤوسها للحدث الخطير الذي يتعدّى بآثاره كل الحدود.

وفي الوطن العربي وفي الخارج خرجت الجماهير التي أحبّها وأحبتّه، في موجات شعبية هيستيرية تكاد لا تصدِّق غياب قائدها وزعيمها.

وران على البحر الأبيض ـ قلب الدنيا وبؤرة التاريخ ـ سكوت كثيف وهدأت العواصف وارتمت الأمواج على الشواطىء وقد استنفدت كل قواها.

بيان التنحِّي عن القيادة

9 ـ 6 ـ 1967

«أيها الأخوة:

لقد تعوَّدنا معاً في أوقات النصر، وفي أوقات المحنة، في الساعات الحلوة وفي الساعات المرّة، أن نجلس معاً وأن نتحدَّث بقلوب مفتوحة وأن نتصارح بالحقائق مؤمنين أنه من هذه الطريق وحدها نستطيع دائماً أن نجد اتجاهنا السليم مهما كانت الظروف عصبية ومهما كان الضوء خافتاً.

ولا نستطيع أن نخفي على أنفسنا أننا واجهنا نكسة خطيرة خلال الأيام الأخيرة. لكنني واثق أننا جميعاً نستطيع وفي مدة قصيرة أن نجتاز موقفنا الصعب وإن كنا نحتاج في ذلك إلى كثير من الصبر والحكمة والشجاعة الأدبية ومقدرة العمل المتضامنة.

لكننا أيها الأخوة نحتاج قبل ذلك إلى نظرة على ما وقع لكي نتتبَّع التطورات وخط سيرها في وصولها إلى ما وصلت إليه.

إننا نعرف جميعاً كيف بدأت الأزمة في الشرق الأوسط في النصف الأول من أيار الماضي. كانت هناك خطة من العدو لغزو سوريا وكانت تصريحات ساسته وقادته العسكريين كلهم تقول بذلك صراحة، وكانت الأدلّة متوافرة على وجود الكثير. كانت مصادر إخواننا السوريين قاطعة في ذلك، وكانت معلوماتنا الوثيقة تؤكِّده، بل وقام أصدقاؤنا في الاتحاد السوفياتي بإخطار الوفد البرلماني الذي كانيزور موسكو في مطلع الشهر الماضي بأن هناك قصداً مبيَّتاً ضد سوريا. ولقد وجدنا واجباً علينا ألاَّ نقبل ذلك ساكتين. وفضلاً عن أن ذلك واجب الأخوة

العربة فهو أيضاً واجب الأمن الوطني بأن البادىء بسوريا سوف يثنّي بمصر.

ولقد تحرّكت قواتنا المسلحة إلى حدودنا بكفاءة شهد بها العدو قبل الصديق. وتداعت من أثر ذلك خطوات عديدة منها انسحاب قوات الطوارىء الدولية ثم عودة قواتنا إلى موقع شرم الشيخ المتحكّم في مضائق تيران والتي كان العدو الإسرائيلي يستعملها كأثر من آثار العدوان الثلاثي الذي وقع علينا عام 1956. ولقد كان مرور علم العدو أمام قواتنا أمر لا يحتمل فضلاً عن دواعٍ أخرى تتصل بأعز أماني الأمة العربية.

ولقد كانت الحسابات الدقيقة لقوة العدو تظهر أمامنا أن قواتنا المسلحة بما بلغته من مستوى في المعدات وفي التدريب قادرة على ردّه وعلى ردعه. وكنا ندرك أن احتمال الصراع بالقوة المسلّحة قائم، قبلنا المخاطرة. وكانت أمامنا عوامل عديدة وطنية وعربية ودولية منها رسالة من الرئيس الأميركي ليندون جونسون سلّمت إلى سفيرنا في واشنطن يوم 26 أيار تطلب إلينا ضبط النفس وألاّ نكون البادئين بإطلاق النار وإلا فإننا سوف نواجه نتائج خطيرة.

وفي الليلة نفسها فإن السفير السوفياتي طلب مقابلتي بصفة عاجلة في الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف الليل وأبلغني بطلب ملح من الحكومة السوفياتية بألاّ نكون البادئين بإطلاق النار.

تصفية الحسابات مع حركة القومية العربية

وفي صباح يوم الاثنين الماضي الخامس من حزيران جاءت ضربة العدو، وإذا كنا نقول الآن بأنها جاءت بأكثر مما توقعناه فلا بدّ أن نقول في الوقت نفسه وبصفة أكيدة أنها جاءت بأكبر مما يملكه، مما أوضح منذ اللحظة الأولى أن هناك قوى أخرى وراء العدو جاءت لتصفّي حساباتها مع حركة القومية العربية.

ولقد كانت هناك مفاجآت تلفت النظر:

أولاً: إن العدو الذي كان نتوقعه من الشرق ومن الشمال جاء من الغرب،

الأمر الذي يقطع بأن تسهيلات تفوق مقدرته وتتعدّى المدى المحسوب لقوته قد أُعطيت له.

ثانياً: إن العدو غطّى في وقت واحد جميع المطارات العسكرية والمدنية في الجمهورية العربية المتحدة، ومعنى ذلك أنه كان يعتمد على قوة أخرى غير قوته العادلة لحماية أجوائه من أي رد فعل من جانبنا كما أنه كان يطرق بقية الجبهات العربية بمعونات أخرى استطاع أن يحصل عليها.

ثالثاً: إن الدلائل واضحة على وجود تواطؤ استعماري معه، يحاول أن يستفيد من عبرة التواطؤ المكشوف السابق عام 1956 ليغطي نفسه هذه المرة بلؤم وخبث. ومع ذلك فالثابت الآن أن حاملات طائرات أميركية وبريطانية كانت بقرب شواطىء العدو تساعد في مجهوده الحربي.

كما أن طائرات بريطانية أغارت في وضح النهار على بعض المواقع في الجبهة السورية وفي الجبهة المصرية إلى جانب قيام عدد من الطائرات الأميركية بعمليات الاستطلاع فوق بعض مواقعنا. ولقد كانت النتيجة المحقَّقة لذلك أن قواتنا البرية التي كانت تحارب أكثر المعارك عنفاً وبسالة في الصحراء المكشوفة، وجدت نفسها في الموقف الصعب لأن الغطاء الجوي فوقها لم يكن كافياً إزاء التفوق الحاسم للقوى الجوية المعادية بحيث أنه يمكن القول، دون أن يكون في ذلك أي أثر للانفعال أو المبالغة، إن العدو كان يعمل بقوة جوية تزيد ثلاث مرات عن قوته العادية. ولقد كان هذا هو ما واجهته أيضاً قوات الجيش العربي الأردني التي قاتلت معركة باسلة بقيادة الملك حسين الذي أقول للحق وللأمانة إنه اتخذ موقفاً ممتازاً. وأعترف بأن قلبي كان ينزف دماً وأنا أتابع معارك جيشه الباسل في القدس وغيرها من مواقع الضفة الغربية في ليلة حشد فيها العدو وقواه المتآمرة ما لا يقل عن 400 طائرة فوق الجبهة الأردنية.

الحق العربي لن يضيع

وقد كانت هناك جهود رائعة شريفة. لقد أعطى الشعب الجزائري وقائده الكبير هواري بومدين بغير تحفظات وبغير حساب للمعركة وقاتل الجيش

السوري قتالاً بطولياً معززاً بقوى الشعب السوري العظيم وبقيادة حكومته الوطنية. واتخذت شعوب وحكومات السودان والكويت واليمن ولبنان وتونس والمغرب مواقف مشرفة.

ووقفت شعوب الأمة العربية جميعاً بغير استثناء على طول امتداد الوطن العربي موقف الرجولة والعزة، موقف التصميم، موقف الأحرار، على أن الحق العربي لن يضيع ولن يهون وأن الحرب دفاعاً عنه ممتدّة مهماً كانت التضحيات والنكسات على طريق النصر الحتمي الأكيد.

وكانت هناك أمم عظيمة خارج العالم العربي قدّمت لنا ما لا يمكن تقديره من تأييدها المعنوي. لكن المؤامرة ـ ولا بدّ أن نقول ذلك بشجاعة الرجال ـ كانت أكبر وأعتى. ولقد كان تركيز العدو الأساسي على الجبهة المصرية التي وقع عليها بكل قوته الرئيسية منا مدركات والمشاة معززة بتفوق جوي رسمت لكم من قبل صورة لأبعاده. ولم تكن طبيعة الصحراء تسمح بدفاع كامل خاصة مع التفوق المعادي في الجو.

ولقد أدركت أن تطور المعركة المسلّحة قد لا يكون مؤاتياً لنا، وحاولت مع غيري أن نستخدم كل مصادر القوة العربية.

ولقد دخل النفط العربي ليؤدي دوره ودخلت قناة السويس لتؤدي دورها وما زال هناك دور كبير مطلوب من العمل العربي العام.

المهام المقبلة

وكلي ثقة في أنه سوف يستطيع آداءه ولقد اضطرّت قواتنا المسلحة في سيناء إلى إخلاء خط الدفاع الأول وحاربت معارك رهيبة بالدبابات والطائرات على خط الدفاع الثاني ثم استجبنا لقرار وقف إطلاق النار أمام تأكيدات وردت في مشروع القرار السوفياتي الأخير المقدّم إلى مجلس الأمن وأمام تصريحات فرنسية بأن أحداً لا يستطيع تحقيق أي توسع إقليمي على أساس العدوان الأخير وأمام رأي عام دولي خاصة في آسيا وإفريقيا يرى موقفنا ويشعر ببشاعة قوى السيطرة العالمية التي انقضّت علينا وأمامنا الآن عدة مهام عاجلة.

المهمة الأولى: أن نزيل آثار هذا العدوان علينا وأن نقف مع الأمة العربية موقف الصلابة والصمود. وبرغم النكسة فإن الأمة العربية بكل طاقاتها وإمكاناتها قادرة على أن تصر على إزالة آثار العدوان.

المهمة الثانية: أن ندرك درس النكسة وهناك في هذا الصدد ثلاث حقائق حيوية:

1 ـ إن القضاء على الاستعمار في العالم العربي بترك إسرائيل بقواها الذاتية، ومهما كانت الظروف ومهما طال المدى فإن القوى الذاتية العربية أكبر وأقدر على العمل.

2 ـ إن إعادة توجيه المصالح العربية في خدمة الحق العربي ضمان أولي. فإن الأسطول الأميركي السادس كان يتحرَّك بنفط عربي وهناك قواعد عربية وضعت قسراً وبرغم إرادة الشعوب في خدمة العدوان.

3 ـ إن الأمر الآن يقتضي كلمة موحدة تسمع من الأمة العربية كلها وذلك ضمان لا بديل له في هذه الظروف.

نصل الآن إلى نقطة هامة في هذه المكاشفة بسؤال أنفسنا: هل معنى ذلك أننا لا نتحمَّل مسؤولية من تبعات هذه النكسة؟

وأقول لكم بصدق وبرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفي في الأزمة فإنني على استعداد لتحمل المسؤولية كلها. ولقد اتخذت قراراً أريدكم جميعاً أن تساعدوني عليه. لقد قرَّرت أن أتنحَّى تماماً عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي وأن أعود إلى صفوف الجماهير أؤدِّي واجبي معها كأي مواطن آخر.

الوحدة العربية قبلي وستبقى بعدي

إن قوى الاستعمار تتصوَّر أن جمال عبد الناصر هو عدوها. وأريد أن يكون واضحاً أمامهم أنها الأمة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر. والقوى المعادية لحركة القومية العربية تصوّرها دائماً بأنها إمبراطورية لعبد الناصر وليس

ذلك صحيحاً لأن أمل الوحدة العربية بدأ قبل جمال عبد الناصر وسوف يبقى بعد جمال عبد الناصر.

ولقد كنت أقول لكم دائماً إن الأمة هي الباقية وأن أي فرد مهما كان دوره ومهما بلغ إسهامه في قضايا وطنه هو أداة لإرادة شعبية وليس هو صانع هذه الإرادة الشعبية.

وتطبيقاً لنص المادة 110 من الدستور المؤقت الصادر في شهر آذار عام 1964 فلقد كلَّفت زميلي وصديقي وأخي زكريا محيي الدين أن يتولّى منصب رئيس الجمهورية وأن يعمل بالنصوص الدستورية المقرَّرة. لذلك، وبعد هذا القرار، فإنني أضع كل ما عندي تحت طلبه وفي خدمة الظروف الخطيرة التي يجتازها شعبنا.

إنني بذلك لا أصفّي الثورة. ولكن الثورة ليست حكراً على جيل واحد من الثوار. وإن بإسهام هذا الجيل من الثوار حقّق جلاء الاستعمار البريطاني، وحقّق استقلال مصر، وحشد شخصيتها العربية وحارب سياسة مناطق النفوذ في العالم العربي، وقاد الثورة الاجتماعية وأحدث تحولاً عميقاً في الواقع المصري، وأكّد تحقيق سيطرة الشعب على موارد ثروته وعلى ناتج العمل الوطني، واسترد قناة السويس، ووضع أسس الانطلاق الصناعي وانتصر وبنى السد العالي ليغرس الخضرة الخصبة على الصحراء المجدية. ومدّ شبكات الكهرباء المحركة فوق وادي النيل الشمالي كله، وفجّر موارد النفط بعد انتظار طويل. وأهم من ذلك وضع على قيادة العمل السياسي، تحالف قوى الشعب العاملة الذي هو المصدر الدائم لقيادات متجدِّدة تحمل أعلام النضال الوطني والقومي مرحلة بعد مرحلة وستبني الاشتراكية وتنتصر.

انها ساعة للعمل وليست ساعة للحزن

إن ثقتي غير محدودة بهذا التحالف القائم للعمل الوطني: الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية. إن وحدته وتماسكه والتفاعل الخلاّق داخل إطار هذه الوحدة قادر على أن يصنع بالعمل، وبالعمل الشاق كما

قلت أكثر من مرة معجزات ضخمة في هذا البلد ليكون قوة لنفسه والأمة العربية ولحركة الثورة الوطنية وللسلام العالمي القائم على العدل.

إن التضحيات التي بذلها شعبنا وروحه المتوقّدة خلال فترة الأزمة والبطولات المجيدة التي كتبها الضباط والجنود تبقى شعلة ضوء لا تنطفىء في تاريخنا وإلهاماً عظيماً للمستقبل وآماله الكبار، لقد كان الشعب رائعاً كعادته أصيلاً كطبيعته مؤمناً صادقاً مخلصاً وكان أفراد قواتنا المسلّحة نموذجاً مشرفاً للإنسان العربي في كل زمان ومكان. لقد دافعوا عن حبّات الرمل في الصحراء إلى آخر قطرة من دمهم وكانوا في الجو برغم التفوّق المعادي أساطير للبذل وللفداء وللإقدام للاندفاع الشريف إلى آداء الواجب أنبل ما يكون عزاؤه، إن هذه ساعة للعمل وليست ساعة للحزن. إنه موقف للمثل العليا وليس لأية أنانيات أو مشاعر فردية. إن قلبي كله معكم وأريد أن تكون قلوبكم كلها معي.

وليكن الله معنا جميعاً أملاً في قلوبنا وضياء وهدى. والسلام عليكم ورحمة الله.

بيان العودة الى القيادة

10 ـ 6 ـ 1967

«السيد رئيس مجلس الأمة:

لقد كنت أتمنّى لو ساعدتني الأمة على تنفيذ القرار الذي أتخذته بأن أتنحّى. ويعلم الله أنني لم أقصد في اتخاذ هذا القرار أي سبب غير تقدير المسؤولية تجاوباً مع ضميري ومع ما أتصوّر أنه واجبي. وإني لأعطي هذا الوطن راضياً وفخوراً كل ما لديّ حتى الحياة إلى آخر نفس فيها.

على أن الأمر كله بعد هذه الفترة يجب أن يرجع فيه إلى الشعب في استفتاء عام.

إنني لأشعر بأن النكسة لا بدّ أن تضيف إلى تجربتنا عمقاً جديداً ولا بدّ أن تدفعنا إلى نظرة شاملة فاحصة وأمينة على كثير من جوانب عملنا.

وأول ما ينبغي أن نؤكِّده بفهم واعتزاز، وهو واضح من الآن أمام عيوننا، أن الشعب وحده هو القائد وهو المعلِّم وهو الخالد إلى الأبد.

والآن أيها الأخوة المواطنون في كل مكان، أيديكم معي ولنبدأ مهمتنا العاجلة، وليمنحنا الله جميعاً تأييده وهداه».



غاريبالدي، غوسيبي

Giuseppe Garibaldi

(1882 - 1807)

قائد ايطالي

«إيطاليا الموحدة»

أحد بناة الوحدة القومية الإيطالية الحديثة، وبطل قومي إيطالي علماني وجمهوري. اكتسب أمجاده من خلال الحملة الثورية التي قاد بها ألف رجل فقط قضى بهم على حكم آل بوربون في نابولي وصقلية عام 1860. كما ناهض الحكم البابوي في المقاطعة البابوية الأمر الذي أدى إلى اصطدامه بقوات الحكومة الإيطالية المركزية وقد اعتقل وسجن مرتين. وفي الوقت الذي اعتبر فيه **ماتزيني** روح الحركة القومية الإيطالية الحديثة فقد نظر إلى غاريبالدي على أنه سيفها بينما شكل الكونت دي **كافور** عقلها السياسي.

ولد غوسيبي غاريبالدي في مدينة نيس (التابعة حالياً لفرنسا) في أسرة

صناعتها في البحر، انضم إلى والده على متن سفينة وهو في الخامسة عشرة، ثم تقدم في عمله حتى أصبح قبطاناً لمركبه الخاص في عام 1832، ثم عمل ضابطاً في الأسطول التجاري الإيطالي ثم انخرط في سلاح البحرية الملكي التابع لـ «سردينيا». وفي عام 1833 انضم إلى جمعية «إيطاليا الفتاة» التي كان قد أسسها ماتزيني. وفي عام 1834 شارك في محاولة انتفاضية ضد حكومة جنوى فاكتشف أمره مما دفعه إلى الهرب. وقد حكم عليه بالموت غيابياً فما كان منه إلا أن التجأ إلى أمريكا اللاتينية حيث عاش 12 عاماً (1836 ـ 1848) قضى الفترة الأولى منها في خدمة جمهورية «ريو غراندي دو سول» التي كانت قد ثارت ضد أمبراطور البرازيل، ثم انتقل إلى الأوراغوي حيث شارك في الدفاع عن استقلال هذا البلد ضد مطامع الدكتاتور الأرجنتيني روزاس. وابتداءاً من 1843، شكل غاريبالدي فرقة من المتطوعين الإيطاليين أطلق عليها اسم «القمصان الحمران» واشتهرت ببطولاتها ومآثرها في العديد من المعارك وخاصة في معركة «سان أنطونيو» (1846). وتحولت هذه الفرقة إلى شبه أسطورة على ألسن الشعب الإيطالي والعالم بأسره وأصبح اسم قائدها أشهر من نار على علم. وكان غاريبالدي أثناء إقامته في منفاه الأمريكي اللاتيني قد خطف امرأة متزوجة هي «أنّا ماريا ريبيرو دي سيلفا» وتزوجها في 1842 وأصبحت رفيقة كل معاركه الأولى.

وعندما أعلنت الثورة في إيطاليا عام 1848 عاد إلى بلاده ووضع سيفه في خدمة الملك شارل ألبير مقدماً شعوره الوطني والقومي على مبادئه الجمهورية التي لم يتخل عنها يوماً واحداً. وبعد هزيمة كوستوتزا (23/25 تموز ـ يوليو 1848) استمر في القتال ضد النمساويين على رأس 3000 قناص ولكنه هزم بعد شهر والتجأ إلى سويسرا. وبعد هروب البابا بيوس الحادي عشر، قدم غاريبالدي بسرعة إلى روما وأنشىء فرقة جديدة من المتطوعين للدفاع عن «جمهورية روما» ضد التدخل الفرنسي بقيادة «أودينو». وقد انتصر غاريبالدي على الفرنسيين في معركة جانيكول (30/4/1849) وهزم الجيوش النابوليتانية في «بالسترينا» و«فيليتري» (أيار ـ مايو 1849). وقد دافع عن روما حتى النهاية،

وعندما سقطت هذه المدينة نجح في إنقاذ جيشه من الحصار والإبادة والوصول به إلى «سان ماينو» رغم مطاردة الجيوش الفرنسية والنمساوية والإسبانية والنابولينية. وفي أثناء هذا الانسحابِ ماتت زوجته ورفيقة نضاله «أنّا ماريا».

وبدأت مرحلة جديدة من نضاله إذ أخذت كل أجهزة البوليس في شبه الجزيرة الإيطالية تلاحقه بسبب آرائه الجمهورية فاختار مرة أخرى المنفى فسافر إلى الولايات المتحدة حيث أخذ يتاجر بالشموع في نيويورك. وفي عام 1854 عاد إلى وطنه حيث اشترى جزيرة صغيرة اسمها «كابريرا» بين كورسيكا وسردينيا. وقرر أن يؤجل معركة لفرض انتصار أهدافه الجمهورية معطياً الأولوية لمعركة توحيد إيطاليا فأيد سياسته الملك فيكتور عمانوئيل الثاني ورئيس وزرائه **كافور** (1856). إلا أنه لم يكن تلك الأداة الطيعة في يد أسياده الجدد وذلك لأن أساليب عمله المباشرة واحتقاره للتحفظات الدبلوماسية واشمئزازه من المجادلات البيزنطية والمهاترات القانونية، إضافة إلى فرديته المفرطة، كل هذا جعل من الصعب على حكومة قوية ومتماسكة أن تستعمله بسهولة، وقد شكل غاريبالدي أثناء حملة 1859 جيش الخيالة المتمرس في حرب الجبال (5000 رجل) وهزم النمساويين في فاريزا (26/ 5/ 1859) ودخل بريشيا (13/ 6/ 1859) قبل أن يتوجه إلى توسكانا لاحتلالها. إلا أن تدخل الملك فيكتور عمانوئيل الثاني اضطره إلى التخلي، في اللحظة الأخيرة، عن إعلان الانتفاضة في هذه المدينة (تشرين الثاني - نوفمبر 1859. ومن جهة أخرى فقد تألم غاريبالدي كثيراً لتخلي كافور عن نيس، المدينة التي ولد فيها، لفرنسا واحتج بعنف على ذلك.

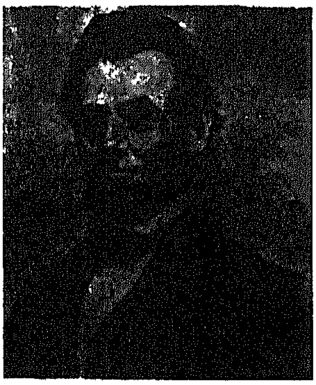
حملة الألف: وفي ربيع 18960 أخذ غاريبالدي، بالتنسيق مع الثوريين الصقليين وبتواطؤ ضمني مع كافور، في الإعداد لأشهر حملاته العسكرية لتحرير صقلية وجنوب إيطاليا من حكم أسرة **بوربون**. وقد انطلق من جنوى مع 1087 محارباً من القمصان الحمراء أبحروا على متن مركبين بخاريين. وقد نزل على شواطىء صقلية وأعلن نفسه دكتاتوراً على الجزيرة تحت شعار: «فيكتور

عمانوئيل هو إيطاليا» (11/ 5/ 1860). وهزمت الجيوش النابولينية في كالاتافيمي (15/ 5) واحتل باليرمو، عاصِمة صقلية ثم اجتاز مضيق مسينا في ليل 18 ـ 19 آب أغسطس 1860 وفي السابع من أيلول ـ سبتمبر دخل إلى نابولي. وقد خشي كافور أن يبادر غاريبالدي، مستفيداً من انتصاراته المتلاحقة، إلى إعلان الجمهورية في المقاطعات النابوليتانية ومن ثم إلى الزحف على روما، مما قد يدفع الفرنسيين والنمساويين إلى التدخل وبالتالي إلى القضاء على الوحدة الإيطالية في مهدها، فأمر جيوش سردينيا بالتدخل السريع. وقد سبقت هذه الجيوش غاريبالدي إلى عبور المقاطعات البابوية ومكنت بالتالي حكومة كافور من الاستمرار في قيادة الحركة التوحيدية القومية. وقد اضطر غاريبالدي للاعتراف بالأمر الواقع والتقى في 26/ 10/ 1860 بالملك فيكتور عمانوئيل في تيانو واعترف به ملكاً على إيطاليا ورافقه في أثناء دخوله المظفر إلى نابولي قبل أن ينسحب إلى جزيرته كابريرا دون أن ينتظر أية مكافأة.

وقد سكت غاريبالدي على مضض إذ أن هدفه الاستراتيجي كان إعلان روما عاصمة لإيطاليا الموحدة. وعندما فاتح الحكومة الملكية التي كان يرأسها راتاتزي برغبته في تحقيق هذه الأمنية القومية لم يلق أي تشجيع فما كان منه ألا أن قرر أن يحتل وحده المقاطعات البابوية (1862) إلا أن الحكومة الإيطالية، تحت ضغط نابوليون الثالث الذي تعهد بحماية البابا، عمدت إلى اعتقاله في معركة «أسبر ومونتي» (29/ 8/ 1862). وفي هذه المعركة أصيب غاريبالدي بجروح وأسر ولكنه أعفي عنه بسرعة وأعيد إلى جزيرته. ولم يلعب غاريبالدي أي دور رئيسي في حرب 1866. وفي 1867 قام بحملة جديدة منفردة لتحرير روما ولكنه هزم على يد الفرنسيين والجيوش الموالية للبابا، ولجأ على أثر ذلك إلى توسكانا حيث اعتقلته الحكومة الإيطالية وأرجعته إلى جزيرته.

وعندما اندلعت الحرب الفرنسية ـ الألمانية 1870 ـ 1871، أسرع غاريبالدي برفقة ولديه مينوتي وريشيوتي لنجدة الحكومة الجمهورية الفرنسية. وقد حارب في مقاطعة بوغوني مع رجاله أصحاب القمصان الحمراء. إلا أن

ماضيه الثوري وسمعته كعسكري غير منضبط جعل القادة العسكريين الفرنسيين ينظرون إليه نظرة ريب، انتخب في شباط - فبراير 1871 نائباً عن باريس وعن أربع مقاطعات أخرى في الجمعية النيابية. إلا أن الأكثرية العمومية اليمينية في بوردو أساءت استقباله وطعنت في قانونية انتخابه لكونه أجنبياً وجردته من مقعده. وقد عاد غاريبالدي إلى كابريرا ورفض قيادة الحرس الوطني التي عرضتها عليه كومونة باريس. وفي عام 1874 انتخب نائباً عن روما ومنحه البرلمان الإيطالي راتباً بـ 000 1000 لير، ومنذ ذلك التاريخ انتهى دوره السياسي وتفرغ في آخر أيامه لكتابة مذكراته التي صدرت بعد مماته بست سنوات.



إبراهام لنكولن

IbRAHAM LiNCOliN

(1865 ـ 1809)

قائد أميركي

«محرر العبيد وموحّد أميركا»

أنتخب في عام 1861 رئيساً للجمهورية الأميركية وبذلك أصبح الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة.

في عهده نشبت الحرب الأهلية الأميركية بين الشمال الصناعي والجنوب الزراعي حول إلغاء نظام الرق حيث كان الشماليون لا يستخدمون العبيد في مصانعهم الآلية بينما كان الجنوبيون يعتمدون عليهم في الزراعة وخاصة زراعة القطن.

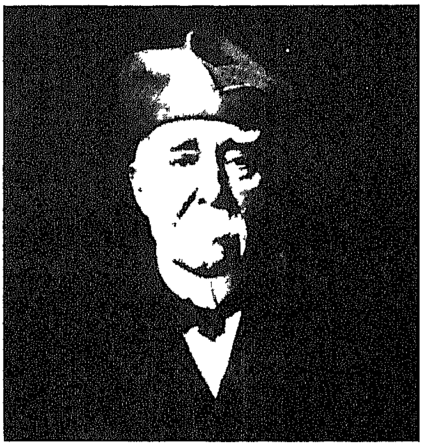
مع إلغاء الرّق في أوروبا كان لا بد لهذه الدعوة من أن تصل للقارة الجديدة حيث انقسم الأميركيون إلى شطرين في القسم الشمالي حيث رفع شعار

إلغاء هذا النظام والقسم الجنوبي الذي تمسك بالاستمرارية فيه حيث مصلحته الاقتصادية.

قاد لنكولن الشماليين بإعلانه قانون تحرير العبيد في عام 1863 لتوحيد البلاد ومع رفض الجنوبيين لهذا الإعلان، استمرت الحرب الأهلية الأميركية والتي كنت قد بدأت منذ العام 1861.

استطاعت قوات الشمال بقيادة لنكولن من هزيمة قوات الجنوب بعد معارك عنيفة خلفت الكثير من الدمار والخراب والقتل وأعادت وصل الشمال الأميركي بجنوبه.

اغتيل إبراهام لنكولن في نيسان 1865 بعد شهر من تجديد رئاسته على يد جون بوسي أحد الممثلين في مسرحية كان يشاهدها لنكولن.



جورج كليمنصو

GEORGE KLIMONSO

(1929 ـ 1841)

قائد فرنسي

«النمر»

دكتور في الطب، رجل دولة وسياسي فرنسي بارز، صحافي وكاتب، جمهوري الولاء في ظل حكم إمبراطورية نابليون الثالث.

هاجر للولايات المتحدة الأميركية بالعام 1865 وعمل في حقلي التدريس والصحافة عاد محافظاً لإحدى المدن الفرنسية 1870 ـ 1871 ثم نائباً عن السين في الجمعية الوطنية الفرنسية 1872 بعد إسقاط الإمبراطورية الثانية 1870 ساهم مساهمة فعالة في إسقاط هذه الإمبراطورية وذلك بدعمه ومساندته لغامبيتا. في عهد الثورة الفرنسية استطاع كليمنصو أن يسقط أكثر من حكومة وأن يدعم أكثر من شخصية سياسية ثم يعود لينقلب عليها بما يتوافق مع مبادئه وأهدافه ويمكن

تلخيص مواقفه في تلك الفترة بعدائه الشديد للاستقلاليين والراديكاليين اليمنيين وضد مبدأ الاستعمار والتحذير المستمر من تعاظم القدرة العسكرية الألمانية والحث على التعبئة للحرب والتهيأ لها.

عندما بلغ من العمر سن الـ 65 سنة عين وزيراً للداخلية ثم رئيساً للوزراء (1906 ـ 1909) شهد عهده الكثير من الاضطرابات والمظاهرات العمالية وهذا ما أدى إلى سقوط حكومته في العام 1909.

كرس كليمنصو جهده بعد ذلك في الاستمرار، بمهاجمة ألمانيا والتحذير من خطر الحرب القادمة وذلك عبر مقالاته النارية في صحيفته «الرجل الحر» منتقداً الحكومة لضعفها ومهادنتها لألمانيا حتى بعد نشوب الحرب العالمية الأولى وانتصار الحلفاء عليها وإلقائها للسلاح والتوقيع على شروط الهدنة في 11 تشرين الثاني عام 1918.

في تشرين الثاني 1917 خلف كليمنصو بول بنلفيه رئيساً للوزراء وألف حكومة ائتلافية وسميت حينها حكومة الاتحاد المقدس استمرت حكومة كليمنصو في مواصلة الحرب حتى الانتصار النهائي على ألمانيا العام 1918. انصرف الحلفاء بعد الانتصار في الحرب على تسوية المشاكل التي خلفتها هذه الحرب ولهذه الغاية عقد مؤتمر باريس (1919 ـ 1920). وعقد هذا المؤتمر في باريس كان انتصاراً للفرنسيين ولرئيس وزرائهم كليمنصو فلقد أراد الفرنسيون أن يروا مجدداً عاصمتهم محط أنظار العالم ومكاناً لإلتقاء الحكام والعظماء إذ أنهم اعتبروا انعقاد المؤتمر في عاصمتهم استعادة لاعتبارهم وانتقاماً لشرفهم الذي أصيب بالمذلة والهوان في حرب 1870 على أيدي البروسيين، وكان كليمنصو رئيس وزراء فرنسا وهو في الثامنة والسبعين من عمره أكبر زعماء الحلفاء سناً ومن أقدرهم سياسة وأجلهم مقاماً ومن باب التقدير له واحتراماً لسنه ومكانته رغبت الدول الحليفة في عقد مؤتمر الصلح في باريس أولاً كي لا يضطر كليمنصو العجوز للسفر لخارج فرنسا لحضور المؤتمر وثانياً لكي ينتخبوه رئيساً للمؤتمر لأن الأصول البروتوكولية تقضي بأن رأس المؤتمر رئيس وفد الدولة المضيفة. لهذه الاعتبارات جميعها تم الاتفاق على أن يعقد المؤتمر في باريس.

برز كليمنصو خلال هذا المؤتمر كرجل دولة من الطراز الأول إذا استطاع أن ينجح في ترأس جلساته وأن يقتنص ويستغل كل الفرص بدهائه وحنكته السياسية وتصلبه وعناده وأن يجبر ولسون الرئيس الأميركي على التنازل عن مثاليته في التعامل مع ألمانيا بعد هزيمتها بالحرب والرضوخ لمعظم مطالب الوفد الفرنسي الذي كان هاجسه أولاً وأخيراً فرض قيود صارمة على الألمان تحول دون استعادتهم لقوتهم العسكرية الهجومية مرة أخرى.

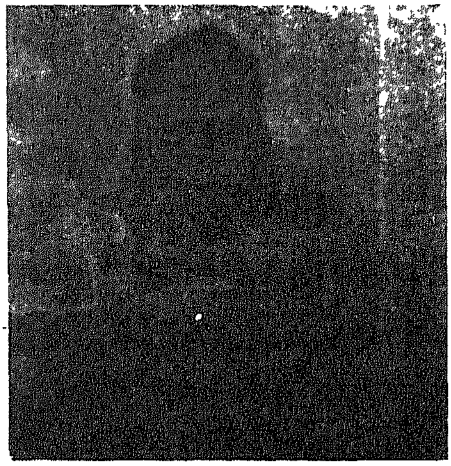
عاش كليمنصو حياته كلها في ظل عقدة الخوف من الألمان وفي أمل الانتقام منهم. ولما ظفر بهم أصبح همه الأكبر في عدم عودة عقدة الخوف هذه مجدداً. استطاع مؤتمر باري برئاسة كليمنصو أن ينجح في ترتيب وضعية البيت الأوربي بعد الحرب وأهم المعاهدات التي تمخضت عن جلسات هذا المؤتمر وهي ستة:

معاهدة ڤرساي مع ألمانيا أولى تلك المعاهدات وأهمها سياسياً وسان جرمين مع النمسا ونوبي مع بلغاريا وتريانون مع المجر وسيفرولوزان مع تركيا.

خاض كليمنصو انتخابات العام 1919 إلا أن الناخبين قد أسقطوه بحجة تساهله مع الألمان (؟) وخلفه ألسكندر ميلران في رئاسة الوزارة. بعد هزيمته في انتخابات الـ 1919 اعتزل كليمنصو بموطنه فاندي مكرساً بقية حياته للكتابة والمطالعة بعد أن كان لولب الحياة السياسية الفرنسية طيلة نصف قرن كرس فيه كل حياته للعمل السياسي حتى وفاته.

له عدة مؤلفات في السياسة والحرب. حرص على تأكيد أولوية المدنيين على العسكريين حتى في زمن الحرب والسلم وله في هذا الماجل قولاً مأثوراً: «الحرب عملية جادة لدرجة لا تسمح بتركها للعسكريين فقط».

سمي بالنمر لسرعة اقتناصه للفرص وتجييرها لمصلحته ولقب بصانع الانتصارات لإدارته لكل معاركه السياسية والعسكرية الداخلية والخارجية بنجاح باهر.



عمر المختار

OMAR AL MOKHTAR

(1931 ـ 1862)

زعيم عربي

«شيخ المجاهدين»

زعيم وطني ليبي، رمز لكل المناضلين خلال تلك الحقبة وما زال في سبيل الحرية والاستقلال والكرامة الوطنية.

قاد حركة النضال الوطني ضد الاستعمار الإيطالي منذ العام 1911. وبعد حصار القوات الإيطالية له وللمجاهدين في الجبل الأخضر (1926) لجأ إلى حرب العصابات لاستنزاف الجيش الإيطالي وحقق بذلك انتصارات عديدة.

عمد الإيطاليون أخيراً إلى مفاوضته مقابل إغراءات عديدة لكنه رفض كل هذه المغريات والتي لم تحقق له ولشعبه مطالبه الوطنية بالاستقلال والحرية.

ولادته ونشأته

ولد «عمر» عام 1862 من أبوين متمسكين بالدين، وتوفي أبوه وهو في رحلته لحج بيت الله، وكان لـ «عمر» من العمر ست سنوات، ترك بعدها بلده إلى واحة «الجخبوب» في جنوب ليبيا ليقضي فيها ثماني سنوات يكمل بها دراسته الدينية، وينال ثقة أستاذه «السنوسي» الذي ترك الجنوب الليبي متجهاً إلى «الكفرة» مصطحباً معه عمر تقديراً لمواهبه.

ما بين الاحتلال والجهاد

كانت ليبيا بإقليميها برقة وطرابلس خاضعة للدولة العثمانية وعندما وهنت هذه الدولة، حاولت فرنسا أن ترثها لكن المواجهة ما لبثت أن عمت ليبيا وكان «المختار» أحد قادتها.

ومع الاحتلال الفرنسي لتونس، توجهت أنظار الإيطاليين ناحية شمال إفريقيا باعتباره مجالاً حيوياً لهم، وعقدت اتفاقاً مع فرنسا اعترفت بموجبه بمصالح الثانية في المغرب مقابل أن تطلق يدها في ليبيا.

وفي 29 أيلول سنة 1911، تذرعت إيطاليا بالاضطراب الأمني في ليبيا، واعتبرته يضر بمصالح الإيطاليين فيها، وقطعت علاقاتها مع الدولة العثمانية مغتنمة ضعفها، ليشن أسطولها البحري هجوماً على ليبيا، ولكن صمود الليبيين تحت لواء قادتهم «المختار» و«السنوسي» أجبر الإيطاليين على توقيع معاهدة مع الأتراك عام 1912، ولكن هذه المعاهدة لم تلق استحساناً لدى الليبيين الذين تعاونوا مع الألمان في مواجهة الإيطاليين أبان الحرب العالمية الأولى.

بعد انتهاء الحرب عقدت إيطاليا عام 1920 اتفاق «الرجمة» مع السنوسي واعترفت بموجبه بسلطة الأخير على المنطقة الداخلية (برقة) مقابل تدخلها في المناطق الساحلية، ولكن مواجهة أهل طرابلس للإيطاليين أدى إلى معاهدة أخرى وإصدار دستور خاص بهم عام 1919.

أدت هذه الأحداث إلى توحيد ليبيا تحت قيادة «السنوسي» الذي ما لبث

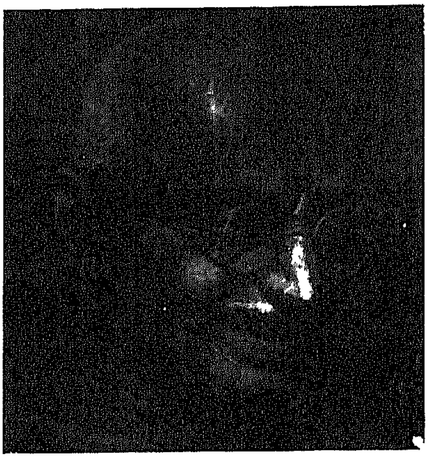
أن لجأ إلى مصر بعد ضغط لـ«موسوليني» عليه، وإلى اختيار «عمر المختار» قائداً للمجاهدين عام 1922، وجعل مقره في الجبل الأخضر.

لاقى المختار خلال مواجهته للاستعمار الإيطالي دعماً متزايداً من أهالي برقة، مما جعل الإيطاليون يحملون على هذه الولاية ويفرغون فيها جام غضبهم من قنابل وقتل ودمار، كردة فعل على دعمهم للمختار ولما ألحقه بهم عمر من هزائم بكبار قوادهم أمثال «جرازياني» و«بادليو» وبقي ذو السبعين من العمر عوداً شامخاً في مواجهة المحتلين.

وفي هذه الأثناء أنشأ المسؤول العسكري الإيطالي «غرازياني» محكمة طائرة تصدر أحكامها تعسفاً ودون أدنى رحمة، حتى بلغت ضحايا الاستعمار الإيطالي لليبيا يوازي نصف عدد السكان وكان الهدف من القضاء على شعب ليبيا إبدالها بالمستعمرين الإيطاليين الذين أخذوا بعد القضاء على ثورة عمر المختار يتوافدون للاستيطان والاستيلاء على ما تبقى من ممتلكاتهم.

استشهاد عمر المختار

في أيول عام 1931 تمكن الإيطاليون من محاصرة عمر المختار الذي جابه بالإيمان والصلابة أحدث الجيوش والسلاح، وأسروه ليحكم عليه بالإعدام في 16 أيلول من العام نفسه، والشيء الغريب أنهم شنقوه مرتين، وذلك لملء اقتناعهم بأن هذا الرجل العظيم لن يموت بسقطة واحدة في حبال المشنقة فأعادوا الكرة ثانية ليتيقنوا من موته متناسين أنه رمز لوحدة بلاده من برقة إلى طرابلس وفزان، ومعين ثوري لا ينضب يُنهل من بطولاته، ويستقى من إيمانه وأنه باقٍ ما دام على الأرض ظالم وصاحب حق ثائر.



موهندس كرمشاند غاندي

Mohandis Karmchand Gandi

(1948 - 1869)

«المهاتما»

ولد المهاتما غاندي في مدينة بور بندرا في مقاطعة غوجارات الهندية. ينتمي لأسرة بورجوازية تسلم العديد منهم مناصب سياسية ووزارية مهمة.

مبتكر فلسفة اللاعنف في الحياة السياسية، لقب بالمهاتما أي «النفس العظيمة» أو «القديس».

تمتع بالكثير من الاحترام والتقدير لدى الهنود وكل مناضلي العالم لنضاله من أجل الحرية والمساواة والعدالة وتأثر بفلسفته الخاصة هذه المناضل الزنجي مارتن لوثر كونغ الذي قاد حركة مناهضة التمييز العنصري في الولايات المتحدة الأميركية.

توجه بداية في مطلع شبابه إلى بريطانيا حيث درس القانون ثم عاد لبلده

لممارسة مهنة المحاماة. لاقى في بلاده صعوبات كثيرة في ممارسة مهنته بسبب نزاهته وحيائه لذلك عندما تلقى عرضاً للعمل في جنوب إفريقيا لم يتردد للحظة.

تعتبر المرحلة الإفريقية في حياته (1893 ـ 1914) المرحلة الأهم والأخصب في تنمية معتقداته وأفكاره المناهضة للتمييز العنصي إذ أنه وجه نضاله بشكل خاص ضد قانون التمييز بين البيض والسود الإفريقيين وبين البيض والوافدين من الدول الأخرى.

واستطاع خلال هذه الحقبة من أن يسلط على الكثير من مساوىء وسلبيات الأنظمة العنصرية وتعريتها أمام الرأي العام العالمي وكذلك بعث روح التمرد ورد الكرامة لدى المضطهدين في جنوب إفريقيا. في العام 1915 عاد للهند بعد أن أقام فترة قصيرة في بريطانيا، وهناك كان مؤيديه الذين تأثروا بتعاليمه وأفكاره باستقلاله إذ استطاع بهم قيادة النضال الوطني في سبيل استقلال وحرية الهنود من المستعمر البريطاني.

استطاع بعد عودته بسنين قليلة أن يصبح الزعيم الهندي الأكثر شعبية ومصداقية واحتراماً وأخذت كل الحياة السياسية الهندية تتمحور حول شخصيته.

من واقع الفقر والبؤس الذي كانت تتخبط به الهند فضلاً عن حالة الانقسام بين المسلمين والهندوس، برز غاندي كقاسم مشترك بين هاتين الفئتين داعياً للوئام والمحبة والوحدة بين أبناء الهند الواحدة واستطاع باستعمال أسلوب اللاعنف والعصيان المدني والصيام أن يحقق للكثير من الفقراء حقوقهم من أصحاب العمل.

برز أيضاً كمدافع عن الصناعات المحلية التي كانت تواجه بمضاربة ساحقة من الصناعات الأجنبية فآثر طوال حياته على لبس الملابس القطنية الهندية دعماً للاقتصاد المحلي من جهة ومواجهة للمصالح التجارية البريطانية من جهة أخرى. كذلك دعم حقوق المنبوذين الذين سماهم (أبناء الله) بالمشاركة في حقوق الآخرين الانتخابية وأثر الصيام حتى الموت من أجل تحقيق ذلك. كذلك

اتسمت مواقفه إزاء البريطانيين المستعمرين للهند بالمهادنة حيناً حرصاً على حقن دماء الهنود وبالصلابة أحياناً أخرى مما دفع خصومه لاتهامه بالخيانة وبعدم المصداقية في نضاله لاستقلال الهند.

استمرت هذه السياسة في مواقفه حتى العام 1940 حين أعلن غاندي العصيان المدني الشامل احتجاجاً على إدخال بريطانيا للهند كطرفٍ لجانب الحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

أدخل غاندي السجن لعدة مرات نتيجة تحريضه الجماهير على الصيان والتمرد على الإرادة البريطانية وعلى مقاطعة السلع والمدارس والمحاكم البريطانية، بعد انتهاء الحرب مع بروز ساعة الاستقلال للقارة برزت معها المشكلة الأخطر ألا وهي تقسيم القارة الهندية بين باكستان والهند.

لم يستطع غاندي إقناع محمد علي جناح بالعدول عن مشروع الدولة الإسلامية والتي أعلنت رسمياً في 16 آب 1947 إلا أن قبول غاندي مكرهاً لهذا التقسيم أثار غضب واستنكار الهندوس المتطرفين الذين ارتكبوا عدة مذابح بحق المسلمين كان من نتيجتها أكثر من 500 قتيل في مدينة كلكتا رغم نداءات غاندي الملحة للوحدة الوطنية بين الطائفتين.

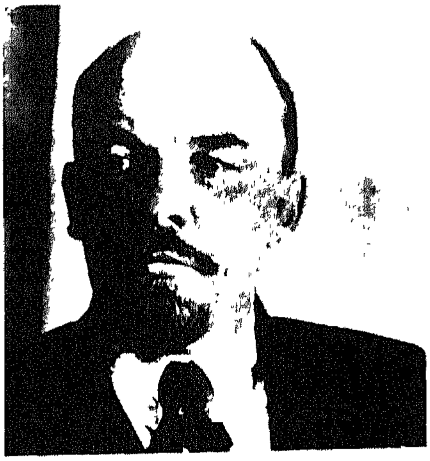
اعتبر الهندوس المتطرفين دعواته المتركرة للتهدأة ونبذ العنف والوحدة لوطنية بمثابة الخيانة الوطنية فقرروا التخلص منه.

سقط المهاتما صريعاً برصاص أحد المتعصبين الهندوس ويدعى ناتورام غودس يوم 30 كانون الثاني 1948 وقوبلت هذه الجريمة بالاستنكار والسخط العالميين.

قامت الأسس العقائدية والفكرية لنضاله على خلفيات دينية واقتصادية وسياسية في آن معاً وقد تأثر بعدد من المؤلفات أبرزها.

نشيد الطوباوي وهي عبارة عن ملحمة شعرية هندوسية اعتبرها بمثابة قاموسه الروحي «وموعظة الجيل» في الإنجيل وكتاب الفيلسوف الإنكليزي جون

راسكن «حتى الرجل الأخير» وكتاب ليون تولستوي «الخلاص في أنفسكم» وأخيراً كتاب الشاعر الأميركي هنري ديفيد تنورو (1817 ـ 1862) «العصيان المدني».



لينين

LININ

(1924 ـ 1870)

«يا عمال العالم اتحدوا ـ القائد والمؤسس والرفيق»

ـ السلام والأرض والخبز ـ

قائد الثورة الروسية (1917م) ومؤسس الاتحاد السوفياتي والرفيق الشيوعي الذي كرس أول دولة شيوعية مركزية في العالم لتنطلق منها الحركات الشيوعية لتفرض نفسها بأفكارها وآرائها على مختلف قارات العالم.

بعد خلع القيصر نقولا الثاني بادرت حكومة الثورة وكانت تضم حينها بعض الإصلاحيين والمعتدلين إلى إجراء بعض التعديلات على الحياة السياسية والإفراج عن المعتقلين وكذلك أعطيت بعض الحريات النقابية والسياسية مع استمرار سياسة الحرب ضد ألمانيا بجانب الحلفاء. خلال هذه الفترة عاد لينين من منفاه في سويسرا إلى موطنه روسيا وأعلن أمام جماهير الثوار من أتباعه

أعضاء الحزب البولشفكي الثوري معارضته لسياسة الحكومة المعتدلة ولاستمرارها في الحرب وفي أول خطاب له بعد عودته خاطب أتباعه قائلاً:

«إن السلطة كلها على جميع مستوياتها ومن أبعد قرية في روسيا إلى آخر شارع في مدينة بتروغراد يجب أن تنحصر في مجالس ممثل بالعمال والجنود والفلاحين. . . إن الشعب المتحد في هذه المجالس السوفياتية هو وحده الذي يجب أن يحكم البلاد» و«كل السلطة للسوفيات» كذلك حدد أهداف الثورة بمبادىء ستة:

أولاً: وقف الحرب فوراً وعقد الصلح من ألمانيا ثانياً ـ مصادرة أراضي الإقطاعيين فوراً ودون تعويض ثالثاً ـ سيطرة العمال على المصانع رابعاً ـ تأميم كل المرافق الإنتاجية خامساً ـ استلام العمال والجنود والفلاحين للسلطة مباشرة سادساً ـ العزل السياسي لطبقة الإقطاعيين.

انضم لثورة لينين ولمبادئه ولأهدافه الستة الكثير من السياسيين والمنفيين ومن هؤلاء من اشتهروا فيما بعد وأصبح لهم مواقع سياسية هامة في الدولة الشيوعية الأم أمثال تروتسكي وستالين وبوخارين وزينوڤياف وسواهم في تموز 1917 أعلن الحزن البولشفكي الثورة على حكومة المعتدلين لكن قوات الحكومة أجهضت المحاولة وتصدت للثورة بقسوة مما أدى إلى قتل واعتقال المئات من أنصار لينين. ومع اقتراب القوات الألمانية الغازية من مدينة بتروغراد قرر لينين انتهاز الفرصة ومهاجمة الأبنية الرسمية في المدن الروسية واعتقال الوزراء وحل الحكومة والاستيلاء على السلطة، وفي أكتوبر 1917 تم انتقال السلطة بكاملها من عهد حكومة كيرنسيك البورجوازية المعتدلة إلى عهد الحكم الشيوعي المتطرف بزعامة لينين عبر الحكومة المؤقتة والتي سميت «سوفيات مفوضي الشعب» واجه الحكم الشيوعي بزعامة لينين (1917 ـ 1924م) الكثير من المتاعب والحروب الداخلية والخارجية ومع أنه عقد معاهدة برست (آذار 1918) مع ألمانيا انسحب بموجبها من الحرب مع تقديم تنازلات كبيرة وباهظة للألمان من أجل السلام ليتفرغ لتنفيذ برامجه الإصلاحية الداخلية وترسيخ قواعده إلا أن

ثمن هذا السلام كان باهظاً إذ سمح لقوات الحلفاء بالتدخل العسكري المباشر في أطراف روسيا حيث احتل البريطانيون مرفأي مورمنسك وأركنجيل في الشمال واحتلوا مع اليابان وأميركا مرفأ فلادفوستوك في الشرق ونزل الفرنسيون في أوديسا والبولنديون في أوكرانيا واحتل البريطانيون منطقة القفقاس مجدداً.

ومع احتلال الحلفاء لأطراف الدولة الشيوعية ومرافئها كان «الروس البيض» وهم العناصر المناوئة للثورة (النبلاء والإقطاعيين ورجال الدين والتجار وأصحاب المصانع) قد أعلنوا الثورة والعصيان في الكثير من المدن الروسية واستطاعوا السيطرة على العديد منها بدعم من قوات الحلفاء.

لمواجهة هذه التحديات الخطيرة لمسيرة الثروة عمد البلشفيون بزعامة لينين إلى تأسيس الجيش الأحمر وانصرف تروتسكي وزير الحربية إلى أعداد هذا الجيش الذي وصل قوامه إلى أكثر من نصف مليون جندي وتولت تشيكا وهي منظمة البوليس السرية للبلاشفة من حماية الثورة وسحق أعدائها وحدثت خلال هذه الفترة الكثير من حملات الاعتقال والتصفية تحت حجة حماية الثورة من أعدائها وقد أعدم عشرات آلاف من المواطنين وتمت ملاحقة واعتقال مئات الألوف بموجب الصلاحيات الواسعة التي أعطيت للمنظمة بتوقيف ومحاكمة أعداء الثورة وتنفيذ الأحكام الفورية بهم.

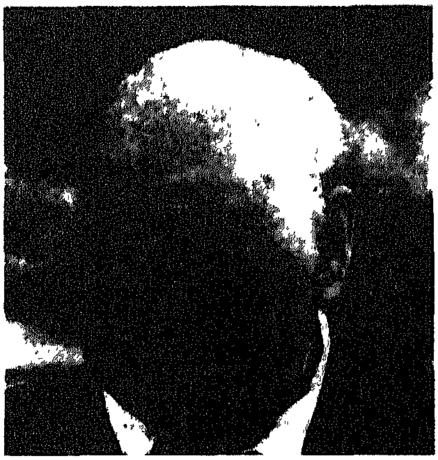
في سنة 1920 استطاع الجيش الأحمر القضاء على كل مناطق التمرد والعصيان ومع انسحاب القوات الحليفة الغازية من الأراضي الروسية ثم ترسيخ وثبات حكم البلاشفة الشيوعيين ماداً سيطرته القوية والكاملة على جميع أنحاء روسيا.

توفي لينين في العام 1924م بعد أن أسس أول دولة شيوعية في العالم تقوم على مبادىء وتعاليم كارل ماركس الهادفة إلى تحويل روسيا إلى مجتمع اشتراكي.

تعرض لمحاولة اغتيال من قبل إحدى عضوات الحزب الاشتراكي الديمقراطي وتدعى دورا كابلان وأصيب برصاصة سببت تدهوراً مستمراً في

صحته ومن المؤكد أن هذه الإصابة قد عجلت بوفاته. وكذلك فقد شقيقه الأكبر والبالغ من العمر تسعة عشرة عاماً بفعل إعدامه من قبل القيصر لاتهامه بمحاولة اغتياله.

من أهم إنجازاته الفكرية كتاب «من هم أصدقاء الشعب»؟؟ (1894) و«تطور الرأسمالية في روسيا» (1899) ومساهمته في تأسيس جريدة أسكرا (الشرارة) (1900) وكتيب «ما العمل» (1902) وكتاب «خطوة للأمام وخطوتان إلى الوراء» (1904م) وكتاب «تكتيكان اشتراكيان ديموقراطيان في الثورة الديمقراطية» (1905) وكتاب «المادية والنقدية التجريبية» (1906) و«كراسات فلسفية» (1915) و«الإمبريالية ـ أعلى مراحل الرأسمالية» (1916) «وفرضيات نيسان ـ إبريل» و«الدولة والثورة» (1917) والمهام العاجلة للسلطة السوڤياتية (1918) و«الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي» (1919م) و«اليسارية مرض الشيوعية الطفولي» (1920) و«أهمية المادية النضالية» (1922م) و«عن ا لتعاون» (1923) و«الأفضل أقل ولكنه الأفض» (1923). و«وصيتي» وقد كتبها لينين أثناء مرضه وعرفت فيما بعد بوصية لينين وتشمل الكثير من النقد تجاه بعض القادة السياسيين من أمثال ستالين وتروتسكي وبوخارين وقد منع نشر هذه الوصية أيام حكم ستالين وبعد وفاة هذا الأخير نشرت هذه الوصية في روسيا في العام 1956 وكانت قد أذيعت في الغرب بعد وفاة لينين مباشرة.



سيرونستون تشرشل

SIRWINSTON CHERCHELL

(1965 - 1874)

زعيم انكليزي

«القتال حتى النصر»

اسمه بالكامل ونستون ليونارد سبنسر تشرشل.

سياسي ورجل دولة بريطاني لمع اسمه أثناء الحرب العالمية الثانية في قيادة بلده نحو النصر، اشتهر بتدخينه للسيجار. وبخطبه الحماسية ونكاته اللاذعة.

مواليد بلانهايم، ينتمي إلى إسرة مارلبورو الإنكليزية العريقة ذات الولاء السياسي لحزب المحافظين، والده كان كاتباً مرموقاً ورجل دولة.

قبل توليه رئاسة الحكومة البريطانية تقلب في الكثير من المهام العسكرية

فمن جندي في الخدمة العسكرية بالهند وكويا والسودان (1895) إلى مراسل حربي.

عاد لبريطانيا لينتخب نائباً عن حزب المحافظين في البرلمان. انضم لاحقاً لحزب الأحرار ليعين وزيراً للتجارة 1908 ـ 1910 وقبلها عين مساعد سكرتير دولة لشؤون المستعمرات في العام 1905.

عام 1911 حصل على رتبة لورد ليعين وزيراً للداخلية ثم للبحرية، دفع ثمن فشل خطته لغزو الدردنيل (1915) فاستقال من الوزارة.

بعد عامين من استقالته أعيد مجدداً في العام 1917 ليعين وزيراً للذخائر ثم وزير المستعمرات العام 1922. استقال من حزب الأحرار ليدخل البرلمان مجدداً (1924) نائباً عن حزب المحافظين وتولي وزارة المالية لمدة خمسة أعوام.

اتسمت سياسته كوزير للمالية في خلق الكثير من الأزمات الاقتصادية مما أدى إلى تنفيذ الإضراب العام في عهده 1926.

قضى فترة الثلاثينات وهو يحذر من تعاظم القوة العسكرية الألمانية ودورها المستقبلي في إنهاء العالم الحر.

عند نشوب الحرب العالمية الثانية عين وزيراً للبحرية ومع بداية الانهزام الأوروبي أمام جحافل هتلر شكل تشرشل في 10 أيام 1940 «الوزارة التاريخية» ـ وزارة الحرب ـ وكانت مألفة حينها من: إتلي وهاليفاكس وبيغن وإيدن وبيفربروك وغيرهم من الساسة والعسكريين الإنكليز. امتاز دور تشرشل رغم التفوق الألماني العسكري الظاهر والقصف المستمر التي كانت تتعرض له لندن ومدن المملكة بالشجاعة والصمود من أقواله:

«سنقاتل على سواحلنا، سنقاتل على تلالنا، سنقاتل في مدننا وقرانا، ولن نستسلم أبداً» «لن تربح ألمانيا الحرب ما لم تخضع إنكلترا ولن تستطيع أن تخضعها» «أما أن أخرج من هنا خروج منتصر مظفر. وأما أن أخرج ورجلاي

إلى الإمام إذا حالف النصر هتلر» «إن الصمود الإنكليزي قادر على تحدي العناد النازي وينتصر عليه».

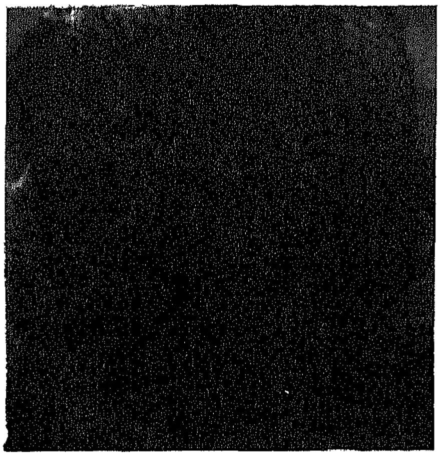
خرجت إنكلترا بقيادة ونستون تشرشل منتصرة في الحرب العالمية الثانية إذ لم تستطع القوات الألمانية النزول على أرضها بغية احتلالها وقهرها.

بعد الحرب استمر تشرشل في رئاسة الحكومة معارضاً إعطاء الاستقلال للمستعمرات البريطانية مجدداً كرهه للشيوعية حتى أنه كان يدعو أميركا دوماً إلى استمرار الحرب ضد الاتحاد السوفياتي بعد هزيمة ألمانيا 1945.

كان صهيونياً داعماً لإقامة دولة إسرائيل على حساب الحق العربي ومتحمساً لزيادة استعمار بريطانيا لبلدان أخرى.

فشل في انتخابات عام 1945 وأعيد تكليفه بتشكيل الحكومة 1951 ـ 1955. ترك الحياة السياسية والبرلمانية العام 1964.

يعتبر في نظر الكثيرين الغربيين من أعظم رجال التاريخ الحديث له عدة مؤلفات وأهمها «تاريخ الشعوب الناطقة بالإنكليزية» وهو عبارة عن 4 مجلدات ومذكراته عن الحرب العالمية الثانية 6 مجلدات.



محمد علي جناح

(1948 ـ 1876)

«مؤسس دولة باكستان»

زعيم سياسي ورجل دولة. ومؤسس دولة باكستان الإسلامية (1947) بعد انفصالها عن الهند، مواليد كراتشي، محامٍ.

تلقى علومه في بومباي وكراتشي والتحق من ثم بكلية «لنكولن آن» في إنكلترا، حيث درس الحقوق ليتخرج العام 1896.

قاد بداية حزب العصبة الإسلامية بعد تركه لحزب المؤتمر الهندي بعد أن عمل مع غاندي ونهرو للوحدة بين طوائف الهند، ركز نضالاته خلال تلك الحقبة على إعطاء دور أكبر للمسلمين في الحياة السياسية الهندية ثم صعد من مطالبه لينادي بالاستقلال التام عن الهند.

وافقت بريطانيا على تقسيم الهند وفصل باكستان عنها وذلك بناءً

للاستفتاء الشعبي الذي أقر على إنشاء دولة إسلامية مستقلة فظهرت إلى الوجود رسمياً دولة باكستان في 15 آب 1947 بعد أن انضمت إلى هذه الدولة الفتية المقاطعات الهندية ذات الأكثرية الإسلامية.

اعتبر محمد علي جناح الزعيم الأول للعصبة الإسلامية التي نادت بانفصال باكستان عن الهند وبإعلان دولة إسلامية مستقلة ولا تزال العصبة الإسلامية لغاية تاريخه أقوى مجموعة سياسية هامة داخل باكستان.

توفي محمد علي جناح 1948.



ستالين

STALINE

(1953 - 1879)

قائد روسي

«الرجل الفولاذي والديكتاتور الأحمر»

الزعيم الشيوعي البارز والديكتاتور الأحمر الذي حكم الاتحاد السوفياتي حكماً فردياً مطلقاً بعد إزاحته لكل رفاقه أما بالنفي أو بالاغتيال أو بخلع كل سلطاتهم.

اسمه الحقيقي فيساربو نوفيتش دجوغاشفيلي أما اسمه المستعار فكان جوزيف ستالين ومعناه الرجل الفولاذي. عاش حياته بسيطاً كادحاً من أسرة فقيرة إذ كان والده إسكافياً فقيراً بينما كانت والدته تعمل في منظفة للثياب. كانت أمنية والديه أن يكون كاهناً، ألحق بأحد المعاهد الدينية إلا أنه سرعان ما فصل من المعهد لأفكاره ونشاطاته وآرائه الثورية المناهضة لتعاليم الكنيسة.

مع بداية الثورة الروسية كان ستالين منفياً في سيبيرا وفترة اعتقاله التي دامت من عام 1913 وحتى قيام الثورة 1917 جعلته بعيداً عن الأعداد للثورة ولهذا فإن دورة في التمهيد لقيامها كان ثانوياً ومتواضعاً رغم أنه كان عضواً في قيادة الحزب الشيوعي البلشفي الذي قاد ثورة أكتوبر.

بعد وفاة لينين برز اسمه مع تروتسكي كأحد اثنين لخلافة لينين واستطاع بفضل مهارته السياسية من استقطاب معظم أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب الشيوعي الذي فضل ستالين المنادي بتطوير روسيا أولاً ثم تصدير الثورة للخارج بعكس تروتسكي الذي كان يعطي الأهمية الأولى لعملية تصدير الثورة للدول الرأسمالية لأن هذا التعاون والمهادنة مع النظم الرأسمالية هو خيانة وخروج على المبادىء الشيوعية. فاز ستالين بتأييد الأكثرية في المؤتمر العام للحزب الشيوعي الذي انعقد في أواخر عام 1924 وانطلق من هذا الفوز لتصفية كل خصومه السياسيين فأخرج تروتسكي من الوزراة ثم من الحزب الشيوعي ثم نفاه إلى تركيا والمكسيك حيث اغتيل هناك في العام 1940 وطرد زميليه كامينيف وزينوفياف وقاد حملة اعتقالات ومحاكمات انتهت بإعدام الآلاف من وفاقه وهناك العديد من المصادر تشير إلى أن عدد ضحايا الحقبة الستالينية وصل إلى 12 مليوناً ضحية بحجة تطهير البلاد من المعادين للثورة.

ومع بداية الحرب العالمية الثانية أضحى ستالين سيد الاتحاد السوفياتي بلا منازع ولهذا لقب بالديكتاتور الأحمر استطاع أن يقيم حلفاً عسكرياً مع هتلر واشتهر هذا الحلف بحلف هتلر ـ ستالين لكن هذا الحلف لم يدم طويلاً إذا اجتاحت الجحافل الإلمانية الحدود الروسية بنجاح ووقفت أمام ستالينغراد (في شتاء 1942) وكورسيك (صيف 1943) اللذين شاهدا أفول عصر النازية وبداية سقوطها.

عند الحرب العالمية الثانية خرجت روسيا بزعامة ستالين قوة عسكرية عظمى وعقد مع الرئيس الأميركي روزفلت ورئيس الوزراء البريطاني تشرشل مؤتمر طهران (1943) ثم مؤتمر يالطا (1945) ليعاد رسم خريطة العالم وفق مصالح هؤلاء الكبار.

امتلكت روسيا لأول مرة القنبلة الذرية في عهده فارضاً نفسه كأحد القوتين الأساسيتين في العالم كله بجانب تحويل الاتحاد السوفياتي من بلد زراعي خفيف إلى بلد صناعي كبير واعتماد التكنولوجيا الحديثة وكذلك تحقيق زيادة في الإنتاج القوي تتراوح ما بين 200 و400 بالمئة في مختلف الحقوق فضلاً عن زيادة طاقة روسيا الحربية وقدراتها الدفاعية.

أما معاداته لليهود فمردها إلى اشتراكهم في عدة مؤامرات استهدفت حياته وقيل أن عدة مؤامرات استهدفت حياته وقيل أن عدد من الأطباء اليهود كانوا قد تورطوا بها وقد تبع ذلك حملة إبادة وتطهير واسعتين للشيوعيين اليهود.

في العام 1953 توفي ستاين، وبعد ذلك بثلاثة أعوام وقف خروتشوف وأذاع تقريره الشهير الذي عرف بتقرير خروتشوف فاضحاً ـ كل ممارسات الحكم الستاليني وكرس خروتشوف عهده لمحو آثار تلك الحقبة والمبالغة في إظهار انحرافات ستالين عن الخط الشيوعي مما سبب شرخاً في الحركة الشيوعية العالمية أدت في الكثير منها إلى الانقسام والانفصال عن الحركة الأم.

يقول ميلوفان دجيلاس الذي كان بمثابة الرجل الثاني في السلطة اليوغوسلافية بعد الماريشال تيتو وخليفته عن ستالين. في إحدى مقالاته الشهيرة عام 1940:

«هل هناك سعادة أكبر وشرف أعظم من شعورك بأن أقرب رفيق وأحب صديق إليك هو ستالين؟ لقد حقق ستالين ملحمة الحرية والإخوة بين الشعوب.. إنه رجل الدولة الوحيدة الذي يهتم بمشاكل غيره قبل مشاكله. إنه مثالي: يعلم كل شيء ويرى كل شيء. وكل ما هو إنساني قريب إلى قلبه، عزيز عليه». بعد هذا التمجيد المفرط بستالين يعود دجيلاس وبعد أربع سنوات ليعبر عن شكوكه ومرارته من ستالين ليقول:

«كان يعلم أنه كان واحداً من أقسى الحكام وأشدهم استبداداً في تاريخ البشرية، على أن ذلك لم يقلقه قط، وذلك لاقتناعه بأنه ينفذ حكم التاريخ. ولم يكن يزعج ضميره شيء رغم أن الملايين قد أهلكت باسمه وبالأوامر التي

أصدرها. ورغم أنه أعدم الألوف من معاونيه بتهمة الخيانة. وما كان ذنبهم إلا عدم ثقتهم بأنه كان يقود الشعب إلى السعادة والحرية والمساواة لقد كان صراعه نحو السلطة طويلاً، غير أنه انتصر في النهاية. والانتصار هو المقياس الوحيد للحق. إذاً ما هو الضمير؟ هل هو موجود؟ لم يكن للضمير مكان في فلسفته، فكيف في أعماله؟



كمال مصطفى أتاتورك

MUSTAFA KAMAL ATATÜRK

(1938 - 1880)

قائد تركي

«الغازي، أب الأتراك»

مواليد سالونيك 1880، جنرال ورجل دولة وباني تركيا الحديثة انتخب كأول رئيس لجمهورية تركيا الجديدة العام 1927 وبقي في منصبه هذا حتى وفاته عام 1938.

شارك كقائد عسكري في معظم المعارك التي خاضتها السلطنة العثمانية ضد الإيطاليين في تربيوليتان 1911 - 1912 وضد اليونانيين من عام 1921 - 1922 وبرز اسمه كقائد عسكري ومن ثم كزعيم جماهيري خلال خوضه لكل هذه المعارك.

خرجت تركيا من الحرب العالمية الأولى منهزمة وهذا ما أدى إلى تقاسم

أرضها من قبل الحلفاء بموجب شروط معاهدة سيفر وموافقة السلطة العثمانية على بنودها لحال الضعف والانهزام التي وصلت إليه.

لقد أقرت معاهدة سيفر (العاشر من آب سنة 1920) الاحتلال الشرعي للدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى.

فمع بداية العام 1919 غزت آسيا الصغرى بعض الجيوش الحليفة رغم استسلام تركيا وإعلان وقف القتال. فتم احتلال العاصمة حينئذ إسطنبول.

وغزت قوة يونانية أزمير والمقاطعات المحيطة بها واحتلتها ونزل الإيطاليون في أضاليا جنوب الأناضول ودخل الفرنسيون كيليكيا وأعلن الأرمن استقلالهم بمساعدة الحلفاء.

وأمام هذا الواقع الانهزامي للسلطة العثمانية لم يبق لحكومة السلطة سوى الإقرار بالهزيمة واحتلال أراضيها وتم ذلك بموجب موافقتها على معاهدة سيفر وملحقاتها.

تركت معاملة الحلفاء لتركيا وسلخ أجزاء من أرضها وواقع الاحتلال على بلدهم شعوراً شعبياً عارماً بالاستنكار والشجب مع تصاعد الدعوات للثأر وتحرير البلاد.

فإذا كان الأتراك قد تنازلوا عن السيطرة على الأراضي العربية وانسحبوا منها بفعل هزيمتهم في الحرب وثورة شريف حسين وإعلان استقلال فلسطين والأردن وسوريا عن السلطنة العثمانية فإنهم شعروا بالعار والخزي لاحتلال أرضهم من قبل قوات الحلفاء.

تزعم دعوة الاستقلال والحرية المفتش العسكري العام في منطقة الأناضول مصطفى كمال الذي استطاع من خلال دعوته لدحر الغزاة ورفض بنود معاهدة سيفر إلى التفاف قطاعات كبيرة من الجيش والشعب حوله، وبدأ من العام 1919 تم إنشاء حركة مناهضة للسلطنة ولتخاذلها أمام سيطرة القوات الأجنبية على أرضها ولقيادة معركة الاستقلال الوطني.

في 23 تموز 1920 شكل مصطفى كمال مجلساً وطنياً وحكومة ثورية في أنقرة واعتبرت حكومة السلطان عبد المجيد الثاني في إسطنبول حكومة غير شرعية. وخلال عامين من تشكيل هذا المجلس والحكومة أحرز مصطفى كمال انتصارات عسكرية وسياسية باهرة فدحر اليونانيين وأخرجهم من أزمير وقضى على جمهورية أرمينيا وحمل الفرنسيين على الانسحاب من كيليكيا والإيطاليين من أضاليا.

أقر الحلفاء بعد دحر قواتهم من تركيا بالاستعداد للتفاوض مع حكومة تركيا الجديدة من أجل تعديل شروط معاهدة سيفر المذلة للأتراك. وفي الرابع والعشرين من تموز 1923 وقعت المعاهدة الجديدة بين تركيا والحلفاء في مدينة لوزان السويسرية.

خلت معاهدة لوزان من ذكر التعويضات والعقوبات ومسولية تركيا عن نشوب الحرب (كما وردت في معاهدة سيفر سابقاً).

وأهم ما تضمنته هذه المعاهدة الجديدة:

أولاً: تنازل تركيا عن جميع الأراضي العربية التي كانت تحكمها.

ثانياً: حياد المضائق وحرية الملاحة لكل الدول.

ثالثاً: الاعتراف بسيادة ووحدة تركيا على جميع أجزائها.

رابعاً: إعادة تراقيا الشرقية لتركيا وتبادل السكان بين أتراك اليونان واليونانيين الذين هم في تركيا.

خامساً: إلغاء الامتيازات الأجنبية التي كانت تتمتع فيها الدول الأجنبية في الإمبراطورية العثمانية.

ويعود الفضل في إقرار هذه المعاهدة والإقرار بعودة المناطق المحتلة إلى السيادة التركية ورفض الهزيمة والاستسلام لمطامح دول الحلفاء المنتصرة في الحرب العالمية الأولى إلى قيادة مصطفى كمال الذي استطاع خلال هذه الحقبة القصيرة من أن يكون زعيم الشعب التركي وقائد وباني تركيا الحديثة.

أدار مصطفى كمال ترتيب الوضع الداخلي لما بعد إزالة أثار الاحتلالات بكل جدارة وكفاءة فعمل على تأسيس حزب الشعب بعد التصويت على الدستور الجديد (نيسان 1921) الذي أحرز بانتخابات الجمعية الوطنية الكبرى (حزيران 1923) انتصاراً باهراً.

في العام 1922 قام بعزل السلطان عبد المجيد الثاني وفي 29 تشرين الأول 1923 أعلن الجمهورية التركية الحديثة واستيلائه على الحكم، وفي آذار 1924 تم الاقتراع الشعبي على إلغاء الخلافة عين مساعدة عصمت أينونو رئيساً للوزراء وتمت تسمية أنقرة عاصمة للدولة الجديدة.

قاد مصطفى كمال ثورة حقيقية في المجتمع التركي إذ قطع كل علاقات تركيا بالماضي فعمل على بناء تركيا العلمانية المنفتحة والملتصقة بالحضارة الأوروبية فأبدل الكثير من القوانين والتقاليد والعادات فأدخل القوانين العلمانية لتحل مكان الشرع الإسلامي فاستبدل القبعة بالطربوش والحرف العربي باللاتيني ومنح المرأة حق التصويت وحوّل يوم العطلة الأسبوعية من الجمعة إلى يوم الأحد وعمم الملابس الغربية بدل الملابس الشرقية.

واتخذ الكثير من القرارات والتي هدفت بالنهاية إلى عصرنة الدولة والمتجمع التركي والتقرب من الغرب بعاداته وتقاليده. أما سياسته الخارجية فارتكزت على إقامة علاقات حسن الجوار مع اليونان وبلغاريا وروسيا وإيران وهم الدول المحيطة بتركيا وكذلك على السعي لإقامة حلف البلقان (1934) ويضم بجانب تركيا اليونان ورومانيا ويوغوسلافيا. وكذلك على إقامة حلف إسلامي يضم بجانب تركيا إيران والعراق وأفغانستان.

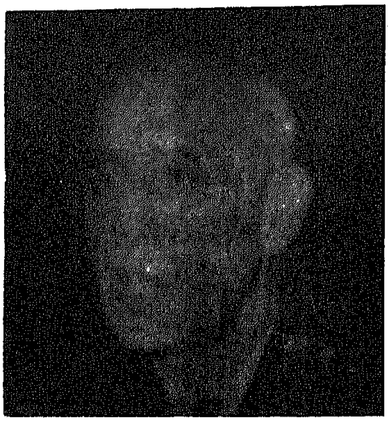
في عهده تم اغتصاب لواء الإسكندرون وإلحاق هذا اللواء العربي بتركيا وذلك بالتواطؤ مع فرنسا.

في العام 1932 انتسبت تركيا إلى عصبة الأمم وفي العام 1934 إلى الأمم المتحدة وأصبحت على قدم المساواة مع الدول الأخرى.

في العام 1936 أقر الإشراف التركي الكامل على المضائق بموجب اتفاقية مونترو.

سمي مصطفى كمال بالغازي لانتصاراته المتكررة على اليونانيين وكذلك دُعي بأتاتورك والتي تعني أب الأتراك.

في 2/ 9/ 37 ألقى الرئيس أتاتورك في الملجس الوطني الكبير خطاباً جاء فيه: «إن الجرح الذي أوجدته إنكلترا في قلب البلاد العربية بسبب تقسيم فلسطين شعرنا به نحن الأتراك قبل أن يشعر به العربي في الإسكندرونة. ونحن الأتراك نعلن للعالم كله أننا نرفض أن تجعل قبلة الإسلام الأولى مسرحاً للمطامع الأوروبية وعلى المسلمين جميعاً أن يقفوا كتلة واحدة أمام أي مطمع ضدهم».



محمد مصدق

MOUHAMED MOUSADAQUE

(1867 - 1881)

قائد ايراني

«بطل التاميم ورمز اعتزاز الأمة»

رجل دولة إيراني من الطراز الأول، بطل عمليات التأميم للبترول الإيراني رغم معارضة الشاه والشركات الغربية.

ينتمي لأسرة عريقة تنتمي إلى إحدى السلالات التي حكمت إيران في القرن الماضي. والدته الأميرة نجم سلطانه من سلالة قاجار التي حكمت إيران لغاية العام 1925. أما والده ميرزا هدايت فقد كان وزيراً للمالية. تزوج محمد مصدق من ابنة ناصر الدين الشاه الذي حكم إيران من 1848 لغاية 1896.

شغل مناصب سياسية مهمة حتى عام 1920، عضو في البرلمان الإيراني من عام 1923 لغاية 1928. نفي عام 1928 من قبل الشاه رضا بهلوي نتيجة

لمواقفه السياسية والاقتصادية التحررية في آذار 1939 عاد لطهران كنائب وقائد للجبهة الوطنية الإيرانية.

عام 1949 أصبح رئيساً للجنة البترولية البرلمانية حيث قاد الحرب ضد الاستثمارات والامتيازات النفطية الأجنبية رافعاً شعار تحرير البترول الإيراني من التبعية للغرب.

أضحى بمعاركه هذه بطل الساعة والتأميم ورمز اعتزازه الأمة بنفسها فرغم أنه قد جاوز السبعين، إلا أنه كان خطيباً مفوهاً بجيد تحريك العواطف ومثقلاً بكل أحزان وآلام الشعب الإيراني الذي أكتوى من الهيمنة والتبعية للغرب ولشركاته البترولية. 19 نيسان 1951 قادته الجماهير الشعبية المؤيدة لسياسته التحررية بالضغط على الشاه لمنصب رئيس الوزراء.

30 نيسان 1951 أقر مجلس الوزراء برئاسة مصدق مشروع رفض الامتيازات النفطية الأجنبية وتأميم البترول الإيراني وقد وقع الشاه على هذا الإقرار مكرهاً في أول مايو 1951 وقد جوبهت سياسته التحررية هذه بعداء كل الشركات النفطية الأجنبية السبع التي كانت تسيطر على مجمل تجارة النفط في العالم.

قادت المخابرات المركزية الأميركية وحسب اعتراف كيرمت روزفلت نفسه في كتابه الانقلاب المضاد على مصدق وحكومته ونجحت في هذا الانقلاب يوم 19 آب 1953.

اعتقل مصدق وحكم عليه بالسجن لثلاثة سنوات ثم بالإقامة الجبرية مدى الحياة.

بعد نجاح الانقلاب المضاد على محمد مصدق وحكومته وقف شاه إيران العائد إلى عرشه بعد الهرب إلى روما أمام كيرمت روزفلت مسؤول وكالة المخابرات المركزية الأميركية وقتها عن الشرق الأوسط ليقول له: «إنني مدين بعرشي لله ولشعبي ولك».

وكان الشكر لله وللشعب صادراً عن اللسان وأما الشكر لـ «روزفلت» فقد كان صادراً من القلب(*). توفي محمد مصدق في داره في أحمد آباد يوم 5 آذار 1967 أثر مرض عضال.



الأمير عبد الكريم الخطابي

Abd Al Karim Al Khatabi

(1962 - 1882)

قائد مغربي

«قائد ثورة الريف المغربي»

بطل ثورة الريف المغربي ضد الاستعمار الإسباني ثم الفرنسي للمغرب العربي، ينتمي لأَسرة متدينة، والده عبد الكريم درس في فاس وتخرج كأحد علمائها البارزين وتقلد منصب القضاء في المغرب. سجن الأب في أحد السجون الإسبانية لمناهضته الاستعمار وتحريضه على الاستقلال عن إسبانيا.

درس الأمير محمد عبد الكريم الخطابي والذي عرف لاحقاً بحزف الاسم الأول له، درس العلوم واللغة العربية والعلوم الشرعية كوالده في جامعة القرويين في مدينة فاس واشتغل كوالده في القضاء الشرعي في منطقة الريف بجانب عمله كصحافي في التحرير في جريدة «تلغراف الريف».

تابع عبد الكريم الخطابي ثورة أبيه ضد الهيمنة الاستعمارية الأوروبية للمغرب العربي.

بموجب الاتفاق الفرنسي ـ الإسباني تمت إباحة المغرب للإسبانيين ضمن سياسة اقتسام مناطق شمال إفريقيا فاحتلت فرنسا تونس والجزائر وأطلقت يد إيطاليا بليبيا وبريطانيا في مصر.

مع بداية عام 1911 كان حادث مقتل ستة عمال إسبان على أيدي أهل الريف المغربي المبرر للتوغل الإسباني داخل الريف.

اعتقل الخطابي لتحريضه أهل الريف على الثورة ضد الاستعمار الإسباني مع نهاية الحرب العالمية الأولى أعلن الأمير الخطابي الجهاد بعد أن أصاب المرض والده وأقعده.

التفت القبائل حول الأمير الخطابي وخاضت مع القوات الإسبانية معارك شرسة لتحرير مناطق الريف.

استطاعت قوات المجاهدين استعادت كل المناطق التي احتلها الاستعمار الإسباني وبقيت في أيدي الإسبان المنطقتين الساحلتين مليلة وسبتة نظراً لتحصينهما القوي.

فشلت كل المفاوضات بين الجانبين لتمسك الخطابي بالانسحاب الكامل للإسبان من تراب المغرب ورفض الإسبان له.

أمام الانهيار العسكري الإسباني وخشية امتداد الثورة المغربية لكل المغرب العربي وشمال إفريقيا.

اتفقت الدول الاستعمارية الثلاث إسبانيا وبريطانيا وفرنسا على توحد جهودهم العسكرية لدحر ثورة الريف فبدأت هذه الجهود تصب بداية على محاولة تمزيق الثورة من الداخل، فحاولت التفرقة بين البربر والعرب وإعطاء البربر كيان مستقل وشرعت عدة قوانين لشرزمة الصف الوطني الواحد. لكن كل هذه المحاولات لم تنجح مما اضطر هذه القوى مجتمعة في 1926 إلى حشد

قوات ضخمة قدرت بأكثر من ماية ألف جندي مدعومة بأعتدة وأسلحة حديثة وعدة أسراب من الطائرات إلى شن عدة هجمات كاسحة ضد قوات الثوار والتي لم يتجاوز عددهم الخمسة آلاف مقاتل مفتقرين للأسلحة والعتاد الحديث.

استطاع الثوار الاستبسال بالدفاع عن مواقعهم والتي كانت تسقط الواحد تلو الآخر لعدم التكافؤ بين القوتين.

في شهر أيام 1926 وضع عبد الكريم الخطابي نفسه تحت تصرف فرنسا والتي نفته بدورها إلى جزيرة لاريفيون في المحيط الهندي ثم إلى جزيرة لارينيون ثم أخيراً قررت السلطات الفرنسية نقله إلى باريس. هرب الأمير الخطابي أثناء مرور باخرته في قناة السويس واستقر في القاهرة وذلك في 29 أيار 1947. كلف الانتصار على المحارب الريفي عمل ثلاثة مارشالات وأربعين جنرالاً ونصف مليون جندي. بقي في القاهرة حتى وفاته عام 1962.



بينتيو موسوليني

BINOTO MOSOLINI

(1945 - 1883)

زعيم ايطالي

«الزعيم مصيب دائماً»

مواليد إيطاليا عمل والده في الحدادة وكانت والدته معلمة مدرسة للأطفال.

تأثر بأفكار والده السياسية الاشتراكية، برز كأحد أهم زعماء الحركة اليسارية وامتاز بنبرته الخطابية الحادة وبخطبه النارية، انتقل إلى سويسرا ليتعلم هناك وأسس مع مجموعة من الطلبة العديد من الجمعيات والحركات السياسية اليسارية، طرد في العام 1904 من سويسرا بسبب نشاطه السياسي وتفرغ للعمل السياسي داخل إيطاليا حيث اعتقل وطرد من وظيفته كمدرس عدة مرات، عمل ضمن الحزب الاشتراكي الإيطالي وكان أحد زعمائه. وكذلك تولى رئاسة جريدة الحزب.

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى عارض دخول بلاده الحرب وصفها بأنها «حرب البرجوازية» وفي العام 1914 حصل الانقلاب في أفكار ومبادىء موسوليني فانحاز لليمين داعياً ومحمساً دخول بلاده الحرب مع الحلفاء، طرد على أثر ذلك من الحزب الاشتراكي، انخرط ضمن الجيش الإيطالي وذهب للجبهة حيث جرح في سنة 1917.

بعد انتهاء الحرب وإزاء تعاظم دور الاشتراكيين والشيوعيين بعد فوزهم فانتخابات 1919 بعدد كبير من المقاعد النيابية شكل موسوليني مع مجموعة من أتباعه «عصبة المقاتلين أو عصبة الفاشي» ومنها اشتقت كلمة «الفاشيست» ليواجهوا التصاعد الديمقراطي لليسار وللشيوعيين. هاجمت عصبة المقاتلين الذين تميزوا بلباس القمصان السود كل مقرات وصحف ونقابات الشيوعيين والاشتراكيين واشتبكوا معهم في الكثير من المدن والقرى الإيطالية مع دعم واضح وصريح من الحكومة والرأسمالية ورجال الدين لهم.

مع تصاعد الدور التخريبي لهذه العصبة أسس موسوليني الحزب الفاشيستي الإيطالي واستطاع الفوز بالعديد من المقاعد النيابية وفرض نفسه على الحياة السياسية الإيطالية.

أمام تراجع الاشتراكية والشيوعية وتخبط البلاد في الفوضى والارتباك طلب الحزب الفاشستي من الملك فكتور عمانوئيل الثالث حل الحكومة وتشكيل حكومة جديدة يكون له فيها ستة مقاعد وزارية، رفض الملك ورئيس حكومته بداية هذا الطلب وهذا ما أدى إلى زحف الحزب الفاشيستي إلى روما مسلحين بالبنادق والمسدسات والحناجر لفرض هذه الاستقالة بالقوة. أذعن الملك لمطالب الحزب وتم استدعاء موسوليني لتشكيل الحكومة الجديدة وهذه كانت بداية وصول الفاشستيون إلى تسلم مقاليد الحكم في إيطاليا.

تركزت فلسفة موسوليني في الحكم على العداء المطلق للاشتراكيين والشيوعيين واعتناق مبدأ القومية المتطرفة والمتعصبة واعتبار الزعيم مصيب دائماً وفي سبيله يضحى بالحريات الفردية والعامة، وإذا كانت الشيوعية دكتاتورية

البروليتاريا فالفاشية دكتاتورية الطبقة البرجوازية ولأجل إعادة أمجاد الإمبراطورية الرومانية تم تمجيد القوة العسكرية وتعزيز دورها لإعادة دورها الماضي في شن الحروب والفتوحات.

كان الحزب الفاشي بزعامة الدوتشي (أي الزعيم) موسوليني مسيطراً بشكل كامل على أجهزة الحكم فمن «المجلس الفاشيستي الكبير» - القيادة لهذا الحزب تقترح القوانين ويعين كبار الموظفين وتجري المناقلات العسكرية وهذا ما مكن الفاشيون من السيطرة على كل مرافق ومؤسسات الدولة بالكامل. ومع انفراده بالحكم هذا على أثر فوزه في انتخابات 1922 شكل موسوليني وزارة جديدة طهر كل أجهزة الدولة من المشكوك بولائهم له وتعيين فاشيين مكانهم.

اعتمد موسوليني في حكمه على تدخل حزبه في تزوير الانتخابات وقمع الحريات وسن الكثير من القوانين التي تجيز له ولحكومته فرض الديكتاتورية الفاشستية واغتيال كل المعارضين لسياسته، ومع إنشاء جهاز خاص للبوليس السري (OVRA) تم قمع كل المعارضين وإحالتهم إلى محاكم عسكرية وإنزال أقصى العقاب بهم.

في العام 1925 عدل موسوليني الدستور الإيطالي لمصلحته وأصبح لقبه رئيس الدولة بدل رئيس الوزراء مسؤولاً فقط أمام الملك الذي أصبح كالدمية في يد موسوليني بدل مسؤوليته أمام البرلمان مع إعطاء صلاحيات دستورية واسعة له.

في العام 1926 حل جميع الأحزاب ما عدا الحزب الفاشستي الذي أصبح الحزب الشرعي الوحيد في البلاد. وفي العام 1928 حصر حق الاقتراع الانتخابي بفئة الملاكين وأصحاب الدخل وأعضاء النقابات وكانت القوات المسلحة الإيطالية تتألف من الجيش النظامي ومن أفراد الميليشيا الحزبية لحزبه.

مد موسوليني سيطرته إلى خارج إيطاليا فاستولى على مجموعة جزر الدوديكانيز عام 1923 وضم مدينة فيومي في العام 1924 وهاجم الحبشة واستولى عليها في العام 1935 ودعم نظام حكم الجنرال فرانكو الإسباني

الفاشستي واحتل إلبانيا في الـ 1939 وكان يطالب الفرنسيين بتسليمه تونس بعد أن كانت ليبيا مستعمرة لإيطاليا منذ العام 1918.

شكلت إيطاليا مع ألمانيا واليابان محوراً مواجهاً للحلف الأميركي الإنكليزي الفرنسي الذي انتصر في الحرب العالمية الثانية في عام 1939 وأدى هذا الانتصار للحلف الأطلسي إلى انتصار ونهاية النظام الفاشستي الإيطالي الذي دام لأكثر من عشرين سنة.

في 8 نيسان 1945 ألقي القبض على موسوليني مع عشيقته ومجموعة من أنصاره الفاشستيين في بلدة «دنجو». أجريت له محاكمة صورية وحكم عليه وعلى عشيقته وأنصاره بالإعدام. علقت جثثهم في أحد ميادين مدينة ميلانو التي شهدت بزوغ فجره.



فرنكلين روزفلت

(1888 ـ 1945)

«أول رئيس أميركي لأربع دورات متتالية»

رجل دولة، والرئيس الثلاثون للولايات المتحدة الأميركية (1933 ـ 1945) انتمى للحزب الديمقراطي، استلم الحكم عندما كان العالم الرأسمالي يمر بأعنف وأخطر أزمة اقتصادية في تاريخه استطاع خلال فترة حكمه أن يحد من أخطار هذه الأزمة وأن تشهد أميركا والعالم الرأسمالي في عهده إصلاحات وتغييرات اقتصادية مهمة. كانت للمشاركة الأميركية في الحرب العالمية الثانية وفي عهده الدور الحاسم في إنهاء هذه الحرب لمصلحة قوات الحلفاء.

مواليد نيويورك ينتمي لعائلة روزفلت المشهورة بعالم المال والاقتصاد والسياسة تريب ليتودور روزفلت الرئيس الـ 25 للولايات المتحدة الأميركية (1901 ـ 1906) برز بالحياة السياسية كسيناتور عن ولاية نيويورك (1910) اختاره

الرئيس ولسون الديمقراطي كمسؤول عن البحرية وبقي في منصبه حتى العام 1920.

شارك في الحرب العالمية الأولى (1914 ـ 1918)، في العام 1921 كان عاماً قاسياً على روزفلت إذ أصيب بشلل في قدمه أقعده عن المشي مما جعله يبتعد عن السياسة سبعة سنوات عاد بعد هذا النفي الطوعي للمشاركة في النشاطات السياسية فاختير كحاكم لولاية نيويورك.

في ت[2] 1932 انتخب رئيساً للجمهورية بـ22 مليون صوت مقابل 15 مليون صوت لمنافسة الجمهوري وأعيد انتخابه مجدداً للأعوام التالية 1936 و1940 و1944 وكان بذلك أول رئيس للولايات المتحدة الأميركية ينتخب لأربع دورات متتالية.

ما كادت دول أوروبا الغربية تسقط تحت هجمات اولمان، وتنفرد بريطانيا بمواجهة قصف الغارات الجوية، حتى بدأ الرأي العام الأميركي يتحول من حالة الحياد في الحرب إلى التعاطف مع بريطانيا والدول المنهزمة أمام هتلر. وفي أيلول 1940 بدأت المساعدات العسكرية الأميركية ترسل لبريطانيا ودول الحلفاء. ومع تجديد انتخاب روزفلت رئيساً للمرة الثالثة في تشرين الثاني 1940 بدأت الولايات المتحدة تخطو باتجاه دخول الحرب إلى جانب بريطانيا عن طريق إقرار الكونغرس الأميركي قانون الإعارة والتأجير وقدرت المساعدات الأميركية للدول المتضررة من الاجتياح النازي بموجب تطبيق هذا القانون بأكثر من خمسين مليار دولار تنازلت الولايات المتحدة عن جميع هذه المبالغ لحلفائها بعد انتهاء الحرب.

على أثر الهجوم الياباني الصاعق على بيرل هاربور في 7 كانون الأول 1941 أعلنت الولايات المتحدة رسمياً الحرب على اليابان ودول المحور في 11 كانون الأول، وبذلك تكون الولايات المتحدة قد دخلت عملياً في حلبة الصراع العسكري.

كان الدخول الأميركي العسكري الأثر الحاسم في انتصار دول الحلفاء وهزيمة دول المحور.

عمد روزفلت طوال سنين الحرب إلى إجراء لقاءات ومؤتمرات مع حلفائه ساعدت كثيراً على تدعيم الجبهة المعادية لدول المحور وزيادة فاعليتها العسكرية وأهم تلك اللقاءات كان اجتماعه مع ترشل في خليج أرحنتيا في جزيرة نيوفوندلند (1941) في الأطلسي وانبثق عن هذا اللقاء «ميثاق الأطلسي» واجتماعه به مجدداً في الدار البيضاء (1943) ومع ستالين وتشرشل في طهران (1943) وفي يالطا (1945).

وقبل نهاية الحرب ساهم في إنشاء منظمة الأمم المتحدة التي عقدت دورتها الأولى في سان فرنسيسكو سنة 1945. كانت سياسته الخارجية ودية ومتعاونة مع جيرانه بالقارة الأميركية بعكس أسلافه، كان من دعاة السلام والاستقرار والديمقراطية في العالم. توفي روزفلت قبل أن يكمل ولايته الرابعة في 12 نيسان 1945.



أدولف هتلر

Adolf Hitler

(1945 - 1889)

قائد ألماني

«ألمانيا فوق الجميع»

مواليد النمسا، من أسرة فقيرة أجبرته ظورفها المالية على ترك المدرسة باكراً، قام بعد تركه لمدرسته بأعمال مهنية مختلفة، حاول أن يحترف الرسم لكنه فشل ـ هاجر إلى ألمانيا بحثاً عن عمل مناسب له حيث استقر في ميونيخ وهناك عمل دهاناً، شارك بالحرب العالمية الأولى حيث جرح مرتين وقلد وسام صليب الحرب لشجاعته.

بعد انتهاء الحرب بهزيمة ألمانيا، عمل على استنهاض الشعور القومي التعصبي عبر الدعوة مع بعض أصدقائه إلى الثأر ورفع عار الهزيمة. وبفضل مواهبه الخطابية الحماسية استطاع أن يؤثر في الجماهير المهزومة ويؤسس مع بعضهم في

صيف 1919 حزب العمال الألماني ليغير اسمه بعد عام إلى حزب العمال الوطني الاشتراكي الألماني» الذي اشتهر فيما بعد اختصاراً بالحزب النازي.

في العام 1923 وضع هتلر كتابه الشهير «كفاحي Mein Kampf» وبالعودة إلى نصوص هذا الكتاب يمكن استخلاص مبادىء الحزب النازي وأهمها:

1 ـ التعصب للقومية الألمانية واعتبار ألمانيا فوق الجميع.

2 ـ الدعوة إلى إصلاحات واسعة في الحقلين الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

4 ـ إقامة حكم وطني قوي يحل محل الحكم الديمقراطي الضعيف المتمثل في جمهورية ويمار.

5 ـ تخليص ألمانيا من العناصر الفاسدة والخطرة على أمنها وسيادتها وكان المقصود هنا اليهود والشيوعيين.

تأثر هتلر ورفاقه بالتنظيم الحزبي الفاشستي الإيطالي وبموسوليني، من هناك أتت هيكلية الحزب النازي صورة طبق الأصل عن التنظيم الإيطالي الفاشستي.

استأثر هتلر بزعامة الحزب واتخذ لنفسه لقب «الزعيم» فكانت طاعته ملزمة لكل نازي.

كانت قيادة الحزب النازي مؤلفة من رودولف هس وهيرمان غورنغ وجوزف غوبلز وألفرد روزنبرغ وهيزيش هملر وأرنست روهم وجميعهم كان لهم أدواراً مهمة في قيادة ألمانيا بعد ذلك.

استطاع هتلر فرض وجوده الحزبي على كل الأراضي الألمانية، وتم إنشاء جنود الصاعقة من ميليشيا الحزب ومهمتها انحصرت في حماية قيادة الحزب وملاحقة ومقاومة القوى الحزبية المناوئة للنازية وكانت هذه الميليشيا تضع شارة الصليب المعقوف كشعاراً لها على قمصانها البنية اللون.

يمكن تقسيم تاريخ الحزب النازي وصعوده إلى أربعة أدوار.

دور التأسيس من عام 1919 ـ 1923. ودور التنظيم من 1923 ـ 1929 ودور النمو السريع من 1930 ـ 1932 ودور الحكم المباشر من 1933 ـ 1945.

في ظل أجواء هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى واحتلال الفرنسيين والبلجيك لمنطقة الرور الألمانية الصناعية المهمة وأمام تخاذل رئيس الحكومة الألمانية ويمار عن المجابهة والإقرار باتفاقية ڤرساي المذلة لألمانيا نشط النازيون في إثارة الحماس في صفوف الشباب حتى باتوا يشكلون قوة مؤثرة في الشارع الألماني وقد ارتكز النشاط النازي في إلهاب الشعور القومي على:

1 ـ دعوة الشعب الألماني للانتقام لشرفه وكرامته.

2 ـ بناء ألمانيا القوية العظيمة.

3 ـ رفض معاهدة ڤرساي المذلة (دفع تعويضات الدول المنتصرة، احتلال الرور، إدانة ألمانيا في التسبب بالحرب).

اتفق هتلر مع الجنرال أريك لودندورف أحد كبار القادة الألمان على القيام بانقلاب للإطاحة بجمهورية ويمار لكن كشف المحاولة قبل وقوعها أدى إلى سجن هتلر لخمسة سنوات قضى فيها سنة واحدة وضع خلالها كتاب كفاحي الذي نشر عام 195.

أثر انكشاف مؤامرة الانقلاب ركز الحزب النازي نشاطه للوصول للحكم عبر الطرق الدستورية الشرعية.

مع بداية الأزمة الاقتصادية العالمية عام 1929 استفاد النازيون من سوء الحالة الاقتصادية العالمية واستغلوها لصالح تنفيذ برنامجهم السياسي وراحوا يلقون تبعة الأزمة على الحلفاء ومعاهدة ڤرساي، وأن النهوض الاقتصادي الألماني مرهون بنقض هذه المعاهدة المذلة وانتهاج سياسة قومية مستقلة تعيد الاعتبار لألمانيا العظيمة. أثرت هذه الحملة على الناخبين الألمان فقفزت مقاعد الحزب البرلمانية من اثني عشر مقعداً إلى مئة وسبعة واضحوا بذلك القوة

البرلمانيا الثانية بعد الاشتراكيين الديمقراطيين مما جعلت هتلر يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية لكنه لم يفز بها.

وفي دورة الانتخابات النيابية التالية لها فاز الحزب النازي بـ 230 مقعداً وهو أكبر عدد من المقاعد يناله حزب واحد منذ تأسيس الجمهورية الألمانية. وجد رئيس الجمهورية المارشال هندنبرغ نفسه مجبراً على دعوة أدولف هتلر لتشكيل الوزارة واستلام الحكم وكان ذلك في 30 كانون الثاني عام 1933.

مع بداية الأمبراطورية الألمانية الثالثة بوصول هتلر للحكم تحقق لألمانيا في عهده الكرامة ومكانة دولية مرموقة وتحولت ألمانيا خلال فترة عهده من 1933 ـ 1939 إلى دولة مستقلة موحدة قوية التسلح تهاب منها أمم العالم أجمع وبذلك تم تحرير صناعة الأسلحة الألمانية المحرمة بموجب اتفاقية ڤرساي وثم استرداد منطقة الراين المحتلة من قبل فرنسا وبلجيكا وإجبار جميع الدول على معاملة ألمانيا بشكل محترم ونقض اتفاقية ڤرساي بكاملها.

عمل هتلر خلال فترة حكمه على تجميع كل السلطات المطلقة وجيرها بالتالي لقمع خصومه ومعارضيه أما بالاعتقال أوبالاغتيال أوبالنفي وقد تسبب جهاز الغستابو في قتل مئات الألوف من المعارضين والمشتبه بمعارضتهم للحكم النازي وكذلك امتاز حكم هتلر بالعداء الشديد لليهود وللشيوعيين وبالتعصب الأعمى للجنس الآري ضد الجنس السامي.

كان هتلر على إلمام بالنواحي العسكرية، وكان مطلعاً على المفهوم الحديث عن حرب المدرعات وفن المناورة؛ فقد موَّل بناء سلاح المدرعات ووفر الأسلحة الأخرى ليحول فكرة الحرب الخاطفة إلى واقع فعلي، كما أمر بتشكيل سلاح طيران وأسطول غواصات. وعلى الرغم من تبني هتلر للتقنيات العسكرية الحديثة بمجرد ظهورها، وتفهمه لأهمية عاملي المفاجأة والهجوم المكثف في الحرب الحديثة، فقد كان قائداً عسكرياً فاشلاً من حيث التقويم الكلي؛ فقد تجاهل نصائح مرؤوسيه المتمرسين وضحى بجنوده في بعض الأحيان وعرض السكان المدنيين للخطر دون سبب وجيه.

مع بداية الحرب العالمية الثانية استطاعت القوات الألمانية أن تحرز انتصارات ضخمة على مختلف الجبهات العسكرية، وأضحى شبح هتلر يهدد العالم أجمع، لكن أمام هجوم الحلفاء على ألمانيا في العام 1945 سقطت برلين.

في الساعة 15,30 من يوم 30 نيسان 1945 دخل أدولف هتلر وزوجته أيفا براون إلى مقصورتهما والقوات الروسية الغازية لا تبعد إلاماية متر من مخبأهما. أطلق رصاصة الانتحار في فمه فيما تناولت زوجته السم، وبناءً لوصيته أحرق جنودهِ جثتيهما لتطوي صفحة مثية من صفحات التاريخ العالمي.

في وصيته الخاصة أوصى بممتلكاته الشخصية كلها للحزب وللدولة «ما إذا لم يبق للحزب وجود ودمرت الدولة فلا فائدة من أن أضيف نصاً آخر».

حتى في الوقت الذي تداعى فيه جيش هتلر، توعد أعداءه بإخراج «أسلحة متفوقة»، وتباهى بأن ألمانيا على استعداد لمواصلة القتال حتى «الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق بعد منتصف الليل»، وهو ما فعله الألمان تقريباً. ولكن في نهاية الأمر، وبعد أن أطبقت القوات الروسية على تحصينات مركز القيادة في برلين، انتحر هتلر الذي كان قد بلغ السادسة والخمسين من العمرفي 30 نيسان/ إبريل 1945. وبعد سبعة أيام من انتحاره، انتهت الحرب العالمية الثانية، مخلفة أكثر من 35 مليون قتيل وعدداً لا يحصى من الجرحى والمشوهين واليتامى والأرامل والمشردين.

برز هتلر كأقوى شخصية عسكرية على مستوى العالم طيلة عقد بأكمله تقريباً. ويحتل هتلر هذه المرتبة العالية في قائمة القادة العسكريين المؤثرين، ليس بفضل أي إنجاز شخصي خالد ولكن لأنه قد شكل قوة دافعة لتغيير العالم. فقد أشعلت أعماله العدائية الحرب العالمية الثانية، التي أزهقت أرواح الملايين وأعادت تشكيل خارطة أوروبا. وفي أعقاب تلك الحرب انهارت قوى عالمية سابقة لتحل محلها قوى جديدة، أما ألمانيا نفسها، فقد تحملت عبء نصف قرن من التجزئة قبل أن تتوحد من جديد. ولم تتمكن الإمبراطوريتان

البريطانية والفرنسية من استعادة قوتيهما حتى الآن، كما صعد الاتحاد السوفيتي ليصبح قوة عظمى ثم لينهار لاحقاً. وتخلت الولايات المتحدة الأمريكية عن نهجها الانعزالي وأصبحت القوة العظمى الوحيدة في الوقت الراهن على مستوى العلم. كما ظهرت للوجود دولة إسرائيل وظلت باقية حتى الآن لفترة أطول بكثير من حقبة ألمانيا النازية تحت حكم هتلر.



جواهر لال نهرو

JAWAHER LAL NAHRO

(1964 - 1889)

زعيم هندي

«العلمنة، الاشتراكية، المساواة وعدم الانحياز»

سياسي ورجل دولة وقطب عالمي بارز في حركة عدم الانحياز، وأول رئيس وزراء للهند المستقلة.

ولد في الله آباد وكان ينتمي لأسرة ميسورة والده كان محامياً من طبقة البراهما.

درس في الجامعات البريطانية وتخصص في القانون، انضم إلى الحركة الوطنية التي تزعمها المهاتما غاندي واعتبر اليد اليمنى له ومن المتأثرين بأفكاره وبمبادئه دخل السجن عدة مرات، وانتخب رئيساً لحزب المؤتمر الهندي عام 1929، تأثر في بداية نضالاته بالفكر الماركسي وأخذ يشدد على الاستقلال الاقتصادي متزامناً مع المطالبة بالاستقلال السياسي.

أثناء اندلاع الحرب العالمية الثانية عارض مشاركة الهند في الحرب وحرض الجماهير على رفض هذه المشاركة، سجن لذلك ثلاثة سنوات.

بعد انتهاء الحرب اضطرت بريطانيا للاعتراف باستقلال الهند وكان نهرو أول رئيس وزراء للهند المستقلة (1941) بقي في هذا المنصب حتى وفاته العام 1964.

في سياساته الداخلية انتهج طريق علمنة الدولة وتحقيق الاشتراكية الهندية والمساواة دون تمييز بين الطبقات والطوائف الهندية. أما في سياساته الخارجية فلقد كانت الهند بزعامة نهرو أسبق الدول إلى الشعور بضرورة الدعوة للحياد الإيجابي وضرورة جعله سياسة تعمل من أجل إقرارها مختلف الدول الآسيوية والإفريقية. والواقع أن الفلسفة البوذية التي تدين بها الهند وهي فلسفة تقوم على السلام والعدالة كان لها أعظم الأثر في جعل الهنود أسبق الشعوب إلى اعتناق مبدأ الحياد الإيجابي وموقع الهند الجغرافي لعب دوراً أساسياً في ذلك أيضاً.

من هنا برز دور نهرو متلازماً مع دور جمال عبد الناصر وتيتو في قيادة دول عدم الانحياز واستطاعت هذه الحركة أن تفرض وجودها واحترامها وتأثيرها على الكرة الأرضية تأخذ بيد كل ا لقوى التحررية في العالم وتزيد من عزلة قوى الاستعمار وتعمل من أجل صيانة أمن العالم كله واستقراره بعيداً عن التبعية والاحتواء لكلا الجبارين.

في مؤتمر باندونغ 1955 لمع نجمه كقطب للدول غير المنحازة وكانت مواقفه اتجاه القضايا العربية مؤيدة لها وارتبط نتيجة لكل ذلك بعلاقات نضالية وكفاحية وثيقة مع حركة التحرر العربية بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر. له عدة مؤلفات وأهمها على الإطلاق: «خطابات إلى ابنتي» وكتاب «تاريخ الهند».

من أقواله المؤثرة:

«إذا أراد شعبي أن يذكرني، فأنا أريد أن اسمعهم يقولون: «هذا رجل أحب الهند وأحب الشعب الهندي بكل ما في عقله وقلبه من حب، والشعب بدوره بادله مشاعره فأعطاه من حبه بسخاء وبلا حساب».

وكتب في وصيته:

«أرجو أن تحملوا الجزء الأكبر من الرماد المتبقى من حرق جثماني في طائرة على ارتفاع كبير، ثم تنثرون الرماد في الجو لكي يختلط بالحقول والمزارع التي يكدح فيها الفلاحون الهنود ويعرقون لأنني أريد أن يختلط رماد جثماني بتراب الهند ويصبح الرماد جزءاً لا يمكن تمييزه عن بقية تراب الهند».



شارل ديغول

Charles Digole

(1970 - 1890)

زعيم فرنسي

«من المقاومة إلى الرئاسة»

قائد عسكري ورجل دولة بارز وكاتب عسكري ترأس الجمهورية الفرنسية الخامسة.

مواليد بليل، ينتمي إلى أسرة عسكرية حيث كان والده ضابط متقاعد.

تخرج من المدرسة العسكرية في العام 1911. خلال الحرب العالمية الأولى عمل تحت قيادة الماريشال بيتان وفي 6 حزيران 1940 عين مساعداً لوزير الدفاع في حكومة بول رينو.

في الحرب العالمية الثانية اجتاحت القوات الألمانية فرنسا فالتجأ إلى

لندن. من هناك وجه نداءاً للفرنسيين للالتحاق به من أجل تنظيم المقاومة ضد الاحتلال الألماني، قبل هذا التاريخ لم يكن أحداً من الفرنسيين قد سمع باسمه حيث لم يكن له نشاطاً متميزاً وبارزاً قبل الاحتلال الألماني لباريس.

قاد المقاومة الفرنسية من لندن ثم من الجزائر بعد استسلام فرنسا لهتلر عام 1939. في 23 أيلول1941 أسس من لندن اللجنة الوطنية لفرنسا الحرة وفي 3 حزيران 44 أعلن حكومة فرنسا المؤقتة برئاسته، 20 آب 1944 توجه إلى شيربور ومنها في 25 آب دخل باريس محرراً مع قوات الحلفاء.

قادت قوات المقاومة الفرنسية برئاسة ديغول داخل فرنسا عمليات عسكرية واسعة ضد الجيش الألماني واستطاعت إلحاق خسائر فادحة وكان لهذه القوات فضل كبير في تزويد قوات الحلفاء بالمعلومات والتفاصيل عن تحرك القوات الألمانية داخل فرنسا وخارجها وقامت بالمقابل القوات الألمانية بارتكاب العديد من المجازر والتصفيات بحق الفرنسيين بحجة انتمائهم للمقاومة الفرنسية.

بعد تحرير فرنسا أضحى ديغول رئيساً للحكومة المؤقتة فيها، استفتى الشعب الفرنسي برأيه في تشكيل حكومة رئاسية بدل الحكومة البرلمانية لكن الشعب الفرنسي خذله وصوت بأكثريته لحكومة برلمانية. عندها استقال ديغول واعتكف العمل السياسي في 20 ك^{2} 1946.

4 تشرين الأول 1958، البعض دعوا هذا التاريخ مولد الديغولية من جديد أو ذكرى عودة ديغول إلى الحكم وبدء عهد رئاسي تنكر لبعض المبادىء الديمقراطية البديهية. ذلك أن الجمهورية الخامسة بالنسبة إليهم هي ديغول شخصاً ومنهجاً وعقلية.

وما لا ينكره هؤلاء أن ديغول أتى إلى الحكم في وقت أضحت معه فرنسا على عتبة انهيار كامل: مادي ومعنوي. وإنه لم يأت إلى الكرسي إلا بناءً على رغبة شعبية نادرة الوقوع. نسبة مطلقة لا مجال للشك فيها.

وعرف ديغول كسياسي أن يفرض شروطه ويستفيد ليسير بلاده صفاً واحداً

فيقضي على عناصر الشغب والفوضى وكل ما من شأنه أن يضع مصلحة الأمة طوع مصلحته الخاصة. ويمكن القول هنا أنه صنع الدستور الفرنسي على مقاسة لكي يستطيع القول «أنا فرنسا وفرنسا أنا».

في كل الاستفتاءات والانتخابات العادية كان لديغول شروطه ورأيه ونهجه وهو يدرك أن الشعب الفرنسي، مع كل معارضته الظاهرة له، سيعود فيصوت إلى جانبه ويبقيه على رأس الدولة. حتى غدا ديغول ذا نهج واضح دعي بالديغولية.

نجح في منح الاستقلال والحكم الذاتي للعديد من المستعمرات التي كانت تحكمها فرنسا. واجهته مشكلة الجنرالات في الجزائر الذين تمردوا على منحه للجزائر الحكم الذاتي والبدء بمفاوضات الاستقلال. وانشأوا منظمة الجيش السرية الإرهابية التي قامت بمحاولتي لاغتياله في أيلول 1961 وآب 1962.

نجح ديغول في القضاء على حركة التمرد للجنرالات ومضى في سياسة التفاوض مع جبهة التحرير الجزائرية مقراً باستقلال الجزائر وفق اتفاقيات إيفيان (آذار 1962).

أما سياسته الخارجية فاتسمت بتعزيز دور مستقل لفرنسا خارج التبعية والهيمنة للجبارين (الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأميركية) وقد نجح في إبراز هذا الدور الاستقلالي إذ اعترف بالصين الشعبية وأقام علاقات دبلوماسية معها فضلاً عن تنديده بالتورط الأميركي في فيتنام واستطاع إقامة علاقات متينة مع بلدان العالم الثالث ومع أوروبا المشتركة وثق من علاقاته مع دول أوروبا الغربية وبنى القوة النووية الفرنسية وأعلن انسحابه من الالتزامات العكسرية داخل حلف شمال الأطلسي (1966 ـ 1967).

بجانب كل ذلك استطاع ديغول أن يطل على العالم العربي ويتعامل على قضاياه بروح موضوعية وعقلانية تراعي المصلحة الفرنسية بالدرجة الأولى فأخذ موقف الاستنكار للغارة الإسرائيلية على مطار بيروت وترجم هذا الموقف بوقف شحنات الأسلحة الفرنسية.

رغم كل هذه النجاحات الاقتصادية والسياسية الداخلية والخارجية فشل في مواجهة مشاكله المتعددة مع الطلاب والعمال (1968) وفي هذا المجال ظهر أكثر من دليل على تورط قوى خارجية (أميركية وصهيونية) في إثارة هذه المشاكل أمام حكم الجنرال ديغول مما اضطره أخيراً إلى إجراء استفتاء شعبي (27 نيسان 1969) لتقدير مدى شعبيته ودعمها لمواقفه فجاءت نسبة التصويت مخيبة لآماله (53,17٪ من الأصوات كانت ضده) ورغم أن نتيجة هذا الاستفتاء لم تكن ملزمة له رسمياً فضل تقديم استقالته في 28 نيسان 1969 ليعتزل العمل السياسي نهائياً.

توفي بعد عام من اعتزال العمل السياسي في 9 تشرين الثاني 1970. وكما يقول الفرنسيون: «نحن نخسر الحرب، ويبقى فوش وديغول».



هوشي منه

HOCHI MINEH

(1969 ـ 1890)

زعيم ڤييتنامي

«العم اللطيف الذي هزم الأميركيين»

مؤسس الدولة الڤيتنامية الشمالية، ورائد النهضة القومية في الهند الصنية، ينتمي إلى أسرة فقيرة معدمة.

رفاقه كانوا يدعونه «العم هو اللطيف» هاجر إلى بريطانيا للعمل هناك في العام 1914.

خاض مع رفاقه حروباً محدودة ضد الاستعمار الفرنسي لبلده (1917) التحق بالحزب الشيوعي الڤيتنامي وأسس جريدة «البرياء» وأصبح عضواً فاعلاً ضمن هذا الحزب.

في العام 1924 قام بزيارة لروسيا وفي العام 1930 أسس «نفوين آي كوك»

والذي عرف فيما بعد باسم «هوشي منه» النواة الأولى للحزب الشيوعي الڤيتنامي الذي أضحى الحزب الأساسي ضمن الحركة الوطنية الڤيتنامية.

في العام 1940 دخلت اليابان الحرب ضد فرنسا فاحتلت ڤيتنام وبسطت نفوذها مكان الفرنسيين. واصل هوشي منه نضاله السياسي والعسكري ضد اليابانيين الذين خسروا الحرب العالمية الثانية في 14 آب 1945. وأعلن في 2 أيلول يوم توقيع اليابان على اتفاقية الاستسلام استقلال الڤيتنام اختصارها ڤيت منه.

أقرت اتفاقية بوتسدام حول المشكلة الڤيتنامية بحلول البريطانيين مكان اليابانيين في جنوب خط عرض 16 واحتفاظ هوشي منه بالمناطق الشمالية لخط العرض المذكور ومع تمركز هوشي منه في الشمال ودعم الصينيين له اتخذ من مدينة هانوي عاصمة لحكومته. قامت القوات الإنجليزية بالسماح للفرنسيين باحتلال المنطقة الجنوبية والوسطى (اللكوشنشين والأنام) من ڤيتنام.

خاض هوشي منه معارك ضارية لإجبار الفرنسيين على الانسحاب من ڤيتنام وكانت هذه المعارك التي امتازت بحرب العصابات بقيادة القائد العسكري المحنك جياب مرهقة جداً ومكلفة للقوات الفرنسية المستعمرة في العام 1949 أقيمت جبهة قوية معادية للاستعمار الفرنسي في ڤيتنام قوامها هوشي منه وماوتسي تونغ والباتيت لا والذي كان يقود النضال العسكري ضد فرنسا في لااووس.

إزاء هذا الحلف الثلاثي أقرت فرنسا بهزيمتها العسكرية في ڤيتنام وأعلنت استقلال لاوس وكمبوديا وڤييتنام وعينت باوداي أمبراطور الأنام رئيس لڤيتنام من أجل مواجهة الفيتناميين لبعضهم البعض، فهناك قوات وحكومة فيتنامية عملية للفرنسيين في الجنوب وقوات وحكومة فيتنامية مستقلة مدعومة من الصين في الشمال بقيادة هوشي منه، استطاعت فرنسا أن تصور أن الحرب الدائرة هي حرب داخلية أهلية ذات طابع دولي لتطلب من الولايات المتحدة الأميركية المساعدة العسكرية وخصوصاً أن الأميركيون كانوا ينظرون بقلق إلى نمو وتصاعد المد الشيوعي في الهند الصينية مترافق هذا النمو مع الإعلان عن الحرب الكورية (1950 ـ 1953).

دخلت أميركا المستنقع الفيتنامي لتحل رويداً رويداً مكان الفرنسيين.

دعيت الأطراف المتحاربة والصين لعقد مؤتمر بجنيف لتسوية المشكلة الڤيتنامية وأراد الڤيتوكونغ قبل بداية المفاوضات تحقيق انتصار ساحق على الفرنسيين في آخر معقل لهم في ديان بيان فوليكون ليكون موقعهم قوياً خلال هذه المفاوضات واستطاعت قوات الجنرال المحنك جياب من تدمير آخر المعاقل الرئيسية للفرنسيين بعد حصار استمر 60 يوماً.

أقرت اتفاقية جنيف 21 تموز 1954 على تقسيم الڤييتنام إلى جمهورية ڤيتنام الديمقراطية بقيادة هوشي منه شمال خط العرض 17 درجة وجمهورية ڤيتنام وحكومتها في سايغون جنوب ذلك الخط.

بعد عامين من عقد اتفاقية جنيف اندلعت الحرب مجدداً لتمتد إلى كامل شبه جزيرة الهند الصينية وذلك بسبب تنامي الوعي السياسي في ڤيتنام الجنوبية وازدياد النقمة على نظام الرئيس الڤيتنامي الجنوبي نغودين ديام الذي فرضته الولايات المتحدة الأميركية كرئيساً للوزراء على إمبراطور باوداي. أخذت الحرب تنتقل إلى جنوب ڤيتنام بشكل حرب عصابات على اتباع الرئيس وعلى الوجود العسكري الأميركي واستطاعت القوى الشيوعية الجنوبية أن تئسس جبهة التحرير الوطنية لجنوب الڤيتنام المسماة بـ «فيت كونغ».

كن دور هوشي منه في تلك الحرب رئيسياً إذ أمن للثوار كل أنواع الدعم والمساندة وهذاما جعل الأميركان ينقلون المعركة إلى قلب ڤيتنام الشمالية عبر الغارات الجوية المتكررة والمدمرة دون تمييز على مدينة هانوي.

توفي هوشي منه في أيلول 1969 دون أن يحقق حلمه التاريخي بتحرير الجنوب وإقامة دولة الڤيتنام الموحدة لكن مع استمرار القتال من قبل الثوار وتحريرهم للمدن الڤيتنامية الجنوبية الواحدة تلو الأخرى وتراجع القوات الأميركية استطاعت قوات الفيتكونغ في 29 نيسان 1975 من إسقاط العاصمة سايغون نفسها وتغيير اسمها فوراً إلى «مدينة هوشي منه».



جومو كينياتا

JOMO KINIATA

(1978 - 1891)

زعيم أفريقي

«المرح الملتهب»

رجل دولة ومن أبرز وجوه الحركة الاستقلالية الكينية ومؤسس دولة كينيا الحديثة.

ولد في نجندا بالقرب من نيروبي وكان اسمه كاماو وا مويغي (Kamau) Wa Muuigai ما بين 1891 و 1898! أما سيرته الرسمية فتحدد تاريخ الولادة بـ 20 تشرين الأول - أكتوبر 1891. تلقى تعليمه بمدرسة داجوريتي الإسكتلندية التبشيرية فاعتنق المسيحية وأصبح اسمه جونستون كاماو. ولم يتبن اسم جومو كينياتا - ومعناه رمح كينيا الملتهب - إلا في الثلاثينيات من القرن العشرين. عمل بعد انتهاء دراسته كاتباً في بلدية نيروبي (1921 - 1926).

دخل معترك الحياة السياسية في العام 1924 حين انضم إلى «رابطة كيكويو المركزية» (KCA - Kikuyu Central Association)التي كانت تدعو المستعمرين البريطانيين إلى تعديل سياستهم المشجعة للمستوطنين البيض ولاستيلائهم على أفضل الأراضي الزراعية. وقد عمل في هذه الرابطة مترجماً ثم محرراً وأخيراً رئيس تحرير صحيفة الرابطة (1924 ـ 1929).

سافر إلى المملكة المتحدة لأول مرة في عام 1929 ليحث الحكومة البريطانية على الاعتراف بحقوق الكينيين على أراضيهم والسماح لهم بإنشاء مدارسهم الخاصة. واتصل أثناء وجوده هناك بعصبة مكافحة الإمبريالية مما أثار حنق السلطات البريطانية عليه. عاد إلى كينيا في 30 أيلول ـ سبتمبر 1930 حيث أسس أول مدرسة كينية واصطدم بالمبشرين المسيحيين الذين كانوا يعارضون بعض العادات الإفريقية الخاصة بختان الفتيات. وقد دافع عن تعدد الزوجات والمسؤولية الجماعية والعادات القبلية في أطروحته لنيل الدكتوراه والتي كان عنوانها: «في مواجهة جبل كينيا».

قام بزيارة ثانية إلى بريطانيا في عام 1931 مبعوثاً عن «رابطة كيكويو المركزية (KCA) للمطالبة بمزيد من الحقوق السياسية والاقتصادية لأبناء شعبه. وقد بقي في بريطانيا 15 عاماً كرسها للنضال وللدراسة. وكان كينياتا قد سافر عام 1932 إلى الاتحاد السوفييتي ودرس في معهد الشيوعية الدولية التابع للكومينترن. وعند عودته إلى بريطانيا درس الاقتصاد والعلوم السياسية. شارك في شهر تشرين الأول ـ أكتوبر 1945 في أعمال المؤتمر الخامس للوحدة الإفريقية الذي عقد في مانشستر. وفي أيلول ـ سبتمبر 1946 عاد كينياتا إلى بلاده ليوزع نشاطه بين التعليم والعمل السياسي.

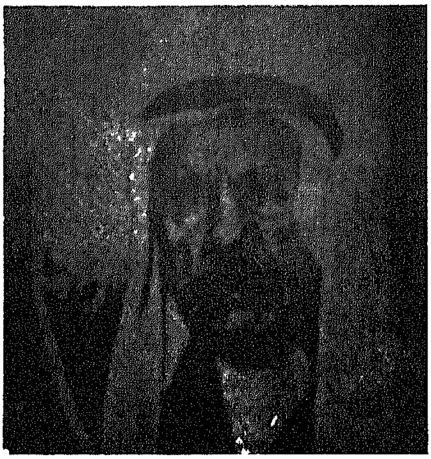
وفي 1947 انتخب رئيساً للاتحاد الكيني الإفريقي الذي أصبح اسمه فيما بعد اتحاد كينيا الوطني الإفريقي (كانو ـ Kanuوالذي أخذ يقود النضال ضد البريطانيين لتحقيق الاستقلال. وقد أخذ النضال ضد الاستعمار البريطاني والمستوطنين البيض يتعاظم ليشمل كل الأفارقة الكينيين. ونتيجة لذلك أعلنت

بريطانيا حالة الطوارىء في كينيا (تشرين الأول ـ أكتوبر 1952) واعتقل كينياتا بتهمة تزعم ثورة الماو ماو وحكمت عليه، بدون إثبات، بالسجن والأشغال الشاقة عشر سنوات ولكنها أطلقت سراحه في عام 1959 قبل انتهاء فترة سجنه إلا أنه أبقي قيد الإقامة الجبرية حتى عام 1961 حين عين وزير دولة للشؤون الدستورية والتخطيط الاقتصادي في الحكومة الإفريقية التي شكلها البريطانيون. وفي هذه الأثناء شارك بنشاط في المؤتمرات الدستورية التي عقدت في لندن وانتهت بإعلان استقلال كينيا عام 1963.

وكان قبل ذلك قد أصبح رئيساً للكانو وحاول في البداية التوفيق بين مطالب الكانو الداعية إلى إقامة دولة موحدة مركزية وبين مطالب «الكادو» (اتحاد كينيا الديمقراطي الأفريقي Kadu الذي كان يضم القبائل الكينية الصغيرة) الداعية إلى قيام دولة اتحادية تحفظ حقوق الأقليات القبلية. وجاءت نتائج انتخابات أيار (مايو) 1963 لتعلن فوز حزب كانو الساحق. ونتيجة لذلك عين كينياتا رئيساً للوزراء، ثم انتخب بعد إعلان الاستقلال في 12 كانون الأول (ديسمبر) 1963 رئيساً للجمهورية. وظل ينتخب لهذا المنصب حتى وفاته.

حاول كينياتا، بعد وصوله إلى السلطة، الحفاظ على وحدة كينيا التي كانت تهددها الانقسامات القبلية. ولكنه استفاد من اغتيال النقابي توم مبويا في عام 1969 والذي كان يشغل منصب وزير الاقتصاد ومن الاضطرابات التي أحدثها هذا الاغتيال ليركز تدريجياً كل السلطات في يديه فمنع كل أحزاب المعارضة وفرض نظام الحزب الواحد (كانو) وأخذ يتبع سياسة قمعيّة متعاظمة، لا بل أنه استفاد من ماضيه الاستقلالي والوطني ليفرض سياسة محافظة ويغطي بسلطته كل التجاوزات ويشجع المحسوبية والفاسد كأداة للحكم. وقد جمع نتيجة ذلك ثروة هائلة.

أما سياسته الخارجية فقد كانت موالية كلياً للغرب (الولايات المتحدة وبريطانيا) وتجلى ذلك أثناء عملية عنتيبي في تموز ـ يوليو 1976 حين سمح للجيش الإسرائيلي باستخدام مطار نيروبي لمهاجمة أوغندا وقتل الفدائيين الفلسطينيين الذين خطفوا طائرة تابعة لفرنسا.



سلطان باشا الأطرش

SOULTAN BACHA AL ATRACHE

(1891 - 1982م)

زعيم عربي

«شرارة الاستقلال التي عمت سوريا والمشرق»

هو سلطان بن ذوقان بن مصطفى بن إسماعيل الثاني بن محمد بن إسماعيل الأول الذي يعود بنسبه إلى المقدم علي العكس الذي كانت له الزعامة السياسية والروحية على الدروز القاطنين بجوار حلب.

لكن آل العكس ـ الذين عرفوا فيما بعد بآل الأطرش نظراً لكون إسماعيل الأول كان مصاباً بالطرش وبذا عرف أبناؤه وأحفاده ـ فقدوا زعامتهم لفترة مؤقتة بسبب اضطرارهم للنزوح من منطقة حلب نتيجة خلاف الدروز مع جيرانهم في الديار الحلبية وبعد استقرارهم في جبل حوران استطاع إسماعيل الثاني تقويض

زعامة الحمدانين، وتأسيس المشيخة الطرشانية العام 1869، والتي حازت على اعتراف الدولة العثمانية العام 1876.

ولد سلطان في 5 آذار (مارس) 1891 في بلدة القريّا إحدى بلدات المقرن القبلي، وأمه شيخة بنت منصور بن إسماعيل الثاني من آل الأطرش، وهو كبير أخوته علي ومصطفى وزيد. وله أختان سميّة ونعايم.

في العام 1895 شهد بصحبة والده دخول الجيش العثماني إلى بلدته القريّا لأول مرة، وكان هذا الجيش بقيادة، ممدوح باشا الذي جمع سلاح الجبل وساق شبابه إلى الجندية، ونفي زعماءه إلى الخارج وعلى رأسهم زعيم الجبل شبلي الأطرش، وكذلك والد سلطان وعمه فايز، مما اضطر والدته إلى الارتحال وأولادها إلى قرية العاناة في أقسى جنوب الجبل.

في العام 1900 ثار الجبل على الدولة العثمانية مما أجبرها على إعادة المنفيين وبينهم ذوقان الأطرش، والد سلطان.

مارس قبل بلوغه سن الرشد هوايات القنص، وركوب الخيل، والنزول إلى حلبات السباق، والتدرب على استعمال السلاح الأبيض والبنادق، لكنه لم يتعلم القراءة والكتابة بسبب الأوضاع المضطربة في الجبل، لكنه حفظ بضع آيات من القرآن الكريم ومن رسائل التوحيد عن ظهر قلب، وقد أتيح له التعلم خلال الفترة التي قضاها في الجندية ببلاد البلقان.

في العام 1910 تزوج من ابنة عمه فايز، لكنها توفيت بعد فترة قصيرة دون أن يرزق منها أطفالاً. وفي هذا العالم سيق إلى الجندية في بلاد البلقان.

في العام 1912 عاد من الخدمة العسكرية ليجد أباه قد شنق على يد السلطات العثمانية في العام 1911، فتسلم زعامة القريّا، وتمكن في فترة قصيرة من حل مشكلة الأرض المتنازع عليها بين بلدته وبصرى الشام. وتزوج من ابنة الشيخ إبرهيم أبو فخر من بلدة نجران ورزق منها جميع أولاده.

عند قيام الثورة العربية الكبرى في 10 حزيران (يونيو) 1916 انضم إليها وخاض معاركها في حوران.

وفي 30 أيلول (سبتمبر) 1918 كان أول الداخلين من قوات الثورة العربية إلى دمشق على رأس قوة من بني معروف من جهة حي الميدان، ورفع فوق دار الحكومة العلم العربي، بعدما كانت فلول الجيش التركي تخلي المدينة وأثناء إقامته في دمشق كان أحد المستشارية المقربين للملك فيصل.

طالب وسائر زعماء جبل العرب بالاستقلال التام لسورية عندما قابلوا لجنة كراين - كينغ في 1919.

نتيجة للموقف المتردد للملك فيصل بقبول أو رفض إنذار الجنرال غورو، ولقيامه بتسريح الجيش العربي فوجئت الحشود المسلحة التي قادها سلطان باشا الأطرش لمقاومة الفرنسيين وعند وصولها إلى بصرى الحرير بأن الملك فيصل مر بدرعا متوجهاً إلى الأردن بعد معركة ميسلون التي أسفرت عن استشهاد القائد يوسف العظمة ودخول الفرنسيين إلى دمشق في 25 تموز (يوليو) 1920، ولم يستطع الوفد الذي شكله برئاسة حمد البربور، وصباح الأطرش، وعبد الله العبد الله، اللحاق بالملك في حوران ولا من رؤيته في حيفا.

في 5 نيسان (إبريل) 1921 أعلن الفرنسيون استقلال الدّويلة الدرزية وكانت لسلطان وقفة معارضة لهذه الدويلة وشكل تياراً معارضاً ومنتقداً ومحرضاً عليها.

في 21 تموز (يوليو) 1922 شنّ هجوماً على الفرنسيين وكان السبب المباشر أو شرارة التفجير هو خرق الفرنسيين لحرمة الضيافة وأخذهم لضيفه أدهم خنجر الذي جاء يحتمي بداره، وأدهم خنجر ثائر من جبل عامل، قاوم الفرنسيين قبل حملة الكولونيل نيجر وبعدها، واشترك في 23 حزيران (يونيو) 1921 في محاولة اغتيال الجنرال غورو أثناء ذهابه لزيارة محمود الناعور، بصحبة حقي العظم وعدة ضباط فرنسيين، وبعدما جرت هذه المحاولة قرب القنيطرة أصدرت المحكمة العسكرية الفرنسية حكم الإعدام على أدهم ومرافقيه، ففر إلى الأردن ومكث هناك عاماً، وفي 17 تموز 1922 يمم شطر جبل العرب

قاصداً الاحتماء بدار سلطان، فألقي القبض عليه قبل أن يصل إليه. وعندما علم بما حصل أسرع لإطلاق سراحه، وأوفد أخاه علياً إلى السويداء فقابل الأخير المستشار ترانكا طالباً إليه إطلاق سراح أدهم خنجر، فرفض ترانكا، ورغم الاتصالات المتعددة التي قام بها سلطان مع الفرنسيين واتباعهم فإن هؤلاء أصروا على الاحتفاظ بأدهم، وبعدما فشلت المساعي السلمية لإطلاق الثائر العاملي عمد سلطان إلى امتشاق السلاح، وتوجه سلطان مع نخبة من رفاقه إلى طريق السويداء ـ التعلة وقطعوها. فأحضر الفرنسيون قوة من درعا واجهها ورفاقه في تل الحديد، وانقض ورفاقه على هذه القوة وكانت نتيجة هذه المعركة مقتل الضابط بوكسان وثلاثة من جنوده، وتعطيل مصفحة، وأسر ستة جنود أقيم على حراستهم شكيب وهاب. ونتيجة لخدعة من الزعامات المحلية الموالية للفرنسيين نجحت في تنحيه عن طريق السويداء ـ دمشق وفك الحصار عن السويداء وتسليم الأسرى، قامت السلطات الفرنسية بنقل أدهم بالطائرة، إلى دمشق ومنها إلى بيروت حيث أعدم.

وبعدما يمم سلطان نحو القريّا فوجد منزله مدمراً، وقامت السلطات الفرنسية وأعوانها بمطاردته وأنصاره منكلة بهم وأصدرت هذه السلطات حكماً بإعدام سلطان الذي لجأ إلى الأردن. وراح من هناك يغير على المراكز الفرنسية في الجبل، وسعى لدى السلطات الأردنية لمساعدته على القيام بالثورة فاتصل بالأمير عبد الله، وبوالده الشريف حسين، لكن الحكومة البريطانية كانت بالمرصاد لهذا التحرك، فحاولت اعتقاله وطلبت من الملك عبد الله تنفيذ ذلك.

أمام هذا الواقع فضل سلطان تجميد تحركه العسكري، وبعد اتصالات من رجالات الجبل أصدر المفوض السامي عفواً عن سلطان في 4 نيسان (إبريل) 1923 وفي صبحية اليوم التالي عاد إلى الجبل.

في 17 تموز (يوليو) 1925 أطلق الرصاصات الأولى للثورة السورية الكبرى.

في 27 أيار (مايو) 1926 أصدر المجلس العدلي الذي شكله الفرنسيون حكماً بالإعدام غيابياً.

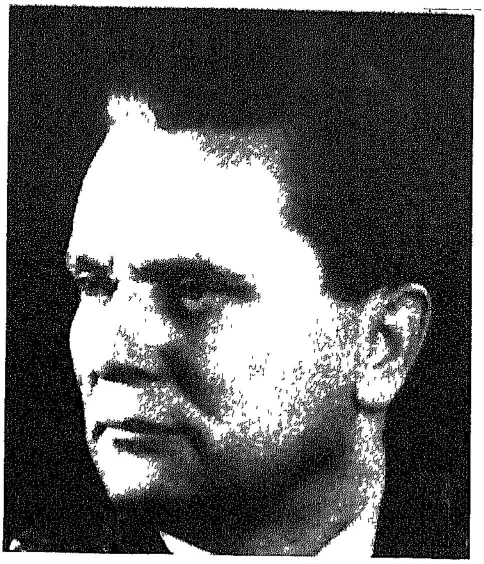
اضطر إلى ترك الجبل أواخر العام 1926 إلى شطر شرق الأردن، وعندما هدد الإنكليز بتسليمه إلى السلطات الفرنسية عاد إلى سوريا ليتزعم آخر ومضات النضال في الجبل والغوطة.

وفي شهر حزيران (يونيو) 1927 عندما أنذره الإنكليز مجدداً بأنه غير مرغوب فيه في الأراضي الأردنية اضطر وحوالي 600 من رفاقه في السلاح إلى الذهاب إلى السعودية حيث مكث حتى العام 1933، ثم انتقل إلى الأردن في العام 1933، ثم عاد إلى وطنه سوريا في أيار (مايو) 1937 عودة الظافرين أثر اضطرار سلطات الانتداب لإصدار عفو عنه.

كان لسلطان الدور الفاعل في المساعي الوحدوية لإعادة ضم الجبل إلى الوحدة السورية بعد توقيع معاهدة 1936، وتصدى لإعادة المفوض السامي غبريال بيو فصل الجبل عن سوريا في تموز (يوليو) 1939، وناضل من أجل إعادة الجبل إلى الوطن الأم في شباط (فبراير) 1942.

أثر الهجوم الذي شنه الفرنسيون على دمشق قصفاً وتدميراً تحرك الجبل بقيادة سلطان منتفضاً على المحتلين واشتركت فرقة من خيالته بالدفاع عن دمشق يومي 29 و30 أيار (مايو) 1945.

أسلم الروح في 26 آذار (مارس) 1982.



جوزيف بروز تيتو

JOSEPH BROZ TITO

(1980 - 1892)

قائد يوغوسلافي

«الحياد وعدم الانحياز»

تيتو هو واحد من أعظم مقاتلي حرب العصابات في التاريخ. حرر بلاده من المحتلين الألمان في الحرب العالمية الثانية، وشكل حكومة شيوعية حافظت على استقلاليتها عن كل من الاتحاد السوڤياتي والصين.

وقد استطاع تيتو المشهود له بالشجاعة الذاتية، والقوة البدنية والمعنوية، والأقبال على الحياة أن يوفر لوطنه الاستقرار لما يزيد على ثلاثة عقود في بيئة تتسم بأقسى درجات التقلب.

مواليد نيكتس قرب زغرب، رجل دولة رفيع، وقائد عسكري وسياسي، من أسرة فقيرة معدمة.

عانى البطالة منذ صغره وقاسى ويلات الجوع، تشرد في حياته في الكثير من القرى والمدن بحثاً عن عمل.

انتسب لكثير من النقابات العمالية والاشتراكية المطالبة بتحسين الوضع المعيشي والاجتماعي لمواطنيه.

تأثر منذ بداية حياته السياسية بالعقيدة الشيوعية فانخرط في الجيش الأحمر مدافعاً عن ثورة أكتوبر الروسية ثم انتسب للحزب الشيوعي اليوغسلافي.

خلال فترة الملاحقة للشيوعيين في يوغوسلافيا سجن عدة مرات لنشاطاته السياسية. بعد الإفراج عنه عام 1934 أخذ يتجول متنكراً ومتوارياً عن أنظار رجالات السلطة وللتمويه في تجولاته السياسية أخذ يستعمل عدة أسماء ومنها اسم تيتو الذي كثيراً ما كان ينادى به. في العام 1938 توجه إلى إسبانيا على رأس فرقة من المتطوعين اليوغوسلاف للمشاركة في الحرب الأهلية الإسبانية، وفي موسكو انتخب عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي وسكرتيراً عاماً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي.

عاد إلى يوغوسلافيا في العام 1938 ليقود قوات المقاومة للاحتلال الإلماني شاركت قوات المقاومة بالكثير من المعارك واستطاعت بقيادة الماريشال تيتو رغم ضعف عددها وإمكانياتها أن تخوض حروب عصابات ناجحة ضد مؤخرات الجيش الإلماني الزاحف إلى روسيا وكذلك من خوض حروب نظامية مباشرة ضد الجيش الألماني المدجج بأحدث الأسلحة والمتفوق بلا منازع بسلاح الطيران..

استطاعت المقاومة اليوغوسلافية من إبطاء سرعة الهجوم الإلماني على الجبهة الروسية ومكنت الروس بذلك من كسب أسابيع عديدة للاستعداد لمواجهة الاجتياح الإلماني القادم مثقلاً بخسائر جسيمة أصابته في طريقه من يوغوسلافيا إلى روسيا. أما عدد قتلى اليوغسلاف خلال معركة التحرير فقد ناهز المليونين قتيل. في 4 ك1 1943 شكل تيتو حكومة مؤقتة بوصفه رئيساً للجنة

التحرير ثم ترأس الحكومة الفيدرالية وانتخب كأول رئيس لجمهورية يوغسلافيا بعد التحرير عام 1953.

خلال حقبة الستالينية في روسيا عمل تيتو إلى الحفاظ على موقع مستقل بالعلاقة مع السوفيات وواجه محاولات ستالين بالهيمنة واحتواء الحركات الشيوعية خارج الاتحاد السوياتي وأخذ ينتهج خطأ عقائدياً وسياسياً مستقلاً، بعيداً عن التبعية للحزب الشيوعي السوفياتي.

في سياسته الداخلية نادى بتعدد الطرق الاشتراكية بعيداً عن التزمت الشيوعي التعصبي وحافظ على علاقات متوازية مع الحزب الشيوعي الصيني والأحزاب الشيوعية الأوروبية الأخرى التي عارضت الهيمنة الشيوعية السوفياتية ومع الحزب الشيوعي الروسي نفسه. من هنا ظهر مصطلح التيتوية والتي هي عبارة عن مجموعة الأفكار والممارسات اليوغسلافية والتي نادت بتعدد الطرق إلى الاشتراكية مع ضرورة المحافظة على الاستقلالية الوطنية للحركات الشيوعية والالتصاق بمشاكل الجماهير لوضع أسلم الحلول لها دون تلقي الأوامر من موسكو أو تقليد نموذجها.

كذلك باعتماد مبدأ الإدارة الذاتية للمصانع وإعطاء حيِّز كبير من الحرية للمواطنين بالسفر أو بالتعبير. وفي مجال السياسة الخارجية نادى بالتعايش السلمي وضرورة الحوار مع الغرب وكذلك كرس مع الزعيمين جمال عبد الناصر ونهرو مبدأ الحياد وعدم الانحياز بالعلاقات مع المعسكرين الشرقي والغربي واستطاعت حركة عدم الانحياز هذه أن تفرض احترامها ومفاهيمها وأن يكون لها أنصار عديدون في دنيا بلدان العالم الثالث. في 18/2/67 أحبطت محاولة لاغتياله في فيينا وتم اعتقال يوغوسلافي ومصادرة السلاح الناري منه.

يظل تيتو هو القائد الحزبي الوحيد من الحرب العالمية الثانية الذي يحرر بلده بأقل دعم منالحلفاء ويرسخ مكانته أثناء الحرب فلم تتعرض لما يهددها لاحقاً. وعلى مدى العقود الثلاثة التالية كان نداً لقادة الغرب والاتحاد السوفيتي، فعزز استقلال بلاده، وحافظ على السلام في منطقة تعج بالصراعات

العرقية والدينية وبكثرة الفقراء. لقد كان بمفرده وراء توحيد يوغوسلافيا، وعندما توفي تفككت الدولة إلى ولايات متحاربة هي البوسنة وكرواتيا وصربيا. كان يمكن أن تكون مكانته في هذه القائمة أعظم لو ظلت بلاده موحدة بعد رحيله.

وكذلك كان لتيتو مواقع تأييد ودعم لحركات التحرر العربية وحق الشعوب في الاستقلال والحرية فضلاً عن دعمه المستمر والمتواصل لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

وقف تيتو ضد الغزو السوفياتي لتشيكوسلوفاكيا (1967: ربيع براغ) وكذلك كان أول زعيم وقائد شيوعي يستقبله قداسة البابا في آذار 1971.

في العام 1971 أعيد انتخابه كرئيس للجمهورية واستطاع رغم تعدد القوميات والنزعات الإقليمية داخل الجمهوية اليوغوسلافية استطاع أن يحافظ على الوحدة الوطنية الداخلية.

توفي في أيار 1980 أثر مرض عضال أقعده عن ممارسة مهامه الرئاسية.



هيلاسيلاسي

HilAsilAsi

(1975 ـ 1892)

زعيم أثيوبي

«غطرسة التوسع»

«إمبراطور أثيوبيا من عام 1930 ـ 1974».

اعتلى العرش الإمبراطوري بعد وفاة الإمبراطورة زوديتو في 3 نيسان 1930 ابنة الإمبراطور منليك واجه الاجتياح الإيطالي لبلده الذي بسط سيطرته على كامل الأراضي الأثيوبية (1935 ـ 1941).

أول أيار (مايو) 1936، مع اشتداد المقاومة الأثيوبية للاستعمار الإيطالي، أعلن «موسوليني عن ضمّ أثيوبيا إلى إيطاليا»، مما أدّى إلى مغادرة هيلاسيلاسي أثيوبيا ولجوئه إلى أوروبا داعياً عصبة الأمم لمؤازرته في استرداد عرشه وإنهاء الاحتلال الإيطالي لبلده. مع انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، دخلت

القوات البريطانية أدس أبابا عام 1941 واضعة كامل القرن الأفريقي تحت الإدارة العسكرية البريطانية مما مكّن هيلاسيلاسي من العودة ثانية إمبراطوراً على أثيوبيا.

وسّع هيلاسيلاسي إمبراطوريته لتضم هود واوغادين وأرتيريا (1962)، وتمكّنت أثيوبيا للمرة الأولى في تاريخها من أن تطل على البحر. كانت هذه الأقاليم المضمومة بالقوة أو بمنح الدول المستعمرة لها لأثيوبيا بمثابة القنابل الموقوتة للاضطرابات المقبلة التي ستشهدها هذه الإمبراطورية مستقبلاً مما جعلها استنزافاً مستمراً لطاقات وموارد الإمبراطورية، وخاصة في أرتيريا التي منها انطلقت ثورة القضاء على حكم الإمبراطور هيلاسيلاسي.

في شباط (فبراير) 1974 حدث تمرّد للفرقة الثانية للجيش الأثيوبي المتواجدة في أسمرا عاصمة أرتيريا سرعان ما تحوّل إلى ثورة حقيقية عمّت كل أرجاء الإمبراطورية.

12 أيلول (سبتمبر) 1974 أعلن العسكريون المتمردون عن إقصاء الإمبراطور هيلاسيلاسي رسمياً عن الحكم وتشكيل لجنة تنسيق القوات المسلحة الأثيوبية بقيادة منغستوهيلا مريام الذي انقلب بدوره على رفاقه بالمجلس فأعدم العديد منهم تحت حجة الفساد في الإدارة والحكم وأعلن ماركسية النظام والدولة.

أحداث أيار (مايو) 1991 أدّت بدورها إلى هروب منغستو هيلا مريام من أثيوبيا واستلام القوى المعارضة له للحكم.

في عام 1975 توفي هيلاسيلاسي وهو في المنفى.



فرنشيسكو فرانكو باهاموند

FRANCHISCO FRANCO BAHAMONDE

(1975 ـ 1892)

زعيم اسباني

«حليف الفاشية والنازية»

جنرال ورجل دولة إسباني، المعروف بفرانكو.

مواليد مدينة ڤيرول بإسبانيا.

قاد الجيوش الإسبانية في محاربة ثورة الريف بقيادة الزعيم المغربي عبد الكريم الخطّابي من الفترة 1923 ـ 1827. رقي إلى رتبة جنرال في العام 1927. أوفد بمهمة عسكرية إلى جزر البليار وتم استدعائه على عجل إلى مدريد بعد انتصار اليمين في الانتخابات العامة عين على أعقابها قائداً للأركان العامة حيث استطاع أن يقمع إضراب عمال المناجم. مع سقوط حكومة

اليمين، ومجيء حكومة الجبهة الشعبية تم إبعاد فرنكو من مدريد إلى جزر الكناري.

وهناك في جزر الكناري بدأ اتصالاته مع قيادات الجيش للتمهيد للانقلاب العسكري 1936 والذي أطلق شرارة الحرب الأهلية الإسبانية الدامية التي استمرت حتى 1939.

خرج فرانكو منتصراً في هذه الحرب بفضل الدعم الفاشي الإيطالي والنازي وكانت حصيلتها أكثر من مليون قتيل.

مع إعلان فرانكو عن عودة النظام الملكي لإسبانيا حصر كل الصلاحيات في يده وحكم حتى وفاته حكماً ديكتاتورياً بدعم كامل من حزب الكتائب الإسباني الفاشستي الفالانج في السياسة الخارخية اتسمت علاقاته بالانفتاح على أميركا وعقد معها ومع فرنسا وأوروبا العديد من الاتفاقات العسكرية والتجارية. جابه خلال فترة حكمه العديد من الإضرابات والاضطرابات الداخلية بجانب مطالب مقاطعة الباسك بالحكم الذاتي واستطاع إخماد كل هذه الإضرابات والاضطرابات.

في عام 1969 أعلن فرانكو عن أن خليفته سيكون الأمير خوان كارلوس دي بوربون الذي خلفه بعد وفاته العام 1975.



رشيد عالي الكيلاني

Rachid Ali Al Kilani

(1893 - 1965م)

زعيم عراقي

«الحكم الوطني ومعاداة الإنكليز له»

رجل دولة عربي عراقي خاض واحدة من أخطر المعارك الوطنية مع الغرب وبالذات مع الاستعمار البريطاني وعملائه حكام العراق مع نشوب الحرب العالمية الثانية تزعم الحركة السياسية العسكرية القومية العربية التي وقعت في العراق على أثر محاولة الوصي عبد الإله والإنكليز خنق المعارضة الوطنية لهم، والتي قويت مع نشوب الحرب العالمية الثانية، في الوقت الذي تزايدت فيه الرغبة البريطانية في السيطرة على البلاد. وفي مطلع كانون الثاني - يناير 1941 عمل الوصي وبريطانيا على وضع العقبات في وجه رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني لحمله على الاستقالة، بينما أيدته العناصر الوطنية؛ ورأى

بعض قادة الجيش العقداء الأربعة صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب ضرورة استمرار الحكم. ولكن رشيد عالي اضطر إلى الاستقالة في آخر كانون الثاني ـ يناير 1941 عمل الوصي وبريطانيا على وضع العقبات في وجه رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني لحمله على الاستقالة، بينما أيدته العناصر الوطنية؛ ورأى بعض قادة الجيش العقداء الأربعة صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب ضرورة استمرار الحكم. ولكن رشيد عالي اضطر إلى الاستقالة في آخر كانون الثاني ـ يناير 1941 وعهد الوصي إلى طه الهاشمي تأليف الوزارة، فعمد إلى إجراء تنقلات في مناصب العقداء الأربعة، الذين سارعوا إلى إنذار قطعاتهم والطلب إلى الهاشمي أن يستقيل تمهيداً لعودة الكيلاني إلى الحكم؛ ونجحوا في إجباره على ذلك في مطلع نيسان ـ أبريل 1941. وعندما شعر الوصي بالحركة العسكرية فرّ من قصره إلى القاعدة البريطانية في الحبانية، ومن ثم انتقل إلى البصرة بطائرة تابعة لسلاح الجو البريطاني وحاول التحريض ضد الحكومة الوطنية في بغداد، ولم يتجاوب معه سوى صالح جبر، متصرف البصرة، فأصدر قادة الجيش أمراً لحامية البصرة بالقبض عليه، ففرّ الوصي إلى القدس. وقد سيطر الجيش على المرافق العامة في البلاد. ولدى اجتماع المجلس النيابي في 10 نيسان ـ أبريل 1941 أعلن تنصيب الشريف شرف وصياً على عرش العراق بدلاً من عبد الإله وألفت بعد يومين حكومة الدفاع الوطني برئاسة رشيد عالي الكيلاني وعضوية ناجي شوكت، وناجي السويدي، وعلي محمود الشيخ علي، ومحمد علي محمود، ورؤوف البحراني، ويونس السبعاوي، والدكتور محمد حسن سليمان وموسى الشابندر.

وكانت هذه التطورات موضع معارضة بريطانيا. فأخذت تماطل في الاعتراف بالانقلاب وتعد العدة للقضاء عسكرياً على الحكم الوطني الجديد، وذلك بواسطة الفيلق العربي بقيادة غلوب في الأردن وقواعدها العسكرية في العراق وقوات إنزال في البصرة، وفي الثاني من أيار ـ مايو 1941 أعلنت بريطانيا الحرب على العراق وفتحت النار من قاعدة الحبانية وأنزلت قوات كبيرة في

البصرة وتحركت القوات من الأردن نحو الرطبة والرمادي فبغداد. وقد شارك في الدفاع عن الحكم الوطني أبناء الشعب والعديد من المناضلين الفلسطينيين الموجودين في العراق وتشكلت لجان شعبية في سورية للدفاع عن ثورة العراق.

استمرت الحرب إلى 29 أيار ـ مايو، حيث اضطر قادة الحركة إلى مغادرة البلاد. فعاد عبد الإله مع الحراب البريطانية وشكل وزارة موالية له أعلنت الأحكام العرفية في 2 حزيران ـ يونيو وحاكمت القادة الوطنيين وأصدرت عليهم أحكاماً غيابية بالإعدام. وقد تمكنت السلطان البريطانية من استلام الفارين من إيران، فأبعدتهم أول الأمر إلى روديسيا، ثم جاءت ببعض منهم إلى بغداد، ونفذت حكم الإعدام شنقاف بحق فهمي سعيد ومحمود سليمان ويونس السبعاوي في الخامس من أيار ـ مايو 1942، وكامل شبيب في آب ـ أغسطس 1944، وعلى أثر تسلم العقيد صلاح الدين الصباغ من تركيا قامت السلطات بإعدامه يوم 16 تشرين الأول ـ أكتوبر 1945. أما رشيد عالي الكيلاني فلجأ إلى عبد العزيز آل ـ سعود، ومن ثم قصد ألمانيا وثم السعودية ومصر ولبنان، وعاد إلى العراق بعد ثورة تموز 1958. توفي في بيروت صيف 1965.



ماو تسي تونغ

MAO ZEDONG

(1976 - 1893)

زعيم ثوري صيني

«النجم الساطع الذي انطفأ عند غياب الشمس»

أسس ماو زي دونج (Mao Zedong) المعروف بماو تسي تونج (Mao Tse-Tung) أيضاً، الحزب الشيوعي الصيني، واستولى على السلطة بالقوة العسكرية في أكبر بلد مأهول بالسكان على مستوى العالم، وألهمت ءنجازاته الحركات الشيوعية في عدد من البلدان الأخرى. فقد استطاع من خلال أفعاله المباشرة ومن خلال التوزيع الواسع لأفكاره عبر كتاباته، أن يحقق لنفسه مكانة مميزة كقائد شيوعي بارز وكواحد من أكثر القادة السياسيين ـ العسكريين نفوذاً في القرن العشرين.

ومع أن ماو قد صنع سيرته كقائد فذ يمثل الفقراء، فقد جاء إلى الحياة

عام 1893 منتمياً إلى عائلة غنية تملك أراضي زراعية وأعمالاً تجارية في قرية شاوشان (Shaoshan) بمحافظة هونان (Hunan)، ونتيجة لتلك الخلفية تمتع ماو بطفولة مرفهة ونال فرص التعليم المتقدم، ودرس تاريخ العالم العسكري والسياسي شاملاً إنجازات جورج واشنطن ونابليون وبطرس الأكبر ومواطنه سون تسو.

والده كان فلاحاً وورث هذه المهنة عن والده بينما كان يتابع الدراسة بعد الظهر.

خلافاً للتعاليم والمفاهيم الماركسية أطلق شرارة الثورة من الريف وليس من المصانع. أرسى أول قاعدة ثورية في هونان واعتمد على طبقة الفلاحين 1925 في إرساء هذه القاعدة.

خلال الحرب الأهلية الأولى 1925 ـ 1927 وضع أول كتاب له ويتناول تحليلاً لطبقات المجتمع الصيني مؤكداً على دور الفلاحين في الثورة والتغيير.

عارض ماو قيادة الحزب الشيوعي الصيني والتي اتهمها بمهادنة نظام تشيانغ كاي شيك مما أكسبه شعبية واسعة والتفاف جماهيري وفلاحي حوله. عين ماو رئيساً لاتحاد فلاحي عموم الصين. مع بداية العام 1927 بدأ ماو ببناء الجيش الثوري من الفلاحين وعمال المناجم. خاض أول مواجهة مع النظام بما سمي «انتفاضة حصاد الخريف» إلا أنه خسر المواجهة وألقي لاقبض عليه، تمكن من الفرار بعد أن جرد من قبل قيادة الحزب الشيوعي من كل مناصبه الحزبية وتحميله مسؤولية الهزيمة مع النظام.

بعد هربه من المعتقل لجأ إلى جبال جيفانغ وهناك أسس في نوفمبر 1927 قاعدة صينية حيث انضم إليه شوته ورجاله وبدأ في تنظيم عمليات المقاومة، بقي الحزب الشيوعي الصيني على موقفه الناقد لماو وسياسته. عمد ماو إلى توسيع «القواعد الحمراء» في مختلف الصين مما جعل السلطة تشن أكثر من هجوم لسحق هذه القواعد وإبادتها وكادت في الهجوم الخامس أن تنجح لولا مبادرة ماو إلى الانسحاب في اتجاه الشمال الغربي والقيام بتلك المسيرة الكبرى

التي استغرقت عاماً بأكمله فالجيش المؤلف من 100 ألف رجل، مشى في سنة واحدة 6 آلاف ميل، وخسر 70 ألف جندي.

وفي أيار ـ مايو 1928، بادر، عندما كان في المنطقة التي باتت تسمى «المنطقة الحرّة» إلى تنظيم عملية توزيع الأراض، والأسلحة على الفلاحين، جاعلاً من الاتحادات الفلاحية أداة الحكم الأولى. وقد قوبلت هذه السياسة، التي سماها سياسة «الاعتدال الديمقراطي»، بنقد عنيف من قبل سلطات الحزب العليا. لكن في المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي الصيني، الذي انعقد في موسكو في حزيران ـ يونيو 1938، حصلت مصالحة بين ماو والقيادات الحزبية التي وافقت على تبني سياسة ماو، ولكن بحدود وبصفة مؤقتة.

وعمدماو إلى إنشاء «قواعد حمراء» أخرى في كيانغ ـ سي، ولا سيما في المناطق التي يسيطر عليها الجيش الرابع بقيادة شوته، والجيش الخامس بقيادة بنغ تو ـ هويه. وقد أثار انتشار هذه القواعد ردة فعل عنيفة من قبل تشيانغ كاي ـ شك الذي حاولت قواته، بين 1950 و1934، خمس مرات متتالية تطويق القواعد الثورية وتدميرها. فصدت هذه القوات أربع مرّات، وفي الخامسة، بدت وكأنها قد انتصرت نهائياً وحققت هدفها في القضاء على ماو وتجربته الثورية.

ولو لم تبادر القوات، بقيادة ماو، إلى الانسحاب في اتجاه الشمال الغربي، والقيام بتلك «المسيرة الكبرى»، لقضي عليها نهائياً، ولربما كان قضي أيضاً على مستقبل الثورة في الصين.

وفي كانون الثاني ـ يناير، من العام 1935، وأثناء «المسيرة الكبرى». تسلم ماو زمام قيادة الحزب وترأس المكتب السياسي. وفي العام 1937، تحالف مع تشيانغ كاي ـ شك لصد العدوان الياباني (استمر هذا التحالف حتى العام 1945). بيد أن ماو رفض ترجمة هذا التحالف انصهاراً على صعيدي القوات والقيادات. صحيح إنه طالب بجبهة موحدة للأحزاب، بغية إحراج الكومنتانغ، لكن الذي كان يسعى إليه فعلاً هو إقامة جبهة موحّدة للمقاتلين

وللطبقات الاجتماعية بقيادة شيوعية. وسعياً وراء توحيد العمال والفلاحين الفقراء مع سائر الشرائح الاجتماعية المتضررة من التدخل الأجنبي، بما فيها شريحة المالكين المتضاربين، فرض منهاجاً أكثر اعتدالاً من المنهاج السياسي والاجتماعي الذي كان مطبقاً في المناطق المحرّرة.

وفي أثناء حرب المقاومة الوطنية هذه وضع ماو أهم أعماله وأرسى القواعد التي يعتبرها أساسية لكل حرب شعبية. ففي العام 1936 كتب «المشكلات الاستراتيجية للحرب الثورية في «الصين» وفي 1938 «في الحرب الطويلة الأمد» و«المشكلات الاستراتيجية لحرب الأنصار ضد اليابان». كما عرض في مقال كتبه عام 1940 تحت عنوان: «الديمقراطية الجديدة»، سياسة الجبهة الموحدة.

وعندما أعلنت اليابان استسلامها في آب ـ أغسطس، 1945، واجه الشيوعيون الصينيون السؤال الملحّ التالي: هل يتعين عليهم أن يبادروا فوراً إلى تشكيل حكومة اتحاد وطني مع الكومنتانغ وتنظيم انتخابات عامة وتوحيد القوات المسلحة؟ أم ينبغي عليهم أن يتأهبوا لمواجهة مسلّحة مع القوات الوطنية؟ ورغم أن موسكو ضغطت لاختيار الاتجاه الأول، إلا أن ماوتسي ـ تونغ رفضه بعناد، ودعا، في مقاله الشهير، «تخلو عن أوهامكم واستعدّوا للنضال» إلى صيانة الوجود المتميز للقوات الشيوعية، وفي مقدمتها القوات المسلحة. ولكن مع ذلك وافق على إجراء مفاوضات مع الكومنتانغ أسفرت عن توقيعه مع تشاينغ كاي ـ شك على اتفاق حل وسط (في تشرين الأول ـ أكتوبر 1945) تعهد فيه الشيوعيون بالتخلّي عن جزء كبير من المناطق الواقعة تحت سيطرتهم لصالح الكومنتانغ. لكن بعد أن قاطع الشيوعيون الانتخابات التي نظّمها تشيانغ كاي ـ شك انفجرت الحرب الأهلية (1946 ـ 1949) بين الشيوعيين وأنصار تشاينغ شاي ـ شك. وفي البدء اضطرت القوات الشيوعية، التي بات يطلق عليها اسم جيش التحرير الشعبي، إلى الانسحاب حتى يينان؛ غير أنها عادت فشنت هجوماً ساحقاً خلال عام 1948 و1949 ونجحت في استرداد بكين وشنغهاي وكانتون.

وفي الأول من تشرين الأول ـ أكتوبر 1949 أعلن ماوتسي ـ تونغ من ساحة تيين أنمين في بكين قيام جمهورية الصين الشعبية، فيما كان تشيانغ كاي ـ شك ينسحب مع أنصاره إلى جزيرة فورموزا.

وسرعان ما دخل ماو، الذي غدا رئيساً للحكومة، ورئيساً للجمهورية (من 1954 إلى 1959) ورئيساً للحزب، في صراع مكشوف مع موسكو أعلن فيه عن رفضه تبني المثال السوفييتي في الصين مفجراً ما اتفق على تسميته بـ «**النزاع الصيني ـ السوڤيتي**». **هذا النزاع، الذي تمحور، على الصعيد النظري، حول خمس وعشرين نقطة أساسية، أدى، على الصعيد العملي، إلى أحداث انشقاق جديد في الحركة الشيوعية العالمية وبالتالي، إلى إضعافها. وفي العام 1966، أطلق ماو شرارة الثورة الثقافية** الكبرى في الصين وأطاح بالرئيس **ليو تشاوشي** وعدداً كبيراً من القياديين التقليديين معتمداً في ذلك على الجيش **والحرس الأحمر**. أما «**الكتاب الأحمر**»، **الذي جمع أهم آراء ماو ومواقفه، فقدغدا في تلك الحقبة المضطربة من تاريخ الصين، إنجيلاً ليس بالنسبة إلى الشباب الصيني فحسب، وإنما أيضاً بالنسبة إلى شرائح عريضة من الشباب الثوري في العالم**.

توفي ماوتسي ـ تونغ في بكين في أيلول ـ سبتمبر، من العام 1976. وقد أعيد النظر في سياسته بعد وفاته، وانحسر نفوذ مذهبه وتأثيره بشكل ملموس، كما أدينت زوجته شيانغ شين وأُذِلَّت وأُدخلت السجن بتهمة التآمر على أمن الدولة. في حزيران 1991 أعلن نبأ انتحار شيانغ شين (77 عاماً) الزوجة الثالثة للزعيم ماوتسي تونغ، وكانت تقضي فترة عقوبتها في الإقامة الجبرية، ومعلوم أنها كانت مصابة بداء سرطان الحلق.

من أهم مؤلفاته وكتاباته: «تحليل طبقات المجتمع الصيني» (1926)، «تقرير عن التحقيق الذي أجري في هونان حول الحركة الفلاحية» (1927)، «القضايا الاستراتيجية للحرب الثورية في الصين» (1936)، «الديمقراطية الجديدة» (1940)، «مقدمة وملحق لتحقيقات في الريف» (1941)، «مداخلات في ندوات حول الأدب والفن في يينان» (1942) ـ أرسى ماو في هذه الدراسة قواعد فن

بروليتاري ـ «حول التقارير العشرة الكبرى» (1956)، و«في سبيل حل عادل للتناقضات في صفوف الشعب» (1957).

لم يتردد ماو مطلقاً في استخدام الجيش لقمع أي معارضة ضده داخل الصين، وقد قامت قواته خلال فترة حكمه بقتل عدد أكبر من الصينيين يفوق ما قتلته من الأعداء الخارجيين. وظل حكمه الممتد من عام 1949 وحتى موته بالعاصمة بكين في 9 أيلول/ سبتمبر 1976 وهو في الثالثة والثمانين من عمره، قوياً ومتماسكاً وفاسداً في غالبه بالمقارنة مع أي حكومة في العالم.

قد يبدو ظاهراً على السطح أن ماو تسي تونج قد ترك أثراً لا يمحي بسيطرته على أكبر بلد مأهول بالسكان في العالم. ولكن، على الرغم من كل تأكيدات ماو على استراتيجية المدى البعيد، فقد طبق فلسفة سياسية لم تسلم من تأثير الأحداث العالمية المتغيرة. ومع أن الصين قد استمرت في العمل تحت قبضة نظام شيوعي، فقد أضحت لا تطبق النموذج الشيوعي الذي طرحه ماو، بل إن من خلفوه في حكم الصين قد حاولوا بالفعل التخلص من إرثه. كما أن العديد من البلدان الشيوعية الأخرى التي دعمها ماو قد تدهورت أحوالها أو انهارت تماماً، ولم يبق أحد من تلاميذه الذين درسوا تعاليم كتابه الأحمر الصغير على سدة الحكم في أي مكان من العالم.

ولو كانت هذه القائمة تركز على التأثير السياسي أكثر من النفوذ العسكرية، لأمكن لنا وضع ماو في مرتبة أعلى ضمن التصنيف الذي اعتمده هذا الكتاب. وتعود مكانة ماو في القدر الأكبر منها إلى قوته السياسية أكثر من كونها نتيجة لبسالته كقائد عسكري. وفي الواقع، كان أكبر إنجاز له هو قدرته على البقاء واجتياز الظروف الصعبة والطويلة، وهو الأمر الذي ساعده في نهاية المطاف على الاستيلاء على السلطة في الصين. ويدور أغلب النفوذ السياسي لما وعقب وصوله إلى الحكم حول قمعه وقتله لأبناء شعبه. وباستثناء مساعدته لكوريا الشمالية بقوات في مطلع الخمسينيات ولفيتنام الشمالية بالأسلحة والإمدادات في الستينات ومطلع السبعينات، ومناوشاته مع بعض جيرانه

الضعفاء، لم يكن للصين تحت حكمه إلا قدر محدود من القوة العسكرية التقليدية خارج حدودها.

ظلت المكانة الكلية لماو تسي تونج ـ كشخصية مؤثرة في التاريخ الحديث ـ في تراجع دائم خلال ما يزيد على العشرين عاماً التي مرت منذ موته. كما تراجعت سمعته العسكرية ليصبح مجرد رئيس سابق، ووصم حكمه بالاستبداد والوحشية. وقد لا يحتل ماو كقائد عسكري سوى مكانة هامشية خلال القرن القادم مع استمرار تراجع نفوذه وتأثيره.



نيكيتا سرغيفيتش خروتشوف

NikitA SirqEyEf kHROTCOV

(1971 - 1894)

زعيم روسي

«الراعي والسلطة والحرب على الستالينية»

زعيم شيوعي ورجل دولة سوفييتي. حكم الاتحاد السوفييتي من 1953 إلى 1964 وتميز حكمه بالمعاداة الشديدة **للستالينية** وبإرساء الدعائم الأولى لسياسة **الإنفراج الدولي والتعايش السلمي**.

ولد نيكيتا خروتشوف في كالينوفكا بمقاطعة كورسك الواقعة على الحدود الفاصلة بين روسيا وأوكرانيا من عائلة يعمل أفرادها في المناجم. عمل في البداية راعياً. ثم عاملاً في مصانع الصلب والحديد. وانتسب إلى الحزب الشيوعي عام 1918 وحارب إلى جانب **الحرس الأحمر** أثناء الحرب الأهلية. وبعد أن استتب السلام بانتصار الثورة، اشتغل كعامل مناجم وانتسب إلى

الجامعة العمالية عام 1922 حيث أصبح أمين سر الخلية الشيوعية فيها. وبعد أن أنهى دراسته في الجامعة العمالية. تفرّغ للعمل السياسي في الحزب الشيوعي الأوكراني. وفي عام 1939 أوفد إلى موسكو للدراسة في أكاديميتها الصناعية وبقي فيها حتى عام 1931 حين عاد إلى أوكرانيا وأخذ يتسلق فيها بسرعة أعلى المراتب الحزبية، فعمل سكرتيراً لعدة لجان حزبية (1931)، ثم انتخب عضواً في اللجنة المركزية (1932)، فعضواً في مجلس السوفييت الأعلى (1937). فسكرتيراً أولاً للحزب الشيوعي الأوكراني وعضواً مرشحاً للمكتب السياسي (1939) وهو منصب رفيع يعتبر شاغله من قادة الاتحاد السوفييتي الفعليين.

وفي الحرب العالمية الثانية، تولى خروتشوف نقل الصناعات السوفييتية من أوكرانيا نحو الشرق، إنقاذاً لها من الاجتياح الألماني. ثم عمل في المجالس الحربية في الجبهتين الغربية والجنوبية الغربية، وشارك في تنظيم حرب الأنصار خلف الخطوط الألمانية، وساهم كمفوض سياسي في الجيش في الدفاع عن **ستالينغراد**. وفي العام 1943 مُنح رتبة فريق وعندما حرر السوفييت كييف في تشرين الثاني ـ نوفمبر 1943 عاد إلى العمل سكرتيراً أول للحزب الشيوعي الأوكراني.

وفي كانون الأول ـ ديسمبر 1949، انتقل خروتشوف إلى موسكو حيث أصبح أحد سكرتيري اللجنة المركزية للحزب. واكتسب سمعة طيبة في مجال السياسة الزراعية. في تشرين الأول ـ أكتوبر 1952 في المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعي السوفييتي، انتخب عضواً في المجلس الرئاسي للجنة المركزية ولأمانة سر اللجان. وبعد وفاة ستالين عام 1953 قرر أعضاء المجلس الرئاسي السبعة المجتمعون أن يتولى السلطة ثلاثة منهم هم: **موتولوف ومالينكوف وبيريا**. إلا أن بيريا طمع في الانفراد بالسلطة فاعتقل وأعدم. وبقي الاثنان: مولوتوف ومالينكوف.

وأفاد خروتشوف من تصفية بيريا فأزاح مالينكوف بسهولة. وأحل **بولغانين** مكانه. وفي الوقت نفسه تصدى لحل مشاكل هامة كانت مفتاح شعبيته (كتحسين

الأوضاع المادية. والإفراج عن المعتقلين السياسيين، والتقارب مع **تيتو**. وتطوير الاقتصاد الزراعي). غير أن ضربته الكبرى أتت في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي الذي أعلن فيه الحرب على **الستالينية**.

وكان المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفييتي (1956) أول مؤتمر عقد بعد وفاة «ستالين» وخضع فيه الخط الجديد للمناقشة قبل أن يقر ويطبق بعد ذلك على كافة الأصعدة: الإيديولوجي والاقتصادي والعلاقات بين الدول ذات الأنظمة المختلفة. وأعدت هذا المؤتمر لجنة تحضيرية مؤلفة من «خروتشوف» (رئيساً) وشبيلوف وكاغانوفيتش **وميكويان وسوسلوف** وفورشيلوف. ولم يكن من المقرر البحث في أعمال ستالين.

وفي 14 شباط فبراير 1956 افتتح خروتشوف المؤتمر العشرين. وتلا ـ على مدى ثماني ساعات ـ تقريره الذي يقع في مائة صفحة. وبعد أن عرض الوضع الدولي للاتحاد السوفييتي، والحالة الداخلية، ونتائج الخطة الخمسية للصناعة، ونمو الإنتاج الزراعي، ورفع المستوى الثقافي للشعب، وتقدم الديمقراطية وتقوية الشرعية في النظام السوفييتي، انتقل خروتشوف إلى مشاكل الحزب مستشهداً بلينين، منددا ببيريا، مشيراً إلى وفاة ستالين. إلا أن أحداً من الخطباء لم يشر ولو بإشارة عابرة إلى ستالين.

وأقر المؤتمر الخطوط الكبرى لتقرير خروتشوف. ثم دُعي المندوبون إلى جلسة خاصة مفاجئة حُدد يوم 24/ 2/ 1956 موعداً لها. حيث استمعوا إلى تقرير **خروتشوف**. وقد تسرب بعد ثلاثة أسابيع من ذلك التاريخ ما يشير إلى أن خروتشوف قد قدّم في تحليله، أمام الألف وخمسمائة مندوب، تقريراً حول عبادة الفرد ونتائجها ومساوئها، مع بحث حول القيادة الجماعية وفوائدها. وندد بجرائم ستالين وغروره، وبمساوىء بوليسه السياسي، وبأخطائه يوم شنّ الألمان هجومهم على الاتحاد السوفييتي (1941). وديكتاتوريته بعد الحرب العالمية الثانية في الداخل والخارج. وقد أحدث هذا التقرير ضجة كبرى في العالم الشيوعي وتوالت ردود الفعل حوله بين مؤيد ومعارض. ومع أن النص الكامل

للتقرير الهام ظل سراً. فإن ملخصه وضع في متناول قادة الحزب الشيوعي السوفياتي وبعض قادة بلدان المعسكر الاشتراكي، حتى أصبح السر معلوماً. وهكذا انتشرت روح التنديد بستالين والإشادة بخروتشوف في عدد من بلدان المعسكر الاشتراكي مسببة العديد من التصفيات والخلافات الحزبية وممهدة الطريق أمام انقسام الحركة الشيوعية العالمية بين موسكو وبكين.

وفي السنوات التي تولى خروتشوف فيها زعامة الحزب والحكومة في الاتحاد السوفييتي تفاقم **النزاع السوفياتي ـ الصيني**، في جوانبه القومية والإقليمية والإيديولوجية والاقتصادية وإن لم يشهد تفاقماً عسكرياً. وكان خروتشوف صاحب قرار سحب الخبراء والفنيين السوفييت من الصين، ووقف المساعدات الاقتصادية والفنية عنها (1961).

أما معركته في مواجهة الولايات المتحدة فيما يعرف **بأزمة الصواريخ الكوبية** (1962)، فإنها اتخذت طابعاً هدّد بنشوب حرب عالمية، لأنها أوصلت الدولتين العظميين إلى حافة الحرب.

انتهج خروتشوف إزاء بلدان العالم الثالث وبخاصة البلدان العربية سياسة انفتاح وتفهم وتأييد. فاتخذ موقفاً حاسماً من العدوان الثلاثي الذي وقع على مصر (1956). وقدم المساعدة لتحقيق مشروع السد العالي في مصر، فضلاً عن المشاركة في بناء مئات المشروعات الصناعية وكسر احتكار السلاح في المنطقة العربية (سوريا ومصر). وقد عمل خروتشوف ـ انسجاماً مع قوله بالتعايش السلمي بين الأنظمة السياسية المختلفة ـ على فتح النوافذ ومد الجسور إلى الشيوعية اليوغسلافية (اتفاقية التقارب بين الحزبين والدولتين في 4 ـ 12 تموز 1955).

ولقد أنجز خروتشوف الكثير على صعيد التنمية في الداخل. ومن إنجازاته إصلاح نظام التعليم (تشرين الثاني ـ نوفمبر 1958) والخطة السبعية (1959 ـ 1965)، فضلاً عن البرنامج السوفييتي الطموح لغزو الفضاء الخارجي، وتعاظم القدرة العسكرية للقوات المسلحة السوفييتية، وتطوير إنواع جديدة من الأسلحة

الإستراتيجية، وتنمية الاقتصاد السوفياتي (رغم النكسات في المجال الزراعي، التي لعبت دوراً في حيثيات تنحيته بعد ذلك)، ودعم قدرة الحزب الشيوعي وتنظيماته.

وعلى الصعيد الخارجي، شهدت فترة زعامة خروتشوف تطورات هامة أيضاً منها، حل «الكومنفورم» (1953)، وإنشاء حلف وارسو في العام 1955. وعقد اتفاقية الحظر الجزئي للتجارب النووية (1963).

وقد كانت التطورات التي انتهت بتنحية خروتشوف عن مناصبه سريعة ومفاجئة، ففي الأسبوع الأول من تشرين الأول ـ أكتوبر 1964، استدعاه المكتب السياسي للحزب إلى موسكو من إجازة كان يقضيها في القرم حيث واجه اتهاماً من المكتب السياسي بأنه لا يحقق فكرة العدالة الاشتراكية، ولا يقيم وزناً للمسؤولية الجماعية. وقد أصر أعضاء المكتب السياسي على أن يُصدر نقداً ذاتياً فلم يفعل. وطلب منه سوسلوف أن يستقيل من جميع مناصبه، ما عدا رئاسة الوزراة، فرفض خروتشوف ذلك، وناقش وبرهن وهدد على مدى ساعات.

وفي 14/10/1964 نُحّي خروتشوف عن كافة مناصبه. ويكاد يكون هناك اتفاق في الآراء على أن أبرز الأسباب وراء تنحية خروتشوف هي:

ـ انفراده بالسلطة خلافاً لمبدأ القيادة الجماعية، الذي أقر بعد وفاة ستالين وفي المؤتمر العشرين للحزب، 2 ـ فشل سياسته الزراعية، 3 الإساءة إلى هيبة الاتحاد السوفييتي إبان أزمة الصواريخ الكوبية، 4 ـ الإساءة إلى هيبة منصبه الحزبي والحكومي بتصرفات مظهرية أفادت منها الدعايات الغربية (مثل خلعه الحذاء وهو جالس على مقعده على رأس الوفد السوفياتي في دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام 1960 (والدق به على المنصة). 5 ـ تفاقم الخلافات وتبادل الاتهامات مع قيادة الحزب الشيوعي الصيني.

اعتكف خروتشوف بعد إعفائه من مناصبه في دارة ريفية (داتشا) قدمتها إليه الحكومة السوفييتيه حتى توفي في 11 أيلول ـ سبتمبر 1971. وقد ظهرت في

العالم الغربي قبل وفاته «سيرة حياة ذاتية» له بعنوان «خروتشوف يتذكر» (1970). وهي تغطي حياته، بما فيها السنوات التالية لإعفائه من مناصبه، وتحتوي على تقييم للأحداث والتطورات المعاصرة له، التي شارك فيها، والتي تابعها وهو في حياة التقاعد. ولكن خروتشوف نفسه أنكر نسبه هذه المذكرات إليه قبيل وفاته. أما نشر المذكرات في الغرب فيقول أن مذكرات خروتشوف قد نقلت من الاتحاد السوفييتي، في أجزاء منفصلة من مصادر مختلفة وفي أوقات متباينة، وإنه مقتنع «بما لا يدع مجالاً للشك» بأن هذه المذكرات تسجيل أصيل لكلمات خروتشوف، وإن لم يكن يعلم على وجه اليقين ما إذا كان مؤلفها قد قصد أن تجد طريقها إلى النشر سواء في بلاده أم في الغرب.



القيصر نقولا الثاني

Nkoula Second

(1917 - 1895)

«آخر القياصرة الروس»

آخر سلالة حكم عائلة رومانوف الذي دام أكثر من ثلاثة قرون منذ بداية العام 1613.

مع بداية حكم هذه العائلة لروسيا تركزت اهتماماتها على إعادة لملمة أراضي الإمبراطورية وتوسعها لتصل إلى البحار المفتوحة والمياه الدافئة.

وإذا كانت الأمبراطورية الروسية قد استطاعت أخيراً توسيع رقعتها جنوباً وشرقاً وغرباً وشمالاً لتمد سيطرتها على سيبيريا وولايات البلطيق وأراضي القوقاز والوصول إلى شاطىء المحيط الهادي تحت حكم هذه العائلة بزعامة (ميخائيل روزفانوف وبطرس الأكبر).

إلا أن أواسط القرن التاسع عشر حمل معه بداية الهزائم العسكرية لهذه الإمبراطورية إذ أن مصالحها أضحت في حالة تصادم مع مصالح الإمبراطوريات الأخرى المجاورة لحدودها التي اعتبرت التمدد الروسي مهدداً لمصالحها الإقليمية.

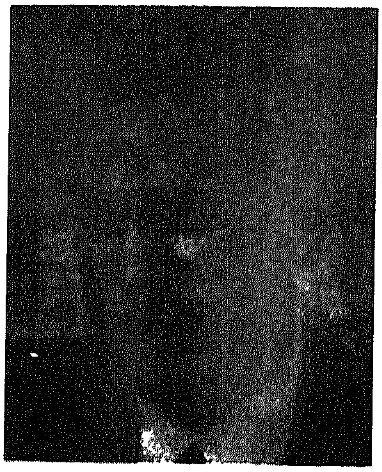
بعد وفاة والده إسكندر الثالث في العام 1894 الذي بدوره ورث الحكم عن والده إسكندر الثاني قتله الثائرون في سنة 1881 نصب نقولا الثاني قيصراً على روسيا فاستمر في نهج سياسة والده في تقييد الحريات وفتح معتقلات جديدة لكل المعارضة ونفيهم إلى سيبيريا وتصفيتهم هناك فضلاً عن تعزيز دور البوليس السري السياسي في قتل واعتقال كل المعارضين لسياسة القيصر ولم يكتف فقط بكل ذلك بل استعان بالكاهن راسبوتين ليدير بمشورته شؤون الدولة.

من هنا دخلت روسيا العديد من الحروب مع جيرانها وقد منيت بكل هذه الحروب بشتى أنواع الهزائم.

وهذه السلسلة المتواصلة بشتى أنواع هزائم الحروب كان الشعب المسحوق يدفع ثمنها دائماً وهذا ما أدى بالتالي إلى تعاظم النقمة الشعبية والجماهيرية ضد حكم القيصر نقولا الثاني مع إنهاء الحرب العالمية الأولى وهزيمة ألمانيا لروسيا بعد أن فقد الجيش الروسي حوالي المليونين قتيل وخمسة ملايين جريح ومليوني أسير عدا تراجعه عن الكثير من الأراضي الروسية التي احتلتها ألمانيا وحلفاءها.

انتهى حكم القياصرة لروسيا إذ اقتيد القيصر نقولا الثاني وجميع أفراد أسرته إلى سيبريا بعد انضمام الجيش للثوار وإجبارهم القيصر على التنازل عن العرش يوم 15 آذار 1917.

ثم إعدام آخر أسرة رومانوف في سيبيريا لتشهد روسيا بداية عهد حديد ويشهد معها العالم بداية عصر البلاشفة بزعامة لينين.



خوان بيرون دومينغو

KHWAN BIRON DOMINGO

(1974 - 1895)

زعيم أرجنتيني

«الزعيم وزوجاته الراقصات»

سياسي أرجنتيني ولد في بيونس إيريس سنة 1895. أصبح عقيداً في الجيش سنة 1940. اشترك في حزيران ـ يونيو سنة 1943 بانقلاب عسكري استلم بعده عدة مناصب سياسية في وزارة الدفاع والعمل، ثم أصبح نائباً لرئيس الجمهورية. اعتقل في 7 تشرين الأول ـ أكتوبر سنة 1945، إلا أن النقابات و«المعدمين» قاموا بانتفاضة بقيادة إيفا ديوارت (التي أصبحت زوجته فيما بعد) تمكنوا على إثرها من تحريره في 17 تشرين الأول ـ أكتوبر. انتخب رئيساً للجمهورية في 24 شباط ـ فبراير عام 1946. تميزت سياسته بالسعي لتحقيق العدالة الاجتماعية وحماية العمال وتبني النظام الموجه واتخاذ «موقف ثالث» بين

الرأسمالية والشيوعية. أعيد انتخابه بعد تعديل الدستور سنة 1951. وزع رجاله في كل المناصب وأقام حكماً بوليسياً. أما على الصعيد الاقتصادي فقد صادر الأملاك الكبيرة ووزع الأراضي وأمم المصرف المركزي والخطوط الحديدية والتجارة الخارجية وخفض العملة ودفع الديون الخارجية. رسم خطة خمسية للتصنيع وشجع الزراعة بالرغم من اتخاذه بعض الإجراءات المضرة بالفلاحين. أما على الصعيد الخارجي فقد التزم بالحياد ونادى باتحاد فدرالي بين دول أميركا اللاتينية وبالتقارب مع إسبانيا. انفجر صراعه مع الكنيسة عندما أباح الطلاق وقرر فصل الدين عن الدولة، كما حرم من الكنيسة لطرده أسقف بيونس إيرس. اصطدم كذلك بالجيش الذي أجبره في النهاية على الاستقالة (أيلول ـ سبتمبر 1955) لصالح الجنرال لوناردي، وعلى اللجوء إلى نيكاراغوا وفنزويلا والدومينيك وأخيراً إسبانياً. أسس أنصاره في الداخل «الحركة الوطنية من أجل العدالة» في أيار ـ مايو 1968 وكانوا آنذاك يتمتعون بتأييد شعبي قوي. عاد في نهاية عام 1972 من منفاه وأعلن أنه لن يرشح نفسه للانتخابات بل سيرشح أحد أنصاره الذي نجح في انتخابات الرئاسة سنة 1973، ثم ما لبث هذا الأخير أن استقال من منصبه ليفسح المجال أمام بيرون ليرشح نفسه لرئاسة الجمهورية. وفي 12 تشرين الأول ـ أكتوبر سنة 1973 عاد خوان بيرون مجدداً رئيساً للجمهورية حتى تاريخ وفاته في 1 تموز ـ يوليو عام 1974، وقد خلفته في هذا المنصب زوجته ماريا استيلا بيرون التي كان قد عينها نائبة له لإعادة إحياء أسطورة زوجته السابقة إيفا بيرون.

ويبدو أن ولع بيرون بالراقصات كبير، إذ أنه بعد وفاة زوجته مغنية الأوبرا الحسناء والتي تعاطف الشعب معها بشكل كبير نتيجة لبرامجها الاجتماعية والصحية لدعم المحرومين بعد تسلمها الوزارة العمل بشكل غير رسمي وتبوأها لمنصب نائبة الرئيس.

بعد وفاتها عاد وتزوج من ماريا الراقصة الشعبية التي أصبحت نائبة له في الحكم والتي خلفته في الرئاسة (1974 ـ 1976) وسقطت بانقلاب عسكري قاده ضباطها.



أحمد سوكارنو

AHMED SOCARNO

(1970 - 1901)

زعيم أندونيسي

«الحياة والحرية والاستقلال»

بطل قومي، وثائر وزعيم تحرري أندونيسي وأول رئيس جمهورية لأندونيسيا المستقلة. شكل مع الزعماء جمال عبد الناصر وجوزيف بروز تيتو ونهرو أقطاب دول عدم الإنحيار.

مارس السياسة وهو ما يزال على مقاعد الدراسة حيث انتسب للحزب الوطني الأندونيسي الذي كان يكافح من أجل استقلال بلده من الاستعمار الهولندي.

انتخب زعيماً لهذا الحزب الذي رفع لواء الحرية والاستقلال وإنهاء الاستعمار لبلده. سجن عدة مرات وحكم عليه بالنفي وفي عام 21942 أثناء

إقامته في منفاه في جزيرة سومطرة أطلق اليابانيون سراحه بعد اجتياحهم لأندونيسيا في الحرب العالمية الثانية. بعد هزيمة اليابان وانسحابها من أندونيسيا عام 1945 شكل شوكارنو حكومة وطنية معلناً استقلال أندونيسيا مستمراً في النضال لتحرير كامل التراب الأندونيسي من الهولنديين الذين عادوا إليها بعد هزيمة اليابان رضخت هولندا أخيراً للمطالب الوطنية وانسحبت من معظم الأراضي الأندويسية معترفة باستقلالها محتفظة بمنطقة غرب غينيا الجديدة التي استعادتها أندونيسيا مجدداً في العام 1962.

اتبع سوكارنو سياسة تحررية داخلياً وخارجياً حتى أضحى رمزاً من رموز حركة التحرر بالعالم وقطباً أساسياً من أقطاب دول عدم الإنحياز نادى بالاستقلال والحرية ومعاداة الاستعمار والاستعباد والتمييز العنصري بكل صوره وأشكاله.

تآمرت على قلب نظام حكمه قوى عسكرية محلية مدعومة بشكل كامل من الولايات المتحدة الأميركية ونجح الانقلاب في فرض السيطرة للعسكريين الانقلابيين بزعامة الجنرال سوهارتو الذي قاد مجزرة رهيبة بحق كل المعارضين للسياسة الأميركية داخل أندونيسيا إذ قتل أكثر من نصف مليون مواطن عدا الاعتقالات التي شملت الألوف من المواطنين وكانت حجة زعماء الانقلاب الإجهاض على انقلاب شيوعي كان يجري تدبيره، وأكثر ما كان يزعج الولايات المتحدة في سياسة سوكارنو هو مشاركته الإيجابية والفاعلة في سياسات عدم الإنحياز وعلاقاته الوثيقة مع الصين وتأييده العنيد للثورة الڤيتنامية ولقوى التحرر في العالم وبالذات القضايا العربية الوطنية.

بقي سوكارنو رئيساً للجمهورية شكلياً تحت رحمة قوى الانقلاب حتى شباط 1967 حين أرغم على التخلي نهائياً عن الرئاسة لينتخب سوهارتو رئيساً بالنيابة ثم بالأصالة لجمهورية أندونيسيا.

بجانب الصفات النضالية القيادية التي اكتسبها سوكارنو خلال مقاومته للاستعمار الهولندي وتزعمه لأندونيسيا الجمهورية المستقلة كانت حياته الخاصة

مليئة بالغراميات والمغامرات النسائية بشكل خاص حتى أثناء قيامه بالزيارات الرسمية الخارجية.

اشتهر بتعدد الزوجات الجميلات ويقال إن إحدى زوجاته راتونا باري ديوي اليابانية الجنسية كانت ترتبط بعلاقات مخابراتية مع السفارة الأميركية في جاكرتا وكانت ذا تأثير قوي عليه بعد أن جاوز عمره ألستة والستون عاماً.

في بداية انعقاد مؤتمر باندونغ (18 ـ 24 نيسان 1955) والذي عملت الدول الاستعمارية على محاربة انعقاده لخص سوكارنو في خطابه الترحيبي أفكاره ومبادئه التحررية ونظرته لمستقبل العالم إذ قال: «إن الدول المشتركة في هذا المؤتمر متحدة في كراهيتها للاستعمار والتمييز العنصري ومصممة على صيانة أمن العالم واستقراره والمسائل المعروضة على المؤتمر إنما تتصل بمستقبل الجنس البشري بحياته أو بفنائه وعليه أن يواجهها في شجاعة وحسم.



هيروهيتو

Hirohito

(1990 - 1901)

زعيم ياباني

«الذات الإلهية ورمز اليابان وحاميها»

إمبراطور اليابان ال 124 عام 1926، موالدي طوكيو 1901.

حمل لواء التوسع الاستعماري على حساب جيرانه فاكتسح مقاطعة منشوريا الصينية واحتلها في العام 1931 ونصب آخر سلالة أسرة المانشو التي أسقطت عن العرش بفعل ثورة الصين عام 1911 إمبراطوراً عليها. في العام 1937 شن الحرب ضد الصين للسيطرة عليها نتيجة لمخاوفه من القدرة العسكرية والاقتصادية المتصاعدة لها وتهديدها مستقبلاً لليابان.

في العام 1941 دخلت اليابان الحرب العالمية الثانية وبشكل مفاجىء

بالهجوم على قواعد الأسطول الأميركي في بيرل هاربر، وهذا ما أدّى بالتالي بشكل مباشر إلى دخول القوات الأمريكية كطرف أساسي في الحرب.

بعد إغراق الأسطول الأمريكي في المحيط الهادىء اجتاحت الجيوش اليابانية الفيليبين وأندونيسيا والهند الصينية والملايو وسنغافورة وبورما.

مع تطور مجريات الحرب العالمية الثانية لجأت الولايات المتحدة الأميركية إلى إدخال أسلحة التدمير الشامل في الحرب فتم إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما وناغازاكي واستسلام اليابان بلا قيد أو شرط عام 1945بعد أن تكبّد اليابانيون خسائر بشرية تفوق المليون قتيل من جثث الأبرياء ورماد الأطفال وعظام المشوهين وتلوث إشعاعي ذري في الماء والهواء وكل الحياة على الأرض ودمار شامل كلّف عشرات السنين لإعادة بنائه.

أول كانون الثاني 1946 فرض ماك آرثر، القائد الأعلى للقوات الحليفة، على هيروهيتو وجوب التخلّي عن ذاته الإلّهية. وهكذا بمرسوم موقع من إنسان، لا يعود هناك من مجال لأي تأثير ربّاني.

ولكن في العام 1952 بعد معاهدة سان فرنسيسكو التي قررّت الولايات المتحدة بنتيجتها الانسحاب من اليابان أرض الشمس، عاد الإمبراطور إلى معبد إيس للظهور أمام مجلس أعيانه، وأكّد من جديد أمام شعبه والعالم صفته الإلّهية، وكُرِّس مجدداً بأنه رمز الأمة وحامي الهوية اليابانية وقمة الهرم الذي من خلاله يمكن الاتصال بالله.

قبل نهاية الحرب العالمية الثانية كان كل ما له علاقة بالإمبراطور هيرهيتو يعتبر مقدّساً، وكذلك الحال بالنسبة لكل أباطرة اليابان لأن بقاء الشرعية مرتبط ببقاء الإمبراطور، وفقدانه يعني بطلان هذه الشرعية. فعندما يخرج من القصر يجب إخلاء الطرق من أي كائن بشري وإغلاق النوافذ والأبواب، وحتى في المطارات تسدل الستائر ويفرض على المسافرين إحناء رؤوسهم. وعندما يقرّر الإمبراطور الخروج، وهذا يحصل مرتين في السنة، للانتقال إلى مقره الصيفي أو الشتوي، يخضع السائق الذي يكلّف بقيادة مقطورته إلى فحص طبي هو

وعائلته، ولا تتم الموافقة عليه إلا إذا تمكّن من الإقلاع والوقوف دون أن يتسبَّب بتحطيم البيضة الموضوعة على طاولة خلفه. وفي المدارس فرض على الأطفال الانحناء أمام صورة الإمبراطور، في الوقت الذي يقوم فيه الجنود بالإنشاد بصورة مستمرة: «مهما كان حجم المخاطر التي تعرَّضنا لها، فسنموت من أجل الإمبراطور».

بعد وفاة الإمبراطور هيروهيتو، وانتهاء فترة الحداد في 12 تشرين الأول 1990، تمَّ تنصيب ولي العهد أكيهيتو إمبراطوراً لليابان والسماء.



داغ همرشولد

Dag Hamerchold

(1964 - 1905)

اقتصادي سويدي

«المطرقة والدرع»

الأمين العام للأمم المتحدة 1953 - 1964، اقتصادي سويدي.

نائب وزير الخارجية السويدي، انتخب كثاني أمين عام للأمم المتحدة بعد استقالة تريجفي لي الأمين العام الأول للأمم المتحدة عام 1953 ثم جدد له العام 1958، وبقي في منصبه حتى مقتله في العام 1961 عندما لقي مصرعه في حادث تحطم طائرته في الكونغو أثر توجهه لروديسيا لمفاوضة تشومبي حول مشكلة الكونغو وانفصال إقليم كاتنجا عن الكونغو (زائير سابقاً) ولتاريخه لم تعرف الجهة التي كانت وراء تحطم طائرته.

كان همرشولد موظفاً في الحكومة السويدية، يشغل وظيفة كبيرة ولكنها

لم تصل إلى مرتبة وزير. . . وكان أهم ما فيه أنه من أسرة أرستقراطية وعلى جانب كبير من الثراء، فقد كان أبوه رئيس وزراء السويد. وكان أجداده من المحاربين في جيوش السويد التي كانت تعيش في حروب مستمرة مع جيرانها قبل أن تتحول في تاريخها الحديث إلى البلد المحايد الذي يعيش في سلام ويدعو إلى السلام.

ولم يكن أحد قد سمع باسمه خارج بلاده. . . أو ربما سمع به بعض الناس مرة كل سنة، فقد كان عضواً في اللجنة التي تبحث موضوع المرشحين لجائزة نوبل للسلام.

عندما هبطت به الطائرة في مطار نيويورك ليتولى منصب الأمين العام للأمم المتحدة بعد استقالة تريجفي، كان أول سؤال وجهه له الصحافيون كيف تنطق اسمك؟ كيف تكتبه؟ وأراد أن يبسط لهم اسمه المكون من اثني عشر حرفاً فقال إنه مكون من كلمتين: هامر (المطرقة) وشيلد (الدرع) فهذا هو الاسم الذي أطلق منذ عدة قرون على جده المحارب: المطرقة والدرع.

ثم لم تمض ثلاث أو أربع سنوات على هذا الرجل الذي كانوا لا يعرفون كيف ينطقون اسمه، فإذا به قوة هائلة على المسرح الدولي. . . قوة لها دورها الفعال المؤثر، الموجه، في الأحداث الدولية الكبرى. . . دور يضاهي دور الدول الكبرى، وإن كانا دورين مختلفين، وربما متناقضين متعارضين، لأن دور الدول الكبرى قائم على قوتها السياسية والعسكرية والاقتصادية. أما دور الأمم المتحدة فقائم على التفاف الدول الصغرى حولها وعلى مساندة الرأي العام العالمي لها.

وصار همرشولد أحد ثلاثة أو أربعة رجال في العالم هم أقوى زعمائه وقادته الموجهين. . . وقبل زعماء الدول الكبرى، أو بعضهم، أن يشاركهم الأمين العام للأمم المتحدة، ما لهم من قوة ونفوذ في العالم. . . وعندما تأزمت الأمور في إحدى المراحل، اقترح خروتشوف زعيم الاتحاد السوفياتي عقد مؤتمر قمة على أعلى مستوى تصل إليه القمة. فاقتصر الاشتراك فيه على ستة

رجال: رؤساء الدول الخمس الكبرى وسادسهم همرشولد... الذي استطاع أن يجعل من منصبه ومن عمله القوة السادسة في العالم.

موقفه من العدوان الثلاثي على مصر عام 1956

كانت مواهب همرشولد مخبأة وراء وجه يبدو عليه الخجل والحياء، ووراء قوام نجيل يبدو أن صاحبه منصرف إلى الرياضة البدنية، وقد عرف أنه من هواة تسلق الجبال... ولم يكن قد بلغ الخمسين في وقت كان فيه معظم السياسيين شيوخاً وكهولاً.

أول امتحان فعلي لجدارته كأمين عام للأمم المتحدة كانت أحداث السويس أو العدوان الثلاثي على مصر عام 1956.

فمع إقدام مصر على تأميم قناة السويس، كانت الضربة التي لا تقبلها بريطانيا وفرنسا، وكانت الفرصة التي تنتظرها إسرائيل فقررت الدول الثلاث القيام بعملية عسكرية رسموها وخططوها... فتكون إسرائيل هي البادئة، فتزحف بجيشها إلى قناة الوسيس ممهدة بالتالي لتدخل بريطانيا وفرنسا تحت حجة حماية القناة كشريان إستراتيجي عالمي. وبذلك يتم القضاء على جمال عبد الناصر وحرمان مصر من حقها في السيطرة على القناة والثأر منها لدعمها وتبنيها لثورتي الجزائر واليمن الجنوبي ويتم إرهاب العرب جميعاً فتخرج من رؤوسهم أوهام التحرير والاستقلال والوحدة الذي تجسدت جميعها في نضالات جمال عبد الناصر والشعب المصري.

دور مجلس الأمن

قر همرشولد أن يدعو مجلس الأمن إلى الانعقاد، لا لتلقي فيه الخطب وتصدر قرارات الإدانة والاستنكار مثلما كان يفعل المجلس طوال السنين الأخيرة ولكن ليتخذ موقفاً فعالاً في وقف العدوان، ثم رد القوات المعتدية إلى حيث جاءت ثم وضع خطة لإعادة الهدوء إلى المنطقة.

ألقى عند افتتاح المجلس كلمة وجيزة ولكنها دوت في الأمم المتحدة،

ودوت في العالم كله... فقد حدد مهمة الأمين العام كما يراها حين قال في كلمته.:

«إن مبادىء ميثاق الأمم المتحدة أهم بكثير من الأهداف السياسية لأي دولة... الأهداف هي مرجعه الأول والأخير فيما يحق له أن يفعله.

«من أجل هذا، يجب عليّ أن أتقدم للعمل في هذا الظرف العصيب...» «ليس في إمكان الأمين العام أن يقوم بمهمته هذه إلا إذا حافظت كل دولة من الدول الأعضاء على شرف تعهدها باحترام ميثاق الأمم المتحدة...».

«إن معنى ما قلته الآن واضح جلي للجميع دون حاجة إلى أي إسهاب وتفصيل».

«أما إذا كان للدول الأعضاء وجهه نظر أخرى في واجبات الأمين العام فمن حق هذه الدول كما أن من حق الأمين العام، أن يتصرفوا تصرفاً آخر». وكانت الجملة الأخيرة التي تحمل تصميمه القاطع على الاستقالة «إذا كان للأعضاء وجهة نظر أخرى» وذلك كإشارة واضحة منه إلى أن على الدول الأعضاء أن تعلن الآن موقفها.

وإذا كانت مصر والأمة العربية بقيادة جمال عبد الناصر قد رفضت الإنذار البريطاني ـ الفرنسي وقاومته ودحرت العدوان الثلاثي على مصر فإن من الإنصاف هنا أن يُذكر للأمين العام للأمم المتحدة همرشولد وقفته الجادة والهامة في دفع مجلس الأمن لرفض العدوان وإدانته بجانب كل الرفض الشعبي العالمي له.

أزمة الكونغو

كانت الونغو بعد مرور ستة أشهر فقط على إعلان الاستقلال غارقة في الفوضى والاضطرابات تتقاسمها ثلاثة سلطات:

السلطة المركزية في ليو بولدفيل، وسلطة حكومية بزعامة جيزنغا المدعوم من باتريس لومومبا، وسلطة المناطق الشرقية المدعومة من الماركسيين والاتحاد السوفياتي.

إزاء هذا الوضع المتمزق للكونغو وجد الرئيس كازافوبو نفسه مضطراً لأن يقبل أن تضع الأمم المتحدة يدها على الوضع في الكونغو (قرار مجلس الأمن في 21 شباط 1961) وإن يشرف أمينها العام داغ همرشولد على إعادة تنظيم الجيش والمالية وإعادة الأمن والوحدة إلى الكونغو.

طار همرشولد إلى روديسيا لمفاوضة تشومبي حول وقف إطلاق النار الذي أعلن الأخير رفضه لقرارات الأمم المتحدة فانفجرت طائرته بالجو ولقي مصرعه في عام 1964 دون أن تسفر التحقيقات التي أجريت بعد ذلك عن تحديد الجهة التي كانت وراء هذا الحادث.



سلفادور النّدي

SElfAdoR AlNdi

(1973 - 1908)

زعيم تشيلي

«قتلوا الرئيس والسلاح في يده»

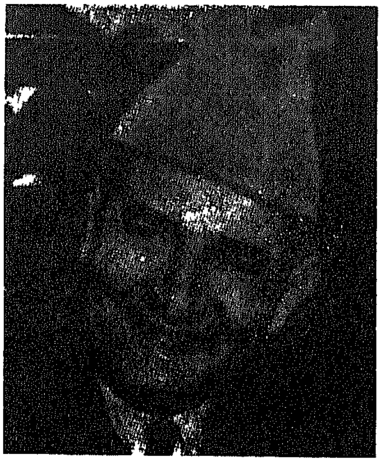
مناضل وسياسي ورجل دولة شيلي، ولد في فالباريزو من عائلة برجوازية. درس الطب ولم يمارسه سوى مدة قليلة إذ تخلى عنه لينخرط في العمل السياسي النضالي، وليساهم في تأسيس الحزب الاشتراكي عام 1933. أصبح نائباً في عام 1937، وفي العام التالي قاد حملة «أغيره سيردا» الانتخابية الذي انتخب رئيساً للجبهة الشعبية في شيلي فعيّن ألّندي وزيراً للصحة بين 1939 و1942. وفي عام 1943 أصبح أميناً عاماً للحزب الاشتراكي، وسيناتوراً منذ 1945 ونائب رئيس، ثم رئيساً لمجلس الشيوخ، ورئيساً لجبهة العمل الشعبي التي أصبح مرشحها للانتخابات الرئاسية في عام 1964 بعد أن كان تقدم لترشيح

نفسه لهذا المنصب في عامي 1952 و1958. وفي 4 أيلول ـ سبتمبر 1970 انتخب رئيساً للبلاد كمرشح للوحدة الشعبية التي كانت تضم الاشتراكيين والشيوعيين والمنشقين الديمقراطيين ـ المسيحيين والراديكاليين.

كان سلفادور ألّندي ماركسياً وصديقاً شخصياً للرئيس الكوبي فيدل **كاسترو**. عمل على قيادة شيلي نحو الاشتراكية ضمن نطاق الشرعية. إلا أن هدفه اصطدم بمعارضة طاحنة من قبل البورجوازية الداخلية المتمثلة في الاتجاهات السياسية والبرلمانية والاقتصادية، وبحصار محكم فرضته الولايات المتحدة الأميركية منذ إقدامه على تأميم مناجم النحاس والمصارف والشركات الأساسية. فمنذ حزيران ـ يونيو 1972، وهو تاريخ توقف المشاورات بين حزبي الوحدة الشعبية والديمقراطية المسيحية، أخذت المعارضة تقود عمليات إنهاك عديدة ضد نظام أللندي، منها: شن حملة صحيفة عنيفة عبر جريدة «إل مركيرو» المعبرة عن وجهات نظر اليمين المتطرف؛ واقتراع مجلس النواب على عزل وزير الداخلية في حكومة ألّندي هرنان دل كانتو؛ واستغلال الحزب القومي (اليمين المتطرف) لإضراب التجار؛ وإضراب النقليات الذي نظمته نقابة سائقي الشاحنات (ديمقراطية ـ مسحيية)؛ وقيام شركة أميركية للتنقيب عن النحاس (برادن كنيكوت كوربوريشن) بقيادة حملة دولية واسعة مطالبة بتطبيق إجراءات الحجز على شحنات النحاس المسلّمة إلى الخارج. إلا أن هذا العمل قلب الموقف لصالح ألّندي: ففي الخارج، أعلنت أهم البلدان المنتجة للنحاس دعمها للموقف الشيلي، وفي الداخل أعاد حرب النحاس تجميع أحزاب اليسار الوسطية واليسار الشيلي، وتشكلت حكومة جديدة في 31 تشرين الأول ـ أكتوبر 1972 دخلها الجنرال براتس، وتوقف إضراب التجار وسائقي الشاحنات. وعلى الرغم من الإجراءات الشديدة المتخذة لمعالجة التضخم وتطبيق نظام التقنين على المواد الغذائية فقد تخطى الدعم الشعبي لألّندي نسبة الـ 36٪ (أثناء الانتخابات الرئاسية عام 1970) إلى 43٪ (أثناء الانتخابات التشريعية في آذار ـ مارس 1973). وقبل الديمقراطيون المسيحيون، نتيجة هذه الانتخابات، انتهاج سياسة «المعارضة البناءة»؛ وطعّم ألُّندي الحكومة بعناصر معتدلة، مما أثار

حفيظة «حركة اليسار الثوري» الذي كان قد أنكر الشرعية البورجوازية منذ تموز ـ يوليو 1972 وطالب بإحلال الجمعية الشعبية محل الكونغرس. فسارع إلى إعلان القطيعة مع ألندي متهماً إياه بالإصلاحية.

أما الجيش الذي كان يعتبر إلى جانب الشرعية فقد بدأ تهديده لها عندما قام بمحاولة إنقلابية فاشلة في 29 حزيران ـ يونيو 1973. ثم عاود محاولته في 11 أيلول ـ سبتمبر من السنة نفسها بقيادة الرؤساء الأربعة الكبار للجيش والشرطة، فقصفوا في اليوم ذاته قصر لامونيدا الرئاسي وقتلوا الرئيس سلفادور ألّندي والسلاح في يده واستولوا على السلطة في البلاد، وباشروا بحملة قمعية هي من القسوة بحيث أثارت استنكار العالم بل استنكار بعض مسؤولي الدوائر السرية الأميركية الذين كانوا في الأصل وراء تدبيرها. وما زالت تجربة ألّندي في السلطة مدار بحث ونقاش ليس في أوساط الاشتراكيين والماركسيين وحسب، بل لدى مختلف التيارات والاتجاهات السياسية والعقائدية.



محمد الخامس

MoHAMED CINQUIEME

(1961 - 1910)

زعيم مغربي

«من المنفى إلى سدة المملكة»

عاهل المغرب. واجه الاستعمار الفرنسي وقاد بلاده إلى الاستقلال.

تولى محمد بن يوسف الحكم عام 1927 بعد وفاة والده السلطان، والمغرب في أوج المرحلة الاستعمارية التي عرفت بنظام «الحماية». لكن السلطان الشاب عرف كيف يستغل حاجة الفرنسيين إليه لكسب حرية تحرك نسبية، سمحت له بإبداء تعاطفه مع الحركة الوطنية الناشئة. إذ كان الفرنسيون يلمسون مدى الاحترام الذي يكنه المغاربة تقليدياً للسلطان. ومع تعاظم شأن الحركة الوطنية الناهضة بعد الحرب العالمية بزعامة علال الفاسي خاصة، أصبح تعاطف السلطان معها أكثر وضوحاً.

وقد تطور الأمر إلى مواجهة بين السلطان والسلطة الفرنسية حين رفض عام 1950 التصديق على أحد مراسيم الحاكم الفرنسي. ولم يغير من موقفه الاستقبال الرسمي الذي خصّص له أثناء زيارته لفرنسا ذلك العام. بل أن محمداً أكد على منحاه الوطني عندما استقبل أعضاء مجلس الحكم الذين كانوا رفضوا الموازنة الفرنسية. لكن الفرنسيين تمكنوا بعد ذلك بأشهر، وبمساعدة حلفاء لهم من البرابرة بقيادة الغلاوي (الكلاوي) من أن ينتزعوا منه إدانة لحزب الاستقلال. على أن هذه الانتكاسة لم تدم طويلاً، إذ طالب السلطان فرنسا عام 1952 باستقلال المغرب الكامل. وبالطبع ، رفض الفرنسيون وبدأوا التحضير لإطاحته. فقامت بعض العناصر الموالية لفرنسا لاسيما الغلاوي، وجماعته المتمركزون في جبال الأطلس، تطالب بخلع السلطان. وبالفعل عمد الفرنسيون إلى استبداله بأحد أقربائه وهو السلطان **محمد بن عرفة**. وفي آب ـ أغسطس 1953 ، نفي سيدي محمد إلى كورسيكا فجزيرة مدغشقر. لكن هذا الأجراء لم يغير شيئاً، إذ واصلت الحركة الوطنية ضغطها، وقامت اضطرابات عنيفة. وسرعان ما تبين للفرنسيين أن إعادة السلطان هي الجواب الواقعي الوحيد لمطالب **حزب الاستقلال**. فأعيد تنصيبه سلطاناً في أواخر 1955، بعد أن انتشر مطلب عودته حتى في أعدائه، وفي مقدمتهم الغِلاوي. وبعد أشهر قليلة، انتهى نظام «الحماية» الفرنسي والإسباني، واعترفت فرنسا باستقلال المغرب بتوقيعها على اتفاقية رسمية في آذار ـ مارس 1956 تبعتها إسبانيا بعد شهر. وفي 1957 أعلن محمد نفسه ملكاً تخلياً عن لقب السلطان الذي اعتبره بائداً.

تميز عهده بعد الاستقلال بسياسة انفتاح خارجي. فاستطاع أن يجمع بين العلاقات مع فرنسا ودعمه لجبهة التحرير الوطني في الجزائر، رغم أن فرنسا خذلته حين اختطفت طائرة الزعماء الجزائريين بعد ساعات قليلة من لقاء كان جمعهم إليه في الرباط. كذلك، ارتبط محمد الخامس بعلاقات طيبة مع الرئيس **جمال عبد الناصر** ومع الاتحاد السوفييتي.

أما على الصعيد الداخلي، فقد فرض نفسه زعيماً وطنياً. إلا أنه واجه أزمة شديدة عام 1960، فأقال الحكومة وتولى رئاسة الوزراء بنفسه. وفي العام التالي، توفي بنوبة قلبية داهمته بعد خضوعه لعملية جراحية.



كوامي نكروما

KOUAMI NICROMA

(1972 - 1010)

زعيم غاني

«السيادة الوطنية والتحرر»

رجل دولة غاني وسياسي إفريقي بارز، ومناضل عالمي في سبيل الحرية والاستقلال.

أسس في العام 1949 حزب المؤتمر الشعبي الذي حصر مطالبه بالاستقلال الذاتي المباشر عن السلطات الاستعمارية البريطانية أودع السجن عدة مرات بتهمة الشيوعية.

خلال اعتقاله حقق حزبه انتصاراً كاسحاً في انتخابات 1951 مما أرغم الإدارة الاستعمارية على إخراجه مباشرة من السجن إلى ترؤس أول حكومة للسود في تاريخ غانا.

حتى العام 1956 استمر نضال نكروما وحزبه في سبيل الحصول على الاستقلال الكامل حتى أرغم الاستعمار البريطاني على الاعتراف بجمهورية غانا مستقلة العام 1960 أثر الاستفتاء الشعبي على إعلان الجمهورية ونيل نكروما 89٪ من أصوات المقترعين.

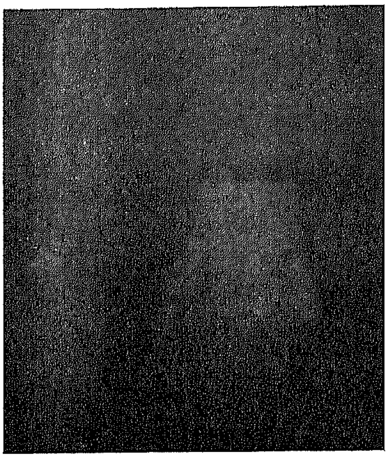
مع إعلان الاستقلال أخذت غانا بزعامة نكروما تخطو خطوات تعزيز سيادتها على كل مواردها الاقتصادية وتنهج نهجاً مستقلاً تحررياً في العلاقات مع العالم الخارجي وهذا ما جعل الشركات الأجنبية المستغلة لثرواتها تضيق الخناق على تقدمها الاقتصادي وتخلق الاضطرابات والإضرابات مع تسريح العديد من العمالة الوطنية، مما جعل الحكومة الغانية في العام 1961 تواجه إضراباً عاماً لعمال الأحواض والسكك الحديدية احتجاجاً على رواتبهم المتدينة وأحوالهم المعيشية المتردية.

في السياسة الخارجية برز كوامي نكروما كأبرز داعية للوحدة الإفريقية وكان مؤتمر القمة الإفريقي الذي عقد في أكرا سنة 1965 مظاهرة دولية من الدرجة الأولى ضد مخططات السيطرة الأميركية. ثم أن نكروما كان قد كلف مجموعة من الباحثين الأوروبيين بجمع معلومات عن شركات الاحتكار الكبرى التي استولى ـ حتى بعد الاستقلال ـ على كل موارد الثروة الطبيعية في إفريقيا وعن علاقة هذه الاحتكارات ببعضها، ثم جعل من كشف أساليبها في السيطرة على شعوب القارة ومواردها قضيته الأولى، وكان يسميها «العصر الثاني للعبودية»، إضافة إلى أن نكروما بدأ يلعب دوراً نشطاً في حركة عدم الإنحياز وفي مساعدة حركة التحرر الوطني في إفريقيا إذ وقع مع الرئيس أحمد سيكوتوري رئيس غينيا ميثاق اتحاد ثم انضمت إليه مالي وارتبط بعلاقات نضالية قوية مع باتريس لومومبا في الكونغو وشكل مع مجموعة من الدول التقدمية مجموعة «الدار البيضاء» مقابل مجموعة منروفيا المحافظة. قطع نكروما العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا بسبب موقف الإدارة البريطانية من مشكلة روديسيا.

أتهم نظام حكم نكروما بالشيوعية واليسارية لارتباطاته بالكثير من العلاقات الاقتصادية والسياسية مع مجموعة الكتلة الشيوعية.

قاد رئيس أركانه السابق عام 1966 انقلاباً عسكرياً أطاح بنكروما وحكومته وكان أول اهتمامات العهد الجديد إعادة العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وإفساح المجال للشركات الأجنبية بإعادة العمل بحرية وقطع كل علاقة لغانا بقضايا التحرر العالمية.

توفي نكروما في نيسان 1972 بمرض السرطان في أحد مستشفيات رومانيا ليقام له في العام 1975 وأمام مقر برلمان غانا نصباً تذكارياً لتخليده.



الأسقف مكاريوس

MCARYOSE

(1977 - 1913)

زعيم قبرصي

«الإصرار على الاستقلال التام»

الأسقف، والمناضل من أجل الاستقلال، وأول رئيس لجمهورية قبرص المستقلة. اتصف بروبه الأسود الطويل وبلحيته الطويلة وبالصليب الكبير حول عنقه، وبقلنوسته السوداء.

قدر هذا الأسقف أن يتزعّم منظمة «أيوكا» القبرصية المنظمة العسكرية التي كانت وراء كل الأعمال العسكرية ضد الاستعمار البريطاني لأرض الجزيرة.

سجن عدة مرّات لمناهضته التواجد الإنكليزي الأجنبي على أرضَ قبرص، وتم نفيه لاحقاً (آذار 1956) إلى جزر سيشيل حيث قضى عاماً ثم عاد في آذار 1957.

رفض إعطاء الجزيرة استقلالاً داخلياً محدوداً تحت الوصايا البريطانية وأصر على الاستقلال التام.

بعد سلسلة مفاوضات تم الاتفاق على إنشاء دولة قبرص المستقلة (16 آب 1960) حيث يكون رئيسها من نصيب الجالية اليونانية ونائبه من الجالية التركية.

تم انتخاب الأسقف مكاريوس رئيساً (14 كانون الأول 1959) وفاضل كجك من الجالية التركية نائباً له.

قاوم مكاريوس كل مشاريع الهيمنة والسيطرة الأجنبية والتدخل الخارجي في شؤون الجزيرة، لكن مؤامرة التقسيم كانت أكبر من قدرته على لجمها، فأثيرت مجدداً النعرات الطائفية والصراعات بين الجاليتين التركية واليونانية مما حدا بكل من تركيا إلى دعم القبارصة الأتراك بالسلاح والإمدادات، وكذلك فعلت اليونان بدعم القبارصة اليونانيين.

في عام 1968 أعيد انتخاب مكاريوس رئيساً للجمهورية، ومع اشتداد التدخلات الأجنبية في شؤون الجزيرة (اليونان، تركيا، الأمم المتحدة) ومجابهة كاريوس لهذه التدخلات ساءت علاقاته مع اليونان على أثر الانقلاب العسكري في أثينا (نيسان 1967) وكانت الحكومة العسكرية اليونانية تدعم معارضي الرئيس مكاريوس في قبرص كما شاركت بأكثر من محاولة اغتيال له.

القطيعة النهائية بين الرئيس القبرصي والحكومة العسكرية اليونانية حصلت بعد طلب مكاريوس لكل الضباط اليونانيين مغادرة الجزيرة ووقف كل أنواع التدخل اليوناني في شؤون الجزيرة.

أوعزت اليونان لأحد أنصارها ويدعى «نيكوس سامسون» للقيام بانقلاب عسكري، ونجح في الإطاحة بحكم الأسقف مكاريوس (15 تموز 1974). هذا الانقلاب تمّت مباركته من اليونان والولايات المتحدة الأميركية التي كانت تنظر بريب وعداء إلى سياسة مكاريوس الخارجية وبالذات تبنيه لسياسة عدم الانحياز والتقارب مع الاتحاد السوفياتي، وكذلك وقفت تركيا، التي اعتبرت مكاريوس

المسؤول الأول عن مأساة القبارصة الأتراك، لكنها خشيت من وحدة الجزيرة مع اليونان، وهذا ما حدا بها إلى القيام بعملية إنزال عسكري واسع في القطاع التركي من الجزيرة (20 تموز 1974).

عاد مكاريوس إلى السلطة بعد انهيار النظام العسكري الانقلابي في اليونان وسط انقسام الجزيرة إلى سلطتين، شمالاً حيث الجالية التركية مدعومة بتواجد عسكري تركي، وجنوباً حيث القبارصة اليونانيين والسلطة المركزية الشرعية، تفصل بينهما قوات سلام دولية.

لم تعطِ كل المفاوضات التي جرت وبإشراف كامل من الأمم المتحدة أية نتائج إيجابية حيث أصر القبارصة اليونانيون على وجود دولة مركزية قوية وواحدة للجزيرة، بينما أصرَّ القبارصة الأتراك بالمقابل على تواجد مركزي رمزي مقابل تكريس منطقتين شمالاً وجنوباً منفصلتين إدارياً وتتمتع كل منهما باستقلال داخلي.

توفي الأسقف مكاريوس في 3 آب 1977، ولم يتسنَّ له، رغم كل الجهود التي بذلها، إعادة توحيد الجزيرة نظراً للتدخلات الأجنبية المتعددة في شؤونها.

اتسمت سياسته الخارجية بتبنٍّ كامل لسياسة عدم الانحياز رغم تواجد قاعدتين عسكريتين بريطانيتين على أرض الجزيرة، وكذلك بعلاقات وثيقة مع الاتحاد السوفياتي، وارتبط بعلاقة كفاحية مع الرئيس جمال عبد الناصر حيث أبدى كل منهما في أكثر من مناسبة إعجابه بنضالات الآخر. ومما يسجَّل هنا أن كل التحركات العسكرية البريطانية في قاعدتي قبرص إبَّان العدوان الثلاثي على مصر (1956) كانت منظمة أيوكا، وعبر الأسقف مكاريوس والجنرال غريفاس، توصلهما أولاً بأول للقيادة المصرية.



جون ف. كنيدي

JOHN F. KENEDY

(1963 ـ 1917)

زعيم أميركي

«الأصغر سناً والأكثر حيوية»

الرئيس الخامس والثلاثون للولايات المتحدة اللأميركية.

مواليد بروكلين من أسرة ثرية أرستقراطية ـ والده السفير الأميركي في بريطانيا (1937 ـ 1940)، انتخب في العام 1946 عضواً في المجلس النيابي عن الحزب الديمقراطي وثم انتخب لمجلس الشيوخ (1952 ـ 1960) وبذلك طرح نفسه بشكل قوي كمرشح لرئاسة الجمهورية خلفاً لإيزنهاور، استطاع هزيمة خصمه الجمهوري ريتشارد نيكسون وسمي رئيساً للجمهورية في العام 1960 بعد أن اختار ليندون جونسون في حملته الانتخابية نائباً له، وبذلك يكون الرئيس الأصغر سناً وأول كاثوليكي يتبوأ مركز الرئاسة الأميركية.

تمتع كنيدي بشعبية واسعة داخلياً وخارجياً نظراً لجاذبيته الشخصية وحيويته وارتبط اسمه بالكثير من المغامرات العاطفية وأبرزها مع الممثلة مارلين مونرو.

الرئيس الشاب حاول بسياساته الخارجية انتهاج خط السلام وإظهار نفسه بمظهر المعادي لاستمرار سياسة التسابق النووي وإبدالها بسياسة التحالف من أجل السلام العالمي وإبعاد شبح الحروب بين القوى المتصارعة في العالم.

إلا أن حملة خليج الخنازير والعدوان على كوبا في العام 1961 وفشل هذه الحملة والعدوان، أعاد لأميركا دورها في التصرف مع شعوب العالم رغم أن الكثير من المصادر السياسية حينها سربت أن العدوان على كوبا وحملة خليج الخنازير تمت دون علمه وكان لا بد من تبنيها والتورط لمسؤوليته عنها بعد افتضاح أمرها ومشاركة الأميركيين بشكل مباشر بها.

في خريف 1962 حدثت ما سمي بأزمة الصواريخ في كوبا وأضحى العالم على هامش المجابهة النووية بين الجبارين أميركا وروسيا إذ أن الولايات المتحدة اكتشفت وجود صواريخ نووية وقواعد عسكرية سوڤياتية على جزيرة كوبا من شأنها أن تهدد الولايات المتحدة فقام كينيدي بتوجيه إنذاراً لسحب هذه الصواريخ والإصرار على تفتيش السفن السوفياتية القادمة للجزيرة مما جعل العالم يعيش شبح حرب شاملة بين الجبارين.

تم بالنهاية سحب هذه الصواريخ مقابل تعهد كينيدي بسحب الصواريخ الأميركية من تركيا وعدم غزو جزيرة كوبا.

في عهده بدأ التورط الأميركي في فيتنام أما موقفه اتجاه القضايا العربية فتميزت بدايتها بالاعتدال ثم انتهت بموقف عدائي، من موقف الإيجابي لقضية استقلال الجزائر إلى تبنيه للوجود الصهيوني ودعمه، إلى موقفه الداعم بالسلاح والمرتزقة للقوى المعادية لثورة اليمن الجمهوري.

اتسمت علاقاته مع الرئيس جمال عبد الناصر بالتقلب فمن الرسائل العديدة التي تبودلت بينهما يتضح أن موقف كينيدي من كل قضايا التحرر العربي اتسمت بالتفهم مع أن هذه العلاقات قد ساءت في أواخر عهده وأخذت الشكل العدواني من خلال تبني كينيدي والإدارة الأميركية لمواقف كل أعداء ناصر ودعمهم من أجل القضاء على طموحه بالوحدة والتحرر والاستقلال.

صاغ لنفسه مبدأً سياسياً سماه مبدأ كينيدي ونص هذا المبدأ على استمرار المواجهة مع المد السوفياتي ولكن بالأسلوب المختلف الذي أتبعه أسلافه فبدل التسابق على كسب مناطق نفوذ عسكرية في العالم والتهويل باستخدام أسلحة الدمار اعتمد كينيدي مبدأ التطويق السياسي والاقتصادي والأيديولوجي لمكافحة الشيوعية ومنع تصديرها للخارج فزادت في عهده نسبة المساعدات الاقتصادية والهبات المختلفة لدول العالم الثالث بالذات مع التركيز على حملات إعلامية واسعة تشرح مخاطر الشيوعية وتهديداتها للسلام العالمي.

واجه خلال حكمه مشكلة التمييز العنصري بين السود والبيض وتصاعد المواجهة بينهما.

اغتيل يوم 22 تشرين الثاني عام 1963 في ولاية دالاس بتكساس أثناء قيامه بجولة انتخابية مع بقاء الدوافع والظروف مجهولة صدرت بعض التلميحات والتصاريح لاحقاً تتهم دوائر رسمية ومخابراتية داخل أميركا نفسها بوقوفها وراء عملية الاغتيال. فمنذ اغتياله، والضمير الأمريكي ما يزال مؤرقاً. تشكلت لجان للتحقيق ابتداء من لجنة وارين 1963، إلى لجنة الاغتيالات التابعة للكونجرس 1980 كان بعضها مغرضاً، والآخر نزيهاً يحاول بصدق أن يصل إلى تحديد الفاعل الحقيقي. توصل بعضها إلى أن القاتل ـ لي هارفي أوزوالد ـ كان الفاعل الوحيد، وألقى التبعة على اتجاهاته اليسارية. وتوصلت لجان أكثر موضوعية إلى أن أوزوالد لم يكن وحده، وتلمست الدوافع في نظام الحياة الأمريكية نفسه الذي تحكمه اتجاهات سياسية متباينة، كما تحكمه المخابرات الأمريكية والمافيا.

أقسم خلفه ـ نائبه ـ ليندون جونسون اليمين الدستورية كرئيساً للولايات المتحدة وهو في الطائرة في طريقه إلى واشنطن.



أنديرا غاندي

INDIRA GHANDI

(1984 - 1917)

«رجل الهند القوي

- لولا الحياء لكانت راقصة بارعة»

امرأة دولة هندية من الطراز الأول، ورئيسة وزراء الهند لعدة دورات وأول رئيسة وزراء تدخل السجن لمرتين.

ولدت أنديرا في 19 تشرين الأول 1917 في مدينة الله آباد المقدّسة، وكانت الابنة الوحيدة لجواهر لال نهرو، وحفيدة ميتيلال نهرو المحامي الوطني اللامع الذي كان يعتبر من أبرز صانعي الاستقلال الهندي، وهي لا تمت بصلة قرابة عائلية إلى المهاتما غاندي، وقد جاء اسم كنيتها لزواجها من فيروز غاندي الذي حملت اسم عائلته لاحقاً.

عندما ولدت سُمّيت أنديرا بريا دارشيني أي أنديرا التي يحلو النظر إليها.

ولئن حلال النظر إليها في ما بعد، فليس للأسباب التي يأملها، وإنما لمعرفة سر تلك المرأة القادرة في بلاد الـ 600 مليون جائع و300 مليون بقرة، في ذلك الوقت.

ولدت أنديرا وفي فمها ملعقة من ذهب، فهي ابنة عائلة أرستقراطية غنية، إلا أن هذه العائلة أنفقت ما عندها في سبيل الاستقلال، عاشت طفولة معذبة، ومحفوفة بالحرمان، وطفولتها كانت من نوع آخر، ليست كالتي يعيشها الأطفال. فقد كانت تحب اللعب بمفردها، وكانت تملك الكثير من الدمى، ولكنها دمى من نوع آخر، فهي دمى سياسية تمثّل إما رجلاً يحمل مشعل الحرية، أو شخصاً يحاول تحطيم قضبان السجن، أو أم تهيب بأبنهائها ليخوضوا المعركة ضد أعداء الوطن، هوايتها المفضّلة كانت الوقوف فوق طاولة عالية وإلقاء الخطب، أمام الخدم حيث كانوا يستقبلونها بعاصفة من التصفيق، وإذا لم يتيسّر لها مجموعة من المستمعين كانت تنظّم الدمى بشكل مجموعة تعلّمها كيف تسير في مظاهرة لتأييد المهاتما غاندي.

قالت جدتها عندما ولدت في 1917 في «بيت السعادة»، بيت أهلها: «كان يجب أن تكون صبياً». ردَّ الجد: «ستكون أفضل من ألف صبي». وكبرت وقادت بجدارة مثيرة للإعجاب الفسيفساء الهندية هندوس ومسلمون ووثنيون وبوذيون و. . . سيخ سيقتلها اثنان منهم ويعدمان. كانت في العاشرة فكتب إليها والدها ثلاثين رسالة إلى مصيفها، يشرح لها قصة الكرة الأرضية والكائنات الحيّة وظهور المدنية. واعتادت باكراً صداقة والدها والكفاح وفتح العينين واسعتين على التاريخ والمستقبل. اعتقل والدها، وكانت في الثالثة، وصودرت بعض محتويات المنزل، فانتقلت إلى صومعة موهانداس غاندي، الذي نعرفه بلقب «المهاتما»، حيث تعرَّفت على التقشف بعد الترف. في الثانية عشرة من عمرها طلبت الانضمام إلى حزب الكونغرس الوطني الذي رأسه والدها في 1929، وجدّد له أربع مرات. رفضت لصغر سنها فأنشأت منظمة وطنية للأطفال انضم إليها الآلاف. وإلى جانب العلوم والآداب، تعلّمت الرقص المانيبوري، مزيجاً

من رقص فني وديني، وكانت ترقص في حفلات المدرسة. قالت في ما بعد إنها كادت تصبح راقصة بارعة لولا حياؤها.

أتت من تاريخ طويل في الكفاح والعمل السياسي. جدها «موتي لان» كان محامياً فقيراً وصار ثرياً وعضواً بارزاً في حزب الكونغرس. أرسل ابنه جواهر لال إلى كيمبريدج، بريطانيا، ليدرس الحقوق، مثله، ففعل، لكنه عمل في السياسة كأبيه، انضم إلى حزب الكونغرس وتبع المهاتما غاندي وجال في القرى يدعم مطالب الفلاحين لتحسين شروطهم المعيشية. سجن مراراً لعمله الدؤوب من أجل الاستقلال، واستعمل يديه طويلاً مثل زملائه المساجين، ولكن في تأليف الكتب. وسجنت أيضاً زوجته شريماتي كمالا، رئيسة مجلس الكونغرس في الله آباد، وأخته، إحدى زعيمات الاستقلال. حقّق جواهر لال حلمه الأساسي بإعلان استقلال الهند في عام 1947. كان أول رئيس للوزراء وبقي حتى وفاته في المنصب. والتغلب على الفقر والمرض والجهل والازدياد الكبير في عدد السكان كان أصعب من التغلب على الاحتلال. قام بإصلاحات اجتماعية واقتصادية والتزم الحياد. عمل على توحيد الدول الإفريقية والآسيوية كتلة محايدة ذات سلطة. في عام 1961 واجه لعنة الاضطرابات الطائفية. بعدها بسنتين غزت الصين الشعبية الهند، فتأثّرت صحته وغادر الحياة في عام 1964.

أنديرا، التي أحرقت باكراً ثيابها الغربية لتعتمد الساري، عملت على توحيد الهند مع والدها وبعده. سجنت في عام 1942 وبعد خمس سنوات عملت وغاندي في المناطق المضطربة ودرست في سويسرا وبريطانيا، في كلية سومرفيل، جامعة أوكسفورد، تزوّجت فيروز غاندي، وكان زواجاً عاصفاً نظراً إلى مركزها ودينه المزدكي الزرادشتي. وكان فيروز عضواً في البرلمان وتوفي في سنة 1960. عندما ولد راجيف وجدته قبيحاً، ولم تخفّف عنها إلا كلمة لطاغور: «كل طفل يأتي العالم يحمل رسالة مؤداها أن الله لا ييأس من الإنسان». وراجيف الذي صار شاباً وسيماً لم يعمل مع أمه التي لازمها سانجاي، الابن الأصغر، فتسبّب بانحسار شعبيتها لاستغلاله نفوذها من أجل

مصالحه. كان على الابن الأكبر أن يرث الأم فجأة بعد مقتلها الذي سبقه موت أخيه.

رأست أنديرا ذات الوجه القلق حكومة بلادها وحزب الكونغرس بين 1966 و1977. وواجهت مشكلة تحديد النسل بحملة إعلامية واسعة وراديو الترانزيستور. كان كل رجل يرضى بالتعقيم يأخذ ترانزيستور، جائزة ترضية عن الخصوبة المفقودة. مشروعها أفقدها شعبية كبيرة، وسجنت في عام 1977 بتهم جنائية وكانت أول رئيسة وزراء تدخل السجن. ثم سجنت ثانية بعد سنة وأمضت عيد الميلاد في السجن لتجريمها بمضايقة المسؤولين إذ كلفوا جمع المعلومات عن مشروع وضعه سانجاي لصنع السيارات. ولم تترك وحيدة غضبها المكبوت بين القضبان. فخطف مسلَّحان طائرة بين كالكوتا ونيودلهي وطالب بإطلاقها، وسارت تظاهرات احتجاج على سجنها صبغها دم القتلى والجرحى.

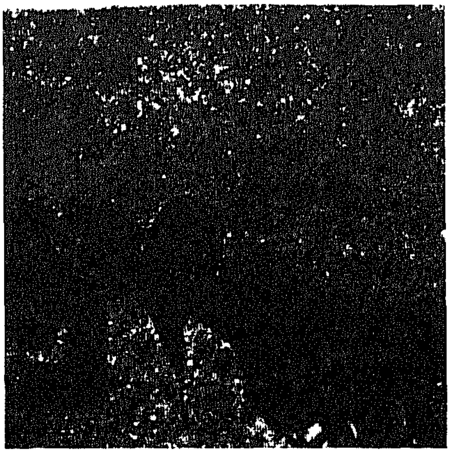
«رجل الهند القوي»، «والمرأة الحديد»، بطلة حرب 1971 بين الهند وباكستان. ردَّت على وصفها في عام 1983 بـ «الرجل الوحيد» في الحكومة: «قد لا تكون إهانة للرجل في حكومتي، لكنها بالتأكيد إهانة لي». كانت أقرب إلى السوفيات، فالحياد يبرهن باستمرار عن صعوبته. اتهمت المخابرات الأميركية بالتدخل ضدها، وحازت جائزة لينين للسلام «اعترافاً بمساهمتها البارزة في النضال من أجل الحفاظ على السلام ودعمه».

قالت عنها مارغريت تاتشر «المرأة الحديد» في بريطانيا: «يكفي النظر إلى غاندي التي انتصرت على باكستان بينما انهزم والدها أمام الصين لتأكَّد أن المرأة تملك مميزات في الحكم لا يتمتع بها الرجال في حالات عدة». حاكمة سابع أكبر بلد في العالم ماتت ميتة مسرحية في أول شهر تشرين الثاني (شهر مولدها ومماتها) 1984. اغتالها اثنان من السيخ في حديقة منزلها، وقضت كالمهاتما غاندي محوطة بالأزهار، وأحرقت ونثر راجيف رمادها فوق نهر الغانج، وحمل الشعلة وافتتح سنة 1989 بإعدام قاتليها.. راجيف الابن الوحيد

الباقي لأنديرا، سرعان ما تبع والدته في أيار 1991 إثر انفجار غامض أودى بحياته بينما كان يقوم بجولة انتخابية في إحدى المقاطعات الهندية.

كتبت مرة في مذكراتها تقول:

«بعد الاستقلال أمر المهاتما غاندي، بإحراق كل الثياب والأزياء الأجنبية، وارتداء زي الهند الوطني، كنت يومها صغيرة، أرادوا مني أن ألجأ إلى النوم، كي يذهبوا لإحراق الكوم المكوَّمة من الثياب الحريرية والمخملية الباهظة الثمن. يومها ألّحيت بالذهاب معهم، إلا أنهم مانعوا، فلجأت إلى جدّتي الذي وقفت في صفّي، وكانت تلك هي المرأة الأولى التي تنصر إرادتي على إرادتهم. وبعد مشاهدة ألسنة النيران تلتهم جبل الثياب المكوَّمة، أتيت يومها ونمت نوماً عميقاً، فقد شعرت بأنني أدّيت واجباً وطنياً كبيراً. بعد فترة من ذلك أتت إحدى قريبات أمي من باريس، وجلبت لي معها ثوباً فرنسياً رائعاً أغرتني لارتدائه، ولكنني لم أفعل، فقلت لها إنني لا أقتني الأشياء الأجنبية، قالت: كيف وكل الدمى التي تلعبين بها أجنبية الصنع؟ عندها بدأ في داخلي صراع بين الإخلاص للوطن، وبين إحراق الدمى الجميلة التي كنت اعتبرها جزءاً مني. وانتصر الواجب وأحرقت الدمى...».



أحمد سيكوتوري

AHMED SICOTORY

(1984 - 1922)

زعيم غيني

«الجوع مع الحرية على الرخاء مع العبودية»

مناضل، سياسي ورجل دولة غيني قاد نضال غينيا للتخلص من الاستعمار والهيمنة الفرنسية لبلاده.

متدين، من أسرة مناضلة كجده ساموراي توري الذي قاد المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي طوال 16 عاماً.

درس القرآن في مطلع حياته، عمل موظفاً في وزارة البريد التي فصلته بعد فترة بسبب نشاطه السياسي والنقابي. سلك درب العمل النقابي كوسيلة لتحقيق المطالب السياسية التي تمحورت في حينها حول إنهاء سلطة الاستعمار الفرنسي لغينيا.

أسس «الحزب الوطني، منفصلاً عن الاتحاد الفرنسي رافعاً شعار «إننا نفضل الجوع مع الحرية على الرخاء مع العبودية».

خاض معترك الانتخابات النيابية وربح، لكن سلطات الانتداب الفرنسي طعنت في قانونية انتخابه وأدى ذلك إلى تفشيله مما ارتفعت بنتيجته شعبية سيكوتوري وهذا ما جعله يقود إضراباً عاماً ناجحاً في العام 1953.

بعد عام من نجاح الإضراب العام فاز برئاسة بلدية كوناكري رغم معارضة الفرنسيين الشديدة له، ثم انتخب نائباً في الجمعية الوطنية الفرنسية ممثلاً عن غينيا.

في العام 1957 صدر قانون فرنسي خاص بالمستعمرات الفرنسة يتيح لها نوعاً من أنواع الحكم الذاتي انتخب أثر صدور هذا القانون سيكوتوري كأول رئيس لمجلس غينيا.

استمر أحمد سيكوتوري في النضال من أجل الاستقلال التام والكامل عن فرنسا وعارض بذلك مشروع الرئيس الفرنسي شارل ديغول بالإبقاء على الارتباطات اقتصادية وثقافية وسياسية بين فرنسا ومستعمراتها بعد الاستقلال.

رغم معارضة فرنسا الشديدة لنزعاته الاستقلالية استطاع أن يعيد بناء الدولة الفتية المستقلة على قاعدة التحرر الوطني والاستقلال السياسي والاقتصادي ودعم كل حركات التحرر العالمية وبالذات الإفريقية المنادية بالاستقلال والحرية والوحدة. امتاز بعلاقات نضالية وكفاحية ممتازة مع الرئيس جمال عبد الناصر ما جعله ملتصقاً بمشاكل وهموم الوطن العربي.



الإسكندر الأكبر

Alexander the Great

الفاتح المقدوني

القائد الذي لم يخسر أس معركة

(356 ـ 323 قبل الميلاد)

ولد الإسكندر عام 356 قبل الميلاد، في مقدونيا لأبوين هما الملك فيليب الثاني والملكة أولمبياس (Olympias) . نشأ في بيئة مرفهة وفرت له أفضل الرعاية، حيث تلقى تعليماً خاصاً على يد الفيلسوف الشهير أرسطو. كما لقنه والده فنون الحرب، وقاد أول قوات تحت إمرته في قتال فعلي وعمره ستة عشر عاماً، وبعد سنتين من ذلك، أي في سنة 338 قبل الميلاد، كان الإسكندر يقود جزءاً كبيراً من جيش والده ليحقق به النصر في معركة كرينيا (Chaeronea)، وهي المعركة التي بسطت بعدها مقدونيا سيطرتها الكاملة على اليونان.

الإسكندر الأكبر، هو القائد الذي لم يخسر أي معركة طيلة أحد عشر

عاماً من القتال ضد قوات تفوق قواته عدداً. وباعتباره أول قائد عسكري يحاول فتح العالم الذي كان معروفاً حينها، قام بدمج قوات من المشاة أوسلاح الفرسان والمهندسين مع عناصر الإمداد والاستخبارات المساندة بأسلوب لم يعرفه ولم يتبعه أحد من قبله قط؛ فقد تمكن من خلال جهوده لتوحيد الشرق والغرب من تغيير كبير في العالم وذلك بنقل التجربة اليونانية، المتقدمة حينها في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية، ونشرها في كل المناطق التي فتحها.

قتل الملك فيليب على يد حارس شخصي كان يحمل ضغينة ضده، وجاء موته في الوقت الذي كان يخطط فيه لغزو آسيا الصغرى بهدف فتح وإخضاع الإمبراطورية الفارسية لملكه؛ فاعتلى الإسكندر عرش والده وعمره عشرون سنة، وقام على الفور بإعدام قاتل والده وكل المعارضين له.

ورث الإسكندر، بالإضافة إلى العرش الملكي، جيشاً محارباً على قدر عال من التدريب والانضباط. وكان تنظيمه مبنياً على أساس وحدات من رماة الرمح «حملة الحراب»، المسلحين بنوع من الحراب الكبيرة التي يبلغ طول الواحدة منها أربع عشرة قدماً وهو ضعف الطول المعروف للحراب العادية. وتساند هذه الوحدات قوات المشاة الخفيفة وقوات الفرسان ذات القدرة العالية على الحركة، المستعدة دوماً لمهاجمة أجناب العدو واستغلال الثغرات التي يفتحها رماة الرمح لاختراق دفاعات العدو. كما تقوم وحدات هندسة الميدان، القادرة على نصب المجانيق والمعدات اللازمة لتنفيذ الحصار، بمساندة مجموعة القتال الرئيسية.

جمع الإسكندر الأكبر، بعد وقت قصير من وفاة والده 30 ألفاً من الجنود من رماة الحراب والمشاة وأفراد هندسة الميدان، بالإضافة إلى خمسة آلاف من الفرسان، وذلك لتنفيذ الخطة التي أعدها والده لغزو آسيا الصغرى. وكانت العقبة الوحيدة التي تواجه تنفيذ الغزو هي القوة البحرية المتفوقة للإمبراطورية الفارسية. وبناءً على تلك المعطيات، قام الإسكندر الأكبر الذي لم يكن يملك

أي قوة بحرية تذكر، بتحييد تلك الميزة التي يتفوق بها العدو عن طريق مهاجمة المواني البحرية من البر وتدمير القواعد التي توفر الدعم والإسناد لأسطول العدو.

واجه الإسكندر الأكبر مقاومة محدودة أثناء تقدمه نحو آسيا الصغرى عن طريق البحر الأبيض المتوسط حتى وصل إلى نهر جرينايكس (Granıcus River) عام 334 قبل الميلاد؛ فقد واجهته عند ذلك النهر أول قوة فارسية رئيسية، وعلى الرغم من التفوق العددي للقوة الفارسية بآلاف الجنود، فقد تمكن من عبور النهر دون أن يكشف عن حجم قواته، وشن هجوماً مفاجئاً وجريئاً ليحقق النصر الخاطف وبخسارة لا تتعدى المئة رجل من رجاله.

واصل جيش الإسكندر تقدمه نحو الجنوب دون مقاومة تذكر، حتى وصل إلى منطقة (Issus) ، التي تعتبر جزءاً من شمال شرقي سوريا حالياً. وفي ذلك الموقع، واجه الإسكندر القوة الرئيسية من الجيش الفارسي بقيادة الملك داريوس الثالث (Darius III). وكان الجيش الفارسي متفوقاً على القوة التي يقودها الإسكندر الأكبر بنسبة ثلاثة إلى واحد على الأقل، بينما تقدر بعض الروايات تلك النسبة بأنها عشرة إلى واحد، ومع ذلك، لم يتردد ذلك القائد المقدوني الشاب في إصدار أوامره بشن الهجوم. ولم تتمكن كتيبة رماة الرمح التابعة لجيش الأسكندر من اختراق الجبهة الفارسية المتفوقة عدداً في بادىء الأمر، كما فشلت محاولة الفرسان لفتح ثغرات على أجناب العدو. وعندما بدى له أن المعركة لا تسير في صالحه، جمع الإسكندر قواته وقاد بنفسه هجوماً مركزاً ومباشراً على قوات داريوس. وهكذا، انهار خط الدفاع الفارسي أمام هجوم الفرسان المقدونيين المتفوق، وانسحب داريوس على عجل لتتبعه قواته بعد ذلك.

فر داريوس وجنوده بسرعة أمام الزحف المقدوني، حتى إن الملك قد ترك والدته وزوجته وأطفاله وراءه. ولكن الإسكندر الذي سبق له أن أهلك قرى بأكملها لعدم استسلامها، أظهر فطنة سياسية أكسبته ولاء أعدائه السابقين. فقد

أمر بمعاملة العائلة المالكة التي تعرضت للأسر وفقاً لمكانتها السامية، ومنح الأسرى من الجنود الفارسيين والمرتزقة الذين كانوا يحاربون معهم، الفرصة لتبديل ولائهم والانضمام إلى قواته بدلاً من التعرض للإعدام.

فرض الإسكندر في السنة التالية حصاراً لمدة سبعة أشهر على ميناء صور الواقع على ساحل لبنان الحالي، وأقام معبراً برياً عبر الممر المائي الذي كان يحمي دفاعات وتحصينات المدينة الرئيسية. وبعد سقوط صور مباشرة تقدم الإسكندر نحو الجنوب ليستولي على غزة، ثم احتل مصر بعد ذلك. وبنهاية عام 332 قبل الميلاد كان الإسكندر قد انتهى من إنشاء مدينة الإسكندرية الجديدة عند مصب نهر النيل لتصبح المركز التجاري والعلمي والثقافي للإمبراطورية اليونانية حينها.

وبعد قيام الإسكندر بزيارة إلى المعابد المصرية الكبيرة، بدأ يعتقد أن له أصولاً إلهية. ولم يجد جنوده ـ الذين بدؤوا يؤلهونه بالفعل، نظراً لمهاراته القيادية وشجاعته الفريدة التي عرفوها عنه وهو يلقي بنفسه في خضم القتال الشرس ـ صعوبة في تقبل ذلك الاعتقاد فيه.

واصل الإسكندر هجومه عام 331 قبل الميلاد وعبر نهري دجلة والفرات. وفي أول تشرين الأول/ أكتوبر من العام نفسه (هذا التاريخ مؤكد بحساب الخسوف القمري)، هزم الإسكندر مرة أخرى جيشاً فارسياً يفوق جيشه حجماً بكثير. وبعد وقت قصير، استولى على عاصمة الإمبراطورية الفارسية حينها بيرسيبلولس (Persepolis) ، ونهب مقتنيات العائلة الحاكمة.

بحلول نهاية عام 330 قبل الميلاد، كان الإسكندر يسيطر على كل أجزاء آسيا الصغرى وبلاد فارس، وفي أقل من خمس سنوات، كان قد أنشأ أكبر إمبراطورية في تاريخ العالم. وعلى الرغم من أنه تمكن من تحقيق كل أهداف والده، فإنه لم يكن قانعاً بذلك، فقد قام بغزو أفغانستان وآسيا الوسطى وشمال الهند خلال السنوات الثلاث التالية. ولم يهزم الإسكندر في أي معركة خلال تلك الحملة التي شملت مواجهة دامية مع الملك الهندي بورس (Porus)

والذي استخدم أكثر من مئتي فيل مدرب في القتال ضد المقدونيين أثناء معركة هيداسبس (Hydaspes River) .

لم يكن التخطيط الحربي والاستراتيجي الشامل معروفاً تماماً قبل عهد الإسكندر، وكانت تكتيكات القتال بدائية إلى أبعد حد، وغالباً ما يكون الطرف المنتصر هو الجيش الذي يملك القوة المسلحة الأكبر حجماً والأفضل تسليحاً. وجاء الإسكندر ليدخل أسلوب المناورات التكتيكية لتطويق العدو كما نظم تحركات المشاة وسلاح الفرسان. وعمل الإسكندر أيضاً على دمج القوات البحرية في خططه الاستراتيجية، وبدأ بإدخال تحسينات على تصميم السفن نتج عنها تركيب منصات واسعة مجهزة بالأسلحة على سطح السفن الحربية الضخمة، وسيظل هذا التعديل يفرض نفسه على الحرب البحرية لعدة قرون قادمة. وكان فن الحرب قبل مجيء الإسكندر يشبه القتال العادي على الطريق ممثلاً في الاشتباك بين خصمين، ولكنه أصبح بعد عهده الإسكندر أشبه كثيراً بعمل مسرحي ضخم يتسم بالنجاح، رغم عدم التدريب المسبق عليه.

كان الإسكندر يريد مواصلة هجومه بعد أن هزم الملك الهندي «بورس»، ولكن جيشه الذي أنهكه القتال المستمر لمدة ثماني سنوات، التمس العودة إلى الوطن الأم، ووافق الملك الشاب على هذا الطلب أخيراً. وقبل عودة الإسكندر إلى مقدونيا عمل على تنصيب مسؤولين من طرفه ومن يوثق بهم من أعدائه السابقين، لإدارة المناطق التي فتحها وأصبحت خاضعة له. وقد تولى قادة جيشه تدريب الجنود الفارسيين الذين وقعوا في الأسر على تكتيكات الجيش المقدوني وعمل الإسكندر على ضمهم إلى جيشه بعد ذلك. ولكي يقوى الارتباط بين الشرق والغرب، أمر الإسكندر الأكبر عشرة آلاف من ضباطه وجنوده بالزواج من نساء فارسيات، كما تزوج هو نفسه من امرأة فارسية الأصل. بيد أن الإسكندر لم يعد إلى موطنه؛ فقد تمكن منه المرض، ولم يشفع له ادعاؤه الألوهية شيئاً، حيث أدركه الموت عام 323 قبل الميلاد في بابل وهو شاب لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من العمر، وقيل إنه قد توفي بمرض الملاريا.

لم يسم الإسكندر شخصاً يعينه كما لم يدرب أحداً لخلافته، وربما كان مرة ذلك إلى اعتقاده فكرة خلوده، بيد أنه ترك إمبراطوريته الممتدة في أيدي من وصفهم «بالأقوياء». ولكن المؤسف أن الذين اختارهم الإسكندر لتلك المهام، لم يكن بينهم من هو في مثل قوته وبراعته؛ فقد انهارت الإمبراطورية التي أقامها وتفرق جيشه إلى فصال متناحرة بعد عام واحد من وفاته، وكان ذلك بمنزلة إعلان انتهاء تلك الإمبراطورية.



جوستاف أدولف

Gustavus Adolphus

ملك سويدي

أبو الحرب الحديثة

(1632 - 1594)

عمل الملك شارل التاسع، ملك السويد حينها، على تدريب وتربية ابنه جوستاف، منذ لحظة ولادته في التاسع من كانون الأول/ ديسمبر 1594 بمدينة إستكهولم، لتهيئته لتولي العرش. وهكذا، تعلم ملك المستقبل مسؤوليات البلاط الملكي وآدابه، مع تركيز تعليمه الأساسي على فنون القيادة العسكرية. وعندما بلغ السادسة عشرة من العمر، تولى جوستاف قيادة القوات السويدية ضد الغزاة الدنماركيين في جزيرة إيست جوتلاند (East Gotland) الواقعة على الساحل الجنوبي الشرقي للسويد.

نظم جوستاف أدولف أقوى جيش في مطلع القرن السابع عشر وتقدم

قواته بشجاعة وهو يقودها ليكسب لقب «أبو الحرب الحديثة» بسبب مهاراته الإبداعية في مجال التكامل التكتيكي لمجهود قوات المشاة والفرسان والمدفعية والإمداد الميداني. وقد ساعدت النجاحات التي حققها في المجال العسكري على جعل السويد القوة المهيمنة في منطقة البلطيق طيلة المئة عام التالية. وكان نابليون أحد القادة الذين درسوا مساهمات جوستاف وأعجبوا به.

كان البرلمان السويدي راضياً للغاية عن أداء جوستاف ابن السابعة عشرة، إلى حد تغاضيه عن شرط العمر والسماح للمحارب الشاب أن يعتلي العرش بعد وفاة والده الملك شارل التاسع عام 1611. وجاء تقدير جوستاف لهذا الاختيار الحكيم، بتعيينه للإداري المتمرس أكسيل أوكسنشتيرنا (Axel Oxenstiema) مستشاراً للسويد. وعمل الاثنان معاً بانسجام تام خلال العقود التالية، حيث تولى المستشار أوكسنشتيرنا تسيير شؤون الحكم بينما ركز جوستاف على قيادة الجيش.

ورث جوستاف بالإضافة إلى عرش أبيه، حروباً دائرة مع الدنمارك وروسيا وبولندا؛ فقد وجه قوته العسكرية أولاً ضد خصمه الأقرب والأكثر تهديداً له وهو الدنمارك، وقد توصل إلى اتفاق سلام معها عام 1613. ودخل خلال الفترة 1613 ـ 1617 في حرب مع الروس محققاً نصراً أكسب السويد أراضي جديدة، وقطع على روسيا أي منفذ نحو بحر البلطيق. كما خاض الحرب على مدى ثماني سنوات أخرى خلال الفترة 1621 ـ 1629، التي انتهت إلى هزيمة بولندا وإضافة مساحات أخرى من الأراضي لسواحل السويد الجنوبية والشرقية على بحر البلطيق.

وفي عام 1630، قام جوستاف، الذي بات يعرف حينها بلقب «أسد الشمال» بتوجيه جيشه نحو ألمانيا ودخل في الحرب التي سميت فيما بعد «بحرب الثلاثين عاماً» ضد الجهود التوسعية التي تبذلها الإمبراطورية الرومانية المقدسة. وعلى الرغم من أن جوستاف قد كان متأثراً بقضية البروتستانتينية فإن دافعه الأساسي إلى دخول تلك الحرب هو ضمان أمن حدود بلاده. وبعد أن تفاوض على التحالف مع فرنسا، أنزل جوستاف جيشه المكون من 16 ألف

جندي على ساحل بوميرانيا (Pomerania) (في بولندا الحديثة)، ونجح في صد قوات الإمبراطورية الرومانية وإجبارها على الانسحاب من البلطيق. اندفع جوستاف نحو الداخل، وهزم يوهان سركليس فون تيلي (Johann Tserclaes von Tilly) في معركة بريتنفيلد (Breitenfeld) بالقرب من ليبستخ في 17 أيلول/ سبتمبر 1631.

بعد ذلك الانتصار حوَّل جوستاف جيشه نحو الغرب واحتل واديي نهري ماين (Main) والراين الغنيين. وعقب قضاء فصل الشتاء في ماينز (Mainz) واجه جوستاف مرة أخرى جيش تيلي في ربيع عام 1632، وانتهت المعركة التي وقعت في منطقة بافاريا بانتصار جوستاف وهزيمة تيلي الذي أصيب بجروح قاتلة.

تولى فينسل فون فالنشتاين (Wenzel von Wallenstein)، الذي حل محلى تيلي، قيادة الجيش المهزوم، وأعاد تجهيزه ليصبح مستعداً للقتال مرة أخرى بحلول فصل الخريف. وبعد عدة معارك غير حاسمة في منطقة نورينبرج (Numberg) خلال شهري أيول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر، اشتبك جيش فالنشتاين الإمبراطوري وقوات جوستاف أخيراً في قتال حاسم بمعركة لتسين (Lutzen) في 16 تشرين الثاني/ نوفمبر 1632. وقاد جوستاف، الذي قارب التاسعة والثلاثين من عمره، هجوماً مباشراً بقوات سلاح الفرسان مخترقاً عمق قوات العدو، حيث سقط بضربة قاتلة ومات على الفور. ولكن الجيش السويدي المنضبط لم يتراجع أو يتسلم بموت قائده، بل تجمعت القوات وشنت هجوماً كاسحاً، كسب «لأسد الشمال» آخر انتصار ينسب إليه.

كانت الشجاعة والجرأة التي مات عليها جوستاف هي السمة التي لا زمت حياته العسكرية بأكملها. ولكن لم تؤد الشجاعة سوى دور ثانوي في النجاحات والانتصارات التي حققها. فقد وضع جوستاف مفاهيم جديدة لفن الحرب ظل العسكريون يتناقلونها طيلة قرون تالية، بدءاً بسياسات التجنيد من مستوى الجندي العادي في أسفل الهرم العسكري وانتهاءً بأسلوب التنظيم الكلي لقواته المقاتلة.



فرنسيسكو بيزارو

FRANCISCO PIZARRO

فاتح اسباني

القائد المحظوظ

(حوالي 1475 ـ 1541)

ولد بيزارو كابن غير شرعي لجندي إسباني محترف، ووفقاً لما ورد في بعض الروايات، عمل بيزارو مزارعاً وضيعاً قبل أن يلتحق بالخدمة العسكرية وهو في مطلع سني مراهقته. وليس هناك أي دليل يثبت تلقيه لأي تعليم نظامي عام أو عسكري، والأرجح أنه قد ظل أمياً، أو أنه قد ظل في الخدمة العسكرية لفترة طويلة أكسبته خبرة كافية قبل أن يبحر إلى جزيرة هيسبانيولا (Hicpaniola) عام 1502. وبعد وصوله إلى العالم الجديد عمل بيزارو ضمن المفرزة العسكرية التابعة لحكومة إسبانيا في تلك الجزيرة. وفي عام 1513 شارك بيزارو في حملة

المستكشف الإسباني فاسكو نينويز ديبالبوا (Vasco Nunez de balboa) إلى بنما والتي اكتشفت المحيط الهادي.

هزم المستكشف والفاتح الإسباني فرنسيسكو بيزارو إمبراطورية إنكا (Inca) واستولى على أغلب أجزاء أمريكا الجنوبية لتصبح تابعة لإسبانيا. كما أنشأ بيزارو أيضاً مدينة ليما في بيرو، وفتح الطريق للثقافة الإسبانية لتسود قارة أمريكا الجنوبية. وبذلك تمكن بيزارو من فتح أكبر مساحة من الأراضي مقارنة بأي قائد عسكري آخر ووفر لبلاده ثروات كبيرة بأقل تكلفة ممكنة من الرجال والموارد.

بقي بيزارو كمستعمر في بنما وتولى خلال الفترة 1519 ـ 1523 منصب عمدة وحاكم مدينة بنما. وجمع بيزارو ثروة محدودة خلال هذه الفترة، وشجعته الأخبار التي تحدثت عن ثروات هائلة استولى عليها هرنان كورتز (Hermando Cortés) في المكسيك، على السعي لزيادة ثرواته. وخلال الفترتين 1524 ـ 1525 و1526 ـ 1528، أبحر بيزارو جنوباً على امتداد ساحل كولمبيا المطل على المحيط الهادي متتبعاً ما تحدثت عنه الإشاعات من وجود حضارة هندية هائلة تمتلك ثروات لا حصر لها.

جلبت الرحلتان اللتان قام بهما بيزارو عنفاً شديداً عليه؛ فعندما أرسل أحد مرؤوسيه ليعدو إلى بنما لجلب تعزيزات في مرحلة متأخرة من الحملة الثانية، رفض الحاكم هناك مواصلة دعم المغامرة المكلفة وأمر بيزارو بالعودة. ووفقاً لما ورد في بعض الأساطير، فقد رسم بيزارو خطاً بسيفه على الرمال داعياً الراغبين في «الثراء والمجد» أن يعبروا ذلك الخط وينضموا إليه في سعيه للبحث عن الثروة المنتظرة. بالفعل، فقد تبعه ثلاثة عشر من المغامرين بينما عاد بقية الرجال إلى بنما، فواصل بيزارو وزمرته الصغيرة الإبحار جنوباً ليكتشف إمبراطورية إنكا.

عاد بيزارو إلى بنما محملاً بالذهب ومجموعة من حيوانات اللامة (شبيهة بالجمال وتعيش في أمريكا الجنوبية) واصطحب معه قلة من سكان منطقة إنكا ليثبت اكتشافه للمنطقة. وعلى الرغم من ذلك الدليل، لم يقتنع حاكم بنما الذي

رأى بأن إرسال حملة أخرى سيكون أمراً مكلفاً للغاية، ولذا فقد قرر عدم دعم خطط بيزارو.

بعد ذلك مباشرة، أبحر بيزارو إلى إسبانيا وتمكن من إقناع الإمبراطور شارل الخامس بتمويل الحملة. ثم عاد الجندي المغمور إلى بنما وهو يحمل شارة النبلاء بتفويض ملكي؛ فقد منحه الملك رتبة «قائد عام» وفوضه لتولي منصب الحاكم على جميع الأراضي التي تقع على بعض أكثر من ستمئة ميل إلى الجنوب من بنما.

في كانون الثاني/ يناير 1531 أبحر بيزارو إلى بيرو ومعه حوالي مئتي جندي و65 حصاناً. وتسلح أغلب جنوده بالحراب والسيوف وحمل ثلاثة من جنوده أسلحة نارية بدائية من بنادق القربينة (arquebusses) ، وهي بنادق من طراز قديم، بينما حمل عشرون من جنده الأقواس والهسام «النشاب». وانضم أربعة من أشقاء بيزارو إلى حملته، إضافة إلى الثلاثة عشر فرداً الذين انضموا إليه في البداية، ومنهم زميله في الجندية دييجو دي ألماجرو (Diego de Almagro) وكان يدعى هرنان دي ليوك (Hermando de Luque).

وبحلول حزيران/ يونيو 1532 كان بيزارو قد انتهى من إنشاء قاعدة لعملياته في مدينة سان ميغيل دي بيورا (San Miguel de Piura) وهي مدينة تقع في منطقة سهلية جنوبي ميناء تومبز (Tumbes) . وعلم بيزارو حينها أن حكام إمبراطورية إنكا قد كونوا جيشاً قوامه 30 ألف رجل ووضعوه تحت إمرة القائد أتاهوالبا (Atahualpa) . لم يتخوف بيزارو ورفاقه القلائل بعدسماع الأخبار التي تحدثت عن ذلك العدد الهائل واندفعوا إلى اليابسة وعبروا جبالا الأنديز، وبعد عبوره لتلك السلسلة الجبلية عملاً بطولياً فذاً في حد ذاته. واحتل جيش بيزارو الصغير مدينة كاجاماركا (Cajamarca) ودعا بيزارو القائد أتاهوالبا إلى الاجتماع به. فذهب أتاهوالبا، الذي كان يعتقد في قرارة نفسه بأنه شبه إله، إلى الاجتماع محروساً بحوالي ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف رجل من الحراس المسلحين بأسلحة خفيفة، وهو غير آبه وغير مهتم بأولئك الإسبان.

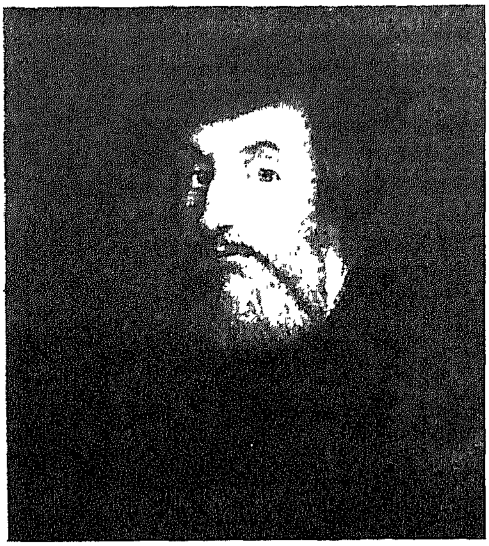
هاجم بيزارو ضيفة بدلاً من التحدث إليه، وتمكن الإسبان الذي استخدموا بنادق القربينة وتتقدمهم قوات الخيالة من ذبح حراس قائد جيش إنكا، وأخذوا أتاهوالبا نفسه أسيراً في أقل من نصف الساعة. ولم يصب أي من الجنود الإسبان، باستثناء بيزارو نفسه الذي أصيب بجرح طفيف أثناء قيامه شخصياً بالقبض على قائد جيش إنكا. وطالب بيزارو بفدية عن أتاهوالبا واستلم بالفعل كمية من الذهب والفضة، تساوي الملايين من الدولارات حينها، ولكن بيزارو لم يفرج عن أتاهوالبا حتى بعد أن تسلم الفدية الكبيرة. فقد قام بإعدامه ونصب قائداً موالياً له لزعامة إمبراطورية إنكا.

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1533، قاد بيزار قواته واستطاع أن يدخل عاصمة إنكا كوزكو (Cuzco) دون أن يواجه أي مقاومة تذكر، ولم تتمكن إمبراطورية إنكا من استرداد قوتها بعد ذلك.

حقق الغزاة الإسبان وبصفة خاصة الجنود الثلاثة عشر الذين رافقوا بيزارو منذ البداية، فائدة وأرباحاً كبيرة من ذلك الانتصار، كما استفادت منه بلادهم إسبانيا. فقد تمكن بيزارو وبأقل من مئتي رجل، من الاستيلاء على أغلب أجزاء بيرو والإكوادور الحالية، بالإضافة إلى النصف الشمالي من تشيلي وجزء من بوليفيا، وتعتبر تلك المساحة أكبر من بقية أجزاء أمريكا الجنوبية بأكملها. وضمت تلك المساحة ستة ملايين من سكان إمبراطورية إنكا السابقة، بالإضافة إلى شعوب محلية أخرى، ويشمل ذلك الغالب من سكان أمريكا الجنوبية.

عاد بيزارو ـ عقب انتصاره الكبير ـ إلى الساحل وأنشأ ميناء ليما الذي اتخذه قاعدة لاستغلال مكاسبه الجديدة. وفي ذلك الميناء لقي بيزارو ـ الذي بلغ الستينات من عمره ـ حتفه. ولم يقتل بيزارو على أيدي أعدائه الهنود ولكن جاءه الموت من بين رجاله؛ ففي عام 1537 انقلب الشريك السابق دييجو دي ألماجرو ضد رفيقه بيزارو، وذلك لعدم اقتناعه بالحصة التي خصصت له من ثروات إنكا. ولكن بيزارو ألقى القبض على خصمه وقتله على الفور، ولم يقبل أتباع ألماجرو بذلك، حيث اقتحموا في 26 حزيران/ يونيو 1541 قصر بيزارو وأعدموه.

يمكن أن نصف بيزارو بأنه قائد مغامر قاس ومجرد من أي قيم أخلاقية. ولا شك في أن الحظ قد أدى دوراً في نجاحاته، حيث لم يبذل حكام إمبراطورية إنكا أي جهد لتدمير جيشه أثناء عبوره لسلسلة جبال الأنديز دون غطاء يحميه، كما لم يبذلوا أي جهد عسكري محدد للدفاع عن إمبراطوريتهم. صحيح أن بيزارو قد توافرت له أفضلية تمثلت في عدد قليل من الأسلحة النارية والأقواس (النشابات)، ولكن من الناحية المنطقية، لا يمكن أن نتصور حتمية انتصار مئتي رجل على جيش مكون من ثلاثين ألف فرد. ولكن تلك القلة هي التي انتصرت، لينضم بيزارو إلى قائمة القادة الذين بدَّل تأثيرهم العسكري مسار تاريخ ومستقبل قارة وشعوبها.



هرنان كوترز

HERNANdo CORTÉS

فاتح اسباني

(1547 - 1485)

ولد كورتز عام 1485 لعائلة متوسطة الدخل من منطقة ميدلين (Medellin) في جنوب غربي إسبانيا. درس القانون لفترة وجيزة قبل أن يشرع في الإبحار من موطنه إلى العالم الجديد بحثاً عن الثروة وهو في التاسعة عشرة من عمره. وبعد عدة سنوات من اشتغاله بالزراعة في جزيرة هيسبانيولا بالكاريبي انضم كورتز عام 1511 إلى الحملة العسكرية التي احتلت كوبا تحت قيادة دييجو ديه فيلاسكيز (Diego de Velazquez)، وعقب ذلك الانتصار نصب كورتز ليصبح عمدة لسانتياجو وتزوج شقيقة زوجة فيلاسكيز.

غزا هرنان كورتز إمبراطورية الأزتيك (Aztec) التي يقطنها أكثر من خمسة ملايين نسمة وأخضعها لإسبانيا بقوة لا تتجاوز الستمئة رجل يستخدمون عشرين

حصاناً وعشرة مدافع صغيرة. ولم يسبق مطلقاً أن تمكنت قوة صغيرة بهذا الحجم، من إخضاع منطقة كبيرة ذات ثروات هائلة كتلك المنطقة.

منح فيلاسكيز الإذن لكورتز في عام 1518 ليشكل قوة صغيرة ويشعر في حملة استكشاف للمسكيك التي كان الإسبان قد زاروها أول مرة في السنة السابقة. وبمرور الوقت بدأ فيلاسيكز يندم على تعليماته بتعيين كورتز، حيث تزايد توجسه من طموحاته الزائدة، وحاول بالفعل التراجع عن أوامره وإلغاءها. إلا أن إجراءاته تلك جاءت متأخرة للغاية؛ إذ لم تفلح في منع كورتز من الإبحار غرباً في شباط/ فبراير 1519 بأسطول في إحدى عشرة سفينة.

استكشف كورتز ساحل يوكاتان (Yucatan) قبل أن ينزل في تاباسكو (Tabasco) التي لم يقابل فيها أي صعوبة تذكر في إخضاع السكان المحليين. وعلى الرغم من أن السكان المحليين لم يكونوا يملكون ما يفيد، فقد دلوا كورتز على الثروة الهائلة لإمبراطورية الأزتيك، والتي تتركز في مناطق بعيدة في العمق. فقام كورتز بتحريك قوته لمسافة قصيرة في اتجاه الشمال، وأنشأ ما أصبح يعرف بميناء فيرا كروز (Vera Gruz) ليخطط منه للتقدم ضد الأزتيك. واتخذ كورتز لنفسه صديقة من سكان تاباسكو واصطحبها معه، كما حشد تأييد السكان ومساعدتهم لدعم ومساندة جيشه. وأحرق كورتز سفنه بعد الوصول إلى اليابسة ليتخلص من أي وسيلة للهرب ولمنع أفراد قوته الصغيرة المكونة من ستمئة رجل من الفرار، حيث كانوا يخشون من المغامرة بدخول الأراضي الداخلية.

قاتل كورتز بضراوة على امتداد مسيرته نحو تينوتشتيتلان (Tenochitlan) وهزم العديد من القبائل المحلية، ومنها القبائل التي تقطن منطقة تالاكسكالان (Tlaxcalans) ، وفي كل مرة كان كورتز يكون تحالفاًمع خصومه السابقين ويحشد تأييدهم ضد الأزتيك. ومع اقترابه من تينوتشتيتلان، عمد أيضاً إلى استغلال أسطورة الأزتيك التي تتحدث عن ملك عراب ذي لحية كثة وبشرة فاتحة يدعى كيتسالكوتل (Quetzalcoatl) ، وتقول اوسطورة إن هذا الملك هو

الذي علم شعب الأزتيك الزراعة وفن الحكم وإنهم سيتسقبلون عودته بفرح واحتفاء كبير.

حاول مونتيزوما (Montezuma) القائد الأزتيكي إيقاف تقدم كورتز، إلا أنه لم ينجح بسبب أسطورة الملك كيتسالكوتل التي فرضت ترحيب شعبه بعودة «العراب الأبيض»، بالإضافة إلى خوف مقاتليه واضطرابهم من مشهد الخيل ورماة الرمح الإنسان وهي أشياء لم يعرفها الأزتيك من قبل. وبسبب اضطرابهم لم يبد الأزتيك مقاومة تذكر، وسرعان ما هزم جيشهم. وفي 18 تشرين الثاني/ نوفمبر 1519، دخل كورتز عاصمة الأزتيك ووضع زعيمهم مونتيزوما في السجن.

بدأ كورتز بجمع الثروات التي غنمها بفضل فتوحاته لتلك المنطقة، ولكنه لم يهنأ بها، إذ نمى إلى علمه أن جيشاً إسبانياً يقوده بانفيلو ديه نارفايزز (Panfilo de Narvaez) قد نزل بميناء فيراكروز، وأن ذلك الجيش يحمل أوامر من فيلاسكيز لاعتقاله كورتز بسبب عصيانه وتجاوزه للأوامر الصادرة إليه. ولم ينتظر كورتز قدوم ذلك الجيش لاعتقاله؛ فقد قسم القوة الصغيرة التي كان يقودها إلى جزأين، قاد أحدهما بنفسه في رحلة أخذته مرة أخرى إلى الغابات لمواجهة نارفايز وترك مئتي جندي خلفه تحت إمرة بيدرو دي الفارادو Pedro de Alvarado) لتأمين العاصمة تينوتشتيتلان. شن كورتز هجوماً عنيفاً ضد قوات نارفايز أثناء الليل، واعتقل نارفايز وأقنع الناجين من جنوده بالانضمام إليه.

عاد كورتز أدراجه إلى العاصمة تينوتشتيتلان ولدى وصوله إليها وجد الأزتيك في حالة غضب وهياج بسبب المعاملة القاسية التي تعرضوا لها على يد الفارادو. وقبل أن يتمكن كورتز من معالجة الموقف، ثار عليه الأزتيك في 20 حزيران/ يونيو 1520. وعلى الرغم من مصرع مونتيزوما في القتال فإن الإسبان اضطروا إلى الانسحاب من المدينة. وفي 7 تموز/ يوليو تمكن كورتز من هزيمة قوة كبيرة من الأزتيك الذين كانوا يطاردون قواته، ولم يتمكن الفاتح الإسباني من تكوين تحالفات جديدة ومحاولة استعادة عاصمة الأزتيك إلا بعد مرور أكثر من سنة كاملة من انسحاب الإسبان منها.

تحرك كورتز بأسلوب منظم ضد العاصمة تينوتشتيتلان، ليدمر القوات والقرى الأزتيكية الصغيرة أثناء تقدمه. وبعد حصار دام ثلاثة أشهر دخل كورتز المدينة مرة أخرى في 13 آب/ أغسطس 1521، وأمر بإزالة الهياكل والآثار المرتبطة بالثقافة المحلية، وأعاد بناء بعضها أو أعاد تسميتها من جديد. وكان من نتائج ذلك ظهور اسم مكسيكو سيتي عاصمة المسكيك الحالية. وأرسل كورتز الغنائم التي استولى عليها إلى إسبانيا وأرفق معها إقراراً يعلن فيه بأن الأعمال التي قام بها قد كانت باسم العرش الإسباني ولم تكن لمكاسب شخصية، وكان من الصعب على الملك أن يرفض تلك الثروة الكبيرة. بوعد قبول الملك التفسير الذي قدمه كورتز، أصدر أمراً بتعيينه قائداً عاماً لإسبانيا الجديدة. وأبحر الراغبون في العيش في المستعمرات الجديدة من إسبانيا إلى العالم الجديد، وساعدهم كورتز بتزويدهم بالأراضي حول مدينة مكسيكو سيتي ليعزز السيطرة الإسبانية على المنطقة وهي السيطرة التي استمرت لقرون قادمة.

قاد كورتز حملة أخرى إلى هندوراس عام 1524، ولكن تخوف العديد من أفراد البلاط الإسباني من طموحاته حمل الملك على سحب لقب الحاكم منه عام 1528، وأمره بالعودة إلى إسبانيا. عاد كورتز إلى المكسيك بعد سنتين ولكن دون سلطاته السابقة. وفي عام 1536، قاد حملة لاستكشاف ساحل المكسيك المطل على المحيط الهادي واكتشف منطقة باها كاليفورنيا (ساحل كاليفورنيا) (Baja CAlifornia) . وبعد ثلاث سنوات سعى كورتز للحصول على إذن من الملك لقيادة قوة برية في جهة الشمال بغرض تحديد موقع مدن سيبولا الأسطورية (Seven cities of Cibola) ، وهي سبع مدن اعتقد المستكشفون الإسبان إمكانية توافر ثروات هائلة فيها. رفض ملك إسبانيا طلب كورتز واختار فرانشيسكو فاسكيزديه كورنادو (Francisco Vasquez de Caronado) ليقود الحملة في عام 1539. عاد كورتز إلى إسبانيا عقب ذلك ليشارك في النزاع الذي وقع عام 1541 ضد الجزائريين، ولكنه لم يتمكن مرة أخرى من الحصول على موافقة للقيام بحملات استكشاف أو مغامرات إضافية. وتقاعد ليتسقر في مزرعة

يملكها قرب أشبيلية حيث عاش مرفهاً من الثروة التي جمعها في المكسيك حتى توفي عام 1547 وهو في الثانية والستين من العمر.

إن القائد العسكري الوحيد الذي تمكن مقارنة إنجازاته بإنجازات كورتز هو فرنسيسكو بيزارو الذي حقق انتصارات ضد الإنكا في بيرو. فقد حقق الاثنان انتصارات كبيرة بأقل عدد من القوات، وأخضعا أغلب أجزاء وسط وجنوب أمريكا للحكم الإسباني بعد أن كانت تحت السيطرة المحلية. ويعزو البعض انتصارات وإنجازات كورتز لاستخدامه الأسلحة النارية والمدافع، ولكن في الواقع كانت تلك الأسلحة بدائية للغاية ولم تزد فائدتها على الأقواس والرماح التقليدية. ولكن كورتز استخدم الحصان الذي لم يكن معروفاً قبل ذلك في تلك المنطقة بغرض إشاعة الرعب وتخويف أعدائه في العالم الجديد، كما استغل بذكاء القصص والأساطير التي تحدثت عن عودة عراب ذي بشرة فاتحة.

وعلى الرغم من ذلك، لا تفسر هذه العوامل وحدها النجاحات التي حققها؛ فقد تمكن كورتز من فتح المكسيك وإخضاعها للحكم الإسباني بفضل قيادته الفذة للقوات المحاربة وقدراته الهائلة على تكوين التحالفات مع الذين هزمهم. وسيبقى تأثيره في قوة إسبانيا على المدى الطويل، وفي فتح العالم الجديد أمام الاستعمار الأوروبي، ولا يفوقه في ذلك إلا ما حققه فرنسيسكو بيزارو في أمريكا الجنوبية.



قورش الأكبر
CYRUS THE GREAT
ملك فارسي
الملك العادل

(حوالي 590 ـ 529 قبل الميلاد)

من الصعب حقاً أن نميز بين الحقيقة والأسطورة في السنوات الأولى من حكم قورش. إذ يعتقد أنه ولد في الفترة بين عام 600 و585 قبل الميلاد. وكان والده قمبيز (Cambyses) من أفراد عائلة الأخمنيين (Achaemenid) الحاكمة. وتقول الأساطير، وبصفة خاصة كتابات هيردوت (Herodotus) إن قورش قد عاش طفولته في منطقة جبلية وأرضعته الذائب ثم تربى على يد أحد الرعاة. وتذهب بعض تلك الروايات إلى حد أبعد لتدعي أن الاسم الفارسي لقورش معناه «الكلب الصغير».

يعتبر قورش الأكبر، مؤسس الإمبراطورية الفارسية، أقدم قائد عسكري

مؤثر تتوافر عنه مصادر موثوقة حتى الآن. ففي القرن السادس قبل الميلاد هزم شعوب الميديين (Medes) والليديين (Lydians) وهم سكان مملكة قديمة شملت معظم أجزاء آسيا الصغرى، كما هزم حكام بابل، ووحد كل هذه الأجزاء في آمبراطورية واحدة امتدت من الهند إلى البحر الأبيض المتوسط. وقد أسس قورش الذي اتصف بالكفاءة في إدارة الأراضي الخاضعة له، مملكة عاشت في ازدهار طيلة قرنين باعتبارها أبرز قوة في العالم.

تعود أقدم معلومات موثوقة حول قورش إلى سنة 558 قبل الميلاد حين أصبح حاكماً لمنطقة أنشان (Anshan) الفارسية ليخلف والده عليها. قاد قورش بعد ذلك ببضع سنوات تمرداً على إمبراطورية الميديين الحاكمة، وتمكن من هزيمتهم بعد حرب لمدة ثلاث سنوات، وعاملهم برحمة وهو يضمهم إلى إمبراطوريته. كما تبنى قورش العديد من القوانين والإجراءات الإدارية التي وجدها عند الميديين.

واجه قورش تحدياً من الملك كريزوس (Croesus) ، ملك ليديا (Lydia) في آسيا الصغرى والذي قام بغزو بلاد فارس في عام 546 قبل الميلاد. وبعد أن تمكن من صد الغزاة قام قورش بمطاردتهم داخل حدود إمبراطوريتهم واشتبك معهم في معركة حاسمة في وادي ثيمبرا (Thmbra) . وشكل قورش جيشه الأقل عدداً في تشكيلة مربع ووضع رماة القوس التابعين له في مواقع لمنع اختراق الليديين لجيشه الأقل عدداً، وعندما انتشر الليديون لتطويق المربع، قاد قورش هجوماً معاكساً بالفرسان بغرض فصل وتدمير مجموعات العدو التي عزل بعضها عن بعض. وعندما توقف كريزوس عن القتال وانسحب إلى عاصمته سارديس (Sardis) (بالقرب من أزمير الحالية في تركيا)، قام قورش مرة أخرى بمطاردته وهزيمته. ولم يقتل قورش الملك كريزوس، وتخلى الليديون عن عدائهم له بسبب معاملته الطيبة لهم، ليضيفوا دعمهم إلى جيشه بعد ذلك.

في عام 539 قبل الميلاد، وجه قورش جيشه نحو مملكة بابل الغنية في الشرق. استسلم البابليون لقورش دون قتال لعدم رضاهم عن قيادتهم في

الأصل، بالإضافة إلى إعجابهم بالمعاملة التي لقيتها المناطق التي أخضعها قورش لحكمه. وكانت سوريا وفلسطين جزءاً من البلاد التي ضمها قورش لإمبراطوريته مع بابل. استمر قورش في التزام المثل الإنسانية في حكمه، حيث قام بتصحيح العديد من الأوضاع السابقة بالإضافة إلى تجنب الوحشية في معاملة السكان. ومن الأمور التي قام بها إعادته اليهود إلى موطنهم الذي طردهم منه البابليون قبل خمسين عاماً.

اتسعت الإمبراطورية الفارسية لتمتد من الحدود الشرقية لنهر السند مع الهند شمالاً حتى بحر أرال (Aral) وبحر قزوين والبحر الأسود، كما تمتد غرباً إلى البحر الأبيض المتوسط. وكانت الإمبراطورية الفارسية هي المركز السياسي والثقافي في العالم المتحضر. وبعد أن حقق كل تلك الإنجازات، اتخذ قورش الذي أصبح يعرف بلقب «قورش الأكبر» لنفسه لقباً آخر هو «ملك بابل وسومر (Sumer) ، و«آكاد (Accad) ، وأركان العالم الأربعة.

وعلى الرغم من اتساع إمبراطورية قورش، وتمتعها بالسلام والثروات وعدم تعرضها لأي تهديد من قوة خارجية، فقد كان راغباً في المزيد من الفتوحات. فقد شرع في عام 530 قبل الميلاد في إخضاع قبائل المساجيتا (Massagetae) وهم رعاة يعيشون في المنطقة الواقعة شرقي بحر قزوين بوسط آسيا. كسب الفرس المعارك الأولى في الحرب التي استعرت فيما بعد، ولكن قورش قتل بعد سنة واحدة من بدء الحرب في إحدى المعارك وهو لم يتجاوز التاسعة والثلاثين من العمر. ولم يتمكن جنوده من العثور على جثته، وقيل إن ملكة قبائل المساجيتا قد فصلت رأسه عن بقية جثته ووضعته في فرو حيوان ممتلىء بالدم وعلقت ساخرة وهي تقول: «آن للزعيم الفارسي أن يجد ما يكفيه من الدماء».

لم تهتز الإمبرطورية الفارسية لفقد قورش ولم تؤثر فيها تلك المعركة؛ فقد خلف قورش جيشاً منضبطاً ذا تسلسل قيادي واضح، مما يسر على ابنه تولي القيادة من بعده. قاد الابن قمبيز الثاني الفرس إلى نصر مؤزر على قبائل

المساجيتا واسترد جثة والده ليدفنها في عاصمة الإمبراطورية الفارسية بازارجاد (Pasargadae). وفي وقت لاحق، أخضع قمبيز الثاني مصر لحكمه واستمر في الحفاظ على الاحترام الذي حظي به والده قورش من اليونان وجيران الإمبراطورية الآخرين مما ضمن له السلام معهم.

تمكن قورش من تكوين إمبراطوريته بالقوة العسكرية وقدرته على توحد الشعوب التي هزمها، وتصفه السجلات التي عثر عليها بأنه قائد مميز، تمكن من تكوين جيش متحمس وقادر على هزيمة قوات أكبر حجماً. كما أظهر قورش أيضاً براعة في حكم شعبه والشعوب التي خضعت لحكمه؛ فبفضل سياسات الاعتدال في معاملة الشعوب التي أخضعها لحكمه، وتسامحه حيال الأديان والعادات المحلية، تحول الأعداء السابقون إلى حلفاء يعتمد عليهم. ونتيجة لذلك عاشت الإمبراطورية الفارسية في ازدهار وسلام لأكثر من قرنين بعد رحيل الرجل الذي أسسها. ولم تسقط من تلك الإمبراطورية سوى أجزاء لقوى خارجية، بعد مجيء الإسكندر الأكبر. ومنذ ذلك الحين، ظلت بقايا أراضي قورش الشاسعة تحت السيطرة الفارسية لمدة اثني عشر قرناً أخرى.



فريدريك الأكبر (فريدريك الثاني)
Frederick the Great (Frederick II)
قائد بروسي الأكبر
(1786 ـ 1712)

لم تظهر طفولة فريدريك، بعد ولادته في 24 كانون الثاني/ يناير 1712 ببرلين أي مؤشر ينبىء عن قدرات عسكرية متفردة. وكان والده، الملك فريدريك وليم الأول (Frederick William I) قد اعتبر اهتمام الابن بالفلسفة والفن مؤشراً إلى ضعف شخصيته، فتعرض فريدريك الابن للاضطهاد المعنوي والعقاب البدني من والده لذلك السبب. وتحت تلك الضغوط قبل فريدريك الابن التعيين كضابط ضمن حرس والده الشخصي، المكون من أفراد وحدة قوامها رماة القنابل اليدوية. ولم يجد ذلك التعيين نفعاً في تغيير وتطوير فكرته عن الحياة العسكرية. وحاول فريدريك وهو في العشرين من عمره أن يهرب إلى فرنسا برفقة أحد أصدقائه، غير أنه اعتقل وأجبر على مشاهدة عملية إعدام صديقه قبل أن يدخل السجن.

يعتبر فريدريك الثاني ضمن قلة من القادة الذي اكتسبوا لقب «الأكبر». وقاد الجيش البروسي لأكثر من خمسة وعشرين عاماً ضد مجموعة من الأعداء الذين كانوا كثيراً ما يتفوقون عدداً على قواته. وتميزت العمليات التي نفذها فريدريك بالشجاعة والجرأة والإقدام، كما تميز أسلوبه القتالي بعمليات الهجوم الوقائي لأخذ زمام المبادرة. وتمكن فريتس العجوز (Old Fritz كما كان يلقب أيضاً، من إنشاء الدولة البروسية لتصبح قوة عسكرية كبيرة يقطنها شعب هيمن على أوروبا لفترة نصف قرن. وظلت إنجازات فريدريك الأكبر متفوقة لا يضاهيها أي إنجاز آخر، حتى مجيء نابليون الأول فيما بعد. وقد وقف نابليون الذي كان في قمة مجده أمام قبر فريدريك الأول في بوتسدام ليقول وهو يجل القائد البروسي العظيم: «لو كان حياً حتى الآن، لما استطعنا أن نكون اليوم هنا في بروسيا».

استسلم فريدريك الابن لمصيره المحتوم أثناء فترة السجن، ثم عاد ليتصالح مع والده بعد أن قضى 18 شهراً خلف القضبان. وفي عام 1732 قبل فريدريك تعيينه برتبة عقيد في كتيبة مشاة روبين (Ruppin)، ثم انضم بعد سنتين للقوات البروسية تحت قيادة الأمير أوجين (Eugene of Savoy) في حرب وراثة العرش البولندي. وتعلم الشاب فريدريك من قائده أوجين العديد من المبادىء الحربية التي استفاد منها مستقبلاً. كما واصل تعليمه في الموسيقى والفنون وهو يدرس فن الحرب في الوقت نفسه، وبدأ بالكتابة إلى فولتيرالذي بادله الرسائل لفترة طويلة.

وبعد ثلاثة أيام من موت والده، اعتلى فريدريك الابن عرش بروسيا في 28 أيار/مايو 1740 وتولى قيادة جيشها. وباشر فريدريك بعد توليه الملك إصلاحات مدنية وعسكرية على الفور وتأكيد الحقوق الفردية بإلغاء الرقابة وضمان حرية الصحافة. كما جعل تعذيب المسجونين من المدنيين محرماً بحكم القانون.

قرر فريدريك أن يصبح القائد الأوحد للمؤسسة العسكرية وتحقق ذلك حالاً. فقد أعلن أمام جمع من كبار القادة الذين عينهم والده، قائلاً: «في هذه المملكة، أنا الفرد الوحيد الذي يمارس السلطة».

ساهمت أول تجربة قتالية لفريدريك في تغيير العديد من أفكاره؛ فعندما مات الإمبراطور النمساوي شارل السادس في تشرين الأول/ أكوبر 1740، دون أن يحدد قبل موته من يخلفه في العرش، هاجم فريدريك النمسا وهي ما زالت في حالة ارتباك. وتقدم البروسيون دون مقاومة تذكر حتى تمكن النمساويون من حشد قواتهم وتنظيم صفوفهم في معركة مولفيتز (Mollwitz) في 10 نيسان/ إبريل 1741، حيث تمكن سلاح فرسانهم من صد وحدات الفرسان البروسية وأجبروها على الانسحاب من الميدان. وتمكن قائد سلاح الفرسان البروسي من إقناع فريدريك بالانضمام إلى الانسحاب.

وبغض النظر عن عدد أو قوة عدوه، كان فريدريك يفترض أن أفضل خيار له هو الهجوم. بيد أنه لم يكن يهاجم مواقع العدو بتهور، فقد حذق استخدام طبيعة الأرض والمناورة وعنصر المفاجأة. كما أصدر كتاباً بعنوان «تعليمات فريدريك الأكبر لقادته» في عام 1747. وبإصدار ذلك الكتاب لم يكن قد أصدر دليلاً مكتوباً لجيشه فقط، وإنما كان ذلك بمنزلة إعادة صياغة لمبادىء الحرب الحديثة، وذلك بتفصيل أفكاره حول دور التكتيك والمناورة في نظام وأسلوب القتال.

ورث فريدريك جيشاً قوياً قوامه ثمانون ألف فرد مع قدر وافر من الأموال اللازمة لتغطية الاحتياجات العسكرية. وتولى الضباط المحترفون تدريب الجنود الذين ينتمي معظمهم إلى الطبقات الدنيا. وعلى الرغم من قوة الجيش البروسي فقد واجه خصوماً أشداء؛ إذ كان الأعداء الذين يشملون فرنسا والنمسا وروسيا يطوقون حدود بروسيا، وكانت إمبراطورية فريدريك تفتقر إلى أي حدود طبيعية كبيرة كالجبال أو المجاري المائية التي توفر التحصينات والدفاعات الطبيعية. وبعد أشهر قليلة من تولي فريدريك قيادة الجيش البروسي، اختار استراتيجية استخدمها طيلة حياته المهنية الباقية؛ فقد كان يلجأ إلى الهجوم عند تعرضه لتهديد، وعندما يرى أن هناك ضعفاً في أحد جيرانه، يبادر بالهجوم عليه، وكان يهاجم حينما يصعب عليه اختيار إجراء معين.

وعلى الرغم من غياب فريدريك تمكن المشاة من القوات البروسية من كسب المعركة. وعاد فردريك وهو في غاية الحرج إلى جبهة القتال، وقرر عدم الانسحاب مطلقاً من معركة لم تحسم بعد، كما قرر تحسين وحدات سلاح الفرسان ودعمها. وخلال العقدين التاليين انهمك فريدريك في معارك عنيفة وأظهر شجاعة فائقة وصلت حد الإفراط. كما قام بتطوير سلاح الفرسان في برسويا ليصبح أفضل سلاح فرسان في العالم حينها.

بانتهاء الحرب السيليزية الأولى (First silesian War) عام 1742، خلد القائد البروسي ليستمتع بنشوة النصر. وبعد سنتين من الهدوء، دخل فريدريك مرة أخرى في حرب ضد النمسا وكسب الحرب السيليزية الثانية في وقت وجيز. وعندئذ، كانت كل أنحاء أوروبا تعترف ببروسيا كقوة رئيسية.

قام فريدريك بنشر الكتاب الذي ألف عن فن الحرب خلال العقد التالي، وجاء نشر الكتاب في الوقت الذي تمكن فيه من توسيع جيشه؛ فقد أضاف وحدات المدفعية التي تجرها الخيول، وألحقها بوحدات سلاح فرسانه مباشرة، وعقد التمارين والتدريبات الميدانية المكثفة لتحقيق الانسجام. واهتم فريدريك بتشييد الطرق لتسهيل حركة التجارة والأعمال الدفاعية، كما وفر مبالغ كبيرة واحتفظ بها لتمويل أي حروب قد يضطر إلى خوضها مستقبلاً.

وفي عام 1756 إنجاز فريدريك الذي لم يفارقه القلق بسبب مجاورة العديد من الأعداء، إلى بريطانيا في حرب السنوات السبع ضد كل من النمسا وفرنسا. ومواصلة لأسلوبه المعروف في الحرب الهجومية، شن هجوماً وقائياً مباشراً ضد ساكسونيا. وعلى الرغم من أن هدفه المعلن هو تدمير الخصم قبل أن يتمكن من الاستعداد، فقد كان يحمل كراهية قديمة للساكسونيين منذ أن أصيب بمرض جنسي انتقل إليه عن طريق العدوى، خلال رحلة قام بها في مطلع شبابه إلى تلك المنطقة.

وبالرغم من الانتصارات المبدئية، فقد وجد فريدريك نفسه في مواجهة

قوات أكبر حجماً، أتت من النمسا وفرنسا وروسيا. فحشد فريدريك جيشه ليهاجم كل قوة على حدة، وذلك بدلاً من القتال على جبهة عريضة؛ فقد استخدم طبيعة الأرض ليخفي قواته أثناء حشدها للهجوم ونجح في هزيمة جيش فرنسي ـ نمساوي أكبر بكثير من قواته في منطقة روسباخ (Rossbach) في 5 تشرين الثاني/ نوفمبر 1757. وبعد شهر من ذلك نظم هجوماً مخادعاً في اتجاه واحد وهو يحرك بقية جيشه خلف التلال ليشن الهجوم الرئيسي بغرض تدمير نقطة نمساوية ضعيفة في مدينة لوتن (Leuthen) ، واستخدم الجيش البروسي التكتيك ذاته ليهزم الروس في معركة زورندوف (Zorndorf) التي وقعت في 25 آب/ أغسطس 1758.

وعلى الرغم من الانتصارات التي حققها فريدريك على أعدائه الثلاثة، فإنه لم يقنع بذلك. ففي حين أثبتت تكتيكاته تفوقاً، فإنه واجه المزيد من الخسائر التي لم يستطع تعويضها بسهولة، مما أدى إضعاف قدرات جيشه. وخلال الفترة 1759 ـ 1761، حرك فريدريك قواته المجهدة في أنحاء أوروبا دون أن يحقق انتصارات حاسمة، ولكنه كان يعمل على ضمان بقاء بلاده وهو يحتفظ بجيش ميداني، دون أن يحقق أي إنجازات أخرى.

وفي أحلك اللحظات أثبت فريديك أن عامل الحظ يعتبر من الخصائص المميزة للقائد العسكري الناجح. ففي عام 1762، أصبح جيش فريدريك ضعيفاً للغاية بحيث لم يعد قادراً على القيام بهجوم، وبدا واضحاً أنه سيتعرض لهزيمة أمام الروس. ولكن المصادفة وربما الحظ أيضاً، أهدتا القائد البروسي نصراً آخر دون أن يخوض حرباً؛ فقد توفيت الملكة إليزابيث قيصرة روسيا وتولى العرش الروسي بطرس الثالث الذي كان معجباً بشخصية فريدريك، وقام بطرس بسحب روسيا من التحالفات السابقة ووقع معاهدة سلام منفصلة مع فريدريك. وبعد القيام بالعديد من الحملات غير الحاسمة، وافقت النمسا وفرنسا على توقيع معاهدة سلام في هيوبرتسبيرج (Hubertussburg) في 16 كانون الثاني/ يناير 1763، لتنهيا ما عرف بحرب السنوات السبع.

عاد فريدريك إلى موطنه ليبني بلاده بروسيا، وليحسن مستوى حياة سكانها بالحماس نفسه الذي تعامل به مع المعارك والحروب. كما واصل دراسته للموسيقى والفن حتى وفاته في سن الرابعة والسبعين بقصره في سان سوسي (Sanc Souci) في 17 آب/ أغسطس 1786. ولكن وفاته لم تؤثر في الجيش البروسي الذي ظل مهيمناً وقوياً، إذ لم يعرف الهزيمة إلا في القرن التالي وعقب ظهور عبقري آخر هو نابليون الأول.

بالرغم من تراجع قوة الجيش البروسي في الأيام الأخيرة من حرب السنوات السبع، فإن تلك الحرب قد رسخت سمعة فريدريك كأعظم قائد عسكري في عصره، وقد ساعدت قيادته الماهرة على بقاء بلاده ووضعها كقوة أوروبية رائفة طيلة نصف قرن من الزمان. ويستحق فريدريك بالفعل لقب «الأكبر»، وهو أكثر قائد عسكري انعقد له النصر والنفوذ في الفترة الواقعة بين عهد دوق مارلبورو (Duke of Marlborough) ونابليون.



تأيلا الهوني

ATTILA THE HUN

فاتح من الهون

(حوالي 406 ـ 453)

ولا يعرف الكثير عن الفترة الأولى من حياة أتيلا باستثناء بعض السجلات التي ذكرت أنه ولد كأحد أبناء الأسرة الحاكمة لبدو الهون الآسيويين، حوالي عام 406. وبعد موت عمه روجا (Ruga) (أو روسا Rusa) عام 434، اقتسم هو وشيقيقه بليدا (Bleda) الملك. وأدى اقتسام العرش على هذا النحو الذي لم يكن شيئاً غريباً حينها، إلى تولي أحد الملكين إدارة الحكومة وتنصيب الآخر قائداً للجيش. وأخذ أتيلا قيادة الجيش الذي كان في حالة حرب ضد جيرانه لمئات السنين، وخاصة مع الإمبراطورية الرومانية الشرقية. وكانت العمليات التي نفذها روجا ضد الرومان ناجحة إلى حد أن روما كانت تدفع للهون مبالغ سنوية مقابل الحفاظ على السلام معهم.

هزم أتيلا الملقب بملك الهون (أو الهياطلة) (Hns) أجزاء كبيرة من جنوب أوروبا، وكان المعارض الرئيسي الذي قاوم الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الخامس الميلادي. وعلى الرغم من وصف أعدائه له بلقب الوحشي ولقب «بلاء من الرب» وتصنيف أغلب المؤرخين له كشخصية فظة، فقد أثبت مهارة بارزة كمخطط تكتيكي بارع وكمجدد في مجال عمليات سلاح الفرسان والإمداد.

لم يكن أتيلا وشقيقه يضعان أي اعتبار للاتفاقيات أو للسلام المعقود مع جيرانهما؛ فقد استأنفا بعد اعتلائهما العرش على الفور هجوم الهون ضد روما وضد كل من حاول اعتراض طريقهما. وقام الهون خلال العشر سنوات التالية بغزو الأراضي التي تضم اليوم المجر واليونان وإسبانيا وإيطاليا. كما قام أتيلا بإرسال الثروات التي استولى عليها إلى موطنه وأجبر الجنود المهزومين على الانضمام إلى جيشه، بينما عمل على حرق المدن التي استولى عليها وقتل سكانها من المدنيين. وأغدقت الحرب ثروة هائلة على الهون الذين لم تكن الثروة هدفاً وحيداً لهم على ما يبدو؛ فقد كان جيش أتيلا مستمتعاً بممارسة فنون الحرب وصرامة الحياة العسكرية ومغانمها التي أحبوها أكثر من القيام بالزراعة ورعاية الماشية.

اتبع أتيلا تنظيماً عسكرياً على نسق النظام القبلي المعروف لدى الهون. فقد أسند إلى كل قبيلة تتكون من حوالي خمسين ألف نسمة، مهمة أن تنشىء جيشاً ميدانياً من عشرة إلاف محارب وسمى كلاً منها «تومين» (Tumen). واستخدم في هذا التنظيم سلسلة عشرية؛ إذ شكل كل عشرة من الفرسان الوحدة الأساسية في الهرم التنظيمي، وشكلت كل عشر وحدات سرية من مئة فرد، وكل عشر سرايا تكون كتيبة من ألف فرد ويتكون التومين من عشر كتائب. ويحمل القائد الذي يقود كل عشرة آلاف من الفرسان «التومين» لقب «خان» ويأتي بعد الملك مباشرة من حيث المرتبة.

كان جيش الهون بأكمله يقاتل راكباً على الخيول ومسلحاً بالأقواس وأنواع متعددة من السهام. أما الخيل التي استخدمها الهون فقد كانت أصغر حجماً نسبياً، وكانت ذات حوافر عريضة وشعر خشن وعرف طويل، وكانت تتسم بالقوة والقدرة على مقاومة المرض وتحمل درجات الحرارة المرتفعة أو المنخفضة للغاية. وعلاوة على ذلك كانت تلك الحيوانات تتمتع بقدر من الذكاء حيث كانت تستجيب للتوجيهات التي تتلقاها بحركة ركبة الفارس والتعليمات الشفهية، مما يوفر للمقاتل الحرية اللازمة في استخدام يديه لإطلاق السهام ضد العدو. كما ساهمت خيول الهون في إنجاح قتال الالتحام المباشر، وذلك بمهاجمة مشاة العدو بالحوافر والأسنان.

تركزت القدرة الهجومية لسلاح الفرسان الهون على استخدام القوس والرمح بمهارة فائقة. كان كل محارب يحمل قوساً طولها حوالي خمس أقدام وتصل سهامها إلى مدى مئة متر بدقة. ويستطيع رماة القوس مضاعفة تلك المسافة تقريباً في حالة الهجوم المكثف بوابل من السهام على مناطق الأهداف العامة. كما كان الفرسان يحملون سيوفاً مقوسة وقضباناً لكسر الدروع وفؤوساً لاستخدامها عند الالتحام المباشر. وكان المقاتلون الهون أحياناً يحملون حبالاً كحبال رعاة البقر، ليتسخدموها في التقاط جنود العدو وسحبهم من خطوط القتال لفتح الثغرات واستغلالها. كما استخدموا العربات ذات العجلتين التي تجرها الخيول لنقل عدد إضافي من رماة القوس المكملين لترسانة الهون.

ارتدى الجنود الهون زياً مكوناً من عدة طبقات من الجلد الثقيل الممسوح بالدخون الحيوانية، مما جعل لباسهم الميداني طرياً ومقاوماً للمطر. ووفرت الخوذات الحديدية المغطاة بالجلد والدروع السلسلية التي تغطي العنق والكتفين حماية إضافية للفرسان الهون ضد ضربات السهام والسيوف. كما استخدم المقاتلون الهون أحذية جلدية طرية تناسب الركوب على الخيل تماماً ولكنها لا تصلح للمسير، وكانت تلك الأحذية ملائمة للجنود الذين كانوا يرتاحون للقتال الراكب أكثر من القتال الراجل أوالمسير.

كان أتيلا وجنوده يزينون أسلحتهم ولباسهم العسكري وخيولهم بالمعادن والحجارة الثمينة طبقاً لثروة ورتبة المقاتل، دون أن يعوق ذلك قدرتهم على التنقل، حيث كانوا يعتمدون على سرعة الحركة لتنفيد الهجوم المفاجىء. وكان كل مقاتل يركب على حصان ويقود ما بين حصان إلى سبعة من الخيول المحملة بالسهام الإضافية والمياه والأرزاق. ولم تكن هناك قطارات تحمل المؤن وتتبع الجنود الهون كما هي الحال في الجيوش المتطورة، ولكن كان على كل جندي أن يجلب إمدادته بنفسه.

ونظراً إلى محدودية تعداد قبيلة الهون وحاجة الحملة الميدانية الواحدة إلى عدد يبلغ مئة ألف جندي، وضع أتيلا تكتيكات للحفاظ على جنوده، فاعتمد أتيلا على المعركة المتحركة وقوة الصدمة، وكان نادراً ما يدخل جنوده في قتال التحام مباشر أو في قتال مستمر. وكان يفضل الاقتراب من العدو باستخدام المظاهر الطبيعية للتموين وإخفاء قواته حتى يصبح في حدود المدى الذي تصل إليه السهام، ويبدأ صف من الجنود الرماية بالسهام من زاوية مرتفعة لكي يرفع جنود العدو المدافعون دروعهم لصد السهام، بينما يقوم صف آخر بالرماية مباشرة على خطوط العدو. وبمجرد تأكدهم من قتل العدد الكافي من جنود العدو، يقوم الجنود الهون بمرحلة الالتحام للقضاء على ما تبقى من قوات العدو وحسم المعركة.

حقق أتيلا وشقيقه الانتصارات في الهجمات المستمرة التي كانا يقومان بها ضد الإمبراطورية الرومانية الشرقية لمدة عقد بأكمله قبل أن يتوفى الشقيق بليدا عام 445، أو قبل أن يدعمه أتيلا طبقاً لما ذكرته بعض المصادر. وبعد ذلك اتجه الهون إلى روما نفسها، وقام أتيلا بحرق كل شيء وقتل كل من اعترض سبيله ليصل إلى مشارف مدينة تروييه (Troyes) الحالية في فرنسا قبل أن يتمكن جيش مشترك من الرومان والقوط الغربين من إيقاف تقدمه عام 451.

وبدلاً من اتباع أتيلا تكتيه المعتاد بالضرب ثم الانسحاب؛ أي «الكر والفر»، صمد ليقاتل في معركة من أكثر المعارك دموية في التاريخ القديم.

وتقدر بعض الروايات ـ التي تبالغ في التقدير على الأرجح ـ عدد القتلى في تلك المعركة بأكثر من 200 ألف. وعلى الرغم من نجاح العدو في إجبار الهون على الانسحاب، فإن أتيلا لم يوجه جيشه نحو الوطن؛ فقد توقف ليريح جنوده لفترة ومن ثم واصل غزوه جنوباً في عمق إيطاليا مكتسحاً مدن أكيليا وميلانو وبادو متقدماً نحو روما. ومع الدمار الذي خلفته حملات أتيلا فقد ساهم دون قصد في إنشاء واحدة من أجمل المدن في العالم؛ إذ نزح من تبقى من سكان شمال إيطاليا عقب غزوات الهون، ليستقروا في الجزر والبحيرات الضحلة المتصلة ببحر الأدرياتيك لتنشأ مدينة البندقية التي نعرفها اليوم.

وعلى مشارف روما تفاوض البابا ليو الأول(Leo I) مع أتيلا على شروط الاستسلام. وطبقاً لما ورد في بعض المصادر، فقد تمكن البابا من الحصول على موافقة أتيلا لإيقاف الهجوم بعد أن أعجب الأخير بمظهره وحضوره المهيب. ولكن الدوافع الحقيقية لتلك الموافقة تأتي على الأرجح من المعلومات التي تلقاها أتيلا بأن روما قد أمرت بعودة عدد من كتائبها التي تخدم في الخارج لمواجهة الهجوم الهوني.

وأياً كان السبب ـ إعجاباً أو تهديداً ـ فقد جمع أتيلا جيشه وغنائمه وعاد إلى موطنه. وفي عام 453 خطط أتيلا ذو العقلية الهجومية لغزو إيطاليا مرة أخرى، ولكنه توفي قبل ذلك في السابعة والأربعين من عمره بسبب نزيف مستمر من الأنف. وحاول أبناء أتيلا الحفاظ على قوة الجيش من بعده، إلا أنهم لم يتمكنوا من السيطرة على القتال الداخلي بين القبائل المختلفة، وخلال عشرين سنة من وفاة أتيلا انتهت قوة الهون العسكرية.

من الصعب أن نميز التطورات التي حققها أتيلا في التنظيم والأسلحة عن تلك التي حققها أسلافه. ومع ذلك لا يستطيع أحد أن ينكر براعته التكتيكية أو روحه القتالية الشرسة؛ فقد تمكن من الكثير من الحالات من مواصلة القتال وتحقيق النصر بأقل خسائر حتى حين كان يحارب بجنود أقل عدداً. وعلى الرغم من أنه لم يطلب الرحمة أو يمنحها لجندي أو مدني مهزوم فقد كان

ماهراً في عقد التحالفات مع أعدائه السابقين ليتمكن من تحقيق هدفه وهو هزيمة الرومان. لقد كان أتيلا الهون أعظم قائد عسكري في عصره حيث كانت سمعته تنشر الرعب في صفوف أعدائه الذين تهيبوا ذلك القائد الملقب «بالبلاء» واحترموه. وبعد أكثر من 1500 عام من رحيله لا يزال اسمه مرادفاً لقتال سلاح الفرسان الشرس وعبقرية المحارب. ولا يحول دون احتلاله مرتبة أعلى في هذه القائمة سوى قصر فترة إمبراطوريته التي تفككت خلال عشرين سنة من موته.



جورج كاتليت مارشال

GEORGE CATLETT MARSHALL

قائد أمريكي

خطة مارشال

(1880 - 1959)

ولد جورج مارشال في 31 كانون الأول/ ديسمبر 1880 في مدينة يونينتاون (Uniontown) بولاية بنسلفانيا، وتخرج من المعهد العسكري بولاية فرجينيا عام 1901 وعين ضابطاً برتبة ملازم ثان. وخدم مارشال خلال السنوات السابقة للحرب العالمية الأولى فترتين في الفلبين، وأسندت إليه عدة مهام ميدانية كما عمل في معاهد عسكرية بمنطقة الغرب الأوسط الأمريكي.

قام جورج مارشال الذي تولى منصب رئيس أركان الجيش الأمريكي، بتنظيم القوات الأمريكية وتهيئتها لخوض الحرب العالمية الثانية. وهو الذي أعد

الخطة الاستراتيجية لحرب الجبهتين التي هزمت فيها قوى المحور، كما عمل مستشاراً أساسياً لرئيسين أمريكيين في كل ما يتعلق بالشؤون العسكرية. وكان مارشال قد قضى فترة الحرب العالمية الثانية بأكملها وهو يوجه قواته من واشنطن، باستثناء الفترات التي كان يحضر فيها اجتماعات الحلفاء الرئيسية لمناقشة الخطط الاستراتيجية، أو حين كان يقوم بزياراته النادرة لمراكز القيادة والسيطرة الخلفية في بلدان خارج الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى الرغم من أنه لم يشارك في القتال مباشرة، فقد برز كواحد من أكثر القادة نفوذاً وتأثيراً في التاريخ العسكري.

ترقى مارشال إلى رتبة نقيب عام 1916، وانضم إلى فرقة المشاة الأولى كضابط ركن وانتقل معها إلى فرنسا عام 1917. وفي آب/ أغسطس 1918 التحق مارشال الذي كان قد ترقى إلى رتبة عقيد مؤقت (مكلف) بهيئة أركان الجيش الأول. وفي أيلول/ سبتمبر من السنة نفسها، وضع مارشال الخطة اللازمة وأشرف على التنفيذ الناجح لحركة أكثر من نصف مليون جندي وحوالي ثلاثة آلاف قطعة مدفعية إلى جبهة أرجون (Argonne) لبدء هجوم جديد.

عمل مارشال كضابط ركن طيلة فترة الحرب، وبعد الهدنة التي تم التوصل إليها لإيقاف الحرب، عاد إلى رتبته الأصلية كنقيب وأصبح معاوناً للجنرال جون جوزيف بيرشنج (John Joseph Pershig) . وخدم مارشال تحت إمرة الجنرال بيرشنج حين كان الأخير رئيساً لأركان الجيش حتى العام 1924. وتدرج مارشال خلال هذه الفترة في الرتب حتى وصل إلى رتبة مقدم، وتعلم الكثير على يد الجنرال بيرشنج وكون علاقات في المجالين العسكري والسياسي استفاد منها فيما بعد.

وبعد نقله من وظيفة المعاون، خدم فترات في الصين، ثم بمدرسة المشاة في فورت بيننج (Fort Benning) ، وقوات الحرس الوطني في ولاية إيلينوي قبل أن يتولى قيادة كتيبة المشاة الثامنة في ولاية كارولينا الجنوبية. وفي عام 1938 التحق مارشال بهيئة الأركان العامة للجيش وهو برتبة عميد. وبعد أن بات

مقتنعاً تماماً بالدور القيادي الذي ينتظره مستقبلاً، بدأ بإعداد سجل احتفظ فيه بأسماء الضباط الذين أعجب بأدائهم المهني إضافة إلى الضباط البارزين.

وفي أيلول/ سبتمبر 1939، تخطى مارشال 32 ضابطاً ممن هم أقدم رتبة منه حينما اختاره الرئيس فرانكلين روزفلت لتولي منصب رئيس أركان الجيش. ولأن مارشال كان مدركاً احتمال دخول الولايات المتحدة الأمريكية طرفاً في الحرب الدائرة في أوروبا، فقد بدأ وضع الخطط الاستراتيجية وحشد تأييد الكونجرس لزيادة حجم القوات وتسليح الجيش وتزويده بالمعدات الملائمة.

وفي أعقاب قصف اليابان ميناء بيرل هاربر الأمريكي وإعلان الولايات المتحدة الأمريكية دخولها الحرب، باشر مارشال تطبيق خططه؛ فبعد أن تمكن زيادة قوة الجيش من مجرد 200 ألف رجل إلى قوة هائلة قوامها ثمانية ملايين جندي، أعاد مارشال تنظيم هيئة اوركان العامة للجيش وقسمه إلى ثلاث قيادات رئيسية هي: القوات البرية، وخدمات الجيش، والطيران. واستخدم مارشال «مفكرته السرية» التي احتفظ بها ليختار القادة المؤهلين لكل من هذه القيادات الثلاث، كما اختار الضباط الأكفاء لملء المناصب الرئيسية في كل قطاعات الجيش.

ظل مارشال يعمل مستشاراً عسكرياً موثوقاً به لدى كل من الرئيس روزفلت والرئيس هاري ترومان (Harry Truman) فيما بعد طيلة فترة الحرب العالمية الثانية. وحضر مارشال اجتماعات التخطيط الرئيسية التي عقدها الحلفاء في الدار البيضاء وبوتسدام. وهو أول قائد أمريكي يتبنى استراتيجية الحرب على جبهتين، مع إعطاء الأولوية لهزيمة ألمانيا. وكان لأفكاره في تطوير الأسلحة والمعدان أثر واضح في تسريع عملية تعبئة الشعب الأمريكي وحشد قاعدته الصناعية للمساهمة في المجهود الحربي.

عبر مارشال في أكثر من مناسبة خلال الحرب عن رغبته في قيادة قوات مقاتلة بصفة مباشرة، وخاصة قبل تنفيذ عملية أوفرلورد (Operation Overlord) التي نفذت لغزو نورماندي. وفي كل مرة كان رؤساؤه يردون عليه مكررين بأن

في استطاعته أن يخدم بلده والمجهود الحربي على أفضل نحو كضابط ركن وكمخطط استراتيجي يعمل من داخل الولايات المتحدة الأمريكية.

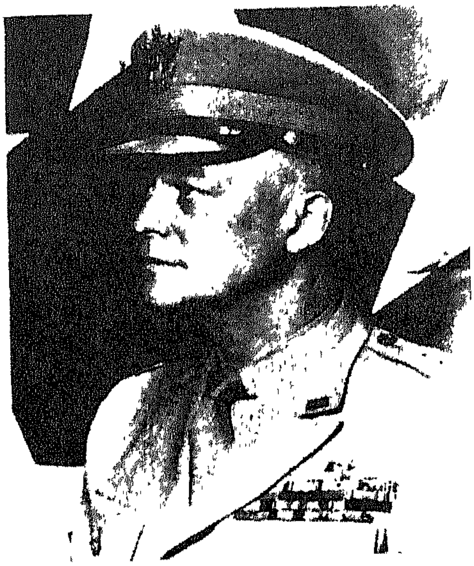
كان من أهم خصائص مارشال، التي حافظت له على علاقة جيدة مع الرؤساء الذين خدم تحت إمرتهم، افتقاده أي طموحات سياسية شخصية؛ فقد ترقى إلى رتبة قائد الجيش (General of the Army) بغرض مساواة رتبته مع رتبة «مارشال» (المشير) البريطانية وليس بغرض استرضاء أي طموحات لديه. وفي خطوة تبرهن على تواضع مارشال الجيش، استقال من منصبه بعد وقت قصير من انتهاء الحرب وأوصى بأن يعين داويت ديفيد أيزنهاور ليحل محله.

بيد أن مارشال لم يقض سوى فترة قصيرة للغاية في حياة التقاعد عن الخدمة؛ فبعد عشرة أيام من استقالته، تمكن الرئيس هاري ترومان من إقناعه بالذهاب إلى الصين كممثل شخصي له، بغرض التوسط في النزاع بين الشيوعيين والقوميين. وعلى الرغم من فشل مارشال في تلك المهمة، فإن الرئيس ترومان عينه وزيراً للخارجية في كانون الثاني/ يناير 1947. وفي 5 حزيران/ يونيو من السنة نفسها أعلن مارشال أفكاره لتنفيذ برنامج يهدف إلى تمويل استعادة الاقتصادات الأوروبية لوضعها الصحيح، ووفرت الخطة التي أصبحت تعرف «بخطة مارشال» الأموال اللازمة لتمويل اقتصادات أوروبا التي مزقتها الحرب، وساهمت في خلق صداقات قوية مع الحلفاء السابقين، وكسب أصدقاء جدد من بين الأعداء السابقين في الوقت ذاته. وساعد تنفيذ خطة مارشال أيضاً على مقاومة توغل الشيوعية في أوروبا الغربية. وفي عام 1953 تسلم مارشال جائزة نوبل للسلام تقديراً لخطته، ليصبح العسكري المحترف الوحيد الذي يحصل على مثل ذلك التقدير.

يمكن تصنيف مارشال باعتباره أبرز ضابط ركن كان له أثره المميز في التاريخ العسكري؛ فقد عمل من منصبه في واشنطن على تصميم القوات واختيار القادة الذين حققوا النصر في الحرب العالمية الثانية. وكان مارشال ـ الذي اشتهر بنزاهته وذكائه وفطنته السياسية أكثر ما اشتهر بالاستبسال أو الشجاعة في

أرض المعركة ـ واحدةً ممن كان بمنزلة مفتاح النصر في الحرب بالاستبسال أو الشجاعة في أرض المعركة ـ واحداً ممن كانوا بمنزلة مفتاح النصر في الحرب وتأسيس القوة الحربية للولايات المتحدة الأمريكية لتصبح الأقوى على مستوى العالم بأكمله. وكان لجهده في تقديم وتنفيذ خطة مارشال الفضل في إعادة بناء أوروبا الغربية وهزيمة الشيوعية وانهيار الاتحاد السوفيتي فيما بعد. وعلى الغرم من تمكن زميليه الجنرال أيزنهاور والجنرال دوجلاس مكارثر (Douglas Mac Arthur) من تحقيق شهرة أكبر في جبهات القتال، فإن الأعمال والإجراءات غير المباشرة التي قام بها مارشال وهو يضع الخطط ويتولى القيادة من واشنطن، قد كان لها أثر كبير في مجريات الحرب وما تلاها من أحداث ومتغيرات.

استقال مارشال من منصبه كوزير للخارجية عام 1949 بسبب مرضه، وبعد سنة من ذلك، استدعاه الرئيس هاري ترومان ليصبح وزيراً للدفاع في حكومته. وعمل مارشال خلال فترة توليه المنصب على ضمان التأييد والدعم الأمريكي القوي للأمم المتحدة ولمنظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو). وعاد مارشال إلى التقاعد مرة أخرى في 12 أيلول/ سبتمبر 1951، وتوفي في 16 تشرين الأول/ أكتوبر 1959 في العاصمة الأمريكية واشنطن، ودفن في مقبرة أرلينجتون الوطنية.



دوايت ديفيد أيزنهاور

Dwight David Eisenhower

قائد أمريكي

(1969 - 1890)

قاد دوايت أيزنهاور أكبر قوة عسكرية متعددة الجنسيات تم حشدها في أضخم مجهود حربي في تاريخ العالم. وقام أيزنهاور الذي كان مسؤولاً عن أكثر من أربعة ملايين جندي بالتخطيط وقيادة هجوم الحلفاء الذي أدى إلى هزيمة قوات المحور في الحرب العالمية الثانية. وساعدت قدراته الفذة في تنسيق وإدارة قوات الحلفاء المختلفة والسيطرة على مرؤوسيه من القادة المتشددين على خلق جيش موحد تمكن من تحقيق نصر صعب.

ولد إزنهاور في 14 تشرين الأول/ أكتوبر 1890 بمدينة دينسون (Denison) في ولاية تكساس، وانتقل برفقة والديه إلى مدينة أبيلين (Abilene) في ولاية كنساس التي تربى فيها. ولأنه لم يكن قادراً على دفع المبلغ اللازم للالتحاق

بالدراسة في كلية جامعية، فقد تقدم بطلب وتم قبوله في الأكاديمية العسكرية الأمريكية. شارك أيزنهاور أثناء فترة وجوده في الأكاديمية العسكرية في ويست بوينت (West point) في فريق كرة القدم الأمريكية لدفعة عام 1915، وهي الدفعة التي خرج من بينها أكثر من خمسين جنزالاً في المستقبل. وتخرج أيزنهاور محتلاً المرتبة الحادية والستين في دفعته المكونة من 164 مرشحاً، وعين برتبة ضابط في قوات المشاة.

حقق أيزنهاور مكانة مميزة لنفسه خلال المهام الأولى التي أسندت إليه، حيث قام بوضع البرامج التدريبية للمشاة ولسلاح الدبابات المشكل حديثاً. وعلى الرغم من عم عدم مشاركته في الأعمال القتالية خلال الحرب العالمية الأولى، التي قضى فترتها في مهام داخل الولايات المتحدة الأمريكية، فقد استفاد من سلسلة الترقيات السريعة التي تمت في ذلك الوقت ليبلغ رتبة رائد في عام 1920.

كانت عوائد الخدمة في الجيش زمن اسلم خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى محدود للغاية، ومع ذلك بقي أيزنهاور في رتبته كرائد لمدة عقدين وكافح ليعيش وأسرته على الرواتب المحدودة التي يقدمها الجيش. بيد أن أيزنهاور استفاد من تلك السنوات الطويلة وكأنه كان يقر أالتحديات التي ستبرز في المستقبل؛ فقد حقق لنفسه مكانة متميزة حين حصل على المركز الأول في دورة كلية القيادة والأركان بفورت ليفنورث (Fort Leavenworth) في ولاية كنساس. وفي عام 1229 نقل أيزنهاور للعمل مع الجنرال جون جوزيف بيرشنج، وأصدر دليلاً يصف مواقع المعارك التي وقعت خلال الحرب العلامية الأولى. وفي عام 1935 التحق أيزنهاور بمكتب رئيس أركان الجيش للعمل مع الجنرال دوجلاس مكارثر، ومن ثم رافق مكارثر كمساعد له في الفلبين التي خدم فيها لمدة ثلاث سنوات.

عزز أيزنهاور سمعته كضابط ركن مثابر في مختلف المناصب التي عمل فيها، وحصل على رتبة مقدم، خلال فترة ما قبل الحرب التي شهدت حركة ترقيات. وكان من الصعب حقاً، حتى لأولئك الذين تعرفوا على مهارات

أيزنهاور في ذلك الوقت، أن يتوقعوا أنه سيرتقي خلال ثلاث سنوات فقط إلى رتبة جنرال ويتولى منصب القائد الأعلى لقوات الحلفاء في أوروبا.

وتقديراً لأداء أيزنهاور المميز وما تركه من انضباع إيجابي لدى كل من بيرشنج ومكارثر، فقد عينه رئيس أركان الجيش الجنرال جورج كاتليت مارشال رئيساً لقسم العمليات في الجيش بعد وقت قصير من تعرض ميناء بيرل هاربر للقصف. وأدى أيزنهاور دوراً رئيسياً في وضع الخطة الاستراتيجية الشاملة للحلفاء، التي تقضي باحتواء قوات العدو وتطويقها في مسرح منطقة المحيط الهادي مع الحفاظ على أولوية هزيمة القوات النازية في أوروبا أولاً.

كان أيزنهاور هو الضابط الذي اختاره جورج مارشال ورشحه للترفيع إلى رتبة لواء وقيادة القوات الأريكية المحتشدة في بريطانيا العظمى. وفي تموز/ يوليو 1942 أصدر رئيس الأركان أمراً بترفيع أيزنهاور إلى رتبة فريق وعينه كقائد للقوات الأمريكية في «عملية المشعل» (Operation Torch) ، وهو الاسم الرمزي لحملة الحلفاء لغزو شمال أفريقيا. وجاء رد أيزنهاور الفوري على الفشل المبدئي الذي حدث في ممر كاسرين (Kasserine Pass) بإجراء تغييرات شاملة وسط القادة العاملين تحت إمرته، حيث قام بتنحية من تسببوا في ذلك الإخفاق من مناصبهم واستبدل بهم الضباط الذين اختارهم بنفسه.

أدت التغييرات العملياتية والقيادية التي نفذها أيزنهاور إلى ترجيح كفة قواته ضد قوات الجنرال الألماني إيرفين روميل العاملة في شمال أفريقيا، واستسلم الجنود النازيون والإيطاليون بأعداد هائلة. وبالإضافة إلى تحقيق النصر، برهن أيزنهاور في شمال أفريقيا على قدراته في السيطرة على مرؤوسيه من القادة المتشددين والمغامرين؛ مثل بيرنارد لو مونتجمري Bernard law Montgomery) وجورج باتون (George S. Patton) .

وبعد ترفيع أيزنهاور إلى رتبة فريق أول، تولى قيادة القوات التي نفذت غزو صقلية في تموز/يوليو 1943 وما تلاه من تقدم في عمق الأراضي الإيطالية. وفي كانون الأول/ ديسمبر 1943، أصبح قائداً للقيادة العليا لقوات التدخل

السريع التابعة للحلفاء. وأسندت إليه مهمة تخطيط وتنفيذ غزو فرنسا في «عملية أوفرلورد». وبفضل قيادة أيزنهاور المباشرة وقدراته الإدارية الفذة، تمكن الحلفاء من حشد أكبر قوة غازية في التاريخ وحافظوا على سرية خططهم ليفاجئوا الألمان بتوقيت ومكان الإنزال الذي نفذته قواتهم.

بعد تنفيذ الإنزال الناجح في نورماندي، قاد أيزنهاور قوات الحلفاء المكونة من عدة ملايين من الجنود هي تندفع براً متجهة نحو ألمانيا. وعبر جيش أيزنهاور نهر الراين وهدد برلين نفسها عقب الانتكاسات المحدودة التي واجهها أثناء غزو هولندا بالقوات المحمولة جواً، والذي سمي بعملية «بستان السوق» (Market garden) ، والمفاجأة التي واجهها نتيجة الهجوم المعاكس الألماني من جبال الأردن (Ardennes) فيما سمي «بمعركة النتوء» (Battle of the Bulge) . وفي قرار مثير للجدل، بني على المعلومات الاستخبارية غير الصحيحة عن خطط هتلر الدفاعية النهائية، تحول أيزنهاور من برلين وقام بتأمين سلسلة الجبال الواقعة جنوبي ميونخ، وهو المكان الذي توقع الحلفاء أن تدور المعارك الحاسمة فيه. وأتاح ذلك القرار للسوفييتي أن يستولوا على برلين.

حل أيزنهاور بعد الحرب محل جورج مارشال كرئيس الأركان، قبل أن يتقاعد عام 1948 ليصبح رئيساً لجامعة كولمبيا. ثم عاد بعد ثلاث سنوات إلى أوروبا ليقود حلف شمال الأطلسي «الناتو». وفي عام 1952 خاض أيزنهاور الانتخابات كمرشح جمهوري للرئاسة الأمريكية، وكسبها بأكبر هامش تصويت شعبي حتى ذلك الوقت. وكانت إدارته هي التي توصلت إلى إنهاء الحرب الكورية. وبعد أن ظل في منصب الرئاسة لفترتين متتاليتين، تقاعد ليستريح في مزرعته الخاصة بضاحية جيتزبورج (Gettysburg) في ولاية بنسلفانيا. وكان قد أطلق قبل تقاعده تحذيره الأخير من مخاطر تمدد الحكومة وما أسماه «بعقدة التصنيع الحربي». وتوفي أيزنهاور في الثامنة والسبعين من عمره بمدينة واشنطن، في 28 آذار/ مارس 1969.

برهن أيزنهاور على قدراته الهائلة في توطيد العلاقات بين قوات الحلفاء

والمحافظة عليها، فضلاً عن مهارته في إدارة العمليات الكبيرة. وعلى الرغم من انتقاده في أغلب الأحيان لعدم المشاركة المباشرة في القتال، فقد أثبت شجاعته الشخصية في اتخاذ القرارات الصعبة وتنفيذها. ومع أنه يصنف كضابط ركن وكضابط إداري أكثر من كونه قائداً مقاتلاً بالمعنى التقليدي، فقد كان في كل الحالات الرجل المناسب في المكان المناسب وفي الوقت المناسب.



أوليفر كرومويل

Oliver Cromwell

قائد انجليزي

الوصي على العرش

(1658 ـ 1599)

لم تبدأ حياة كرومويل العسكرية المميزة إلا بعد أن تجاوز الأربعين من عمره. ولد كرومويل في 25 نيسان/ إبريل 1599، لأب من ملاك الأراضي الزراعية في منطقة هنتنجدن (Huntingdon)، وطغى الانهماك في الأنشطة الدينية على الفترة المبكرة من حياته. وحين بلغ العشرينات من عمره، كان ناشطاً في ممارسة الشعائر الدينية لطائفة التطهيين (Puritans)، الذين دعوا إلى «تطهير» الكنيسة الوطنية والهيكل السياسي من نفوذ مذهب الروم الكاثوليك. ومنذ ذلك الحين لم يعد ممكناً فصل طموحات كرومويل السياسية عن الأفكار الدينية التي يتبناها أو تلك التي يقف ضدها.

قاد أوليفر كرومويل القوات المؤيدة للنظام البرلماني إلى تحقيق النصر على القوات الملكية في الحرب الأهلية الإنجليزية التي وقعت في القرن السابع عشر. وأدت إنجازاته إلى تبني نظام الحكم الديمقراطي في إنجلترا واستعادة مكانة بلاده كقوة عسكرية بعد غيابها كقوة رئيسية في المسرح الدولي لمدة قرنين تقريباً، فضلاً عن اكتسابه لقب «الوصي على العرش» الذي يجمع بين سلطات الملك والحاكم المطلق. وجمع كرومويل، الذي يعتبر قائداً عسكرياً متميزاً ومجدداً، بين اللين والشدة ليقوم بتحويل الجيش البريطاني إلى قوة محترفة.

مثل كرومويل منطقة هنتنجدن في البرلمان الإنجليزي خلال الفترة 1628 ـ 1629، وعاد إلى موطنه بعد أن قام الملك تشارلز الأول بحل ذلك الجهاز الحكومي. ولم يدخل كرومويل المجال العسكري إلا بعد اندلاع الحرب الأهلية عام 1642، عقب صراع على السلطة بين الملك تشارلز ومؤيديه من نصار الملكية من جهة، والثوار مؤيدي النظام البرلماني من جهة أخرى. (ذكرت بعض الروايات أن كرومويل قد خدم كجندي مرتزق في أوروبا أثناء فترة شبابه، ولكن ليس هناك ما يؤكد هذه الروايات التي تبدو غير صحيحة على الأرجح).

وعلى الرغم من بلوغ كرومويل سن الثالثة والأربعين، فقد شكل مجموعة من قوات الفرسان، وكان ذلك أول أعماله كقائد عسكري. وطالب كرومويل الضباط وأفراد بأن يتقيدوا بأعلى مستوى من الأمانة والالتزام الأخلاقي، وعادت تلك المعايير بفوائد عظيمة عليه فيما تبقى من حياته المهنية. كما فرض على مرؤوسيه التقيد بالطاعة الفورية للأوامر ومنع القيام بأعمال السلب والنهب وتبادل الشتائل، أو أي سلوك غير ديني. وتصدر الحماس الديني واعتقاد أن الله لا ينصر أعداء استراتيجية كرومويل العسكرية.

اعتمدت تكتيكات كرومويل على انضباط أفراده، وبدلاً من التقدم بأسلوب العدو السريع المتبع في وحدات الفرسان آنذاك، كان فرسان كرومويل يتقدمون بأسلوب الخبب، مع الاستعداد لرد الفعل واستغلال أي تغير في سير المعركة يكشف عن نقطة ضعف لدى العدو. وشمل تسليح كل فارس حزاماً

لحمل المسدسات، قبل إشهار السيوف العريضة ذات النصلين، التي يصل طولها إلى ثلاث أقدام لاختراق خطوط العدو.

قام كرومويل بتسليح رجاله بأحدث الأسلحة المتوفرة حينها، وزودهم بأجود ما يتوافر من زي عسكري، كما جلب لهم أفضل أنواع الخيول، وعمل على دفع الرواتب الكافية لهم في توقيت استحقاقها. وكان السبب الرئيسي للنجاح الذي حققته أول مجموعة فرسان شكلها كرومويل ـ ولنجاح التشكيلات الأكبر التي قادها فيما بعد ـ هو الانضباط. فقد تمكن كرومويل بفضل التدريب المتكرر والقادة الأقوياء من استدعاء قواته المهاجمة وإعادة تشكيلها لمواجهة متغيرات لاحقة، أو حتى لتغيير اتجاه هجوم ما أثناء تنفيذه.

أثبت الفرسان المقاتلون تحت إمرة كرومويل فاعليتهم منذ أول يوم في الحرب. فقد جلب النجاح ترفيعاً لكرومويل إلى رتبة عقيد، كما أسند إليه قيادة كتيبة حقق بها النصر على مؤيدي الملكية في جرانثام (Grantham) يوم 13 أيار/ مايو 1643، وفي مدينتي بيرلي هاوس (Burleigh House) وجينزبيرو (Ganisborough) في تموز/ يوليو من السنة نفسها. وفازت كتيبة كرومويل المكونة من 14 مجموعة قتال، وهو ضعف العدد المعتاد لوحدة كهذه، بلقب «الحديديين» وهو اللقب الذي حمله قائدهم نفسه خلال الحملات الناجحة في شتاء 1643 ـ 1644.

أعيد تنظيم قوات الثوار عام 1645 لتصبح «جيشاً نموذجياً حديثاً»، باستبدال القادة الذين كسبوا مناصبهم القيادية بفضل وضعيتهم كمؤيدين للنظام البرلماني ليحل محلهم ضباط أفضل كفاءة وتأهيلاً. ونتيجة لذلك، تولى كرومويل قيادة قوات الفرسان بأجمعها وقام بغرس أفكاره في مجالي التنظيم والانضباط لتعم الجيش بأكمله. وأدت هذه التغييرات إلى خلق أول جيش محترف بذلك الحجم الكبير في تاريخ بريطانيا، الذي تميز أفراده بارتداء السترات العسكرية الحمراء التي أصبحت رمزاً توارثته الأجيال المتعاقبة.

تمكن الجيش الحديث بالاشتراك مع كتيبة سلاح الفرسان التي يقودها كرومويل من سحق قوات الملكيين بمدينة نيزبي (Naseby) في 14 حزيران/ يونيو 1645. وبعد عدة انتصارات تالية للثوار، وضعت الحرب الأهلية أوزارها عام 1646 بعد أن تم التوصل بصعوبة إلى هدنة بين الملك ومؤيدي البرلمان. ولكن جاءت سلسلة من الأحداث السياسية المعقدة لتؤدي إلى الحرب الأهلية الثانية عام 1648. وسارع كرومويل إلى إخماد ثورة في ويلزم وأثبت فاعليته القيادية باستخدامه الناجح لقوات المشاة مع سلاح الفرسان ليحقق نصراً على الإسكتلنديين المتحالفين مع الملك في معركة بريستون (Preston) .

قام كرومويل عام 1649، وبدعم من القوات المؤيدة للنظام البرلماني، بمحاكمة الملك تشارلز وإعدامه. وبعد وقت قصير من تنفيد الإعدام شن كرومويل الذي أصبح قائداً عاماً للجيش عمليات لتصيفة آخر معاقل المعارضة في الجزر البريطانية؛ فقد أنزل قواته في دبلن بأيرلندا، وقام خلال شهري آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر باكتساح مدينة درويدا (Drogheda)، وهي أحد معاقل الكاثوليك هناك، وقام جنود كرومويل بذبح الناجين ومن ضمنهم السكان المدنيون. وسارعت الوحدات الإيرلندية الأخرى إلى الاستسلام خوفاً من مصير مشابه.

بحلول ربيع 1650 عاد كرومويل ـ الذي كان قد فرغ من إخضاع ما تبقى من المقاومة الأيرلندية ـ إلى إنجلترا لإخماد تمرد إسكتلندي. وعلى الرغم من أنه كان نادراً ما يشرك قواته في القتال حتى يتأكد من تفوقها العددي، فقد واجه قوة إسكتلندية في مدينة دنبار (Dunbar)، تعادل بالتقريب ضعف حجم جيشه المكون من اثني عشر ألف رجل. واستغل كرومويل عاصفة مطرية لإخفاء حركة قواته، ثم هاجم الإسكتلنديين وهزمهم بعذ ذلك. وتمكن بعد سنة واحدة من تصفية آخر ما تبقى من جيوش المقاومة في مدينة وستر (Worcester) ، وبذلك أصبحت كل الجزر البريطانية موحدة تحت حكومة واحدة.

رفض كرومويل أن يصبح ملكاً بعد أن عرض عليه تولي العرش

واستعاض عن ذلك بخلق منصب «الوصي على العرش» عام 1653، ووفر له ذلك المنصب السلطة المطلقة. وأثبت كرومويل أنه قائد متسامح على نحو غير عادي، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار وحشيته في ميدان المعركة واستخدامه للتعصب الديني كوسيلة لحث جيشه على القتال؛ فقد سمح للبروتستانت بممارسة شعائرهم الدينية بحرية، كما سمح لليهود، الذين منعهم البريطانيون من دخول البلاد لأكثر من ثلاثمئة عام، بالعودة وممارسة طقوسهم الدنيية دون خوف أو تهديد.

لم تدم فترة وصاية كرومويل سوى مدة قصيرة لم تتعد الخمس سنوات؛ فقد داهمه الموت بعد يوم ميلاده التاسع والخمسين، ومات بمرض الملاريا في لندن في اليوم الثالث من شهر أيار/ مايو 1658، ودفن في كنيسة ويستمنستر. وجاء ابنه ريتشارد خلفاً له ولكنه لم يتمكن من الاحتفاظ بالسلطة؛ فقد تمكن تشارلز الثاني ابن الملك تشارلز الذي أعدمه كرومويل، من استعادة السلطة عام 1660 في خضم التعقيدات السياسية في إنجلترا آنذاك. وقام الملك الجديد بنبش رفات كرومويل وتعليقه على منصة إعدامه للتشهير به باعتباره خائناً، ودفن الرفات فيما بعد في أسفل منصة المشنقة.

وعلى الرغم من قصر الفترة التي شهدت أعماله ذات الأثر المباشر، فإن كرومويل هو أبرز شخصية إنلجيزية في عصره، وهو الذي ترك أثراً على شكل حكومة بلاده وجيشها مستقبلاً. وكان من الصعب على القوات المؤيدة للنظام البرلماني أن تنتصر في الحرب الأهلية الإنجليزية، أو أن تؤسس المبادىء الديمقراطية التي أثرت في نهاية المطاف في الحركات المشابهة في فرنسا والمستعمرات الأمريكية، لولا المهارات التنظيمية والقيادية التي توافرت لأوليفر كرومويل. وبينما تجيء الحكومات الإنجليزية وتسقط، تبقى إنجلترا كقوة دولية مؤثرة لمئات السنين بفضل قوتها العسكرية التي أسسها كرومويل.



دوجلاس مكارثر

Douglas MacArthur

قائد أمريكي

العسكريون القدامى لا يموتون وإنما يخبو نشاطهم فقط

(1880 ـ 1964)

ولد مكارثر وسط عائلة احترفت الجندية بمدينة ليتل روك في ولاية أركنساس، يوم 26 كانون الثاني/يناير 1880. وكان والده السيد آرثر قد منح قلادة الشرف خلال الحرب الأهلية الأمريكية، كما خدم في الجيش الأمريكي خلال الحرب الإسبانية ـ الأمريكية وفترة العصيان المسلح الذي وقع في الفلبين. وتمكن مكارثر في مطلع صباه، بمساعدة والدته التي كان لها دور مؤثر في مستقبل حياته المهنية العسكرية، من الالتحاق بالكلية العسكرية في ويست بوينت وكان أول دفعته التي تخرجت عام 1903، وتم تعيينه ضابطاً برتبة ملازم ثان في سلاح المهندسين.

كان دوجلاس مكارثر قائداً لفرقة عسكرية في الحرب العالمية الأولى، كما عين قائداً للجزء الأعظم من قوات الحلفاء في مسرح العمليات بمنطقة المحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية، وتولى قيادة قوات الأمم المتحدة في كوريا. ويعتبر مكارثر واحداً من أعظم جنرالات الولايات المتحدة الأمريكية، بل وأكثرهم إثارة للجدل. فقد انتهى الذين خدموا تحت إمرته إما إلى حبه وإما كراهيته، لكنهم أجمعوا ـ حتى أعداؤه ـ على الاعتراف بذكائه المميز في مجال التخطيط الاستراتيجي، ومهارته في إجادة فنون الحرب البرمائية، وقدرته على تحقيق النصر بأقل الخسائر.

شملت المهام التي أسندت إلى مكارثر في وقت مبكر من حياته العسكرية فترات خدمة في الفلبين واليابان، حيث خدم كضابط مرافق لوالده الذي وصل حينها إلى رتبة لواء، أثناء فترة عمله كمراقب في الحرب الروسية ـ اليابانية عام 1904 ـ 1905. وبعد عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1906، عمل مكارثر لفترة وجيزة كمساعد عسكري للرئيس ثيودور روزفلت ثم ترفع إلى رتبة نقيب، ورافق الحملة التأديبية التي احتلت مدينة فيراكروز في المكسيك عام 1914.

التحق مكارثر عام 1916 بهيئة أركان وزارة الحربية كرئيس لإدارة المعلومات. وحظي خلال تلك الفترة بإعجاب وزير الحربية نيوتن بيكر (Newton) D. Baker) حين اقترح الخطط الخاصة باستخدام وحدات الحرس الوطني في القتال إلى جانب الوحدات النظامية، في حالة دخول الولايات المتحدة الأمريكية طرفاً في الحرب العالمية الأولى. وعندما أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على ألمانيا في 6 نيسان/ إبريل 1917، ساعد مكارثر على تشكيل فرقة مشاة مكونة من وحدات الحرس الوطني المنتقاة من عدة ولايات. وعين مكارثر الذي كان قد وصل إلى رتبة عقيد رئيساً لأركان الفرقة الثانية والأربعين التي أطلق عليها اسم «قوس قزح»، وأبحر معها إلى فرنسا.

عين مكارثر قائد لواء في الفرقة الثانية والأربعين في أيلول/ سبتمبر 1917،

وفي الأيام الأخيرة من الحرب تولى قيادة الفرقة، وكان أصغر قائد فرقة خلال فترة نهاية الحرب. وكان مكارثر يقود رجاله من المقدمة، ويعتقد أن جيش العدو لا يمكن أن يناله بسوء، وكان يأمر رجاله على الدوام بضرورة «التقدم بجرأة». كما كان يأنف من اعتمار الخوذة الحديدية، ولم يحمل قناع الوقاية من الغاز، وعرف عنه تسلق المرتفعات بلا سلاح فردي، باستثناء سوط قصير اعتاد حمله. وعند توقيع هدنة الحرب كان مكارثر قد حصل على أربعة نجوم فضية بفضل شجاعته، كما أثنى عليه الجنرال جون جوزيف بيرشنج الذي قال عنه: «إن مكارثر هو أعظم قائد قوات لدينا».

ظل مكارثر في أوروبا في مهمته القيادية حتى شهر حزيران/يونيو 1919، عندما تم تعيينه مدبراً لأركان الأكاديمية العسكرية في ويست بوينت. وعمل مكارثر، الذي يعتبر أصغر ضابط يتولى ذلك المنصيب في تاريخ الأكاديمية ـ حيث لم يكن قد تجاوز التاسعة والثلاثية من العمر بعد ـ على تحديث إجراءات الأكاديمية وتنقيح مناهجها التي لم تشهد سوى القليل من التغيير خلال عدة عقود. وغادر مكارثر الأكاديمية عام 1922 ليخدم فترة أخرى في الفليبين، وتولى في عام 1930 وهو برتبة جنرال مهام رئيس أركان الجيش في واشنطن. وعلى الرغم من القيود المالية التي فرضتها ظروف فترة الكساد الكبير، فقد تمكن مكارثر من حشد التأييد والدعم لمزيد من التحديث في سلاح الطيران والمدرعات.

في تشرين الأول/ أكتوبر 1935، نقل مكارثر إلى الفلبين ليقضي فترة خدمة اعتبرها الأخيرة في حياته العسكرية، حيث كلف بمساعدة الفلبينيين في تنظيم وتدريب قواتهم المسلحة استعداداً لاستقلال بلادهم. وتقاعد في 31 كانون الأول/ ديسمبر 1937، مفضلاً البقاء في مانيلا، حيث عمل مستشاراً للجيش الفلبيني برتبة مشير.

ونظراً إلى تزايد الاعتداءات اليابانية، استدعت وزارة الحربية الأمريكية مكارثر للخدمة الفعلية في 26 تموز/ يوليو 1941 كقائد لقوات الجيش الأميكي

العاملة في منطقة الشرق الأقصى، وأصدرت له تعليمات باتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهة أي غزو ياباني محتمل للفلبين. ولم يكن مكارثر يعتقد أن لدى اليابانيين الرغبة أو القدرة على مهاجمة الفلبين، فلم يقم بوضع قواته في الاستعداد، حتى بعد تسع ساعات من صدور إنذار عقب تعرض ميناء بيرل هاربر للقصف. ونتيجة لذلك، فقد نجح الهجوم الجوي الياباني في تدمير الجزء الأكبر من أسطوله الجوي، كما أدى الهجوم البري الذي شنه اليابانيون في 22 كانون الأول/ ديسمبر إلى إجبار القوات الأمريكية والفلبينية على التراجع إلى شبه جزيرة باتان (Baatan Peninsula) وجزيرة كوريهدور (Corregidor) المحصنة.

اعتاد مكارثر على المشاركة بنفسه في القتال بغرض رفع الروح المعنوية لجيشه المحدود، ولكن جنوده لم يستطيعوا الصمود في مواجهة الزحف الياباني. وبناء على تعليمات مباشرة من الرئيس روزفلت، انسحب مكارثر وضباطه من جزيرة كوريهدور، باستخدام زورق طوربيدي في 11 آذار/ مارس 1942. ولدى وصوله إلى أستراليا منح قلادة الشرف وقال عبارته الشهيرة: «جئت عابراً وسوف أعود». وصمدت الفلبين حتى شهر أيار/ مايو من السنة نفسها قبل أن تستسلم، ومضت سنتان قبل أن يتمكن مكارثر من الوفاء بوعده.

نظراً إلى المنافسة التقليدية بين الجيش والبحرية الأمريكية، فقد تقاسم مكارثر قيادة منطقة المحيط الهادي مع الأميرال تشيستر وليم نيمتس (Chester William Nimitz)، ولكنهما اتفقا على الخطة الاستراتيجية وتعاونا بصورة جيدة. فتقدم الحلفاء نحو اليابان مستخدمين سلسلة من عمليات الإبرار البحري التي مكنتهم من الوثب إلى الجزر الفلبينية مع تحاشي المعاقل القوية لليابانيين. وأدى التنسيق بين القوات البرية والجوية والبحرية الذي أشرف عليه مكارثر، إلى تنفيذ عمليات الإبرار البحري الناجحة، كما استخدم قدراته المميزة في تحديد توقيتات ومواقع الضربات المتتالية، ليحقق الانتصار تلو الانتصار. وفي 20 تشرين الأول/ أكتوبر 1944، وقف مكارثر على ساحل جزيرة ليتي (Leyte)

الفلبينية وأعلن «هاقد عدت». وخسر اليابانيون في المعارك التي دارت من أجل السيطرة على الفلبين ما مجموعه 192 ألف جندي مقارنة بثمانية آلاف جندي أمريكي فقط.

أظهر مكارثر طيلة فترة الحرب في منطقة المحيط الهادي وخلال حياته المهنية بأكملها ذكاء متفرداً وكفاءة في المجالات الاستراتيجية واستخدام القوى البشرية والموارد المتوافرة؛ فقد تفوق على أعدائه بجرأته وإقدامه، وساعد حضوره القيادي ووجوده وسط أفراده في ميدان القتال على رفع معنويات رجاله وأكسبه إعجاب الجميع في بلاده.

ترفع مكارثر إلى رتبة قائد جيش في كانون الأول/ ديسمبر 1944، وتم تعيينه في شهر نيسان/ إبريل من السنة التالية قائداً عاماً لقوات الجيش الأمريكي في منطقة المحيط الهادي. وفي 2 أيلول/ سبتمبر 1945، تلقى مكارثر الذي كان قد بلغ الخامسة والستين من العمر، الإعلان الرسمي عن استسلام اليابان على ظهر السفينة الحربية يو. إس. إس ميسوري (Uss Missouri) في خليج طوكيو. وبقي مكارثر في اليابان بعد استسلامها وساهم بقدر كبير في تحولها نحو الحكم الدستوري وخروجها من آثار الدمار الذي خلفته الحرب. وأطلق العديد من اليابانيين على الجنرال الذي كسب احترام وإعجاب أعدائه السابقين لقب «الإمبراطور غير المتوج».

تم تعيين مكارثر قائداً للقيادة الأمريكية بمنطقة الشرق الأقصى عام 1947، وكان يشغل ذلك المنصب حين قامت كوريا الشمالية بغزو الشطر الجنوبي من شبه الجزيرة الكورية في 25 حزيران/ يونيو 1950. وعلى الرغم من هذه المفاجأة الكاملة، فقد تمكن من نقل الوحدات المقاتلة إلى كوريا، وتولى قيادة قوات الأمم المتحدة في 8 تموز/ يوليو 1950. وحين تمكن الأمريكيون بصعوبة من إبطاء تقدم قوات كوريا الشمالية حول منطق محور بوسان (Pusan) ، قام مكارثر في 15 أيلول/ سبتمبر بشن هجوم برمائي على مدينة إينتشون (Inchon) مخالفاً بذلك نصائح جميع مساعديه تقريباً. إلا أن ذلك الإبرار حقق نجاحاً

تاماً، حيث أدى إلى فصل قوات كوريا الشمالية الغازية وإجبارها على الانسحاب بعد هزيمة ساحقة.

بحلول شهر تشرين الأول/ أكتوبر من السنة نفسها كان الحلفاء قد توغلوا داخل كوريا الشمالية، وكانوا أقرب إلى إعلان انتصارهم النهائي في تلك الحرب، حين تدخلت الصين لتجبر قوات الأمم المتحدة على التراجع جنوباً في شبه الجزيرة الكورية. فتبنى مكارثر فكرة فرض حصار على الساحل الصيني وقصف أهداف داخل الصين نفسها، ولم يستبعد استخدام الأسلحة النووية. كما اقترح الاستعانة بقوات المقاومة الوطنية الصينية من فرموزا (تايوان) لتساند قوات الأمم المتحدة. لكن هذه الخيارات لم تجد مؤيداً في الحكومة الأمريكية، وحين أصر مكارثر على أفكاره ومقترحاته وتقدم بها كمطالب رسمية، أمر الرئيس هاري ترومان بتنحيته عن موقعه القيادي في 11 نيسان/ إبريل 1951.

عاد مكارثر إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك، وكانت تلك أول مرة يعود فيها إلى بلاده منذ عام 1937. وتجمع أكبر حشد استعراضي في تاريخ مدينة نيويورك ـ قدر بأكثر من 7 ملايين فرد ـ للترحيب بعودته إلى موطنه. وفي بادرة تكريم نادرة، دعاه الكونجرس إلى مخاطبة جلسة مشتركة لمجلسي النواب والشيوخ. وختم مكارثر خطابه الذي ألقاه في تلك المناسبة بعبارة لا تنسى حيث قال: «العسكريون القدامى لا يموتون، وإنما يخبو نشاطهم فقط». وفي نهاية ذلك الخطاب المؤثر وقف عضو الكونجرس ديوي شورت (Dewey Short)، الذي تلقى تعليمه في جامعتي هارفارد وأسكفورد، على منصة المجلس وخاطب الأعضاء قائلاً: «كأننا نستمع إلى حديث رباني يلقيه على مسامعنا اليوم إنسان من لحم ودم».

لكن نشاط مكارثر تضاءل وخبا بالفعل. فقد انتقل إلى منطقة وولدورف ـ أستوريا (Waldorf- Astoria) في نيويورك وظل في معزل عن الحياة العامة، باستثناء مشاركته في اجتماعات مجالس إدارات عدد من المؤسسات الكبيرة وإلقاء الخطاب في مناسبات معينة يدعى إليها. وفي إحدى تلك المناسبات قدم

عصارة تجربته في حياة الجندية ضمن خطاب ألقاه أمام طلاب الأكاديمية العسكرية في ويست بوينت عام 1962، موجزاً إياها في ثلاث كلمات هي «الواجب، الشرف، الوطن». وتوفي مكارثر في سن الرابعة والثمانين، في 5 نيسان/ إبريل 1964 بمركز والتر ريد (Walter Reed) الطبي العسكري في واشنطن، ودفن في نورفوك (Norfolk) بولاية فرجينيا.



كارل فون كلاوسفيتس

KARL VON CLAUESEZITZ

قائد بروسي

«محن الحرب»

(1831 - 1780)

التحق كلاوسفيتس بسلك الجندية منذ مطلع صباه؛ فقد ولد في الأول من حزيران/ يونيو 1780 بالقرب من مدينة ماجدبورك (Magdeburg) في بروسيا، وكان والده ضابطاً متقاعداً. والتحق كلاوسفيتس بالجيش وهو في الثانية عشرة من عمره، وخاض أول تجربة قتالية في حياته ضد الفرنسيين بعد سنة واحدة من التحاقه بالخدمة. وتم قبوله عام 1801 في الأكاديمية العسكرية التي أنشئت حديثاً في برلين، حيث درس أفكار فريدريك الأكبر وميكافيلي، بالإضافة إلى دراسة التاريخ العسكري لبروسيا والدول الكبرى الأخرى.

وبعد التخرج من الكلية، التحق بالخدمة العسكرية مرة أخرى، وأسره

الفرنسيون عام 1806 خلال معركة برينزلو (Prenzlau) . وأتاحت له السنة التي قضاها في الأسر الفرصة للتأمل في المفاهيم الحربية قبل العودة إلى بروسيا، ليعين مدرباً خاصاً لولي العهد فيها ورئيساً لإحدى إدارات وزارة الحربية. وقام كلاوسفيتس أثناء تدريبه لولي العهد بكتابة مذكرة تدريبية نشرت فيما بعد بعنوان «**مبادىء الحرب**» Principles of War ، ناقش فيها العلاقة بين الهجوم والدفاع وأهمية معرفة التوقيت الصحيح والملائم للتحول من مرحلة إلى أخرى. كما توقع فشل نابليون إذا ما قام بغزو روسيا بسبب التطور والتحديث الذي أدخل على الجيش الروسي، بالإضافة إلى اتساع مساحة البلاد وقسوة شتائها.

كارل فون كلاوسفيتس هو مؤلف أشهر مرجع عسكري في التاريخ، وهو المرجع الذي اختار له عنوان «**عن الحرب**» Von Kriege. وظل كلاوسفيتس يؤثر في تفكير القادة العسكريين منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى يومنا هذا، بنظريته حول التداخل بين السياسة والمؤسسة العسكرية والسكان وتكامل هذه العوامل مع تصوره عن عنصري المصادفة والظروف. كما كان له أثر مباشر في الإصلاحات التي أدخلت على الجيش البروسي والتي أدت إلى هزيمة نابليون. وقام بوضع التنظيم العسكري لهيئة الأركان الذي استخدمه الجيش البروسي، والجيوش الألمانية فيما بعد، كما وضع الإجراءات المنظمة للتدريب ولتطوير المهارات المهنية لدى الضباط.

وفي عام 1812، رفض كلاوسفيتس المشاركة في التحالف الذي دخلت فيه بروسيا قسراً مع عدوتها السابقة فرنسا، وفضل الهروب من الخدمة بدلاً من مساعدة نابليون في حربه ضد روسيا. وكان ذلك هو رأي العديد من رفاقه الضباط الذين اعتبروا التحالف ضد روسيا مناقضاً لمصلحة بلادهم. وذهب كلاوسفيتس ليلتحق بالجيش الروسي، وخدم في مواقع مختلفة طيلة سنتين، حيث عمل رئيساً لأركان سلاح المشاة، وقاد المفاوضات التي أقنع فيها قادة الجيش البروسي بتغيير موقفهم والعمل مع الروس ضد الفرنسيين.

وبعد إعادة كلاوسفيتس للخدمة في الجيش البروسي، عقب التحالف مع

روسيا، قضى الفترة المتبقية من الحرب مقاتلاً ضد نابليون. وفي عام 1818 نال الترقية إلى رتبة لواء، وعين مديراً لكلية الحرب العليا في برلين. وكرس جهده طوال أكثر من عقد لإعادة تنظيم الجيش البروسي وتسجيل فلسفته وأفكاره العسكرية في المرجع الذي اختار له عنوان «**عن الحرب**». وفي عام 1830 التحق بقوات الاستطلاع والرصد البروسية خلال فترة الثورة البولندية، وأصيب أثناء وجوده هناك بمرض الكوليرا وهو في الحادية والخمسين من عمره، وتوفي بعد عودته إلى بريزلو (Breslau) في 16 تشرين الثاني/ نوفمبر 1831.

لم يكن كلاوسفيتس قد أكمل مسودة كتابه المطول حول النظرية العسكرية عند موته؛ لذا فقد تولت أرملته ماري جمع كتابات زوجها المختلفة بدءاً من عام 1832، وتمكنت خلال السنوات الخمس التالية من إصدار عشرة مجلدات من أعماله. وتعتبر المجلدات الثلاثة الأولى التي يتكون منها كتابه «**عن الحرب**» هي الأكثر أهمية وصلة بالواقع.

اعتبر كلاوسفيتس في كتاباته أن الحرب والسياسة شيء واحد، وطالب بأن يتولى الزعماء السياسيون توجيه الحرب لتحقيق أهدافها. وقد وضح هذه العلاقة في عبارة واحدة حين قال: «إن الحرب هي امتداد للعملية السياسية بوسائل مختلفة.



آرثر ويلزلي (دوق ويلنجتون الأول)

ARTHUR WELLESLEY (FRIST DUKE OF WELLINGTON)

قائد بريطاني

قاهر فاتح أوروبا

(1852 - 1769)

ولد ويلزلي لعائلة إنجليزية - أيرلندية بمدينة دبلن في 1 أيار/ مايو 1769، وتنتمي عائلته إلى طبقة النبلاء، ولكنها كانت من العائلات التي تبددت ثرواتها. ولم يحقق الصبي آرثر ويلزلي أي تفوق لافت للنظر خلال فترة تعليمه في مدرسة إيتون (Eaton). وبعد أن صنفته العائلة وأسرة التدريس في المدرسة المرموقة كتلميذ متواضع الذكاء، اختار ويلزلي الحياة العسكرية التي تقوم فيها فرصته الوحيدة لتحقيق التفوق الذي يميزه عن الآخرين. وبعد التخرج من أكاديمية عسكرية فرنسية في إنجيه (Angers) دفع مبلغاً من المال، طبقاً لما كان

سائداً حينها، نظير تعيينه ضابطاً في كتيبة المشاة الراجلة الثالثة والسبعين، وكان عمره في ذلك الحين ستة عشر عاماً فقط.

تدرج ويلزلي في سلم الرتب بسرعة عن طريق شرائها، كما كانت العادة المتبعة حينها، وليس بفضل كفاءته المهنية. فقد وصل وهو في سن الخامسة والعشرين إلى رتبة مقدم، وأصبح قائداً لتكيبة المشاة الثالثة والثلاثين. ولم يشترك في أي قتال خلال العقد الأول من فترة خدمته العسكرية، حيث قضى أغلب وقته ملحقاً بالبرلمان الأيرلندي ومستمتعاً بالحياة الاجتماعية فيه. وجاءت أول مشاركة فعلية له في القتال أثناء الحملات التي شنها الجيش البريطاني ضد هولندا خلال الفترة 1793 ـ 1795. فبرز كجندي شجاع ومقدام أثناء عدد من المعارك التي خطط لها ونفذها رؤساؤه بمستوى ضعيف. وتولى قيادة القوات التي أمنت حراسة مؤخرة الجيش البريطاني أثناء انسحابه من هولندا في خريف عام 1794.

احتل دوق ويلنجتون مكانته كواحد من أبرز القادة العسكريين على مر الأزمان، حتى قبل أن يهزم نابليون بوقت طويل. وجاءت تلك المكانة نتيجة لمعرفته لأساليب الحرب السائدة في عصره، وليس لابتداعه أي طرق جديدة في فنون القتال. نجح ويلزلي في تنسيق عناصر المناورة واستخدام الإسناد المدفعي والقدرة على استغلال التضاريس، فساعدته هذه العوامل على تحقيق الانتصارات العسكرية في كل أنحاء الإمبراطورية البريطانية والقارة الأوروبية بأكملها. لكن هزيمته لنابليون في معركة ووترلو الشهيرة عام 1815 هي التي حققت له تلك المنزلة الرفيعة كواحدمن أبرز القادة العسكريين المعروفين في تاريخ بريطانيا والعالم بأجمعه.

عاد ويلزلي إلى إنجلترا ليبحث عن حرفة أخرى بعد الإحباط الذي أصيب به بسبب ما شهده من عدم كفاءة لدى قادته، ومن ضمنهم دوق يورك، فضلاً عما اعتبره خسارة غير مبررة لحياة عدد كبير من الجنود. وعندما فشل في الحصول على وظيفة جديدة، عاد بعد تردد لمواصلة الخدمة في الجيش وأبحر

مع كتيبته إلى الهند. ويبدو أن ويلزلي قد قرر تكريس جهده من جديد لاحتراف الجندية حيث تخلى عن معاقرة الخمر ولعب القمار. وتعززت فرصه في التقدم عندما أصبح شقيقه ريتشارد حاكماً عاماً على الهند وبدأ يعينه في مواقع مسؤولية أعلى. ورغم المحاباة التي صعدت به إلى المكانة القيادية، فإنه قد أثبت كفاءة تامة في مقاومة المعارضة الهندية، فقد هزم عام 1799 سلطان ميسور (Mysore) في سيرنجباتام (Seringapatam) . كما تمكن بعد أربع سنوات وبقوة لم تتجاوز 7 آلاف رجل و22 مدفعاً، من هزيمة جيش من قبائل المهراتا (Mahrattas) [قبائل هندوسية] مكون من 40 ألف جندي تدعمهم مئة قطعة مدفعية في أساي (Assaye).

عاد ويلزلي إلى إنجلترا ليرقَّع إلى رتبة فارس عام 1805. وفي عام 1807 قاد فرقة مقاتلة خلال المواجهات الوجيزة مع الدنمارك، وانتصر في المعركة الرئيسية الوحيدة التي وقعت بمدينة كيوجي (Kioge) في 29 آب/أغسطس من العام ذاته. وفي العام التالي أبحر ويلزلي الذي كان قد ترقى إلى رتبة فريق، باتجاه البرتغال على رأس 17 ألف جندي لمواجهة قوات نابليون الغازية. وقام ويلزلي خلال الأعوام الستة التالية بتعزيز سمعته المتألقة بتحقيق انتصارات متكررة على الفرنسيين في المعارك التي وقعت بكل من تلافيرا دي لارينا (Talavera de la Reina) عام 1809، وسالمانكا (Salamanca) 1812، وفيتوريا (Vetoria) عام 1813. وأجبر النصر الذي حققه في تولوز (Toulouse) عام 1814 ما تبقى من القوات الفرنسية على الخروج من شبه جزيرة أيبيريا. وبينما كان ويلزلي يستعد لمطاردة الناجين في داخل الأراضي الفرنسية، وصلته أنباء تنازل نابليون عن العرش.

حقق ويلزلي انتصارات لاحقة في البرتغال وإسبانيا باتباع تكتيكا واستراتيجيات مختلفة. ومن أنجح تكتيكاته الانتقال ما بين حالتي الدفاع والهجوم مع اتباع سياسة الأرض المحروقة. ولأنه كان مدركاً محدودية احتياطية من القوة البشرية، ويتجنب التعرض للخسائر التي لا طائل من ورائها، فقد كان

يركز على التخطيط التفصيلي والعمل بمنهجية مدروسة. وفي الواقع، كانت تكتيكاته مبسطة تماماً؛ فهو يحقق النصر بتركيز قوة نيرانه المتفوقة على العدو، ثم يكتسحه بعدد أكبر من الجنود الأفضل تدريباً وحماسة للقتال.

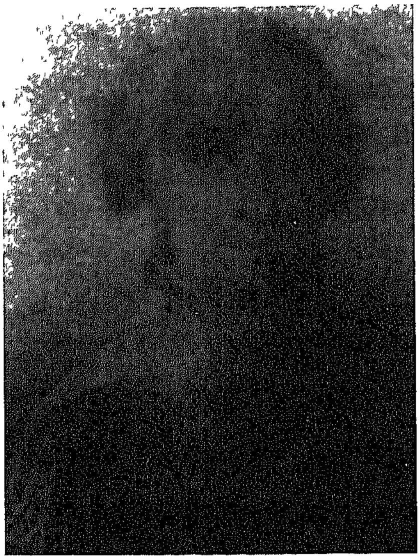
كان ويلزلي الذي أصبح فيما بعد دوق ويلنجتون يفضل عدم المبادرة إلى الهجوم ويختار استدراج العدو نحوه، وإغراء للتقدم نحوه ومطاردته عبر الأرياف التي يكون قد أحرقها وأفرغها من الغذاء والمؤمن. كما كان يختار مواقع دفاعاته المحصنة جيداً على أفضل الأراضي والمظاهر الطبيعية التي توفر الحماية لجنوده ضد نيران المدفعية، وتزيد صعوبة تنفذ أي هجوم من طرف العدو. كما أضاف إلى قوته القتالية زيادة عدد الجنود الذين يقومون بالمناوشة والتقدم، لتشتيت قوة العدو الهجومية أو لاستدراجه لمواجهة أقوى الدفاعات. وفي المؤخرة يحتفظ ويلزلي بخطوط اتصال محمية تربطه بميناء مؤمن يتيح له تلقي المؤن وسد النقص في الأفراد.

وحالما تظهر قوات العدو ـ التي تكون منهكة وجائعة بسبب افتقارها إلى التموين، حيث كانت الجيوش في تلك الحقبة تعيش عى ما يتوافر من الأرض من محاصيل وغيرها ـ يقوم ويلزلي بالإشراف بنفسه على توجيه قواته المتحصنة التي تنفيذ واجباتها بانضباط تام. وبعد انسحاب قوة العدو المهاجمة، يتولى ويلزلي مطاردتها والقضاء على الناجين من أفرادها.

عاد ويلزي في الخامسة والأربعين من عمره من إسبانيا إلى بلاده ليكافأ بتولي مسؤوليات إدارية أعلى، وبتكريم كبير شمل الأموال والأراضي، كما منح لقب دوق ويلنجتون الأول. وتم تكريمه بإطلاق لقب «قاهر فاتح أوروبا» وقام بتمثيل بريطانيا في مؤتمر فيينا الذي اجتمع في مطلع عام 1815 لتقسيم إمبراطورية نابليون. وقبل انتهاء المؤتمر وصلت أنباء تفيد بهروب نابليون من منفاه في جزيرة إلبا وعودته إلى فرنسا لمواصلة القتال من جديد. وبينما كان ويلزلي يهم بالمغادرة لتولي قيادة جيش الحلفاء خاطبه قيصر روسيا ألكسندر الأول قائلاً: «بوسعك أن تنقذ العالم مرة أخرى».

كانت مهمة «إنقاذ العالم مرة أخرى » هي التي باشرها دوق ويلنجتون على وجه التحديد. فعلى الرغم من تفوق قوات نابليون من حيث العدد، وعدم توافر المعلومات المبدئية الصحيحة عن الطريق الذي يتقدم عليه نابليون، فإن ويلزلي قد فضل كعادته الأراضي ذات التضاريس الطبيعية التي توفر أكبر قدر من الحماية الدفاعية، واختار الأرض المرتفعة الوحيدة في المنطقة. وفي 18 حزيران/ يونيو 1815، وبمساعدة كبيرة من المشير البروسي جيبهارد ليبرخت فون بلوخر، تمكن ويلزلي من هزيمة نابليون في معركة حاسمة هي معركة ووترلو التي جرت في منطقة السهول الوسطى في بلجيكا. وكانت تلك المعركة هي الأخيرة لكل من نابليون وويلزلي، فقد لجأ نابليون إلى منفاه في جزيرة سانت هيلينا، بينما استمر ويلزلي في التمتع بالمزيد من الشهرة والثروة.

وعقب معركة ووتلرلو عاد ويلزلي الذي أصبح يعرف على نطاق واسع بلقب «الدوق الحديدي» إلى بلاده ليعمل خلال الثلاثين عاماً التالية وزيراً وعضواً في البرلمان، قبل أن يصبح رئيساً للوزراء عام 1828، ثم قائداً عاماً للجيش البريطاني عام 1842، ليتقاعد عن شغل المناصب العامة في عام 1846. توفي ويلزلي في والمر كاسل (Walmer Castle) بمقاطعة كنت في 14 أيلول/ سبتمبر 1852، وكان في الثالثة والثمانين من العمر، وأقيم له قداس ومراسم تشييع كبيرة في كاتدرائية القديس بولس في لندن.



هرمن ـ موريس (كونت سكسونيا)

HERMANN - MAURICE (CANTE de SAXA)

قائد فرنسي

أفكاري

(1750 - 1696)

ولد هرمن ـ موريس في 28 تشرين الأول/ أكتوبر 1696، بمدينة جوسلار (Goslar) وكان واحداً من أكثر من ثلاثمئة طفل غير شرعي أنجبهم فريدريك أغسطس (Frederik Augustus) أمير سكسونيا الذي أصبح فيما بعد ملكاً على بولندا. رتب فريدريك منح رتبة شرفية (رتبة فخرية) لموريس، عند بلوغه سن الثانية عشرة، ليعمل كضابط في قوات المشاة الساكسونية. وبعد أن خدم مع الأمير أوجين حاكم سافوي، ومع دوق مارلبورو عام 1709، تسلم موريس لقب كونت سكسونيا (Conte de sax) من والده عام 1711، وخدم ضمن صفوف جيش الإمبراطورية الألمانية في المعارك التي جرت عام 1712 ضد القوات

السويدية بمدينة بوميرانيا، كما شارك في حصار شترلزونت (Stralsund). حصل موريس وهو في سن السابعة عشرة على رتبة عقيد، وانغمس في حياة المجون والملذات التي عجلت بانتهاء حياته ومساهماته العسكرية فيما بعد.

نال هرمن ـ موريس كونت سكسونيا رتبة مشير فرنسا، نظراً إلى دوره القيادي خلال حرب خلافة العرش الملكي النمساوي التي وقعت في الفترة (1740 ـ 1748). ويتربع موريس المعروف ببراعته في مجال التكتيك ومهارته كقائد يستطيع حث جنوده للانتصار في المعارك، حتى في حالة التفوق العددي للعدو. وكان لكتاباته العسكرية ـ وبخاصة المتضمنة في كتابه «**أفكاري**» Mes reveries، والتي شملت موضعات مثل قابلية الحركة والتدريب والانضباط والروح المعنوية ـ أثر في القادة الذين ظهروا بعده ومنهم نابليون الأول.

تزوج كونت سكسونيا عام 1713، وبدد ثروة زوجته في الإنفاق على نساء أخريات، ثم أقنع والده بأن يشتري له رتبة عقيد في كتيبة ألمانية كانت تخدم في فرنسا عام 1719. واصل الخدمة العسكرية القاسية إلى جانب التمتع بحياته الماجنة في فرنسا البلد الذي اختار العيش فيه، وعكف على دراسة أساليب وفنون الحرب. وترقى إلى رتبة عميد بعد أن حقق شهرة واسعة كمدرب ماهر للجنود، خاصة في كيفية استخدام البندقية.

شكلت حرب خلافة العرش البولندي التي اندلعت عام 1733، مع وفاة والده الملك فريدريك الذي كان حاكماً على بولندا، تحدياً بين موريس ومعلمه السابق اومير أوجين وأخيه فريدريك أغسطس الثاني، وذلك عند دخول فرنسا طرفاً في تلك الحرب ضد سكسوينا والنمسا. وحقق كونت سكسونيا الذي تمسك بإخلاصه لفرنسا، نجاحات متزايدة أبرزتها قيادته لقوة الساتر في حصار مدينة فيليبسبيرج (Philippsburg) خلال صيف عام 1734. ووصل إلى رتبة فريق بانتهاء تلك الحرب عام 1738 وأصبح من المقربين للملك لويس الخامس عشر، كما أصبح صديقاً مقرباً لخليلة الملك مدام دي بونبادور (Madame de Pompadour) التي ساندته في حياته المهنية اللاحقة.

عندما اندلعت حرب خلافة العرش الملكي في النمسا عام 1740، قاد كونت سكسونيا «المتطوعين» الفرنسيين الذين وقفوا إلى جانب بافاريا، وفي عام 1741 قام بتخطيط وقيادة الهجوم الذي أدى إلى الاستيلاء على براج. وأعلنت فرنسا دخولها الحرب رسمياً عام 1744، وتولى كونت سكسونيا الذي كان قد وصل إلى رتبة مشير قيادة الجيش الفرنسي في منطقة فلاندرز (Flanders) . وتمكن من هزيمة الجيوش المتحالفة التي تضم قوات من بريطانيا والنمسا وهولندا، رغم تفوقها على قواته في الخبرة والتدريب والعدد.

حاصر كونت سكسونيا مدينة تورنيه (Tournai) [بالجزء الغربي من بلجيكا] في 25 نيسان/ إبريل 1745، وعند اقتراب تعزيزات قوات الحلفاء من المنطقة، استعد لمواجهتها متحصناً بأرض فونتنوي (Fonttenoy) المرتفعة التي يسهل القيام منها بالعمليات الدفاعية. أصيب موريس بنوبة من داء الاستسقاء المؤلم، ولكنه واصل توجيه القتال، حيث مزج موجات من نيران المدفعية مع رقامية منظمة بالبنادق لصد هجوم العدو المبدئي. وعندما بدأ هجوم العدو التالي في الاستعداد لاختراق الدفاعات الفرنسية، نهض كونت سكسونيا ليتولى بنفسه حشد جيشه لتحقيق النصر.

أتبع كونت سكسونيا النصر الذي حققه في فونتنوي بالاستيلاء على مدن أخرى [في بلجيكا] هي: جنت (Ghent) وبروكسل وأنتوبرب (Antwerp) ومونس (Mons) ونامور (Namur) ، وتمكن خلال سنة واحدة من السيطرة على كل أجزاء فلاندرز. وبعد أن أصبح كونت سكسونيا أشهر جنرالات فرنسا وأكثرهم احتراماً، نال رتبة مشير فرنسا، وكان ثالث ضابط يحصل على تلك الرتبة في تاريخ فرنسا. وفي السنة الأخيرة من الحرب قاد جيشه في عمق الأراضي الهولندية وحقق انتصاراً حاسماً في لوفيلد (Lauffeld) في 2 تموز/ يوليو 1747، واحتل مدينة ماستريخت في 7 أيار/مايو 1748.

وضعت معاهدة إكس لا شابيل (Aix-la- Chapelle) نهاية للحرب في وقت لاحق من عام 1748، وتقاعد كونت سكسونيا ليعيش في قصر شامبوغد

(Chambord) الذي حصل عليه كهدية عرفان وتقدير من البلد الذي أحبه واختار العيش فيه. وجاءت كتيبته الألمانية السابقة لتعسكر بالأراضي المحيطة بالقصر ليستخدمها في اختبار التدريبات والتكتيكات الجديدة. كما واصل حياة الملذات والنساء، وكان يستضيف حفلات ماجنة في قصره. توفي كونت سكسونيا في 30 تشرين الثاني/ نوفمبر 1750 وكان عمره أربعة وخمسين عاماً. ونسبت بعض الأقوال موته لمبارزة مع شخص آخر، بينما تقول مصادر أخرى أكثر مصداقية، أنه قد توفي لسبب غير أخلاقي.

جاءت النجاحات والسمعة التي حققها كونت سكسونيا نتيجة دمجه وتنسيقه لإمكانيات سلاح الفرسان والمشاة والمدفعية، فضلاً عن قدرته الفذة في استخدام المناروة والتعزيزات في أفضل التوقيتات. فقد استطاع من خلال قيادته الشخصية بث الحماس وسط جنوده، وتمكن من تحقيق العديد من الانتصارات على خصوم أكبر عدداً وأفضل تدريباً، وكان مدركاً لنقاط القوة والضعف في جيشه، ولم يدخل قواته في أي قتال إلا عندما يتأكد من ضمان النصر. وكان ماهراً في استخدام المدفعية، وفي استخدام نظام المعركة الملائكة لجيشه بالموازنة الملائكة بين قوات المشاة والفرسان.

كانت الإنجازات التي حققها كونت سكسونيا في ميدان القتال قد أكسبته تلك المكانة المميزة باعتباره أنجح قائد عسكري في منتصف القرن الثامن عشر، لكن تأثيره الممتد يأتي من كتاباته، وتلك مهارة وراثية على ما يبدو، فقد كانت إحدى حفيداته هي القاصة الفرنسية جورج ساند (George Sand). واحتوى كتاب **«أفكاري»** الذي أعده كونت سكسونيا عام 1732 وصدر بعد وفاته، على آرائه حول تنظيم وتجهيز وتنفيذ العمليات الحربية. وكانت بعض أفكاره غير عملية، ومنها فكرته الخاصة باستخدام الرمح الطويل والحربة المركبة ـ التي تركب على سبطانة (ماسورة) البندقية ـ ولكنها أبرزت نزعته نحو التجديد وتحديد الوسائل الحربية. وقد سبق عصره كثيراً بدعوته لتكوين جيوش موحدة تضم قوات المشاة والفرسان والمدفعية.

اطلع قادة أوروبا الذين أتوا في القرن التالي على أفكار وتوصيات كونت سكسونيا واهتموا بها. فقد أعجب به نابليون كثيراً، وطبق جل أفكاره على قواته التي حققت السيطرة الحربية في مطلع القرن التاسع عشر.



تيمورلنك

TAMERLANE

فاتح تتاري

القائد الأكثر وحشية

(1405 - 1336)

ولد تيمورلنك عام 1336 لعائلة تتارية عسكرية متواضعة في مدينة كيش (Kesh) والتي أصبحت تعرف باسم شخريسابز (Shakhrisabz) في أوزبكستان الحالية. ويأتي اسم تيمورلنك (Timur Lang) أو «تيموز الأعرج» (Timur the lame) من عاهة جسمانية لازمته من شلل جزئي في أطرافه اليسرى. ورغم الخلفية العائلية المتواضعة والعاهة الجسمانية، فقد ارتقى تيمور الذكي سلم المجد السياسي والعسكري وسط قبائل الجكاتاي (Jagatai) المغولية في منطقة من آسيا الوسطى والتي تضم حالياً تركستان والجزء الأوسط من سيبيريا.

تمكن تيمورلنك، الذي يعتبر أبرز قائد عسكري في آسيا الوسطى خلال

فترة العصور الوسطى، من إعادة بناء إمبراطورية المغول التي أسسها جنكيز خان. ودخل تيمورلنك خلال حياته العسكرية الطويلة في حالة حرب شبه دائمة، بغرض توسيع الرقعة الجغرافية التي خضعت له، والمحافظة على حدود إمبراطوريته الواسعة الممتدة من البحر الأبيض المتوسط في الغرب إلى الهند في الجنوب وروسيا في الشمال.

وصل تيمور لنك إلى مرتبة رئيس وزراء، وقام في عام 1370 بإقصاء الخان وتولى زعامة قبائل الجكاتاي بعد أن أعلن بأنه من سلالة مغولية تنتسب مباشرة لجنكيز خان، وتعهد باستعادة إمبراطورية المغول السابقة. وقام تيمورلنك خلال الخمسة والثلاثين عاماً التالية باكتساح أراض وبلدان جديدة وأخمد كل الاضطرابات الداخلية التي واجهته. وخلافاً للنهج الذي اتبعه جنكيز خان، ركز تيمورلنك على نهب الأراضي ا لتي استولى عليها، وقام بنقل ثرواتها إلى قصره في سمرقند. ولم يوحد تيمورلنك أي ولايات جديدة لتنضم إلى إمبراطوريته الكبرى، ولكنه ترك دماراً هائلاً يتمثل في الأكوام الكبيرة من بقايا الجماجم البشرية التي جمعها على ذلك الشكل لتذكر الناس بانتصاراته. وعلى الرغم من أنه قد أبدى تقديره للفنون والآداب وجعل من سمرقند مركزاً ثقافياً، فإنه قد قاد في الوقت ذاته عمليات ميدانية اتسمت بالوحشية والفظاعة.

ركز تيمورلنك في المرحلة الأولى على إخضاع القبائل المجاورة لسيطرته، ثم اتجه نحو بلاد فارس، وتمكن خلال الفترة 1380 ـ 1389 من السيطرة على إيران وميسوبوتاميا [بلاد الرافدين] وأرمينيا وجورجيا. وفي عام 1390 قام بغزو روسيا، وعاد عام 1392 ليعبر بلاد الفرس، وأخمد الثورة فيها بقتل كل الذين عارضوه كما ذبح أسرهم وأحرق قراهم ومدنهم.

امتلك تيمورلنك مهارات مميزة في التكتيك، وساعدت شجاعته الشخصية على رفع معنويات جيشه الذي كان يضم أكثر من مئة ألف رجل في الغالب. وكان تشكيل قواته متشابهاً إلى حد بعيد من النسق الذي اتبعه جنكيز خان من قبل؛ ويتكون ذلك التشكيل من قوات الخيالة المسلحة بالأقواس والسهام

والسيوف متقدمة على أرتال من الركاب المحملة بالمؤن والتجهيزات اللازمة للحملات الطويلة.

غزا تيمورلنك الهند عام 1398 دون مبرر واضح سوى حبه للقتال ونهمه لزيادة ثرواته. فقد استولى جنوده على مدينة دلهي، ومكثوا فيها لفترة وجيزة قاموا خلالها بذبح السكان وتدمير ما عجزوا عن حمله إلى سمرقند. وكان ذلك الدمار كبيراً إلى درجة أن دلهي قد احتاجت إلى أكثر من قرن بأكمله لتعود إلى الوضع الذي كانت عليه قبل الغزو. ولم يكن تيمورلنك يقتصر على ضحاياه من المدنيين فقط؛ فقد أمر بضرب أعناق مئة ألف من الجنود الهنود الذين وقعوا في الأسر بعد معركة بانيبات (Panipat) في 17 كانون الأول/ ديسمبر 1398.

قام تيمورلنك عام 1401 بدخول سوريا، وذبح عشرين ألفاً من سكان دمشق، كما هزم السلطان العثماني بايزيدالأول في العام التالي. وفي ذلك الحين أدركت البلدان التي لم تصلها قبضة تيمورلنك مدى قوته ودفعت له الأموال لتبعد وحوشه الكاسرة عن غزو أراضيها. وبحلول عام 1404 بدأ تيمور لنك يتسلم حصصاً مالية من سلطان مصر وإمبراطور بيزنطة جون الأول.

وبذلك أصبحت إمبراطورية تيمورلنك توازي إمبراطورية جنكيز خان، وأصبح لديه قصر مكتظ بالكنوز. وحتى بعد أن بلغ تيمور لنك المحارب المسنّ الستين من العمر لم يقنع بما حازه فبدأ يخطط لغزو الصين، لكن المنية وافته في 19 كانون الثاني/ يناير 1405، عن عمر يناهز الثامنة والستين قبل أن ينفذ خطته. وما زال قبره حتى اليوم يعد من أروع الآثار المعمارية في مدينة سمرقند.

ترك تيمور لنك وصية تقضي بتقسيم إمبارطوريته بين أبنائه وأحفاده. وكنتاج طبيعي، جاء ورثة تيمور لنك ليثبتوا تعطشهم للدم والطموح الواسع. فقد تولى ابنه الأصغر شهروخ (Shahrukh) زعامة إمبراطورية والده بأكملها عام 1420، عقب سنوات من الاقتتال والصراعات الداخلية، لا لشيء إلا لأنه الوحيد الذي ظل على قيد الحياة بعد ذلك الصراع.

ليس هناك أدنى شك في أن تيمور لنك كان قائداً عسكرياً ذا سطوة،

ولكنه كان يفتقد الدافع السياسي إلى إقامة إمبراطورية حقيقية؛ فقدا عتبر الأراضي التي يقوم بالاستيلاء عليها مجرد أماكن يستفيد بنهبها، ويترك لجنوده العبث بها والتلهي بقتل سكانها. ولم يخلف أي إنجازات في تلك البلدان، بل ترك دماراً وقتلى تشهد عليهما آلاف الهياكل والجماجم البشرية. ومع ذلك، ليس هناك خلاف على اتساع فتوحاته أو على الرعب الذي كان يسبق قدوم جحافله. وهيمن تأثيره المباشر على آسيا الوسطى على امتداد فترة طويلة من القرن الرابع عشر، وأدى إلى ازدياد التعصب الناتج عن توجه الشعوب نحو التسلح للدفاع عن نفسها أمام زحف تيمورلنك وسلاح فرسانه.

اكتسب تيمورلنك القوة وهيمن على مساحات واسعة من الأراضي بفضل حجم جيشه وقوته، وفرض سيطرته على الشعوب التي أخضعها عن طريق الوحشية الصرفة.



أنطوان هنري جوميني

(ANTOINE HENRI JOMINI)

قائد فرنسي

الموجز في الحرب

(1869 - 1779)

ولد جوميني في 6 آذار/ مارس 1779 ابناً لعمدة بيرين، في سويسرا. وبعد العمل لفترة وجيزة كموظف في أحد المصارف، انضم للجيش السويسري الذي تشرف عليه فرنسا وهو في سن التاسعة عشرة، وتم تعيينه قائد لواء بعد سنتين فقط. برهن جوميني على أنه دارس مميز للعلوم العسكرية، وباشر على الفور إصدار مجلدات ضخمة ضمنها أفكاره وما توصل إليه في المجال الحربي وأعجب المشير الفرنسي ميشيل ني بمؤلفات جوميني الأربعة الأولى، التي صدرت خلال الفترة 1804 ـ 1805، لدرجة أنه قد طلب من المؤلف الشاب أن ينضم إلى هيئة أركانه كمرافق عسكري له خلال حملة أوسترليتز في نهاية عام 1805.

ظل القادة والدارسون العسكريون في شتى أنحاء العالم، لأكثر من جيلين عقب حروب نابليون في مطلع القرن التاسع عشر، يدرسون أعمال أنطوان هنري جوميني باعتبارها المرجع الأساسي في مجال فنون الحرب الحديثة. فقد شرحت كتابات جوميني العمل الحربي بأسلوب مبسط في مبادىء توجيهية قليلة، وأبرزها ضرورة قيام أي جيش بتوجيه ضربات لنقاط العدو الضعيفة بقوات مكثفة لتحقيق النصر السري. وكان جنرالات الحرب الأهلية الأمريكية والقادة الأوروبيون المشاركون في الصراعات التي وقعت في منتصف القرن التاسع عشر يحملون المرجع الذي ألف جوميني بعنوان «**الموجز في فن الحرب**» Summary of the Art of Warfare ، باعتباره الموجه الأساسي لهم في تنفيذ العمليات الحربية الكبيرة.

كان نابليون الذي أعجب بكتابات جوميني أيضاً، قد أمر بترفيعه إلى رتبة عقيد في عام 1805، لينضم بعد ذلك إلى هيئة الأركان العامة للإمبراطور خلال فترة الحرب ضد بروسيا في عام 1806، وشارك في المعارك التي جرت في ياٍنا (Jena) وفي إيلوس (Elyulaus) ومنح قلادة الشرف.

التحق جوميني بالحملة الفرنسية التي أرسلت إلى إسبانيا خلال الفترة 1808 ـ 1809، حيث أصبح رئيساً لأركان جيش المشير ميشيل ني بالرغم من اختلاف شخصيتيهما. وكانت علاقة جوميني بميشيل ني تتأرجح ما بين الإعجاب المتبادل إلى العداوة المفتوحة التي وصلت في إحدى المرات إلى حد تهديد جوميني بالاستقالة من الخدمة والانضمام إلى الجيش الروسي. ولكن، تدخل نابليون وأصدر أمراً بترفيع جوميني، ليتيح له المجال لمواصلة العمل كمساعد لني، وقبوله في الوقت نفسه العمل برتبة فريق في القوات الروسية تحت إمرة ألسكندر الأول.

خدم جوميني برتبة فريق في كلا الجيشين ـ الفرنسي والروسي ـ حتى عام 1814، حين قام لويس ألسكندر بيرتييه بمنع ترفيعه إلى رتبة قائد فرقة، بعد أن ألقي القبض عليه بتهمة التباطؤ في رفع تقرير معين. وعلى الرغم من عدم

خطورة تلك التهمة التي تعتبر متواضعة، فقد كان امتعاض بيرتييه من غرور جوميني كبير. ونظراً إلى عدم رغبة جومني في العمل مع بيرتييه، فقد هرب من الخدمة في الجيش الفرنسي، والتحق بقوات ألسكندر الأول الذي رفعه بدوره إلى رتبة فريق وعينه كمرافق عسكري ومستشار له خلال السنتين التاليتين. لكن جوميني رفض المشاركة بصفة مباشرة في القتال الذي خاضته روسيا ضد فرنسا، وفشل بعد معركة ووترلو في أن يحول دون إعدام ميشيل ني بأمر من العائلة الملكية في فرنسا.

انتقد العديد من رفقاء السلاح الفرنسيين الذين خدم معهم جوميني من قبل تأييده لروسيا، بينما عبر بعضهم عن عدم ارتياحهم لوقوفه مع ميشيل ني. ولكن نابليون الذي كان يتحدث من منفاه في جزيرة سانت هيلينا، عبر عن تسامحه وعفوه عن جوميني، عاذراً له تصرفه الذي نسبه لغلبة أصوله السويسرية على صلاته الفرنسية.

واصل جوميني بعد معركة ووترلو كتاباته في تفرغ شبه كامل حتى عام 1823، حين استدعاه القيصر إلى روسيا ورفعه إلى رتبة فريق أول. وقام جوميني خلال الأعوام العشرة التالية بوضع تنظيم كلية القيادة والأركان الروسية، كما قام بتدريب وتعليم نقولا قيصر روسيا القادم، وشارك لفترة في حصار فارنا خلال الحرب التي جرت عام 1828 ضد الأتراك.

تقاعد جوميني عام 1829 من الخدمة في الجيش الروسي، وغادر روسيا التي لم يعد إليها إلا للعمل كمستشار للقيصر خلال الفترة 1853 ـ 1856 في أثناء حرب القرم، ليعيش بقية حياته في بروكسل مواصلاً كتابة مؤلفاته عن فنون الحرب. وتوفي في بروكسل بتاريخ 22 آذار/ مارس 1869 وهو في التسعين من عمره، ليكون حتى ذلك الحين الخبير الذي لا منافس له في مجال فن الحرب.

أصدر خلال حياته الممتدة أكثر من ثلاثين مؤلفاً في التاريخ الحربي والنظرية الحربية. وشملت أعماله عدداً من المؤلفات والدراسات تحدث فيها عن فريدريك الأكبر، والثورة الفرنسية، وحرب السنوات السبع، وحياة نابليون،

بيد أن مؤلفه «**الموجز في فن الحرب**» Summary of the Art of Warfare الصادر عام 1838 هو الأكثر شهرة وتأثيراً؛ فقد أصبح الكتاب بعد إصداره بوقت قصير مرجعاً أساسياً في الأكاديمية العسكرية الأمريكية في ويست بوينت، وفي عدد آخر من المعاهد العسكرية. ويعترف القادة العسكريون من كل أنحاء العالم الذين أعجبوا ببراعة نابليون وأساليه القتالية، بأن - جوميني - ذلك الضابط السويسري هو الذي يقف خلف نجاحات الإمبراطور الفرنسي.

تتسم كتابات جوميني بالإسهاب وصعوبة تلخيصها. ويمكن لقارئها أن يستخدم النص نفسه، ليثبت أو يدحض وجهات نظر متباينة، طبقاً لغرضه. وبرغم ذلك يبقى جوميني متصدراً بتقديمه لأول المؤلفات رائجة التي حاولت تحليل الفنون الحربية التي ابتدعها نابليون بأسلوب منهجي.

وبالإضافة إلى أطروحات جوميني النظرية، قدم تعريفاته لمفهومات أخرى مثل التكتيك والاستراتيجية، وذلك بأسلوب مقبول حتى اليوم. كما شملت المصطلحات الأخرى التي تناولها بالتعريف والشرح «مسرح النزاع»، وهو الأقرب إلى المصطلح المعاصر «مسرح العمليات» ويقصد به حدود المنطقة التي يدور فيها الصراع. كما شرح عبارة «خطوط الاتجاه» وتعني محاور الاقتراب والهجوم.

أكد جوميني في كتابه «**الموجز في فن الحرب**» على «أن المشاة هم أهم سلاح بلاشك» ولكنه استدرك مبيناً ضرورة أن تتلقى قوات المشاة الإسناد المنسق جيداً من جانب وحدات المدفعية والفرسان وعناصر الإمداد الميداني. كما أكد، على أهمية الروح المعنوية المرتفعة وسط الجنود، وتحدث عن ضرورة وجود «روح وطنية» تدعم الجيش المحارب في الميدان.

من الموضوعات الجوهرية التي تناولها جوميني في كتاباته العسكرية منظومة الخطط والإجراءات التفصيلية اللازمة للتعامل مع مختلف المواقف والتضاريس. ويتناول كل منها سلسلة من الخطط لحشد القوات الصديقة وشن هجوم قوي على نقاط العدو الضعيفة باختراق خطوطه، ثم استغلال هذه

الأفضلية بإجراءات للمتابعة. ورغم أن القراءة المتعمقة لأعماله تكشف أن أفكاره قد كانت أكثر مرونة عما وصفت به، فقد انتقد دارسو فن الحرب المحدثون خططه المقيدة، والتي تحتوي على تشكيلات هندسية وقواعد مطلقة أو نهائية، وكلها عقائد خلت من الرؤية التي تتوقع وتستوعب اختراعالأسلحة ذات النيران السريعة والدقة العالية في إصابة الهدف على أطول مدى، وعلى النحو الذي يركز النيران الكثيفة حسب الحاجة.

حظي جوميني خلال فترة حياته بالإعجاب لبروزه كمؤلف رائد في مجال المفهومات والفنون الحربية. وقد ظلت مصطلحاته الحربية باقية لفترة طويلة، حتى بعد أن نسي الناس أغلب ما قدمه من مرتكزات أساسية حول كيفية تنفيذ الأعمال القتالية. لكن ما يثير الاهتمام هو أن المنظر الذي حل محله قد عاش في الحقبة ذاتها، وشهد العديد من التجارب المشابهة التي عاشها جوميني، هو كارل فون كلاوسفيتس الذي هرب من الخدمة في جيش بلاده البروسي ليدم لفترة وجيزة مع الروس، كما فعل جوميني من قبل. وشارك كل من كلاوسفيتس وجوميني معاً في عدد من الحملات، كما ألف كل منهما أعمالاً تناولت فهم كل منهما وشرحه للفنون الحربية.

أصدر جوميني أول مؤلفات لاقت رواجاً واسعاً حول مفهومات وتصورات العمل الحربي، ولكن الدارسين العسكريين اتجهوا في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر إلى كتابات كلاوسفيتس الأكثر تعميقاً وفلسفة. وعلى الرغم من توصل الاثنين إلى الاستنتاجات نفسها تقريباً، فقد أصبحت أفكار كلاوسفيتس الأقل جموداً هي العقيدة المفضلة لدى القادة الباحثين عن المرونة في فنون وأساليب الحرب. ويحتل كل من كلاوسفيتس وسون تسو مرتبة متقدمة في هذه القائمة، بسبب تأثيرهما الممتد لفترة معاصرة وأطول مدى.



أوجين أمي سافوي

EUGENE OF SAVOY

قائد نمساوي

القائد الذي خسرته فرنسا

(1736 - 1663)

ولد أوجين في باريس في 18 تشرين الأول/ أكتوبر 1663، لوالدين كانا منفيين من فرنسا بسبب مشاركتهما في مؤامرة ضد الملك لويس السادس عشر، وتربى أوجين الذي كان طفلاً عليلاً ودميماً في منزل جدته التي هيأته لحياة مهنية مرتبطة بالكنيسة، ولكنه رفض خطط جدته وسعى للحصول على إذن من السلطان للسماح له بالانضمام إلى الجيش الفرنسي. وعندما رفض الملك لويس السادس عشر طلبه، غادر باريس إلى النمسا التي قضى فيها ما تبقى من حياته مقاتلاً ضد موطنه الأصلي.

مُنع أوجين أمير سافوي من خدمة موطنه الأصلي فرنسا، وانضم إلى

الجيش النمساوي ليرتقي سلم الرتب العسكري فيه بسرعة، حتى وصل إلى رتبة مشير وذاع صيته كواحد من أبرز العسكريين في عصره. وتجمعت لديه خصائص. مثل سرعته في تحريك جيشه، وتوظيفه الاستراتيجي للتضاريس لصالحه، وقدرته على تشجيع مرؤوسيه المخلصين والمتحمسين لتحقيق سلسلة من الانتصارات المنتظمة. وأثبت أوجين خلال نصف قرن تقريباً من القيادة الميدانية دوره الرئيسي في تأسيس هيمنة النمسا على الولايات والدول ذات العرقية الألمانية، وبروزها كإحدى قوى أوروبا الرئيسية في القرن الثامن عشر.

جاءت نجاحات أوجين المبدئية خلال الحروب التي شنتها النمسا لتحرير المجر من قبضة الأتراك خلال الفترة 1684 ـ 1688، وحرب التحالف الكبير (War of the grand Alliance) خلال الفترة 1688 ـ 1697. ونال أوجين ترقية على كل معركة من سلسلة المعارك التالية التي خاضها وكسبها ليصعد إلى رتبة مشير وهو في سن الثلاثين من عمره.

من الأعمال المعروفة لأوجين خلال هذه الفترة النصر الذي حققه ببراعة فائقة عند نهر زنطة (Zenta) عام 1697. فقد حرك جيشه في مسير سريع لمدة عشر ساعات متصلة، ليفاجأ الجيش التركي تماماً أثناء محاولته عبور نهر زنتا ويدخل ترانسلفانيا (Transulvania). واختبأت قوات أوجين المتقدمة خلف تلال، وهاجمت بتحرك على شكل كماشة لتحاصر الجيش التركي على النهر. وفي المعركة التي جرت في وقت متأخر من الظهيرة، تمكنت قوات أوجين من قتل أكثر من عشرين ألفاً من قوات العدو بخسارة لم تتعد الخمسمائة من جنوده.

واجه أوجين ـ في سلسلة الحروب والتحالفات المعقدة التي شهدها مطلع القرن الثامن عشر ـ عدداً كبيراً من الأعداء، وهو يقاتل إلى جانب ـ أو ضد ـ أغلب القادة العسكريين البارزين الذين عاشوا في تلك الفترة. فقد هزم الفرنسيين في حرب خلافة العرش الإسباني التي وقعت عام 1701 في معركة كاربي (Carpi) ، وتحالف عام 1704 مع دوق مارلبورو لينتصر على القوات

الفرنسية - البافارية في بلينيم (Blenheim). وبعد سنتين من تلك المعركة قاد أوجين الجيش النمساوي ودخل إيطاليا ليحرر ذلك البلد من الاحتلال الفرنسي. وفي عام 1708 حاصر أوجين القوات الفرنسية في مدينة ليل الفرنسية وقصفها وهزمها، بينما هي متحصنة في القلعة التي لم يخترقها أحد قبله، والتي صممها وبناها المهندس الفرنسي البارع سباستيان لو بريستردو فوبان (Sebastien le Prestre de Vauban).

تحالف أوجين مرة أخرى في مرحلة لاحقة من تلك السنة مع دوق مارلبورو ليهزم الفرنسيين في فلاندرز. وكانت آخر حملة ميدانية رئيسية له في عام 1716 ضد مئتي ألف من القوات التركية التي طوقت جيشه حيث لم يتجاوز تعداد جيشه، ربع تلك القوة. ولم يتراجع أوجين ولم يُخفه ذلك العدد الضخم من قوات العدو، بل فعل ما لم يكن يتوقعه أحد؛ فقد أمر بشن هجوم ليلي تفوق فيه رماة الرمح من جنوده الذين اكتسحوا سدنة المدفعية التركية، وحققوا النصر الذي فتح أمامه الطريق إلى بلغراد.

خدم أوجين ما تبقى من حياته كمستشار عسكري موثوق به في بلاط الإمبراطور النمساوي شارل السادس. ورغم وظيفته الاستشارية المرموقة فإنه لم يعمل كموظف مكتبي في البلاط الملكي؛ فقد التحق وهو في السبعين من عمره بالجيش النمساوي في وادي الراين، وخدم لفترة وجيزة خلال حرب الخلافة على العرش الملكي في بولندا. وتوفي بعد سنتين من ذلك بمدينة فيينا في 21 نيسان/ إبريل 1736 دون أن يتذوق طعم التقاعد الكامل.

حرص أوجين طيلة حياته كقائد عسكري على قيادة قواته في جبهات القتال وتعرض للإصابة في معارك مختلفة، وأصبح ماهراً في استخدام الأرض والتضاريس لدعم تحصيناته وفي تحريك جيشه بسرعة لتحقيق المفاجأة. وكان أوجين محبوباً بين جنوده وتميز لدى حلفائه بالإخلاص وعدم الأنانية؛ وهي صفات نادرة في من وصلوا إلى رتبة مشير في تلك الحقبة. والواقع أنه قد استطاع التعايش مع كل من تحالف معهم لتعزيز قدراته وهزيمة أي عدو واجهه

في ذلك الوقت، ولكنه كان يكره مواطنيه الفرنسيين حتى نهاية حياته. وعلى الرغم من انغشاله الدائم بالمجال الحربي، فقد كان متحضراً، وكان يقدر الثقافة؛ وتلك خصائص نادرة في القادة الذين عاشوا في تلك الفترة أو الذين ظهروا من بعده.

كان لأوجين تأثير كبير في الأساليب القتالية في زمنه وفي المستقبل بسبب التجديدات التي أدخلها، إلى جانب مهاراته القيادية المتفوقة. فقد منع بيع الرتب للضباط؛ وعمل على تعيينهم على أساس المؤهلات والكفاءة بدلاً من التعيين على أساس الطبقة الاجتماعية أو المنشأ. كما أسس نظاماً من قواعد الإمداد الميداني في الخطوط الأمامية وفّر به لجنوده الكميات الكافية من المؤمن والذخيرة واللوازم الأخرى. وشملت التجديدات والإبداعات الأخرى التي قام بإدخالها تنسيق مجهود وحدات الفرسان التي تقاتل راكبة على الخيول، ووحدات حملة البنادق المحمولة على الخيل حتى تصل إلى أرض المعركة وتترجل للقتال. وأصبح استخدام أوجين لقوات سلاح الفرسان والمشاة المحمولة في عمليات الاستطلاع بقوات محمولة (راكبة) لرصد مواقع العدو واستكشاف مزايا التضاريس، من الخصائص التكتيكية التي استخدمها الجيش النمساوي لفترة طويلة بعد رحيله.



فردينان جونزالو (القرطبي)

FERNANDEZ GONZALO DE CORDOBA

قائد اسباني

القائد العظيم

(1515 - 1453)

أدخل فردينان جونزالو القرطبي المعروف بلقب «القائد العظيم» وهو اللقب الذي أطلق عليه لانتصاراته المتعددة، تغيراً جذرياً في فنون الحرب السائدة خلال القرن السادس عشر. فقد أدى إدخاله لبندقية ثقيلة استخدمتها قوات مشاته إلى تحقيق التفوق العسكري الإسباني على المستوى الأوروبي لأكثر من قرن بأكمله.

ولد فردينان لأبوين من الطبقة النبيلة، وشارك في معارك ضد قوات المسلمين في غرناطة قبل أن يبلغ العشرين من عمره، كما عمل في مرحلة لاحقة كوصيف في البلاط الملكي الإسباني. وشارك خلال الفترة 1482 ـ 1492

كقائد صغير في الحروب التي انتهت بهزيمة العرب في الأندلس لتضع نهاية الحكم الإسلامي هناك والذي استمر لأكثر من ثمانمئة عام. وتمكن خلال تلك الفترة من صقل معرفته في مجال التكتيك العسكري وأساليب القتال، كما أظهر شجاعة فردية مميزة. فقد تولى بنفسه قيادة الهجوم خلال حصار مونتفريو (Montefrio)، واستخدم السلالم لعبور التحصينات الجدارية التي بناها العرب عند فتح الأندلس.

قاد فردينان ـ بناءً على تعليمات من ملكة إسبانيا ـ جيشاً من 2100 جندي إلى إيطاليا في أيار/مايو 1495، لمساعدة ملك نابولي الذي أقصاه ملك فرنسا شارل الثامن عند غزوه لتلك المنطقة. ونظراً إلى عدم كفاية تدريب قواته وضعف تنسيقه مع حلفائه الإيطاليين، فإنه لم يستطع الصمود أمام الفرنسيين الذين هزموه في معركة سيمنارا (Seminara).

وعقب تلك الهزيمة، انسحب فردينان وبدأ برنامج تدريب فاعل لقواته وأعاد تنظيم جيشه. وبسبب تفوق القوات الفرنسية عليه من حيث تعدادها، شن حرب عصابات لشل خطوق إمداد العدو الطويلة وتجنب الدخول في معارك كبيرة، ما عدا الحالات التي تكون فيها الظروف مواتية بالحد الأقصى. وتمكن خلال سنة واحدة من هزيمة القوات الفرنسية وأسر قائدها، وبحلول عام 1498 كان قد استرد للإيطاليين كل الأراضي التي خسروها.

بعد عودته إلى إسبانيا، استغل الدروس التي تعلمها خلال تجاربه العملية في القتال ووظفها لإعادة تنظيم جيشه؛ فقد أضاف إلى وحدات المشاة جنوداً مسلحين ببندقية أثقل وزناً من البنادق التقليدية، لها مقبض بدعامة، وتتم الرماية عليها بالارتكاز على الكتف وتعرف باسم «القربينة» (arqusbus). كما قام بتطوير التنسيق بين المشاة والمدفعية وسلاح الفرسان، ووزع جنوده على شكل قوات مناورة مستقلة بدلاً من الاحتفاظ بها ككتلة واحدة، وفقاً لما كان سائداً في تلك الفترة.

أتيحت الفرصة لفردينان لاختبار سلاحه وتنظيمه القتالي الجديد عام

1503، عندما عاد إلي إيطاليا لصد غزو فرنسي جديد. ففي ظهيرة يوم 28 نيسان/إبريل من السنة نفسها، قام بتحريك قواته التي تضم ستة آلاف فرد إلى أحد جوانب مرتفع بالقرب من سيرنيولا (Cerignola) ، حيث قام الجيش الفرنسي المؤلف من عشرة آلاف فرد بالهجوم على قوات مشاته قبل انتهائها من حفر خندق دفاعي. وردت قواته ليتساقط الجنود الفرنسيون صفاً تلو الآخر أمام نيران البنادق الحديثة، ولقيت القلة المتبقية منهم حتفها على أسنة الرماح الإسبانية. وكانت تلك هي المعركة الأولى في التاريخ التي تحسم بأسلحة نارية، ومنذ ذلك الحين عرفت المعارك شكلاً جديداً من السلاح الذي أدخل تغييراً جذرياً في القتال.

احتل فردينان مدينة نابولي وأجبر الفرنسيين على التراجع إلى نهر جريجليانو (Garigliano) . ودخل الجانبان في مأزق؛ حيث لم يتمكن الطرفان من التفوق وهما يتقابلان على جانبي النهر. وأخيراً قام فردينان في مساء يوم 29 كانون الأول/ ديسمبر 1503 بتركيب جسور عائمة لعبور القوات تحت ستار الظلام وبدأ بها هجوماً فاجأ به الفرنسيين تماماً. وأثبت جنوده من المشاة المسلحين بالبنادق الجديدة والحراب، كفاءتهم في تنفيذ العمل الهجومي بمستوى أدائهم المميز ذاته الذي طبق في الحالة الدفاعية. كما ساعد تدريبه لمرؤوسيه من القادة على تنفيذ تلك العملية المعقدة بسلاسة وبأقل قدر من الاتصالات.

وفي كانون الثاني/ يناير 1504 استولى فردينان على جيتا (Geata) ، وقام الفرنسيون ـ الذين عجزوا عن القيام بأي عمل دفاعي جوهري عقب هزيمتهم في جريجليانو ـ بتوقيع معاهدة أنهت مطالبتهم بمدينة نابولي.

كانت تلك هي المعركة الأخيرة له، وأُطلق عليه بعدها لقب «القائد العظيم». وجاءت نهاية حياته كقائد عسكري بارز نتيجة لقرار سياسي بعيداً عن ميادين القتال؛ فقد أصدر الملك الإسباني الجديد فردينان، الذي تخوف من شعبية «القائد العظيم»، قراراً بتنحيته عن القيادة واستدعائه للعودة إلى إسبانيا.

وظل فردينان القرطبي على ولائه للملك وتقيد بأوامره حتى تقاعد ليعيش في القرية التي تملكها أسرته في غرناطة. وتوفي في سن الثانية والستين، في 1 كانون الأول/ ديسمبر 1515، بمرض الملاريا الذي أصيب به خلال حملاته في إيطاليا.



سباستيان لوبريستو دو فوبان

SÉBASTIEN LE PRESTRE DE VAUBAN

قائد فرنسي

المهندس الملكي

(1707 - 1633)

ولد فوبان عام 1633 في سان ليجيه دو فوشريت (Saint- leger de Faucherest) بإقليم بيرجندي (Burgundy) [وسط فرنسا سابقاً]، وانضم إلى جيش لويس الثاني دي بوربون (Louis II De Bourban) ، أمير كونديه (Condé) خلال تمرد عام 1651. وبرز فوبان الشاب على وجه السرعة في مجال تصميم التحصينات الميدانية في معركة أرجون (Argonne) ، ولكنه وقع في أسر الجيش النظامي الفرنسي بعد سنتين من الخدمة مع المتمردين، ولكن سرعان ما تعرف المسؤولون في الجيش الفرنسي على مهارات الأسير الجديد ومنحوه عفواً ورتبة ضابط للانضمام إلى صفوفهم. وبعد سنة من ذلك قام فوبان - ورغم

تعرضه للإصابة مرتين - بتنظيم حصار ستيناي (Stenay) والذي أدى إلى الاستيلاء على إحدى القواعد الرئيسية التابعة للومير أيس الثاني. وعند سقوط ستيناي في 3 أيار/ مايو 1655 شملت المكافأة التي حصل عليها فوبان ترفيعه إلى درجة «مهندس ملكي».

أسس سباستيان لو بريستر دو فوبان أهمية عنصر هندسة الميدان في المعركة، وأصبح أمهر قائد في عصره في تنفيذ حرب الحصار الهجومي وتجهيز التحصينات الدفاعية. وقد أكسبته مساهماته المميزة في مجالات الهندسة القتالية وتطوير الأسلحة واستخدام المدفعية ترفيعاً إلى رتبة مشير فرنسا، كما حظي بالاحترام العالمي بسبب التجديدات التي أدخلها على النواحي القتالية.

قام فوبان طيلة العشرين سنة التالية بوضع وتنفيذ أفكار الحصار وفك الحصار للجيش الفرنسي. وكان لمهاراته المتميزة في هذا المجال قيمة كبيرة في ذلك الوقت ؛ لشيوع استخدام أسلوب الحصار في الحروب آنذاك.

خدم فوبان خلال سنواته الأولى في الحياة العسكرية، وتلقى العلم على يد المهندس الفرنسي البارز شيفاليه دو كليرفيه (Chevalier de Clerville) ، لكن التلميذ النجيب سرعان ما تخطى معلمه في البراعة والابتكار؛ فقد تم تعيين فوبان مديراً لكل أفرع الهندسة الملكية تقديراً لدوره في إدخال تحسينات على التحصينات الأمامية خلال «حرب انتقال السلطة» (War of Devolution) التي جرت خلال الفترة 1667 ـ 1668.

ركز فوبان بعد تلك الحرب على تحسين وتحديث التحصينات التي تؤمن الحدود الفرنسية. فقد صمم وأشرف على بناء أكثر من ثلاثين حصناً جديداً، وقام بتحديث الثلاثة آلاف حصن الموجودة أصلاً. ولم يكتف بمعالجة الدفاعات الأرضية فقط، وإنما قام أيضاً ببناء التحصينات اللازمة حول القواعد البحرية في كل من بريست (Brest) ودنكيرك (Dunkirk) ولوهافر (Le Have) وروشيفرت (Rochefort) وطولون (Toulon) تمشياً مع توسع البحرية الفرنسية.

صمم فوبان هذه القواعد البرية والبحرية ليساند بعضها بعضاً، وأضاف

نقاط إمداد ضمن تلك القلاع لتعمل كمقواع تموين مساندة للقوات البرية العاملة خارج التحصينات. وخلافاً للنموذج الأوروبي السابق المبني على أساس التحصينات الفردية، وضع فوبان نظام الدفاع في العمق الذي يستخدم مستويات أو «موجات» متعددة من التحصينات. كما أضاف أبراجاً في زوايا القلاع لتعزيز كل طبقة دفاعية، ولتستخدم أيضاً كمراكز للقيادة والسيطرة. وصمم نقاطاً شبه منفصلة لتستخدم في الإنذار المبكر واستدراج العدو المهاجم إلى عمق الجزء القوي من الدفاعات الرئيسية.

قدم فوبان أيضاً تحديثاً في عمليات الحصار الهجومي؛ فقد وضع خطة هجوم طبقت على نطاق واسع ضد تحصينات العدو، وتشمل حفر خنادق تستخدمها القوات المتقدمة وتساندها نيران المدفعية الثقيلة. وكسب فوبان محبة جنود المشاة؛ لإدخاله هذه الخنادق الوقائية والنيران المساندة بديل وأسلوب حشد قوات المشاة للقتال في معركة مكشوفة.

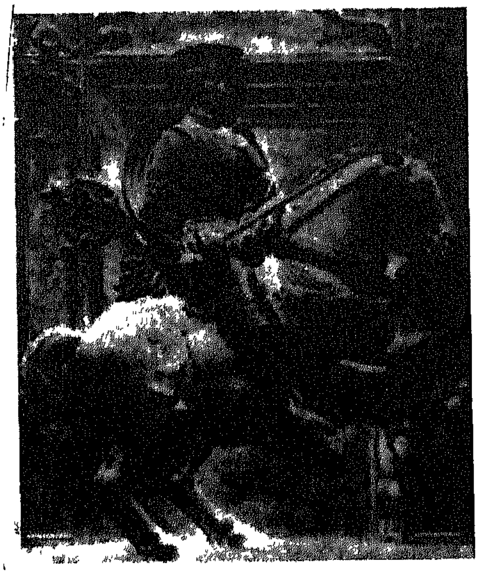
تخطت التحديثات العسكرية التي أدخلها فوبان حدود بناء التحصينات الميدانية اللازمة للدفاع والهجوم؛ فقد كان جنود المشاة حتى ذلك الحين يُركبون الحراب على بنادقهم بغرسها داخل سبطانة البندقية مما يجعل الرماية منها مستحيلة. ونتيجة لذلك لم تكن أغلب الجيوش في تلك الفترة تصرف الحراب لحملة البنادق، بل كانت تكتفي بإدخال حملة الرماح ضمن صفوف قوات المشاة، وكان حملة الرماح مسلحين بالحراب المركبة على قصبة الرمح؛ فجاء فوبان ليبتكر الحربة التي تُركب على مشبك خارج سبطانة البندقية ولا تعطل الرماية منها، وبذلك الاختراع أصبح بوسع كل فرد من أفراد المشاة أن يقاتل بالبندقية والحربة معاً.

أثبتت طرق الحصار التي وضعها فوبان نجاحها أثناء الحرب مع هولندا في معارك ماستريخت (Maastrict) عام 1673 وفلانسيين (Valenciennes) عام 1677 وإيبر (Ypres) عام 1678. عام 1678. وبينما كان الحصار يستغرق في

الأحوال المعتادة ستة أشهر أو أكثر قبل تحقيق النصر، تمكن فوبان من اختصار هذه المدة إلى أسبوعين أو ثلاثة أسابيع فقط بفضل تكتيكاته الهجومية.

توجه فوبان إلى أرض المعركة مرة أخرى مع اندلاع حرب عصبة أوجسبورج (Ear of League of Augsburg)، وحاصر نقاط العدو القوية. وتمكن في معارك وجيزة من اختراق دفاعات العدو وهزيمته في كل من مونس (Mons) عام 1691 ونامور (Namur) عام 1692 وآث (Ath) عام 1697. وفي معركة آث أمر فوبان بتوجيه نيران المدفعية على مسار منخفض تتمكن قذائف المدفعية غير المتفجرة من اختراق الجدران الداخلية للقلاع والتحصينات.

تقاعد فوبان بعد بلوغه سن التاسعة والستين من الخدمة العاملة عام 1702، بسبب تقدمه في العمر وتدهور حالته الصحية. وفي 14 كانون الثاني/ يناير 1702 تم ترفيعه إلى رتبة مشير فرنسا تقديراً لإنجازاته. وواصل بعد ذلك تقديم الاستشارات للمؤسسة العسكرية في فرنسا وتسجيل أفكاره عن الهندسة العكسرية، بالإضافة إلى دراسات عن الملاحة والغابات والزراعة، حتى توفي في 30 آذار/ مارس 1707 وهو في الرابعة والسبعين من عمره.



هنيبعل

HANNIBAL

قائد قرطاجي

القائد المتواضع

(حوالي 247 ـ 183 قبل الميلاد)

يعتبر هنيبعل، الذي قاد جيش قرطاجة (قرطاج) لعبور جبال الألب، واحداً من أبرز القادة العسكريين الذين قاموا بأعمال بطولية خالدة في التاريخ العسكري القديم. واستطاع هنيبعل، الذي عرف في الأغلب بلقب «أبي الاستراتيجية العسكرية» لأسلوبه الحربي المبتكر، أن يصمد في حملة لمدة خمسة عشر عاماً ضد روما بفضل تكتيكاته المبتكرة في استخدام الفرسان المدرعة. وتجدر الإشارة إلى عدم وجود روايات من تاريخ قرطاج عن حياة هنيبعل، وتعتبر المعلومات الأولية الوحيدة المتوافرة عن شخصيته هي كتابات الرومان الذين كانوا يحترمونه ويخشونه، بل ويكرهونه كعدو لدود في الوقت نفسه.

ولد هنيبعل في عام 247 قبل الميلاد بمدينة قرطاج التي تقع في شمال شرقي تونس الحالية، وتلقى العلم على يد والده الذي كان من أعيان قرطاج، وهو هميلقار برقا (Hamilcar Barca). رافق هنيبعل والده إلى إسبانيا خلال حرب قرطاج الأولى «الحرب الفونية الأولى» (First Punic War) (264 ـ 241 قبل الميلاد) ضد الرومان. وتقول روايات غير مؤكدة أن هنيبعل قد أقسم لوالده خلال حملته الفاشلة، التزامه بكراهيته الدائمة لروما وإصراره على تكريس حياته للقتال ضد إمبراطورية الرومان.

وفي عام 221 قبل الميلاد أتيحت لهنيبعل ـ الذي كان قد بلغ منتصف العشرينات من عمره ـ أن يفي بتعهده؛ فقد تولى قيادة القوات القرطاجية العاملة في شبه جزيرة أيبيريا بعد موت أخي زوجته. وتمكن خلال سنتين فقط من إخضاع إسبانيا بأكملها غير آبه بالمعاهدات التي عقدتها قرطاج مع روما سابقاً. وطالب الرومان بأن تقوم قرطاج بتسليم هنيبعل إليهم، ثم عادوا بعد رفض طلبهم ليعلنوا عليها الحرب عام 218 قبل الميلاد، ولتبدأ بذلك حرب قرطاج الفونية الثانية (Second Punic War).

قرر هنيبعل نقل الحرب إلى روما مباشرة بدلاً من القيام برد فعل على تكتيكات الرومان. وفي شهر سبتمبر ـ أيلول 218 قبل الميلاد انطلق بجيش قوامه خمسون ألف رجل وحوالي أربعين فيلاً ليعبر جبال الألب. وبالرغم من الخسائر الثقيلة في الرجال والركاب بسبب الظروف المناخية السيئة وهجمات رجال القبائل المعادية، فقد نجح هنيبعل في عبور تلك السلسلة بعد مسير بطولي لمدة خمسة عشر يوماً. ومن ثم نجح جيشه المنضبط والمدرب جيداً في هزيمة قوات الرومان التي لم تكن مستعدة في معركتي تايسينوس (Ticinus) وطربيا (Trebia)، وبذلك أصبح يحتل شمال إيطاليا بأكمله.

تحرك هنيبعل صوب الجنوب وبدأ في تجنيد رجال الغال المحليين المعروفين بعدائهم التقليدي لروما. وفي عام 217 قبل الميلاد هزم هنيبعل جايوس فلامينيوس (Gaius Flaminius) في معركة بحيرة تراسمينو

(Trasimeno)، ثم اجتاح إقليم كمبانيا (Campania) الخصب. وفي السنة التالية واجه هنيبعل وجنوده سلسلة من أعمال التعطيل المتأنية وغير الفاعلة من جانب الرومان دون وقوع أي محاولة كبيرة لإيقاف تقدمهم حتى وصولهم إلى مدينة كان (Cannae) على نهر أوفيدس (Aufidus). وهنا هاجم هنيبعل الرومان مستخدماً تفوق سلاح فرسانه في قابلية الحركة ليطوق مركز دفاعات الرومان ويدمرها، وقتل أكثر من خمسين ألفاً من الجنود الرومان في تلك المعارك، بينما خسر هنيبعل أقل من سبعة آلاف من قواته فقط.

كان باستطاعة هنيبعل أن يتقدم صوب روما ونابولي بعد ذلك، ولكن لم تحقق خطته (لاستقطاب حلفاء روما المنشقين عنها) أهدافها، كما تجاهلت قرطاج طلبه لتوفير تعزيزات لقواته بسبب الغيرة السياسية لما حققه من نجاحات. ورغم تلك الصعوبات استمر هنيبعل في تقدمه، وكان بوسعه إصابة النجاح لو توافرت له أسلحة الحصار الملائمة والعدد الكافي من الجنود. وواصل التفوق على جيش الرومان في المعارك الميدانية، ولكن المدن الرئيسية تمكنت من صد هجماته خلال عام 215 و211 قبل الميلاد.

طلب هنيبعل من أخيه الأصغر هسدروبعل (Hasdrubal)، الذي كان يقود جيشاً في إسبانيا، أن يمده بالمساعدات بعد أن فشل في تأمين التعزيزات اللازمة من قرطاج. واتجه هسدروبعل لإجابة طلب أخيه، ولكنه لم يصل؛ إذ علم القائد الروماني كلوديوس نيرو (Claudius Nero) بالطريق الذي سلكه ذلك الجيش، ونصب له كميناً عند نهر ميتوراس (Metaurus) عام 207 قبل الميلاد، وأرسل الروم رأس هسدروبعل إلى أخيه هنيبعل كإنذار له بحتمية انتصارهم.

وعلى الرغم من ذلك واصل هنيبعل القتال، ولكنه انسحب من إيطاليا أخيراً عام 204ق .م ليعود إلى موطنه عندما قام سيبيو أفريكانوس (Scipio Africanus) ـ وهو ابن مغمور لقائد هزمه هنيبعل عقب عبور جبال الألب ـ بغزو قرطاج. وشرع هنيبعل بعد ذلك في تنظيم جيش جديد من حوالي خمسين ألف مقاتل، وعلى رأسهم مجموعة من كبار المحاربين الذين شاركوا في حملاته

بإيطاليا ليواجه بهم قوات الرومان المتقدمة لغزو قرطاج. وواجه سيبيو قوات هنيبعل في معركة زاما (Zama) التي جرت في آذار ـ مارس 202 قبل الميلاد لكن هنيبعل، الذي كان قد كسب أغلب انتصاراته بفضل تفوق سلاح فرسانه، انهزم تلك المرة أمام فرسان العدو المتفوقين. وهكذا تمكن سيبيو من الانتصار على هنيبعل، وكسب لقب «أفريكانوس» (Africanus).

على الرغم من توصل قرطاج وروما إلى صلح عام 201 قبل الميلاد فإن هنيبعل كان يخطط من داخل حكومته وجيشه لمواصلة القتال؛ مما أثار شكوك روما. وفي عام 196 قبل الميلاد قامت قرطاج تحت إلحاح روما بنفي هنيبعل إلى سوريا، حيث ساهم هناك في تمرد فاشل ضد روما قبل أن يهرب إلى إقليم بثينية (Bithynia) في شمالي آسيا الصغرى. وفي عام 183 قبل الميلاد، أو بعده بعام تقريباً، انتحر هنيبعل بتجرع السم وهو في السبعين من عمره مفضلاً الموت على الوقوع في أسر القوات الرومانية المتقدمة. وطبقاً لما ورد في سجلات الحقبة الرومانية، فقد مات هنيبعل بعد أن قال: «دعونا نُرح الرومان من قلقهم المستديم، بعد أن اعتقدوا أنهم سينتظرون طويلاً موت رجل مسنّ».

بالرغم من اشتهار هنيبعل بعبور جبال الألب بجيشه وجنوده، فقد كان أعظم قائد عرفته قرطاج القديمة؛ إذ بقي لمدة خمسة عشرة عاماً يقود حملة ناجحة بعيداً عن موطنه، وهو يعيش على ما تجود به الأرض وعلى غنائم انتصاراته وبراعته التكتيكية. وكان يشارك رجاله قسوة الظروف والأخطار، حيث فقد إحدى عينيه بسبب التهاب خلال معسكر شتوي عام 217 قبل الميلاد. واعترف أعداؤه الرومان بمهاراته القيادية المتميزة حيث وصفوه في كتاباتهم بأنه «لم يكن يكلف الآخرين بأن يفعلوا ما لم يكن يستطيع فعله وما لم يكن سيقدم على فعله».



جون تشرشل (دوق مارلبور)

JOHN CHURCHILL (DUKE OF MARLBOROUGH)

قائد انجليزي

القائد الفقير

(1722 - 1650)

ولد تشرشل لعائلة فقيرة مؤيدة للملكية بمدينة ديفون (Devon) في 26 أيار ـ مايو 1650، وبدأ حياته المهنية في السابعة عشرة من عمره، حيث عمل كوصيف مرافق لجيمس، دوق يورك، وكان تشرشل قد نال تلك الوظيفة بمساعي شقيقته التي كانت خليلة لدوق يورك. وتمكن خلال السنوات القليلة التالية من تكوين سلسلة من العلاقات الشخصية مع العديد من سيدات الطبقة الحاكمة، كما كسب علاقات مهنية مع الشخصيات التي أدرك أنها ستقود إنجلترا لاحقاً.

حقق جون تشرشل مكانة مرموقة لنفسه كواحد من أبرز القادة العسكريين

في القرن الثامن عشر، بعد أن أبرزقدرات متفوقة في التخطيط الاستراتيجي والعمل التكتيكي، في أثناء قيامه بتنسيق مجهود قوات تحالف ضخم مكون من جيوش دول مختلفة. وكان تشرشل، الذي واجه انتقادات بسبب طموحه وانتهازيته، وكان حذق في التعامل مع الساحة السياسية المتقلبة وعمل على موالاة كل من امتلك زمام القوة خلال فترة الاضطرابات الداخلية التي نتجت عن التنافس على التاج الملكي في إنجلترا. وقد حقق له ذلك النهج تأمين مستقبل مهني ناجح في الحياة العسكرية، كما رفع من مكانة بريطانيا التي كانت مجرد جزيرة صغيرة لتصبح قوة أوروبية عظمى.

حصل تشرشل بوساطة أصدقائه في البلاط الملكي على تعيينه برتبة ضابط في قوات الحرس الراجلة (المشاة) عام 1667، وقضى العامين التاليين من خدمته كضابط حديث في العمليات ضد المغاربة في طنجة وعلى امتداد الساحل الأفريقي الشمالي. وخلال الفترة (1672 ـ 1674 خدم تشرشل مع القوات الفرنسية والإنجليزية المتحالفة ضد الهولنديين، وقاتل أثناء ذلك إلى جانب العديد من الضباط الفرنسيين الذين واجههم كأعداء فيما بعد.

بعد عودة تشرشل إلى إنجلترا تزوج في عام 1677 سارة جينينجز (Sarah Jennings)، وهي وصيفة للأميرة آن، الملكة مستقبلاً وابنة الملك جيمس الذي تولى الملك لاحقاً. وقام تشرشل بأداء خدمات دبلوماسية في البلاط الملكي بينما واصل ارتقاء سلم الرتب ليصل إلى رتبة عميد. ودعم مكانته بقيادته للقوات التي أخمدت التمرد الذي نشب عند اعتلاء الملك جيمس العرش الملكي في مطلع ولايته، فقد اختار تشرشل أن يهجره عند وصول وليم أوف أورانج (William of Orange) إلى إنجلترا عام 1688 للمطالبة بالتاج الملكي. وسواء جاء تبديل الولاء بسبب اتباع الملك جيمس للمذهب الكاثوليكي أو لدواعي الانتهازية الصرفة، فقد كان قرار تشرشل حكيماً وفي محله؛ إذ رفعه الملك وليم إلى رتبة فريق وعينه دوقاً لمارلبورو، عندما تولى الملك فيما بعد.

أظهر تشرشل خلال الأعوام الأربعة التالية شجاعة شخصية ومهارات

تكتيكية مميزة خلال النزاعات الثانوية التي وقعت في منطقة فلاندرز وأيرلندا، ولكنه لم يتمكن من قيادة قوة كبيرة لعدم وثوق سادة البلاط الجديد بشخصه. وفي عام 1692 أدى نزاع دخل فيه مع الملكة ماري ـ فضلاً عن إجرائه اتصالات مع الملك جيمس في منفاه ـ إلى الزج بدوق مارلبورو في سجن برج لندن. وعقب موت الملكة ماري عام 1694، أطلق الملك وليم سراح تشرشل وأعاد له رتبته وامتيازاته.

عاد دوق مارلبورو إلى أداء مهام دبلوماسية وعسكرية ثانوية حتى عام 1702، حيث وقعت حادثتان مكنتاه من الصعود إلى مصاف الشخصيات العظيمة؛ فقد توفي وليم وتولت الأميرة آن ـ ابنة الملك جيمس وصديقة تشرشل منذ أمد بعيد ـ العرش الملكي في إنجلترا. وتزامنت مع تلك الفترة وفاة الملك تشارلز الثاني، ملك إسبانيا، ودخلت إنجلترا الحرب في تحالف مع النمسا وهولندا، بعد تخوفها من احتمال حصول حفيد ملك فرنسا على التاج الملكي وتوحده مع إسبانيا في تحالف قوي ومهدد لها.

كسب دوق مارلبورو رضاء البلاط الملكي وجاءته الفرصة أخيراً لإظهار براعته العسكرية على مستوى كبير؛ فبينما ظل الحلفاء الهولنديون على ترددهم طيلة فترة الحرب، شكل دوق مارلبورو مع أوجين أمير سافوي النمساوي واحدة من أقوى علاقات التعاون التي عرفها التاريخ الحربي. فقد تمكناً خلال الأعوام التسعة التالية من إنهاء الهيمنة الفرنسية على القارة الأوروبية، دون أن يُهزما في أي من المعارك التي خاضتها قواتهما.

كانت أولى العقبات التي واجهتهما هي التغيير الذي طرأ على المجال الحربي نفسه. وبعد التغيير الذي حققه القائد الفرنسي سباستيان لو بريستر دو فوبان بإدخال تغييرات جذرية على أساليب القتال باعتماد التدابير الدفاعية، بدأت أغلب الجيوش الأوروبية في الاعتماد على التحصينات القوية التي جعلتها تتردد في المغامرة بالخروج من تحصيناتها وتنفيذ عمليات المناورة. وأدرك دوق مارلبورو عدم إمكانية كسب الحرب بالاعتماد على الأسلوب الدفاعي فقط،

ووضع خطة قاعدتها الأولى هي الهجوم مع التقيد بمبدأ التخطيط لتجنب المخاطرة.

مزج دوق مارلبورو مبدأي الهجوم والتخطيط بالتركيز على تكتيكات الحركة السريعة إلى الهدف، وتمكن من تنفيذ هجمات مباغتة ليبدأ بهجوم قوي على أحد أجناب العدو لتشتيت انتباهه. وبمجرد دخول قوات الاحتياط المعادية في المعركة، يتولى دوق مارلبورو الموجود في مقدمة قواته قيادة قواته بنفسه والهجوم على مركز ثقل قوات العدو أو الجانب المقابل منها. وظل دوق مارلبورو طيلة حياته المهنية يمتلك القدرة الفذة على اختيار الوقت والمكان المناسبين لإشراك قواته الاحتياطية في القتال.

كانت قابلية الحركة والحفاظ على الروح المعنوية المرتفعة هي المفتاح الرئيسي للانتصارات التي حققها دوق مارلبورو، وقد حذق كلاً من هذين العنصرين؛ فقد قام بتصميم مقطورات صغيرة لحمل المؤن وتخفيف حمولة الجندي. وفي الحملات التي تتطلب مسيراً لمسافات طويلة كان يرسل قوافل الإمداد في المقدمة لتسبق القوات وتجهز المعسكرات لاستقبال تلك القوات المقاتلة، وكان ينفذ الجزء الأكبر من هذه التحركات ليلاً أو خلال ساعات الصباح المبكر ليتجنب رصدها من قبل استطلاع العدو.

عمل دوق مارلبورو على ضمان دفع رواتب أفراده في وقتها المحدد، وكان يوفر احتياجاتهم إلى درجة صرف أحذية عسكرية جديدة لهم قبل التوجه إلى خوض المعارك الرئيسية. وكان جنوده يعلمون أن تفوقه في التخطيط وعدم رغبته في المغامرة بقواته من العوامل التي تقلل نسبة الإصابات والقتلى بينهم. ونتيجة لذلك فقد كسب احترام جنوده وحاز إعجابهم، فاختاروا له لقب «العريف جون» تعبيراً عن إعزازهم له.

تمكن دوق مارلبورو بمهاراته التكتيكية وجنوده المتحمسين من كسب انتصارات سهلة في أراضي هولندا الإسبانية (بلجيكا الحالية) عام 1702. وبعد عامين فقط، تمكن من خلال تحالفه مع الأمير أوجين من تحقيق النصر في أكبر

معركة له، بعد ما دفع قواته مسافة 250 ميلاً عبر أراضي ألمانيا إلى بلينيم في بافاريا ليفاجأ الفرنسيين في معقلهم القوي. وفي 13 آب ـ أغسطس 1702، شن دوق مارلبورو هجوماً على القوات الفرنسية وكبدها خسارة بلغت 34 ألف جندي، بينما بلغت خسائره 13 ألف جندي. وضعت تلك الهزيمة نهاية لدور بافاريا في الحرب، كما انتهت سمعة فرنسا كقوة لا تقهر، أما إنجلترا فقد كرمت دوق مارلبورو كبطل، ومنحته المال وشيدت له مقراً فخماً سمي بقصر بلينيم.

عاد دوق مارلبورو بعد النصر الذي حققه في بلينيم إلى إقليم فلاندرز وحقق فيه انتصاراً حاسماً على القوات الفرنسية في مدينة رامي (Ramillies) في 23 أيار ـ مايو 1706. وبعد سنتين فقط أثبت مقدرته على تحقيق النصر حتى في حالة فشل تكتيكه المعتاد؛ فقد فاجأت قوة فرنسية أكبر حجماً قوات دوق مارلبورو عند مدينة أودينارد (Oudenaarde) في 11 تموز ـ يوليو 1708، ولكنه تمكن من المناورة بجيشه وكسب الأفضلية بسبب التغيير العاجل من وضعية الدفاع إلى الهجوم.

وفي 11 أيلول ـ سبتمبر 1709، حقق دوق مارلبورو آخر انتصاراته في معركة مونس (Mons)، ولم تحسم تلك المعركة الشرسة حتى قام دوق مارلبورو بإشراك قوات الاحتياط في الوقت الملائم تماماً. وعلى الرغم من خروجه منتصراً فقد خسر 21 ألفاً من قواته.

خدمت الخسارة البشرية الكبيرة التي تكبدتها القوات البريطانية في معركة مونس أغراض المحافظين الذين كانوا قد وصلوا لتوهم إلى سدة الحكم في إنجلترا؛ فقد تبنوا التركيز على القوات البحرية بدلاً من القوات البرية، واستخدموا ما حدث في معركة مونس كذريعة لإنهاء الحياة المهنية لدوق مارلبورو، فاستصدروا أمراً بإعفائه من مهامه القيادية، كما اتهموه بتبديد الأموال العامة للصرف على تشييد قصر بلينيم. وعندما تولى الملك جورج الأول العرش الملكي في عام 1714، أمر بإعادة رتبة وامتيازات دوق مارلبورو له، لكنه لم يتمكن من العودة إلى الخدمة بسبب سوء حالته الصحية، فقد أصيب بسلسلة من السكتات الدماغية، وتوفي وهو في الثانية والسبعين من عمره في 16 حزيران ـ يونيو 1722.



وينفيلد سكوت

WINFIELD SCOTT

قائد أميركي

(1786 - 1866)

ولد وينفيلد في 13 حزيران ـ يونيو 1786 في قرية لوريل برانش (Laurel Branch) التي تملكها أسرته بالقرب من مدينة بطرسبرج بولاية فرجينيا، والتحق بكلية وليم وماري ثم تركها ليدرس القانون بصفة مستقلة. وبعد هذه الفترة الوجيزة في عالم الدراسة الأكاديمية التحق سكوت بقوات سلاح الفرسان المحلية عام 1807، مما مهد له الطريق ليحصل على التعيين برتبة ضابط في قوات المدفعية بالجيش النظامي. ولم تكن السنوات الأولى من حياة سكوت العسكرية ناجحة، حيث فكر مرتين في الاستقالة والعودة إلى ممارسة مهنة المحاماة. فقد خدم الفترة 1809 ـ 1810 بولاية نيوأورليانز، واتهم هناك قائده الجنرال جيمس ويلكنسون (James Wilkinson) بأنه «خائن وكاذب وجبان».

وعلى الرغم من ثبوت صحة اتهامات سكوت في نهاية المطاف، فقد أدت إلى مثوله أمام المحكمة العسكرية وإيقافه عن الخدمة لمدة سنة واحدة.

لم تكن التجربة القتالية الأولى التي خاضها سكوت مشرفة شأنها في ذلك شأن خدمته في زمن السلم؛ فقد انضم في بداية حرب عام 1812 وهو برتبة مقدم إلى القوات الأميركية التي حاولت غزو كندا انطلاقاً من الجزء الشمالي لولاية نيويورك. وفي معركة كوينستون هايتس (Queenston Heights) التي جرت في 13 تشرين الأول ـ أكتوبر 1812 وقع سكوت أسيراً لدى القوات البريطانية، واحتجزته لمدة ثلاثة أشهر قبل أن تطلق سراحه في عملية تبادل للسجناء.

وينفيلد سكوت هو أبرز قائد عسكري أميركي مؤثر في الفترة الواقعة ما بين حرب التحرير والحرب العالمية الثانية؛ فقد ظل في الخدمة العاملة برتبة جنرال لمدة أطول من تلك التي خدمها أي ضابط آخر في التاريخ العسكري الأميركي، وقاد الجيش الأميركي لأكثر من عشرين سنة. وتعتبر أكبر مساهمة له في مجال القيادة العسكرية هي نظرته الثاقبة للعلاقة بين النجاح والانضباط العسكري.

قاد سكوت في أيار ـ مايو 1813 الهجوم الناجح ضد قاعدة جورج، وبعد شفائه من الجروح التي أصيبت بها في ذلك الهجوم شارك في الهجوم الفاشل ضد مدينة مونتريال. وأتاحت له تلك التجربة تشخيص مشكلة الجيش الأميركي، وهي اعتماده على الميلشيات ذات التدريب الضعيف واختيار القادة لتولي المناصب القيادية، وفقاً لمكانتهم في المجتمعات المحلية التي ينتمون إليها، وليس طبقاً لمهاراتهم أو ملكاتهم التي تؤهلهم لتولي القيادة العسكرية.

وصل سكوت في آذار ـ مارس 1814 إلى رتبة عميد واتخذ نهجاً قيادياً مميزاً لازمه طوال ربع قرن فيما بعد. فقد باشر تدريباً نشطاً لقواته يشتمل على سلسلة من التمارين والتدريبات التي تعيدها القوات عدة مرات. كما فرض التكرار في التدريب وأمر بضرورة التقيد بالانضباط الصارم في الزي العسكري والسلوك، لدرجة حدت بجنوده إلى إطلاق لقب «المختال» عليه.

كسب اللواء الذي قاده سكوت الإطراء المستحق لأدائه المميز في الفترة المتبقية من حرب عام 1812؛ فقد تمكنت قواته من هزيمة قوات بريطانية أكبر عدداً في معركة تشيباوا (Chippewa) في 5 تموز - يوليو 1814. وواجه اللواء نفسه بعد أقل من ثلاثة أسابيع الهجوم البريطاني الرئيسي في معركة ممر لونداي (Lundy Lane)، حيث تعرض سكوت لإصابة خطيرة مرة أخرى. وبانتهاء الحرب كان سكوت قد ترقى إلى رتبة لواء وكسب احترام العسكريين، كما اعتبره المدنيون بطلاً قومياً.

شارك سكوت بعد انتهاء الحرب في إعادة تنظيم الجيش، وقام بتأليف أول مرجع تدريبي للجيش متضمناً الدروس التي تعلمها في ميدان المعركة. كما قام بزيارتين إلى أوروبا للاطلاع على أنماط التنظيم العسكري ومناهج التدريب المختلفة المطبقة في بلدان أخرى.

أثبت سكوت خلال فترة ما بعد حرب عام 1812 مهارته في التفاوض لحل النزاعات بمستوى لا يقل عن كفاءته في تدريب الجنود؛ فقد قاد عام 1832 المفاوضات التي أدت إلى توقيع معاهدة حالت دون وقوع حرب مع الهنود الحمر من قبائل سوك (Sauk) وفوكس (Fox). كما قام خلال الفترة 1838 - 1839 بتسوية نزاعات حدودية على امتداد الحدود بين نيوإنجلند وكندا، والتي كانت تهدد باندلاع حرب ثالثة بين الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا العظمى. وأشرف عام 1838 على نقل قبيلة شيروكي (cherokee) الهندية من ولاية جورجيا إلى محميات تحولت لتصبح ولاية أوكلا هو ما فيما بعد.

برز نجم سكوت خلال هذه الفترة، وكان كثيراً ما يعارض التطلعات السياسية لأعضاء الكونجرس والرؤساء، كما كسب الاعتراف والتقدير لنزاهته ومهاراته القيادية. فقد تولى في 5 تموز - يوليو 1841 قيادة الجيش بأكمله، وهو المنصب الذي ظل يشغله طيلة العشرين سنة التالية، ليدخل المزيد من التطور في الانضباط وتوحيد التدريب والتكتيك المتبع.

ظل سكوت قابعاً في واشنطن خلال المرحلة الأولى من اندلاع الحرب المكسيكية عام 1846، مفسحاً المجال للجنرال زاكري تايلور (Zachary Taylor) ليقود الغزو الأميركي للمكسيك. وعلى الرغم من نجاح تايلو في كسب العديد من المعارك التكتيكية بشمالي المكسيك، فقد أدرك سكوت أن تحقيق النصر الحاسم يستوجب من الولايات المتحدة الأميركية نقل المعركة إلى داخل المسكيك، ويشمل ذلك العاصمة نفسها مسكيكو سيتي. بيد أن الرئيس جيمس بوك (James K. Poilk) كان متردداً في بداية الأمر، بسبب تخوفه من ازدياد شعبية الجنرال سكوت على المستوى القومي وتحوله إلى منافس سياسي له، ثم عاد ليمنحه الإذن بقيادة الجيش الأميركي ميدانياً لحسم تلك الحرب.

نفَّذ سكوت بقوات الغزو أول إبرار بحري أميركي رئيسي في ميناء فيراكروز بتاريخ 8 نيسان - إبريل 1847، وتمكن من الاستيلاء على ذلك الميناء بأقل الخسائر. ثم تحرك بسرعة نحو الأراضي الداخلية، وواجه وهزم قوة مكسيكية أكبر عدداً تحت قيادة سنتا آنا (Santa Anna) في سيرو جوردو (Cerro Gordo) بتاريخ 18 نيسان - إبريل. وعلى الرغم من طول خطوط الإمداد وصعوبة المنطقة الجبلية، فقد تمكن جيشه من احتلال مدينة بويبلو (Puebla)، وحقق انتصارات حاسمة في المعارك التي جرت خلال شهري آب - أغسطس وأيلول - سبتمبر في كونتريراس (Contreras) ومولينو ديل راي (Molino drel Rey) وتشابولتيك (Chapultepec). ومن الضباط الشبان الذين عملوا كمساعدين للجنرال سكوت، وتعلموا منه المهارات التي أفادتهم كثيراً عند مشاركتهم في حروب قادمة، روبرت إدوارد لي (Robert Edward Lee) ويوليسيس سيمبسون جرانت (Ulysses Simpson Grant)، بالإضافة إلى أكثر من مئة ضابط أصبحوا قادة في الجيش خلال الحرب الأهلية فيما بعد. وفي 14 أيلول - سبتمبر تمكن سكوت من احتلال مدينة مكسيكو سيتي دون أن يخسر معركة واحدة خلال الحملة التي امتدت لخمسة أشهر كاملة. وأدى ذلك الانتصار إلى ضم المزيد من الأراضي للولايات المتحدة الأميركية من تكساس إلى كاليفورنيا وهي ثلث مساحتها الكلية.

بقي سكوت في مدينة مكسيكو سيتي كحاكم عسكري لها حتى اضطر إلى العودة إلى بلاده في نيسان ـ إبريل 1848 ليدحض الاتهامات الباطلة التي وجهها إليه الرئيس بوك حول سوء التصرف الشخصي ومزاعم بالفساد المالي. وعلى الرغم من شعبيته الكبيرة كقائد عسكري متمكن، فلم يحقق القدر نفسه من النجاح عندما تحول إلى ممارسة السياسة؛ إذا فشل في أن يكسب ترشيح الحزب المعارض للحزب الديمقراطي له في خوض الانتخابات الرئاسية التي جرت في عام 1848. ثم عاود الكرة ليكسب ترشيح الحزب له بعد أربع سنوات، ولكنه خسر الانتخابات العامة بفارق كبير عن فرانكلين بيرس (Franklin Pierce).

تمتع سكوت بالاحتفاظ بمنصبه العسكري أثناء مشاركته في الحياة السياسية، واستمر في إدخال المزيد من التحسينات على التدريب مستفيداً من الدروس التي واجهها في المكسيك. كما حافظ على مهاراته في التفاوض، وساعد على التوصل إلى تسوية عام 1859 بشأن النزاع الحدودي بين بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأميركية على جزر سان خوان (San Huan) في منطقة بيوجيه ساند (Puget Sound).

كان سكوت مع حلول عام 1861 قد قضى أكثر من خمسين عاماً في خدمة بلاده خاض خلالها حربين كبيرتين. ومع أنه مولود في ولاية فرجينيا، فإن ولاءه لبلاده لم يتبدل لدى اندلاع الحرب الأهلية؛ فقد كان واحداً من القليلين الذين رأوا أن الولايات المتحدة الأميركية لا تستطيع إنهاء التمرد في غضون أشهر فحسب؛ لذا عمل على وضع خطة لهزيمة المتمردين من خلال التعبئة العامة وحشد القوات، ثم محاصرة الجنوب وشطر الاتحاد الفيدرالي إلى قسمين على امتداد نهر المسيسبي. وقوبلت خطته التي أطلق عليها اسم «خطة أناكوندا» (Anaconda Plan) بالسخرية من قبل الصحافة والسياسيين وصغار الضباط في الولايات الشمالية، وصورت الصحف شخصية سكوت على أنه رجل هرم كثير النعاس والنوم على مكتبه.

تاقعد سكوت في 1 تشرين الثاني - نوفمبر 18(961، وانتقلت قيادة الجيش الاتحادي إلى الجنرال جورج ماكليلان (George B. McClellan). وعاش سكوت حتى انتهت فترة الحرب الأهلية، وشهد تبني الرئيس لنكولن والجنرال جرانت لخطته التي حققت النصر في نهاية المطاف. وتوفي سكوت في ويست بوينت بولاية نيويورك في 29 أيار - مايو 1866 قبل أيام فقط من بلوغه سن الثمانين.



يوليسيس سيمبسون جرانت

Ulysses Simpson Grant

قائد أميركي

أحتاج هذا الرجل، فهو مقاتل فذ

(1885 ـ 1822)

ليس هناك شيء مميز في بدايات حياة جرانت المدنية أو العسكرية؛ فقد جاء ميلاده في 27 نيسان ـ إبريل 1822 ليكون الشقيق الأكبر لستة أبناء أنجبهم والده الذي كان يملك مدبغة في منطقة بوينت بليزنت (Point Pleasant) بولاية أوهايو. والتحق عام 1839 بالأكاديمية العسكرية الأميركية، فقرر لدى وصوله إلى مقر الأكاديمية في ويست بوينت تغيير اسمه من هيرام يوليسيس (Hiram Ulysses Grant) إلى يوليسيس هيرام (Ulysses Hiram Grant) تجنباً لحرج كتابته بالاختصار (HUG) والذي يناظر كلمة «احتضن». وأدى خطأ إداري ارتكبه عضو الكونجرس الذي رشحه للقبول في الأكاديمية العسكرية إلى تسجيل

اسمه على أساس أنه يوليسيس سيمبسون (Ulysses Simpson)؛ فلم يبذل جرانت أي جهد لتصحيح هذا الخطأ تجنباً للخلط الإداري الذي قد يمنعه من دخول الكلية، وأخذ يستخدم الاسم المختصر وهو يوإس جرانت (U.S. Grant).

لم يُظهر جرانت أي تفوق ينبىء بإمكانيات كبيرة في الأكاديمية العسكرية في ويست بوينت، وكان ترتيبه الحادي والعشرين من بين تسعة وثلاثين تلميذاً عسكرياً (مرشح ضابط) هم دفعة عام 1843. وعلى الرغم من تفوقه الواضح في مادة الفروسية أثناء الدراسة بالأكاديمية، فقد تم تعيينه ملازماً في قوات المشاة، والتحق بعد التخرج بالكتيبة الرابعة في ثكنات جيفرسون بولاية ميسوري.

أدى يوليسيس سيمبسون جرانت الدور الرئيسي في الانتصار الذي حققته قوات الاتحاد على القوات الموالية للكونفيدرالية في الحرب الأهلية الأميركية، وتفوقت مهاراته التكتيكية وقدراته في مجال التخطيط الاستراتيجي على مهارات خصمه اللدود روبرت إدوارد لي. وعلى الرغم من نعته بـ«السكير» ثم «الجزار» بسبب ارتفاع عدد الخسائر البشرية في المعارك التي خاضها، فقد تميز بإدراك أهمية استخدام جميع الإمكانيات العسكرية والاقتصادية في الحرب الشاملة. وتمكن من الحفاظ على وحدة الولايات المتحدة الأميركية بتحقيقه الانتصار الحاسم في تلك الحرب.

وعند اندلاع الحرب مع المكسيك عام 1846 انضم جرانت وكتيبته إلى قوات زاكري تايلور على حدود ريو جراند (Rio Grande). وشارك جرانت في المعارك الأولى من الحرب ونال الإطراء على استبساله في معركة مونتري (Monterrey). وفي عام 1847 نقلت وحدته إلى الجنوب لتنضم إلى حملة الاستيلاء على ميناء فيراكروز تحت قيادة وينفيلد سكوت، وشارك خلال تلك الحملة في المعارك التي جرت في سيرو جوردو في نيسان ـ إبريل، وفي تشوربيسكو (Churubusco) خلال آب ـ أغسطس، وفي مولينو ديل راي وتشابولتيك خلال أيلول ـ سبتمبر. ونال جرانت مع سقوط مدينة مكسيكو سيتي

ترفيعاً تقديرياً إلى رتبة نقيب فخري، كما رفعت رتبته الأصلية في الجيش النظامي إلى ملازم أول.

عاد جرانت إلى ولاية ميسوري عام 1848 وتزوج جوليا دينت (Julia Dent)، وهي ابنة مزارع محلي قابلها خلال فترة خدمته الأولى مع الكتيبة الرابعة في ثكنات جيفرسون. وتنقل جرانت مع أسرته ليخدم في المسيسبي ونيويورك ومتشيغان ومنطقة شمال غربي المحيط الهادي. وفي عام 1854 التحق جرانت الذي كان قد وصل إلى رتبة رائد في الجيش النظامي بقاعدة فورت همبولت (Fort Humboldt) في كاليفورنيا. وبعد فشله في جلب زوجته للالتحاق به في مقر خدمته الجديد، بدأ ـ أو و اصل طبقاً لما أوردته بعض الروايات ـ الإكثار من شرب الخمر ثم استقال من الخدمة العسكرية بعد وقت قصير من ذلك.

عاد جرانت إلى ميسوري وحاول خلال الأعوام الستة التالية ممارسة حرفة الزراعة والدخول في بعض مشروعات الأعمال الأخرى، لكنه لم ينجح في أي منها. وفي عام 1860 انتقل مع أسرته إلى مدينة جالينا (Galena) بولاية إلينوي وعمل إدارياً في متجر بيع المصنوعات الجلدية الذي يملكه والده.

حاول جرانت لدى اندلاع الحرب الأهلية العودة إلى الخدمة في الجيش النظامي، ولم ينجح في ذلك رغم إعلان التعبئة وحاجة الجيش إلى عدد هائل من القوات. ونجح جرانب أخيراً في الحصول على التعيين برتبة عقيد في قوات الميليشيا ليتولى قيادة كتيبة المشاة المتطوعة الحادية والعشرين في ولاية إلينوي، وتم ترفيعه خلال شهرين فقط إلى رتبة عميد وتولى قيادة المنطقة العسكرية في جنوب شرقي ميسوري.

خاض جرانت أول تجربة قتالية في الحرب الأهلية وحقق نصراً محدوداً في بلمونت (Belmont) بولاية ميسوري. ولم ينل اهتمام الرئيس لنكولن والجيش النظامي، إلا بعد أن أدى تنسيقه المميز لمجهود القوات البحرية والبرية إلى الاستيلاء على قاعدتي هنري ودونلسون التابعتين للقوات الكونفيدرالية في

شباط ـ فبراير 1862. وأصبح مطلب الاستسلام بلا شروط الذي فرضه جرانت على قائد القوات المتمردة في قاعدة دونيلسون، هو اللقب المرادف لاسمه.

تلقى جرانت في ربيع عام 1862 ترفيعاً إلى رتبة لواء وعين قائداً لجيش ولاية تنسي. وفي 6 نيسان ـ إبريل من العام نفسه فاجأ جيش الكونفيدراليين الذي يقوده الجنرال ألبرت سيدني جونستون (Albert Sidney Johnston) القوات الاتحادية في مدينة شيلوه (Shiloh) بولاية تنسي، ولكن جرانت تمكن من حشد قواته وقام بصد هجوم المتمردين.

قام جرانت عقب معركة شيلوه بتنفيذ العديد من المناورات التي أظهرت براعته في التكتيك الميداني؛ فقد استخدم أسلوب الحركة السريعة والهجومية ليحقق الانتصار في خمس معارك متتالية ضد قوات أكثر عدداً في المسيسبي أثناء تحرك جيشه نحو فايكسبيرج(Vicksburg). وقام جرانت مرة أخرى بالتنسيق مع الأسطول البحري الأميركي على نهر المسيسبي، وفي حزيران ـ يونيو أصبحت فايكسبيرج مطوقة من ناحية البحر والبر. استسلمت المدينة أمام قوات جرانت في 4 تموز ـ يوليو، مما مكن للقوات الاتحادية فرض سيطرتها الكاملة على نهر المسيسبي وتقسيم المنطقة التي تسيطر عليها القوات الكونفيدرالية إلى قطاعين.

وبعد معركة فايكسبيرج تلقى جرانت أخيراً تعييناً في الجيش النظامي الأميركي، وتم ترفيعه إلى رتبة لواء وتعيينه قائداً لفرقة المسيسبي العسكرية المشكلة حديثاً. وبعد حملة قصيرة تمكن من الاستيلاء على تشاتانوجا (Chattanooga) وكسر الحصار الذي فرضه المتمردون على تلك المدينة، بعد أن حقق نصراً حاسماً في منطقة لوك أويت ماونتين (Lookout Mountain). ولم يتوقف جرانت عند ذلك الحد بعد تحقيق النصر، بل واصل مطاردة قوات المتمردين المنسحبة.

ظل الرئيس لنكولن يبحث طيلة ثلاث سنوات عن قائد يستطيع حسم الحرب وحماية الاتحاد، ووقع اختياره في عام 1864 على جرانت لتلك

المهمة. وفي 9 آذار ـ مارس من العام نفسه أصدر أمراً بترفيعه إلى رتبة فريق وعينه قائداً عاماً للقوات الاتحادية. ورد الرئيس لنكولن على ضباط الجيش النظامي الذين لا يحتفظون بكذريات إعجاب لجرانت وعلى مواطنيه المدنيين الذين لم ينسوا فترة إدمان جرانت للخمر بمجرد القول «أحتاج هذا الرجل، فهو مقاتل فذ».

لم يخيب جرانت ظن الرئيس لنكولن فيه، وباشر مسؤولياته على الفور؛ فأدار العمليات الحربية الكاملة لقوات الاتحاد من قلب الميدان، واستخدم البرق كوسيلة للاتصال. ولأنه يعرف أن الولايات الجنوبية لا تستطيع مجاراة الولايات الشمالية في توفير القوى البشرية والموارد الأخرى، فقد شرع جرانت يشن حرب استنزاف (مواصلة وامتداداً لخطة أناكوندا التي قدمها وينفيلد سكوت في بداية الحرب الأهلية). وأصدر جرانت أوامره إلى وليم شيرمان (William T. Sherman) بالتوجه إلى أطلنطا، وأمر فيليب شريدان (Philip Sheridan) بتحييد قوات المتمردين في وادي شناندوه (Shenandoah)، بينما رافق بنفسه جيش جورج ميغد (George Mead) المنطلق من منطقة نهر بوتوماك (Potomac)، للقتال ضد المتمردين في ريتشموند (Richmond) وضد جيش روبرت لي في فرجينيا. ولم يحقق جرانت النصر في حملته على الرغم من خوضه سلسلة من المعارك الضارية في ويلدرنس (Wilderness) وسبوتسلفانيا (Spotsylvania) وكولد هاربر (Cold Garbor). وفي الواقع كان لي منافساً له، بل تفوق عليه في الأداء الميداني أحياناً. ولكن استمرت القوات الكونفيدرالية في تكبد الخسائر التي لم تتمكن من تعويضها، وأجبرت على التحول إلى وضعية رد الفعل على تحركات جرانت بدلاً من امتلاك زمام المبادرة.

وفي حزيران ـ يونيو 1864 تمكن جرانت من تطويق قوات لي في مدينة بطرسبرج بولاية فرجينيا، واستمر ذلك الحصار حتى يوم 1 نيسان ـ إبريل 1865، عندما حقق جرانت النصر في معركة فايف فوركس (Five Forks) مخترقاً دفاعات الميمنة لقوات لي ليجبره على الانسحاب. وأرسل جرانت قوات

في محاذاة خط انسحاب قوات لي المنحسبة نحو الغرب وأمر شريدان بقطع خط انسحابها. وصل لي إلى منطقة أبو ماتوكس كورت هاوس (Appomattox Court House) في 9 نيسان - إبريل، واستسلم هناك بعد أن أدرك أنه لن يستطيع مواصلة القتال ضد جرانت. وتبعه في الاستسلام ما تبقى من قوات المتمردين في كل مناطق الولايات الجنوبية خلال الأسابيع القليلة التي تلت ذلك.

ظل جرانت في الجيش بعد انتهاء الحرب، وفي عام 1866 أقر الكونجرس ترفيعه إلى رتبة فريق أول، وكان القائد الوحيد الذي وصل إلى تلك الرتبة في الجيش منذ عام 1799. وبعد أن خاض جرانت الانتخابات الرئاسية مرتين، فاز في المرة الأولى فقط عام 1868 ليصبح رئيساً للولايات المتحدة الأميركية، ولكن حاصرته الفضائح التي شملت الفساد الإداري الذي تورط فيه بعض المسؤولين المعينين سياسياً - ولم يكن هو طرفاً فيه - خلال فترة رئاسته؛ لتؤكد نجاحه كقائد عسكري وفشله في دور رجل الدولة.

خاض جرانت حملة انتخابية ثالثة في عام 1879، ولكنه لم ينجح فيها. وانتقل بعد ذلك إلى مدينة نيويورك، ودخل هناك عالم الأعمال الخاصة، ولكنه خسر كل ثروته في مغامرة مشروع استثمار مصرفي ليثبت بذلك عدم تحسن مهاراته التجارية. وأصيب جرانت بسرطان الحلق وقضى أيامه الأخيرة في كتابة سيرته الذاتية التي فرغ منها قبل أربعة أيام من موته؛ إذ توفي 23 تموز - يوليو 1885 وهو في الثالثة والستين بمنطقة ماونت جريجور (Mount Gregor) في ولاية نيويورك. وحقق الكتاب الذي صدر بعد وفاته نجاحاً كبيراً ووفرت عوائده دخلاً كبيراً عاشت عليه أسرته فيما بعد.

لم تكن شخصية جرانت العسكرية، بقامته القصيرة وتكوينه الجسماني الممتلىء وتحدب كتفيه، تثير إعجاب أي فرد. وعلى الرغم من فشله في كل الأنشطة الأخرى التي حاول ممارستها، فإنه يعتبر من أبرز القادة العسكريين في التاريخ. فقد تكبد خسائر كبيرة وكان مفرطاً في شرب الخمر، ولكنه حقق

النصر في أكبر حرب حاسمة بين أنصار التقسيم والوحدة في تاريخ الولايات المتحدة الأميركية، وهي الحرب التي ضمنت بقاء الاتحاد وإلغاء تجارة الرقيق.

لم يكن جرانت محبوباً مثل لي، كما لم تكن له الشهرة التي كسبها كل من ستيوارت (J. E. B. Stuart) وشريدان، ولكنه أثبت صحة ما ذهب إليه الرئيس لنكولن عندما قرر اختياره لحسم الحرب الأهلية. فقد برهن على قدرته على القتال ليبين أنه كان القائد المناسب في الوقت المناسب. ويعتبر أسلوب «الحرب الشاملة» واستمرار وحدة الولايات المتحدة الأميركية من الإنجازات التي خلفها جرانت. ولولا قيادته المتميزة لكان من الممكن أن تظل الولايات المتحدة الأميركية على ما كانت عليه من تجزئة، ولربما لم تكن لتتبوأ مطلقاً المكانة التي وصلت إليها كقوة عظمى.



سيبيو أفريكانوس

Scipio Africanus

قائد روماني

الإمبراطور العسكري

(حوالي 183 ـ 237 قبل الميلاد)

يصعب فصل الحقائق عن الروايات الوهمية فيما يتعلق بحياة سيبيو، وذلك لعدم توافر مصادر موثوقة حول أجزاء معينة من حياته. وهو يتحدر من سلالة شهيرة من القادة العسكريين الرومان، وورد ذكره لأول مرة في المراجع التاريخية لأحداث عام 218 قبل الميلاد. وذكر أنه قد اقتحم صفوف العدو في معركة نهر تايسينوس بشمالِ إيطاليا، لينجح في إنقاذ والده الجريح خلال المعركة التي خسرتها القوات الرومانية في مواجهة قوات هنيبعل القرطاجية.

فقدَ سيبيو في الحروب التي جرت ضد القوات القرطاجية خلال السنوات اللاحقة والد زوجته وأخاه وعمه ثم أباه. ويبدو أن تلك الخسائر ـ بالإضافة إلى

ما وقع من تدمير شامل للجيوش الرومانية أمام قوات قرطاج المتفوقة ـ هي الأسباب التي دفعته إلى تكريس حياته للثأر لأقاربه ومواطنيه. وتحقيقاً لهذا الهدف عكف سيبيو على دراسة فنون الحرب، وركز على استيعاب تكتيكات عدوه هنيبعل. وتوصل إلى ضرورة الانتقال لمواجهة القرطاجيين في عقر دارهم بدلاً من انتظار هجومهم.

نال سيبيو منصباً قيادياً عسكرياً بفضل قدراته إلى جانب انتمائه العائلي. وفي عام 209 قبل الميلاد وصل إلى إسبانيا على رأس جيش يضم 28 ألفاً من جنود المشاة وثلاثة آلاف من الفرسان. ولم يوجه هجومه الأول ضد جيش قرطاج الميداني، بل استهدف ميناء قرطاج الجديد الذي يعتبر قاعدة إمداداً أساسية. وبعد حرمان عدوه من المؤن والتعزيزات، توقف ليتلقى جنوده المزيد من التدريب وليعلم ضباطه كيفية التصرف المستقل في ميدان المعركة، وساعدت التدريبات المكررة وجرعات الانضباط المكثفة على إعداد الجيش الروماني للقيام بالمناورات الصعبة لاستغلال نقاط ضعف العدو. وأدخل سيبيو أيضاً تشكيلات قتالية قوية على الأجناب للمساعدة على الحركة واستغلال ضعف العدو. وقد حرص سيبيو على تلبية الاحتياجات الشخصية لجنوده وسلحهم بالسيوف الإسبانية الجيدة المصنوعة من الصلب، مكافأة لهم على التزامهم وطاعتهم.

تمكن القائد الروماني سيبيو أفريكانوس من هزيمة القائد القرطاجي المعروف هينبعل، وكسبت روما بموجب ذلك الانتصار «الحرب الفونية الثانية»، أو حرب قرطاج الثانية (201 ـ 218 قبل الميلاد). وأثبت سيبيو براعته في مجال التدريب وفرض الانضباط، وكان مجدداً في التكتيك والتخطيط الاستراتيجي.

خاض سيبيو خلال الفترة 206 ـ 208 قبل الميلاد سلسلة من المعارك الناجحة في أنحاء إسبانيا ضد قوات قرطاج. فقد هاجم عام 206 قبل الميلاد الجزء الرئيسي من القوات القرطاجية المتبقية في منطقة إيلبا (Ilipa) بالقرب من أشبيلية. وعلى الرغم من التفوق العددي للقوات القرطاجية التي ضمت خمسين

ألف جندي على القوات الرومانية التي بلغ تعدادها أربعين ألف جندي، فقد تمكن سيبيو من تجنب تلك الأفضلية بفضل قيامه بهجوم صباحي مفاجىء وتحريك قواته لتطويق أجناب العدو. واعتمد نجاح ذلك التكتيك المعقد على ارتفاع مستوى التدريب والانضباط بين جنوده.

وعقب عودة إسبانيا إلى السيطرة الرومانية مرة أخرى، أصبح جيش سيبيو يعامله كإمبراطور، وكانت تلك أول معاملة على ذلك النحو لقائد روماني. عاد سيبيو إلى روما حيث قرر القيام بغزو شمال أفريقيا بدلاً من مواجهة هنيبعل الذي كان يحتل الجزء الشمالي من إيطاليا حتى ذلك الوقت. ووصل سيبيو إلى موطن القرطاجيين في شمال أفريقيا عام 204 قبل الميلاد، واستطاع بمساعدة من فرسان الزعيم النوميدي (Numidian Chief) المحلي، ماسينيسا (Masinissa) أن يكسب عدداً من المعارك الخاطفة، كما استمر في استخدام الهجمات المفاجئة، وتظاهر في إحدى المرات بالتفاوض السلمي ليكسب التفوق في المعركة.

وطبقاً لما توقعه سيبيو فقد استدعت حكومة قرطاج القائد هنيبعل من إيطاليا للدفاع عن الدولة. ولم يتح سيبيو للجيش القرطاجي العائد الوقت اللازم للراحة أو لإعادة تنظيم صفوفه، وقام بشن هجوم فوري عليه. وبعد عدد من المناوشات الصغيرة تقابل القائدان الكبيران بجيشيهما في معرة زاما (Zama) عام 202 قبل الميلاد، وتمكن سيبيو من هزيمة هنيبعل باستخدام أرتال المشاة وتحريك سلاح الفرسان لتطويق الأجناب. وبلغت خسائر قوات قرطاج خمسة عشر ألفاً من القتلى وما ينيِّف على ذلك من الأسرى، بينما لم تتعد خسائر الرومان وحلفائهم ستة آلاف جندي فقط.

انسحب هنيبعل مع القلة المتبقية من جنوده إلى قرطاج والتمسوا السلام مع الرومان، وانتهت حرب قرطاج الثانية بسيطرة روما على منطقة البحر الأبيض المتوسط، وبخروج الأمبراطورية الرومانية منتصرة لتصبح أقوى إمبراطورية في العالم القديم.

عاد سيبيو إلى روما كبطل معزز، وكافأه مجلس الشيوخ بمنحه لقب

«أفريكانوس» (Africanus) أي قاهر أفريقيا. وبعد فترة من التقاعد الوجيز عاد سيبيو ليشارك في الحملة الحربية ضد سوريا عام 190 قبل الميلاد قبل العودة إلى موطنه بعد ثلاث سنوات. وتوفي وهو في منتصف الخمسينات من عمره بمنطقة ليترنم (Liternum) عام 183 قبل الميلاد.

على الرغم من أن سيبيو لم يحقق الشهرة نفسها أو القدر ذاته من الاهتمام الذي حظي به خصمه هنيبعل الأكثر نفوذاً، فقد انتصر عليه في المواجهة الكبيرة الوحيدة التي جمعت بينهما. كان سيبيو قائداً جريئاً وشجاعاً، واستطاع فرض الانضباط على جنوده وكسب احترامهم وولائهم. وعندما كان أسلوب القتال المباشر هو السائد، قدم سيبيو فكرة الحرب باستخدام أسلوب المناورة المتمثلة في تنظيم ونشر الفرسان الرومان للقيام بالهجمات على أجناب العدو واختراق مؤخرة قواته. وهو يحتل بجدارة مكانته بين قادة روما العظام، بل يعتبر أبرز قائد روماني في الحقبة السابقة ليوليوس قيصر.



هوراشيو نيلسون

HORATIO NELSON

قائد بريطاني

أصغر عقيد بريطاني

(1805 - 1758)

ولد نيلسون في 29 أيلول - سبتمبر 1758، في بيرنهام ثورب (Burnham Thorpe) بمنطقة نورفوك (Norfolk) بإنجلترا، وقضى السنوات الخمس الأولى من عمره مع عائلته المتدينة قبل أن يتجه إلى العمل في البحر وهو في العشرين من عمره قيادة فرقاطة إنجليزية، فأصبح أصغر عقيد بحري في تاريخ البحرية الملكية البريطانية. وخدم نيلسون أغلب الوقت خلال فترة العقد التالي بمنطقة جزر الهند الغربية، وقاتل خلالها ضد المتمردين أثناء الثورة الأميركية.

انتقل نيلسون بعد اندلاع الحرب مع فرنسا عام 1793 إلى الأسطول العامل في البحر الأبيض المتوسط، وكسب خلال الاثنتي عشرة سنة التالية شهرة و

اسعة وأصبح بطلاً قومياً. فقد تولى في المرحلة الأولى قيادة السفينة الحربية أجاميمنون (Agamemnon)، وخدم في المياه الإقليمية لجزيرة كورسيكا. وتعرض نيلسون لأول إصابة أفقدته عينه اليمنى أثناء قيادته لعملية هجوم برمائي ضد كالفي (Calvi) عام 1794.

قابل نيلسون أثناء وجوده بمنطقة البحر الأبيض المتوسط السيدة إيما هاملتون (Lady Emma Hamilton) زوجة السفير البريطاني في نابولي. ومع أنه كان متزوجاً فقد دخل معها في علاقة امتدت طويلاً وساعدته على تحقيق المزيد من الشهرة والنجاح؛ فقد عملت على حث أصدقائها النافذين في لندن لترفيع نيلسون إلى المناصب والدرجات الأعلى في حياته المهنية كلما سنحت الفرصة بذلك.

وعلى الرغم من استفادة نيلسون من المساعدات التي قدمتها له السيدة هاملتون في التقدم أثناء خدمته، فإن الشجاعة والقدرات القتالية التي غرسها في مرؤوسيه كانت مميزة في حد ذاتها. فقد أبحر نيلسون في 14 شباط ـ فبراير 1797 بسفينته الحربية «القبطان» (Captain) ذات الأربعة والسبعين مدفعاً ليواجه السفينة الإسبانية سانتسيما ترينداد (Santissima Trinidad) ذات المئة والثلاثين مدفعاً ـ وهي أكبر سفينة حربية على مستوى العالم في تلك الحقبة ـ وتمكن من التغلب على السفينة سان نيكولاس (San Nicolas) ذات الثمانين مدفعاً والاستيلاء عليها. وساهم أداء نيلسون بقدر كبير في تحقيق النصر بمعركة رأس سان فنسنت (Caps St. Vincent) وأكسبه ترفيعاً إلى رتبة لواء بحري كما منح لقب فارس.

يعتبر هوراشيو نيلسون أبرز أميرال عرفه التاريخ لدوره القيادي في تحقيق التفوق التام للبحرية الإنجليزية خلال فترة القرن التاسع عشر بأكملها. فقد كان شجاعاً وصلباً ومحبوباً بين مرؤوسيه، وهو الذي وضع أسس العمل والتقاليد التي لا تزال متبعة في البحرية الملكية حتى اليوم. وكان حامل وسام «فارس الأسلحة» (The Garter King pf Avms) قد وصف نيلسون أثناء مراسم دفنه

على أبلغ نحو بأنه «البطل الذي سقط في لحظة النصر متوشحاً بالمجد والخلود».

تعرض نيلسون في شهر تموز ـ يوليو من العام نفسه لإصابة أخرى نجم عنها بتر ذراعه اليمنى، وذلك خلال قيامه بهجوم جريء وفاشل بالقوارب الصغيرة بغرض الاستيلاء على مدينة سانتا كروز في جزر كناري. وفي عام 1798 عاد نيلسون بعد شفائه إلى البحر الأبيض المتوسط، ليطارد الأسطول الفرنسي المساند لحملة نابليون المتجهة إلى غزو مصر. كان الجيش الفرنسي قد وصل إلى خليج أبوقير قبل وصول نيلسون، وبرغم ذلك تمكنت السفن الحربية البريطانية في المعركة التي جرت في 1 آب ـ أغسطس من تدمير إحدى عشرة سفينة من أصل ثلاث عشرة سفينة فرنسية، دون أن تتكبد القوات البريطانية أي خسائر. وقد أجبر ذلك الانتصار جيش نابليون على التراجع عن خطته لغزو مصر.

أصيب نيلسون بجرح في رأسه خلال المعركة التي خاضها ضد الفرنسيين في المياه المصرية، ولكنه أتبع انتصاره بعملية قتالية ناجحة لإجلاء القوات الفرنسية من نابولي وإعادة العائلة المالكة للحكم. ثم عاد بعد ذلك إلى إنجلترا، وانفصل عن زوجته ليواصل علاقته العاطفية بالسيدة هاملتون في العلن.

التحق نيلسون، الذي وصل إلى رتبة فريق بحري عام 1801، بالقوات العاملة تحت إمرة السير هايد باركر (Sir Hyde Parker)، وشارك في العملية التي نفذت ضد الدنمارك لإيقاف مساعداتها الاقتصادية لفرنسا. ففي 2 نيسان ـ إبريل من العام نفسه، قاد نيلسون اثنتي عشرة سفينة حربية واقتحم بها مرفأ كوبنهاجن الذي دافعت عنه ست عشرة سفينة دنماركية وبطاريات المدفعية الثقيلة المتمركزة على الساحل. وبدأت المعركة بقصف مكثف لم تشهده الحروب البحرية من قبل، وبعدما امتلأت السماء بقذائف المدفعية الثقيلة أرسل السير باركر إشارة لنيلسون يأمره فيها بالانسحاب. ورد نيلسون عند تلقيه تلك الإشارة

بوضع المقراب (التلسكوب) الذي كان يستخدمه في توجيه النيران على عينه التي لا ترى «المفقودة»، وقال لأحد مرؤوسيه «بقيت لي عين واحدة فقط، ولدي الحق في أن أعمى عن رؤية الأمور أحياناً»، ثم واصل القتال بعد ذلك، وتمكن من تحقيق النصر في النهاية. ولم يعاقب بالتأنيب على مخالفة الأوامر كما كان متوقعاً، بل كوفىء بمنحه رتبة نبيل بدرجة فيكونت (Viscountcy) [أدنى من الكونت وأعلى من البارون].

ساهم الانتصار الذي حققه نيلسون بكوبنهاجن في تحقق هدنة قصيرة بين فرنسا وإنجلترا، ولكنهما عادا للمواجهة في عام 1803؛ فقد أبحر نيلسون بأسطوله إلى البحر الأبيض المتوسط مرة أخرى واعترض الأسطول الفرنسي ودفعه إلى محاصرته في طولون. وتمكن الفرنسيون في عام 1805 من تفادي الحصار مستغلين تبدل الطقس إلى الأسوأ، وقام نيلسون بمطاردتهم في المحيط الأطلسي وفي طريق العودة منه. وتمت المواجهة بالقرب من كاديز (Cadiz) حيث تلقوا المساندة من أسطول إسباني وانضمت إليهم قواتهم البرية للاستعداد لغزو إنجلترا.

كان الأسطول الفرنسي ـ الإسباني متفوقاً على أسطول نيلسون في عدد السفن المسلحة؛ إذ ضم ثلاثاً وثلاثين سفينة مقابل سبع وعشرين فقط. ورغم ذلك أعد نيلسون خطة مفصلة ووزعها على قادة السفن، وبث رسالة من سفينة القيادة فيكتوري (Victory) التي كان على متنها، جاء فيها: «إن إنجلترا تنتظر من كل فرد منكم أن يؤدي واجبه». ثم باشر القتال بعد ذلك، وتقابل الأسطولان على مقربة من رأس الطرف الأغر بإسبانيا في 21 تشرين الأول ـ أكتوبر 1805، وسارت أحداث المعركة طبقاً لخطة نيلسون. فقد تحرك البريطانيون ليخترقوا خطوط العدو بين السفينتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة، ثم أغرقوا أو استولوا على تسع عشرة سفينة من سفنه ولم يخسروا سوى سفينة واحدة فقط. هيمنت البحرية البريطانية بعد ذلك على البحار طيلة المئة سنة التالية، واستقرت أحلام نابليون المتطلع لغزو بريطانيا في قاع البحر عند الطرف الأغر.

لم يكتب لنيلسون العيش لينعم بحلاوة أكبر انتصار له؛ ففي المرحلة الأولى من القتال، تمكن قناص فرنسي متمركز على صارية إحدى السفن المجاورة من إصابة نيلسون بطلقة بندقية قاتلة، ومات الأميرال الكبير وهو يقول: «الآن أنا مرتاح، واشكر ربي، فقد أديت واجبي»، وحُمل جثمان نيلسون إلى لندن لدفنه في كاتدرائية القديس بولس.



جون فريدريك تشارلز فولر

John Frederick Charles Fuller

قائد بريطاني

قائد الدبابة الأولى

(1878 - 1966)

ولد فولر في 1 أيلول ـ سبتمبر 1878 بمدينة إتشنور (Itchenor) بجنوب إنجلترا لأب كاهن وأم فرنسية تلقت تعليمها في ألمانيا، وتخرج في كلية ساندهيرست العسكرية عام 1898. وبعد فترة خدمة قصيرة في إيرلندا، انتقل مع كتيبته إلى جنوب أفريقيا عام 1899، حيث قاد الوحدة المؤلفة من المشاة البريطانيين والجنود السود من السكان المحليين في الحرب ضد البوير.

عاد فولر عقب الحرب إلى إنجلترا، وقضى فيها خمسة عشر عاماً مع كتيبته، كما تم إلحاقه بعدد من المعاهد العسكرية، ولم يغادر للخارج إلا لقضاء مدة خدمة في الهند. اهتم فولر خلال تلك الفترة بدراسة مبادىء الحرب

وأصولها، ووضع نظرية تعتمد أسلوب الاختراق التكتيكي بدلاً من هجوم الالتفاف كعامل رئيسي لتحقيق النصر في المعارك القادمة. كما عكف على نشر تلك الأفكار عن طريق كتابة مقالات في المجلات والمطبوعات المتخصصة تناول فيها موضوعات التعبئة العسكرية والتدريب وانتشار القوات. وقوبلت تلك الكتابات التي صاحبها اهتمامه بالسحر والتنجيم بالانتقادات ومعارضة لخصومه الذين هاجموها بشدة.

يعتبر جون فولر أبرز محلل عسكري في القرن العشرين؛ إذ يعود إليه الفضل في تطوير عمليات المدرعات وتقديم النظريات الملهمة في مجال الحرب الحديثة. وكان لكتاباته حول المعضلات التكتيكية والجوانب السياسية والاجتماعية للحرب والتاريخ العسكري أثر مهم على القادة أثناء الحرب العالمية الثانية والفترة التي تلتها.

خدم فولر خلال الفترة الأولى من الحرب العالمية الأولى في مناصب أركان مختلفة بفرنسا، وأكد على تمسكه بفكرته التي ترى بأن الاختراق هو مفتاح النصر، ولكنه أشار إلى عدم توافر السلاح الذي يستطيع اختراق خطوط العدو الأمامية، وبخاصة مع سيطرة أسلوب الخنادق والقتال بالرشاشات واستخدام موانع الأسلاك الشائكة والمدفعية الثقيلة. وبعد تعرفه على الدبابات للمرة الأولى عام 1916، أدرك فولر أنها توفر الوسائل اللازمة لتنفيذ اختراق ناجح.

انضم فولر إلى سلاح المدرعات البريطاني عند تشكيله في كانون الأول ـ ديسمبر 1916، وتم تعيينه رئيس أركان للسلاح الجديد وتم ترفيعه إلى رتبة مقدم. ومن ثم قام بتخطيط أول هجوم مكثف بالدبابات، وتمكن من اختراق خطوط الألمان وانتصر عليهم في معركة كانبري التي جرت في 20 تشرين الثاني ـ نوفمبر 1917. ودشنت تلك المعركة عصر حرب المدرعات وأبرزت أهمية الدبابات من حيث أنها سلاح ميداني رئيسي.

واصل فولر العمل مخططاً رئيسياً لعمليات المدرعات البريطانية ووضع

الخطة التي أطلق عليها اسم خطة 1919 من أجل الهجوم الحاسم لإنهاء الحرب. وتضمنت خطة 1919 تنفيذ هجوم اختراقي باستخدام أكثر من أربعة آلاف دبابة سريعة وحديثة ولديها القدرة على القيام بعمليات على مدى طويل. ومع انتهاء الموجة الأولى من تنفيذ الاختراق، تقوم ألف دبابة أخرى باستغلال الثغرة والتغلغل في عمق منطقة العدو لتدمر مراكز القيادة والسيطرة فيها. وتوفر الطائرات الإسناد الجوي للهجوم كما تقوم بشل مراكز الإمداد والتموين وتدمير وحدات التعزيز التابعة للقوات الألمانية. ووضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها قبل أن ينتهي فولر من تنفيذ خطة عام 1919، ولكن تلك الخطة أدخلت فكرة لحرب الخاطفة أو الاختراق والقتال في عمق خطوط العدو، التي هيمنت على المراحل المبكرة من الصراع العالمي التالي إبان الحرب العالمية الثانية.

عاد فولر عقب الهدنة إلى إنجلترا ونجح في إقناع أهل القرار بتشكيل سلاح المدرعات الملكي البريطاني بصفة دائمة. وهكذا فقد أضاف إلى خصومه في فترة ما قبل الحرب أعداء جدداً، هم قادة سلاح الفرسان البريطاني الذين عارضوا فكرة استبدال آليات من الحديد بخيولهم. ورد فولر الذي اعتاد مثل ذلك الجدل بالقول: «ليس هناك ما يستعصي على العلم، علينا نحن العسكريين أن نمسك بهذه العصا السحرية وأن نطوع المستقبل».

عمل فولر أيضاً على توسيع كتاباته لدعم نظرياته العسكرية؛ فقد احتوى كتاباه «الدبابات في الحرب الكبرى» Tanks in the Great War الصادر عام 1920، وكتابه «إصلاح الحرب» The Reformation of War الصادر في عام 1923 على العديد من الأفكار التي تدعو إلى تطبيق فنون وأساليب معينة في حرب المدرعات متناقضة مع العقيدة والتطبيقات العسكرية السائدة حينها. لكن القادة العسكريين في أنحاء العالم اعتبروا كتب فولر متطرفة وخيالية فيما تدعو إليه. وفي عام 1926 أصدر فولر المحاضرات التي ألقاها في كلية القيادة والأركان التي أصبح قائداً لها، في كتاب بعنوان «أسس علم الحرب» Foundations of the Science of War. كوّن فولر خلال هذه الفترة علاقة

صداقة وأصبح المعلم لزميله المنظر العسكري بازل ليدل هارت، والذي شاركه أفكاره طيلة الفترة المتبقية من حياته باستثناء فترة قصيرة من الخلاف لأسباب سياسية.

انضم فولر إلى هيئة الأركان العامة الإمبراطورية عام 1926 وواصل العمل في كتاباته. وتمسك بدعوته إلى اتباع أسلوب الاختراق في القتال وأغضب رؤساءه ومؤيديه بتأكيده على عدم جدوى الاعتماد على الدفاعات الثابتة. كما وصف خط ماجينو (Maginot Line) الذي أقامته فرنسا من التحصينات الدفاعية الثقيلة بأنه سيصبح «شاهد قبر على ضريح فرنسا»، وصدَقَ توقعه. واعتذر فولر في عامي 1927 و1930 عن قبول مهام قيادية وتقاعد عن الخدمة في الجيش وهو برتبة لواء عام 1933. وحقق كتابه الأخير «**لوائح الميدان جزء 3**» Field Regulations III الذي صدر عام 1932 أثناء وجوده في الخدمة، والذي فسر فيه اقتناعه الراسخ بالنجاح المستقبلي لحرب المدرعات نجاحاً كبيراً خارج بريطانيا، ووجه الجيشان السوفياتي والألماني هيئة الأركان العامة في كل منهما لدراسته والاستفادة منه.

دخل فولر عالم السياسة لفترة وجيزة بعد تقاعده كمرشح للبرلمان، وتعكس كتاباته خلال هذه الفترة عداء مغلفاً للسامية. كما التحق بصحيفة «**ديلي ميل**» اللندنية التي عمل كمراسل حربي لها، وقام بتغطية الغزو الإيطالي لأثيوبيا والحرب الأهلية في إسبانيا. وعند دخول بريطانيا الحرب العالمية الثانية، تقدم بطلب للعودة إلى الخدمة العاملة، ولم يتم استدعاؤه قط بالرغم من أن الحلفاء والأعداء على السواء قد درسوا وطبقوا نظرياته طيلة فترة الحرب.

اتجه فولر إلى الكتابة في مجال التاريخ العسكري بعد انتهاء الحرب وتحقق السلام. ويعتبر كتابه «**التسلح والتاريخ**» Armament and History الصادر عام 1946 دراسة رائعة للعلاقة بين تطور الأسلحة والأحداث التاريخية، بينما يغطي مؤلفه المكون من ثلاثة مجلدات «**التاريخ العسكري للعالم الغربي**» Military History of the Western World الصادر في الفترة 1954 ـ 1956

التطورات العسكرية منذ حقب سالفة وحتى فترة الحرب العالمية الثانية. توفي فولر في 10 شباط ـ فبراير 1966 بمدينة فالميث (Falmouth) بإنجلترا وهو في السابعة والثمانين من عمره، وخلف وراءه أكثر من أربعين كتاباً ومئات من المقالات التي كان قد نشرها في الصحف والمجلات.

يعتبر فولر الذي أطلق عليه لقب «بوني» (Boney) بسبب صغر بنيته الجسمانية وطبيعته المهيمنة مفكراً بارعاً في التكتيك والتخطيط الاستراتيجي، وأثرت أفكاره حول فنون المناورة والقتال بالمدرعات في أغلب القادة العسكريين الذين عاشوا في عصره.

وكان مفكراً أصيلاً بحق؛ لتميزه عن العسكريين العاديين بذكائه المفرط وجرأته في التعبير عن أفكاره. ولا يزال تأثيره باقياً حتى اليوم من خلال مؤلفاته الشخصية ثم كتابات رفيقه ليدل هارت. وعلى الرغم من سريان أفكاره حول أهمية الاستفادة من قدرات القوات المدرعة للقيام بالاختراق واستغلال النجاح لتدمير العدو، فإن نظرياته الحربية لم تحقق القدر ذاته من العالمية التي وصلت إليها نظريات رفاقه المنظرين كارل فون كلاوسفيتس وأنطوان هنري جوميني وسون تسو.



هنري دولاتور دو آفورن دو تورين

Genri de La Tour d'Auvergne de Turenne

قائد فرنسي

القائد السياسي

(1675 - 1611)

ولد تورين في عائلة عسكرية بمدينة سيدان (Sedab) في 11 أيلول - سبتمبر 1611، والتحق بالخدمة عام 1625 جندياً في الجيش الذي كان يقوده عمه الجنرال الهولندي موريس الناساوي (Maurice of Nassau). وبالإضافة إلى تعلم مهارات الجندية الأساسية، عكف تورين على دراسة السيرة المهنية لكل من يوليوس قيصر والإسكندر الأكبر. وخاض أول تجربة قتالية وتميز بإظهار شجاعته الشخصية في حصار بويلادوك (Bois-le-Duc) عام 1626، وهو في الرابعة عشرة من عمره، وتم ترفيعه إلى رتبة نقيب في العام التالي.

وفي عام 1930 انتقل تورين وهو في التاسعة عشرة من عمره إلى الخدمة

في الجيش الفرنسي، وتولى قيادة كتيبة مشاة وهو برتبة عقيد. ووفرت حرب الثلاثين عاماً فرصة طيبة بالنسبة إلى عسكري محترف، وهي فرصة اغتنمها تورين. فقد ظل يحارب الإسبان لمدة أربع سنوات، ونال الثناء على قيامه بالهجوم والاستيلاء على قلعة لا موت (La Motte) الحصينة. ومن ثم خاض قتالاً على امتداد نهر الراين وتقدم إلى داخل إيطاليا. واستمر تورين يقاتل خلال عقد كامل واكتسب سمعته كقائد، يقيم كل الخيارات الممكنة ويتصرف بحرص وترو وليس باندفاع. وكان لا يهاجم حتى تتوافر له معلومات كافية عن العدو والتضاريس؛ ولذلك استمر في تحقيق الانتصارات على القوات المتفوقة عدداً بأقل عدد من الخسائر من جانبه.

يعتبر هنري دو لاتور دو آفورن دو تورين واحداً من أعظم القادة العسكريين في فرنسا خلال حرب الثلاثين عاماً (1618 ـ 1648) والحروب التي خاضها الملك لويس الرابع عشر. وكان تورين بارعاً في القيام بالمناورات التكتيكية غير التقليدية التي تعمل على تحقيق عنصر المفاجأة وكسب الأفضلية في القتال. كما كان يمتلك القدرة على تولي قيادة الجيوش المهزومة والمحبطة ثم حفزها إلى تحقيق النصر خلال فترة وجيزة. وأكسبته قدرته على هزيمة قوات أكبر عدداً بأقل عدد من الخسائر محبة جنوده واحترام رؤسائه. وينبع التأثير الذي تركه تورين من درجة احترافه وطول فترة حياته المهنية. فقد تمكن خلال حياته العسكرية التي استمرت خمسين عاماً من إدامة جيش مدرب ومنضبط تماماً، وحافظ به على استقلال بلاده.

أصيب تورين عام 1942 بنكسة سياسية وصودرت أراضيه عندما تورط شقيقه الأكبر في مؤامرة ضد الملك. ولكنه خرج من تلك النكسة واستعاد مكانته على الفور، مثلما ظل يفعل خلال الفترة المتبقية من حياته والتي شهدت العديد من التغييرات والمكائد السياسية. وفي عام 1643 تم ترفيعه إلى رتبة مشير فرنسا وعين قائداً لجيش فيمار (Weimar) في فرنسا، بينما لم يكن يتجاوز الثانية والثلاثين من العمر.

وصل تورين إلى مقر قيادته الجديد في بريساخ (Breisach) ووجد القوات

المكونة من عشرة آلاف فرد محبطة تماماً بسبب الهزيمة التي تعرضت لها أمام جيش فرانتس فون ميرسي (Franz von Mercy) البافاري في معركة توتلنجين (Tuttlingen) ووجد القوات المكونة من عشرة آلاف فرد محبطة تماماً بسبب الهزيمة التي تعرضت لها أمام جيش فرانتس فون ميرسي (Tuttlingen). وبينما كان يعمل على إعادة تنظيم جيشه وتدريبه انضم إليه قائد آخر هو لويس الثاني دي بوربون، أمير كونديه، وجلب معه تعزيزات قوامها سبعة رلاف جندي. قضى القائدان المرحلة المتبقية من حياتهما المهنية متوحدين وقاتلا معاً، ثم تبدل الحال ودخلا في قتال أحدهما ضد الآخر في مرحلة لاحقة بعد أن أصبح كل منهما من ضباط فرنسا العظام. وعلى الرغم من أن الأمير لويس الثاني قد جلب جيشاً أقل عدداً، فقد تولى القيادة الكلية بسبب مكانته الملكية الأعلى. ولم ييأس تورين من ذلك الوضع، بل واصل الخدمة واكتسب سمعة طيبة بفضل قدرته على العمل والتعاون مع مختلف القادة.

قاد تورين جيشه خلال الهجوم التالي عبر ممرات جبلية ضيقة، وهاجم الدفاعات البافارية من الخلف وانتصر في معركة فرايبورخ (Freiburg) عام 1644. وفي العام التالي تمكن تورين، بعد تعزيز جيشه بقوات حليفه الأمير لويس الثاني، من تحقيق نصر حاسم على البافاريين وقتل قائدهم فرانتس فون ميرسي خلال تلك المعركة. وفي تصرف أظهر صفات تورين الشخصية واحترامه لرفيق سلاح محترف، قام بعمل نصب تذكاري للقائد ميرسي في الموقع الذي سقط فيه.

تحرك تورين بجيشه سراً عام 1646 بمحاذاة نهر الراين، ثم اتجه نحو الجنوب الشرقي لينضم إلى الجيش السويدي في جيسن (Giessen). وكسب تورين بتحالفه الجديد معركة زوسمارزهاوزن (Zusmarshausen) عام 1648؛ مما أجبر بافاريا على التماس التوصل إلى سلام.

لم ينعم الجميع ومن ضمنهم تورين بالهدوء بعد انتهاء حرب الثلاثين عاماً؛ فقد أدت التجاوزات الملكية وفرض المزيد من الضرائب، بالإضافة إلى

الصراعات الإقليمية والعائلية التي يعود تاريخها إلى قرون ماضية إلى إشعال سلسلة من الثورات في فرنسا. وفقد تورين قوته في المرحلة الأولى بعد سلسلة من المعارك وفترات الهدنة والتحالفات الجديدة، واضطر إلى الهروب من البلاد، ثم عاد إلى موقعه القيادي عام 1651.

وفي خضم المزيد من التحولات التي طرأت بعد عام واحد، اختار تورين الوقوف مع الملك الشاب لويس الرابع عشر في مواجهة التمرد الذي قاده لويس الثاني أمير كونديه. وتواجه الصديقان والحليفان السابقان في سلسلة من المعارك خلال الفترة 1652 ـ 1653. وتمكن تورين وجيشه الموالي للملك من هزيمة أمير كونديه في كل تلك المعارك؛ مما حال دون انشقاق الفصائل المتمردة المختلفة، ومكن للملك تعزيز سلطانه الملكي وتحقيق استقرار حكمه.

لم يجلب ذلك الانتصار السلام لتورين؛ إذ استمر الإسبان في حالة الحرب ضد فرنسا. فقد تحالف مع جيش بريطاني واستغل انخفاض الأمواج ليناور بقواته على امتداد الساحل وقصف أجناب القوة الإسبانية في معركة دنكيرك عام 1658. وبعد معركة استمر فيها القتال أربع ساعات، تمكن تورين من قتل أو أسر 6500 جندي إسباني ولم تتجاوز خسائره أربعمائة جندي فقط. ومهد ذلك الانتصار الطريق أمام تورين للاستيلاء على أيبر وتهديد بروكسل وجنت، وهي المزايا التي مهدت للشروط المواتية لمصلحة فرنسا في معاهدة برانس عام 1659.

تم تعيين تورين عام 1660 مشيراً للجيوش والمعسكرات الخاضعة للملك. وعند اندلاع حرب التحالف الثلاثي عام 1672 قاد تورين الجيش الفرنسي على امتداد الضفة اليسرى لنهر الراين، وخاض خلال العامين التاليين سلسلة معارك ناجحة ضد الهولنديين والألمان. فقد قاد خلال شتاء عام 1674 ـ 1675 حملة فاجأ بها العدو ونتج عنها تحرير إقليم الألزاس من الاحتلال. وفي 27 تموز ـ يوليو من السنة نفسها، أصابت قذيفة مدفعية تورين وقتلته أثناء قيامه بمهمة استطلاع روتينية بالقرب من ساسباك (Saxback). وهكذا توفي تورين وهو في الرابعة والستين من عمره قبل أن يحقق النصر الكامل.

حقق تورين خلال نصف قرن من القتال سلسلة من الانتصارات المميزة. وفي الفترة التي سادت خلالها هيمنة السياسة على العسكريين المحترفين، نجح تورين في الفصل بين المجالين وظل يخدم بإخلاص كل من وصل إلى سدة الحكم والسلطة حينها. كما تفوق بأسلوبه في المناورة والذي تعزز بفضل استفادته من التضاريس واستخدام المسير السريع والقيام بالهجمات المفاجئة، وكسب إعجاب قواته لحرصه على تقليل الخسائر والحفاظ على القوة البشرية.



ألفريد ثاير ماهان

Alfred Thayer Mahan

قائد أميركي

كلاوسفيتس البحر

(1840 ـ 1914)

ولد ماهان في 27 أيلول ـ سبتمبر 1840 بمدينة ويست بوينت في ولاية نيويورك، حيث كان والده دينيس هارت ماهان (Dennis Hart Mahan)، معلماً بالأكاديمية العسكرية الأميركية. وكان والده يدرِّس نظريات أنطوان هنري جوميني لطلبة الأكاديمية الذين تولوا قيادة طرفي الحرب الأهلية الأميركية فيما بعد. اختار ألفريد ماهان تخصصاً مخالفاً لحياة الجندي المقاتل التي احترفها والده، وتقدم بطلب إلى الأكاديمية البحرية الأميركية وتم قبوله، وكان ترتيبه الثاني على دفعته التي تخرجت عام 1859.

تم ترفيع ماهان إلى رتبة ملازم أول بحري عام 1861 بعد فترة خدمة في

سرية اسمها سرية البرازيل. وكانت أول تجربة قتالية له في خلال الحرب الأهلية بمعركة بورت رويال ساوند (Port Royal Sound) بولاية كارولينا الجنوبية، كما شارك خلال مرحلة لاحقة في مهمة حصار مع سرايا جنوب الأطلسي والخليج الغربي (West Gulf). وكانت المدّة التي قضاها ماهان في الخدمة إبان الحرب عادية ولم يحقق في خلالها إنجازات بارزة، مثلها في ذلك مثل المهام الرتيبة التي قام بها طيلة السنوات العشرين التالية. فقد تدرج في الرتب حتى رتبة عقيد بحري خلال فترة قل فيها الاهتمام والاتفاق على البحرية الأميركية، وهي المدّة التي ركزت فيها الولايات المتحدة الأميركية أغلب جهدها على التوسع في أجزائها الغربية، والسيطرة على القبائل الهندية التي تعيش في السهول والبراري.

عمل ماهان عام 1885 محاضراً في لمادة التاريخ البحري والاستراتيجية البحرية بكلية الحرب البحرية التي كانت قد تأسست حديثاً بمدينة نيوبورت (New Port) في رود آيلاند (Rhode Island). وبذل جهداً ناجحاً للحفاظ على الكلية كمركز أكاديمي يدرس فيه كبار الضباط الجوانب التاريخية والنظرية للحرب البحرية، وذلك بدلاً من أن تتحول إلى مجرد مؤسسة عادية من منشآت التدريب البحري.

لاقت محاضرات ماهان استحساناً وقبولاً كبيراً، وقام في عام 1890 بجمعها في كتاب بعنوان «**تأثير القوة البحرية في التاريخ: 1600 ـ 1738**» The Influence of sea Power Upon History, 1600 ـ 1738، وحققت الأفكار الثاقبة التي تضمنها الكتاب عن القوة والاستراتيجيجة البحرية الشهرة الفورية لماهان داخل الولايات المتحدة الأميركية وفي خارجها. كما أصدر بعده بعامين ملحقاً بعنوان «**تأثير القوة البحرية في الثورة الفرنسية**» (The Influence of Sea Power Upon the French Revolution) حيث حقق شهرة واسعة.

عاد ماهان بعد مدة وجيزة من عمله في البحر ليعمل قائداً لكلية الحرب البحرية في خلال المرحلة 1892 ـ 1893. ومن ثم تولى قيادة السفينة «شيكاغو»

في رحلة إلى أوروبا حيث لقي خلالها تكريماً عاماً في إنجلترا تقديراً لكتاباته القيمة، ثم عاد مرة أخرى للعمل في كلية الحرب البحرية قبل أن يتقاعد عن الخدمة عام 1896. وفي عام 1898 تم استدعاؤه للخدمة خلال الحرب الأميركية ـ الإسبانية، وعمل عضواً لمجلس الحرب البحرية واختير في مرحلة لاحقة كمندوب ممثل للولايات المتحدة في مؤتمر السلام الذي عقد بمدينة لاهاي عام 1899. وقد رئس ماهان جمعية المؤرهين الأميركيين عام 1902، وتم ترفيعه وهو على قائمة المتقاعدين إلى رتبة لواء بحري عام 1906.

استمر ماهان في تأليف الكتب حول الاستراتيجية البحرية وتوثيق السير الذاتية لكبار القادة البحريين، ومنهم القائد الشهير هوراشيو نيلسون والقائد ديفيد جلاسجو فاراجيت (David glasgow Farragut). وتشمل أعماله البارزة كتباً منها **«اهتمام أميركا بالقوة البحرية بين الحاضر والمستقبل»** (The Interest of America in Sea Power, Present and Future) والذي صدر عام 1897، وكتاب **«القوة البحرية وعلاقتها بحرب عام 1812»** (Sea Power in Its Relations to the War of 1812) والذي صدر في عام 1905. وكتاب **«الاستراتيجية البحرية»** (Naval Strategy) في عام 1911. وتوفي ماهان وهو في سن الرابعة والسبعين في 1 كانون الأول ـ ديسمبر 1914 بمدينة واشنطن، ولا تزال مؤلفاته تطبع وتوزع حتى اليوم.

كان الرئيس تيودور روزفلت من المعجبين بماهان، وكان يستشيره كثيراً في الأمور المتعلقة بالبحرية. وساهمت نصائحه وكتاباته بصورة مباشرة في التوسع الذي أدخله روزفلت على البحرية الأميركية وتطويره لأسطول السفن المقاتلة. وكان المسؤولون من القوات البحرية في دول أخرى مثل بريطانيا العظمى وألمانيا واليابان قد اطلعوا على أعمال ماهان، وطبقوا العديد من نظرياته في مجال التخطيط الاستراتيجي والكثير من نصائحه حول بناء السفن.

وركزت الأفكار الرئيسة التي قدمها ماهان على قاعدة أساسية هي «السيطرة على البحر»، وقلل من أهمية الدفاع لدرجة أنه قد أوصى بإسناد مهمة حماية

السواحل والمواني إلى الجيش (القوات البرية) بدلاً من البحرية. ويرى ماهان أن امتلاك القدرة على نشر قوة بحرية حول العالم هو الشرط الأساسي لتحويل أي بلد إلى قوة دولية عظمى. وإضافةً إلى التأكيد على امتلاك القوة البحرية القادرة على الإبحار إلى أي مكان في أي وقت وإلحاق الهزيمة بأي عدو، وقد ركز ماهان أيضاً على أهمية الحفاظ على تأمين سلامة الممرات البحرية التي تستخدمها السفن التجارية والحربية.

شدد ماهان على الحاجة إلى الاحتفاظ بقواعد في أعالي البحار مع ضرورة بناء الأساطيل الكبيرة، وأوصى بأن تقيم الولايات المتحدة الأميركية قواعد بحرية لأساطيلها في كل من هاواي والفلبين وكوبا، كما طرح فكرة بناء قناة بنما.

على الرغم من أن ماهان هو أشهر منظر بحري تحظى مؤلفاته باطلاع واسع منذ الحقبة التي عاش فيها وحتى الآن، فمن الملاحظ صعوبة فهم واستيعاب كتاباته في أغلب الأحيان؛ فقد قدم أفكاراً سهلة، لكنه طرحها بلغة أكاديمية معقدة تتطلب جهداً في القراءة والفهم. ويعود هذا التعقيد في الكتابة إلى المدة الطويلة التي قضاها ماهان باحثاً ومعلماً في كلية الحرب البحرية وتعامله مع دراسة العلوم الحربية بأسلوب الصفوة. ويأتي الغموض في كتاباته - وخصوصاً تلك التي كتبها في مجال التخطيط الاستراتيجي - نتيجة لكونها تجميعاً لنصوص محاضراته في كلية الحرب البحرية، ولم تكن نصاً واحداً متسلسلاً كما هي الحال في المؤلفات الشبيهة.

قوبلت مؤلفات ماهان في مجال الاستراتيجية البحرية بالثناء باعتبارها أكثر الكتابات تأثيراً على مر التاريخ، وذلك مع صعوبة اللغة الأكاديمية البحتة المستخدمة فيها. فقد أفاد قادة القوات البحرية التابعة للقوى العظمى في خلال الحربين العالميتين من تلك المؤلفات في تجاربهم القتالية. وتقف القوة البحرية الأميركية المؤلفة من حاملات الطائرات الموزعة على أنحاء العالم في الوقت الراهن، لتؤكد وتضمن مكانة الولايات المتحدة الأميركية العسكرية. وعلى

الرغم من أن ماهان قد ولد وعاش في القرن التاسع عشر، فإنه يعتبر قائداً بحرياً عظيماً في القرن العشرين وسوف تتجاوز شهرته هذا القرن. وليس هناك من القادة البحريين المؤثرين من يتفوق على ماهان، سوى هوراشيو نيلسون الذي كانت له خبرة قتالية أوسع.

كما أنه لقب ألفريد ماهان «بكلاوسفيتس البحر» تيمناً بالمفكر والقائد العسكري الكبير كارل فون كلاوسفيتس، وهو الذي وضع الخطة الاستراتيجية للبحرية الأميركية للقرن العشرين، وكان له تأثير كبير في تطوير القوة البحرية لكل من بريطانيا العظمى وألمانيا واليابان. وكان لكتابات ماهان ـ حول أهمية وضع خطة ناجحة لتشكيل قوة بحرية دولية ذات قدرات هجومية ـ دور مباشر في الانتصار الذي حققته الولايات المتحدة الأميركية في الحرب العالمية الثانية، ووصولها إلى مانتها الحالية باعتبارها أكبر قوة عظمى على مستوى العالم.



هلموت كارل بيرنهارت فون مولتكه
HELMUTH KARL BERNHARD VON MOLTKE

قائد بروسي

(1891 - 1800)

ولد مولتكه في 26 تشرين الأول - أكتوبر 1800 في مدينة بارشيم (Parchim) بمنطقة مكلنبرج (Mecklenburg) لعائلة بروسية فقيرة ومتواضعة ذات أصول أرستقراطية. تلقى تدريبه العسكري الأساسي بأكاديمية الضباط الملكية في كوبنهاجن. وخدم بعد تخرجه لمدة وجيزة في كتيبة مشاة دنماركية، ولكن عقب زيارته لبرلين في عام 1821 تبين له أن الجيش البروسي يتيح فرصاً أكبر للتقدم في الرتب. ونظراً لانتمائه إلى أسرة أرستقراطية ومولده في مدينة بروسية، تم تعيينه برتبة ملازم في كتيبة المشادة الثامنة.

ترك مولتكه انطباعاً طيباً لدى رؤسائه واشتهر بامتيازه في مجالي المفهومات والتكتيكات العسكرية. ومع استمرار ظروفه المالية الصعبة، فكر في

زيادة دخله الشحيح المقتصر على راتبه العسكري، وبدأ بكتابة المقالات وترجمة الأعمال المنشورة سابقاً؛ فقد قام في خلال سنة ونصف فقط في مطلع الثلاثينيات من القرن التاسع عشر بإعداد ترجمة ألمانية لتسعة مجلدات من كتاب جيبون (Gibbon) **«تدهور وسقوط الإمبراطورية الرومانية»** (Decline and Fall of the Roman Empire). وذكر مولتكه في مرحلة لاحقة أنه لم يتسلم مستحقاته الكاملة مقابل تلك الترجمة من الناشر، ولكنه أشار إلى أهمية المعرفة التي اكتسبها من عمله في ذلك المشروع والتي اعتبرها تستحق ما بذله من جهد.

درس مولتكه في العقد الأول من خدمته في الجيش البروسي بالأكاديمية الحربية التابعة للجيش، وخدم سنوات عديدة مع كتيبته، حيث استمر في تفوقه كضابط ركن على قدر كبير من الكفاءة. وفي عام 1835 انتقل مولتكه إلى تركيا ليعمل مستشاراً للسلطان محمود الثاني. واستوجبت التعليمات التي انتدب بموجبها أن يقتصر عمله على المساعدة لتحديث الجيش التركي، ولكنه التحق عام 1839 بحملة حافظ باشا التي توجهت لمواجهة القوات المصرية في سوريا. ورفض القائد التركي اتباع نصيحة مولتكه في معركة نزيب (Nezib) التي جرت في 24 حزيران ـ يونيو 1839، وانسحب مهزوما، وتولى مولتكه بنفسه قيادة المدفعية التركية ونجح في تغطية الانسحاب.

عاد مولتكه إلى بروسيا وألف أشهر كتبه حول تجربته في تركيا. كما واصل في العقدين التاليين عمله المثابر في تحسين الأداء بهيأة الأركان العامة. وكسب تقدير القادة في بروسيا وثقتهم بسبب الأعمال التي قام بها كمرافق عسكري للأمير فريدرك، وما بذله من مجهودات لمواجهة التمرد القصير عام 1848 وتفوقه المستمر في واجبات الأركان. كما استمر في ارتقاء سلم الرتب العسكرية، وجلبت له صداقته الممتدة منذ أمد بعيد مع العائلة الملكية في بروسيا مكافأة عام 1857 بتعيينه رئيساً لهيأة الأركان العامة، وكان في السابعة و الخمسين من عمره حينها.

امتد صعوده المطرد في وقت طويل وكان موازياً لتراجع قوة بروسيا

نفسها. فقد كان مصمماً على استعادة صدارة بروسيا العسكرية واستخدام قوتها لتوحيد الإمبراطورية الألمانية. وتحقيقاً لذلك الهدف سعى إلى عقد شراكات سياسية وزيادة فاعلية القوة العسكرية، ونجح في تشكيل قيادة عسكرية ثلاثية مكونة منه والمستشار أوتو فون بسمارك (Otto von Bismarck) ووزير الحربية ألبريخت فون رون (Albrecht von Roon). وعقدت اللجنة اجتماعات، ثم تجاوزت فيما بعد الغرض الأساسي الذي حدده مولتكه حين باشرت إعادة رسم الخارطة الأوروبية لتؤدي ألمانيا الموحدة دور القوة الرئيسية في المنطقة.

بنى مولتكه خطته لإعادة تنظيم الجيش على أساس تصوره الذي يرى أن الحروب المستقبلية ستشمل مشاركة قوات ضخمة منتشرة فوق منطقة جغرافية واسعة. وسعياً لتحقيق أكبر قدر من المرونة، قام مولتكه بتقسيم الجيش البروسي إلى ثلاث واحدات مقاتلة تساندها دائرة نقل بالقطارات. وتدعو خطته إلى تشكيل جيش نظامي ضخم من حوالي نصف مليون جندي وضعف ذلك العدد من القوات الاحتياطية التي يستطيع استدعاءها بالسرعة الممكنة. وتُنقل الوحدات النظامية العامة والقوات الاحتياطية عن طريق شبكة خطوط القطارات الألمانية الواسعة عبر مسارات متعددة، لتلتقي في نقاط قريبة من مواقع القتال المتوقعة.

قام مولتكه بتدريب مرؤوسيه من القادة على تفادي أسلوب الهجوم بالمواجهة المباشرة، والاستعاضة عنه بتنسيق الهجوم على أجناب العدو وتطويقه، ثم دفع الهجوم إلى نقاطه الضعيفة التي تحددها وحدات الاستطلاع والهجمات الاستكشافية. ويعود الفضل في النجاح الذي حققته خطط مولتكه إلى عامل المرونة؛ فهو لم يتمسك باتباع خططه الأصلية، وكان يردد القول بأن الخطط لا تصمد خلال الدقائق الخمس الأولى من المواجهة مع العدو. ولكي تتحقق السيطرة على تلك الجيوش المنفصل بعضها عن بعض، شكل مولتكه هيأة أركان وأسند رئاستها إلى أحدى خريجي كلية الحرب العليا ليعمل تحت إمرته المباشرة فقط. كما كانت هناك إدارات أخرى لهيأة الأركان تتولى تصريف

المهام الإدارية مثل النقل والتموين، وتعمل تحت إمرة رئيس الأركان مباشرة.

نبعت فكرة استخدام القطارات لنقل القوات بسرعة تتيح حشد القوة القتالية ومفاجأة العدو، من التجارب القتالية في الحرب الأهلية الأميركية. وكان مولتكه قد أطلع على كتابات حول تلك الحرب، وأوفد مراقبين إلى الولايات المتحدة الأميركية ليدونوا ما تحقق من تقدم في ذلك المجال، ثم عاد خبراء مولتكه بمعلومات لم تقتصر على استخدام القطارات، ولكنهم جلبوا المعلومات اللازمة حول كيفية استخدام البرقيات في تنسيق جهد القوات المنتشرة على جبهات عريضة، وفي سرعة إبلاغ الأوامر إلى القادة المنهمكين في قتال ضد العدو. ومع، أن مولتكه لم يكن أول من استحدث الاستخدام العسكري لميزة التنقل بالقطارات والإفادة الميدانية من المراسلة بالبرقيات، فقد عمل على تحسين استخدامها بصورة علمية؛ إذ قام بتشكيل وحدات للنقل والإشارة وأسند إليها مهمة السيطرة المتخصصة على مواردها وتنسيق كيفية استخدامها في الميدان.

خضع التنظيم والتعديل الجديد في وسائل نقل القوات الذي أدخله مولتكه إلى أول تجربة عملياتية له وهو في طور المهد؛ فقد ثبت نجاحه على الفور في عام 1864 حين هاجمت بوروسيا الدنمارك وهزمتها في غضون أسابيع فقط. واستخدم مولتكه ما تعلّمه في تلك الحرب الخاطفة وواصل تحسين خططه ليغزو النمسا عام 1866؛ ففي المرحلة الأولى من المعركة التي جرت من 27 - 29 حزيران - يونيو 1866 بمنطقة لانجنسالزا (Langensalza) استخدم مولتكه رسائل البرق لتوجيه جيشه حيث أمر قادته بتطويق وتدمير جيش هانوفر المؤلف من أكثر من مئتي ألف رجل. وفي 3 تموز - يوليو من العام نفسه، فشل مولتكه في تطويق القوة النمساوية بالكامل بمنطقة كونجرتس (Koniggrätz)، وفقد الجيش النمساوي المنسحب 45 ألف رجل مقابل عشرة آلاف من الجيش البروسي. وبعد سبعة أسابيع من اندلاع الحرب استسلمت النمسا، وفرضت بروسيا سيطرتها على ما أصبح يعرف بالاتحاد الكونفيدرالي الألماني الشمالي.

بدأت المخاوف تنتاب فرنسا المجاورة التي شعرت بالتهديد المحدق بها

عقب سيطرة بروسيا على ألمانيا؛ وبعد فشل سلسلة من الجهود الدبلوماسية في التوصل إلى سلام، حشد مولتكه على الفور جيشاً من نصف مليون رجل وغزا به فرنسا. وقبل قيام الجيش الفرنسي بأي مناورة، تمكن الجيش البروسي من تطويق سيدان واستولى عليها في 1 أيلول ـ سبتمبر 1870 وعلى ميتس (Metz) في 27 تشرين الأول ـ أكتوبر من العام نفسه، وأسر ربع مليون جندي فرنسي. وتقدم مولتكه ليحاصر باريس وأجبر القوات الفرنسية المدافعة عنها على الاستسلام.

وعقب ذلك الانتصار منح مولتكه لقب كونت وتم ترفيعه إلى رتبة مشير، وظل في منصبه كرئيس للأركان حتى تقاعد عن الخدمة عام 1888. وكان النصر الذي حققه على الفرنسيين كاملاً، كما بلغت قوة الجيش الألماني حداً أتاح لبروسيا وللقائد مولتكه التمتع بعقود طويلة من السلام؛ وذلك لتخوف البلدان الأخرى من محاولة التجرؤ على ذلك التفوق.

توفي مولتكه ببرلين في 24 نيسان ـ إبريل 1891 وكان في التسعين من عمره. وعُين ابن أخيه هلموت يوهان فون مولتكه (Helmuth Johann von Moltke) رئيساً لهيأة الأركان العامة، وتم استبداله بعد هزيمة ألمانيا في معركة مارن في أثناء الحرب العالمية الأولى. كما تم إعدام أحد أحفاده ـ واسمه هلموت أيضاً ـ في الحرب العالمية الثانية لتآمره لاغتيال الزعيم النازي أدولف هتلر.

نجح مولتكه في توحيد ألمانيا ووضع التنظيم والتقاليد العسكرية التي ضمنت السيطرة والتفوق الألماني خلال القرن العشرين. ولا يزال نموذجه في تنظيم هيئة أركان متخصصة وتكليف الضباط الأكْفَاء بمسؤولية إدارة مجالات محددة كشؤون الأفراد والعمليات والإمداد والتجهيز مطبقاً على نطاق واسع.

قاد هلموت فون مولتكه عملية توحيد الولايات الألمانية وحقق لألمانيا مكانتها كقوة أوروبية مهيمنة، وذلك من خلال عمله الممتد طول ثلاثين عاماً كرئيس لهيأة الأركان العامة البروسية. وينسب لمولتكه الفضل في كونه المجدد

لنظام الأركان العسكري الحديث، كما قام بتجويد نظام التعبئة السريعة باستخدام خطوط القطارات وتحسين نظام القيادة والسيطرة على العمليات الميدانية من قبل مفارز القيادة وعناصر استخدام البرق (التلجراف).



فونيجين جياب
Vo Nhuyen Giap
قائد فيتنامي
(حوالي 1912 -)

وتُحتجب العديد من الحقائق عن حياة جياب وخصوصاً المرحلة الأولى من حياته، بسبب الغموض الذي اكتنف سيرته ثم التلفيق المتعمد للكثير من جوانبها. وتحدد أغلب المصادر الموثوقة تاريخ ميلاده بأنه في وقت ما من عام 1912 بمحافظة كونج بنه (Quang Binh) الواقعة في منطقة الهند الصينية التابعة لفرنسا حينها والمعروفة باسم آنام (Annam). ومع أن جياب قد ادعى في مرحلة لاحقة بأنه من عائلة تنتمي إلى طبقة الفلاحين، فقد كان والده في الواقع باحثاً بسيطاً يدرس اللغة الصينية. وكان جياب قد تلقى تعليمه في كل من هويه (Hue) وهانوي ليصبح مدرساً لمادة التاريخ. وهناك أدلة أخرى تثبت أن جياب قد درس القانون ليصبح محامياً، ولكن ليس هناك من إثبات تقول بأنه قد حصل على شهادة دكتوراه في العلوم السياسية والقانون.

ظل جياب يعمل مدرساً خلال مرحلة الثلاثينيات، وكان ناشطاً في الحركات الثورية المختلفة. فقد انضم إلى الحزب الشيوعي عام 1934، وشارك في تأسيس «الجبهة الديمقراطية» بعد سنتين من انضمامه إلى الحزب، وكان حريصاً طوال تلك الفترة على قراءة كتب التاريخ العسكري والفلسفة، واطلع على مؤلفات نابليون الأول وسون تسو.

قاد فونجين جياب حرب عصابات وحقق استقلال جمهورية فيتنام الاشتراكية وتوحيدها، على الرغم من أنه واجه اليابانيين والفرنسيين والأميركيين وبعض أبناء وطنه الذين تعاونوا معهم. وظلت عملياته العسكرية مؤثرة في الدول النامية التي استخدمتها كوسيلة ونموذج يحتذيان في مواجهة الأعداء المتفوقين في القوة.

حظرت فرنسا الشيوعية عام 1939، ولجأ جياب إلى الصين التي تعلم فيها أساليب حرب العصابات مع زميله الفيتنامي هوشي منه (Ho Chi Minh) تحت قيادة الزعيم الصيني ماو تسي تونج. وفي عام 1941 انضم جياب لهوشي منه والوطنيين الذين شكلوا «جبهة فايتمنه» (Vietminh Front)، ثم عاد إلى فيتنام عام 1944 ليقاوم الاحتلال الياباني والفرنسي. وعندما استسلمت اليابان للحلفاء عام 1945 عين جياب وزيراً للدفاع وقائداً عاماً للجيش تحت إمرة هوشي منه الذي أفاد من تلك الظروف واستولى على الحكم في هانوي. ولكن جياب اضطر وهوشي منه إلى مغادرة هانوي واللجوء إلى الأدغال لمواصلة حرب العصابات ضد المستعمرين الفرنسيين الذين عادوا مجدداً. ويبدو أن تحمس جياب لتحقيق استقلال بلاده قد نتج أيضاً عن كراهيته للفرنسيين الذين سبق أن سجنوا ـ أو أعدموا ـ زوجته الأولى وطفله ووالده وشقيقتيه وعدداً آخر من أفراد عائلته.

عكف جياب في خلال الأعوام الثمانية التالية على وضع الاستراتيجية التي أدت إلى هزيمة الفرنسيين ثم الأميركيين وحكام فيتنام الجنوبية فيما بعد. وكان جياب قد صاغ بمساعدة هوشي منه خطة على ثلاث مراحل لتحقيق استقلال

بلاده؛ ففي المرحلة الأولى تقوم قوات جياب بتنفيذ عمليات إرهابية وحرب عصابات تسيطر بها على أكبر قدر ممكن من الأحياء؛ وفي المرحلة الثانية تتوحد الفصائل التي تخوض حرب العصابات في وحدات نظامية تهاجم النقاط والمراكز الحكومية البعيدة عن المدن الرئيسية؛ وفي المرحلة النهائية يتم تشكيل وحدات كبيرة من تلك القوات لتفرض سيطرة عسكرية على جزء من البلاد وتشجع السكان المدنيين على الانتفاضة دعماً للثورة.

نجح جياب في خلال المدّة المتبقية من حياته العسكرية في تنفيذ المرحلتين الأولى والثانية من استراتيجيته، ولكنه لم ينجح في تنفيذ المرحلة الثالثة سوى مرة واحدة، وانتصر على الفرنسيين في العمليات الصغيرة والمحدودة. واتبعت «جبهة فايتمنه» أسلوب عدم الاشتباك مع العدو في معركة مستمرة. وقد طغى الحماس على جياب وحاول في عام 1950 تطبيق المرحلة الثالثة من خطته، فدخل في حرب تقليدية ضد الفرنسيين بمنطقة وادي النهر الأحمر بالقرب من العاصمة هانوي. وعندما أنزل به الفرنسيون هزيمة قاسية، انسحب جياب مرة أخرى إلى الأدغال والجبال ليلجأ مرة أخرى إلى عمليات المرحلتين الأولى والثانية من خطته.

تبنى جياب بعد الخسارة التي تعرض لها في وادي النهر الأحمر فلسفة ترى أن القوات الشيوعية تستطيع تحمل الخسارة لفترة أطول من الفرنسيين والأميركيين والفيتناميين الجنوبيين. وتمكن من إقناع مقاتليه بأنهم قد يضطرون إلى القتال وتكبد خسائر ثقيلة لعقدين أو أكثر لتحقيق النصر.

حاول الفرنسيون طيلة ثلاث سنوات استدراج جياب للدخول في معركة رئيسة أخرى. وفي تشرين الثاني ـ نوفمبر 1953 قدّم الفرنسيون طعماً مغرياً لمن يقدر جياب على مقاومته، حين فتحوا سلسلة من النقاط الخارجية في وادي داين بنه بو (Dien Binh Phu) الذي يقع على بعد مئتي ميل غربي هانوي. اعتقد الفرنسيون أن الجبال المحيطة تحمي قواعدهم الدفاعية النائية والمعزولة، إلى درجة أن السبيل الوحيد لإيصال الإمدادات إليها كان عن طريق الجو،

وبذلك يستطيعون استدراج جياب لحشد قواته في مواجهة حاسمة تجري في أسفل الوادي.

وقعت المعركة الحاسمة التي تطلع لها الفرنسيون، ولكنها لم تكن بالأسلوب الذي أرادوه؛ فقد أظهر جياب براعته في التنقل بالعتاد حين أمر قواته بتفكيك قطع المدفعية والأسلحة المضادة للطيران، الآتية في الغالب من الصين، والاتحاد السوفياتي، وقام بتحميلها إلى أعالي الجبال ووضعها على الأراضي المرتفعة المطلة على القوات الفرنسية. وتولى آلاف من رجال جياب نقل أطنان من المؤن والذخائر اللازمة لإدامة حصار طويل، بوسائل نقل لم تتعد الدراجات العادية.

قام جياب بحشد نحو 70 ـ 80 ألف جندي مع مئتي مدفع ثقيل ليواجه بها القوات الفرنسية المؤلفة من 15 ألف رجل. وشكل سوء الطقس ومدفعية ثوار فايتمنه عائقاً حال دون وصول الإمدادات الكافية للقوات الفرنسية؛ ما اضطرها إلى الانسحاب نحو المراكز الداخلية. وفي تلك الأثناء تقدم مقاتلو جبهة فايتمنه عبر الممرات الأرضية والخنادق تحت إسناد المدفعية المتفوقة، واستسلم الفرنسيون في 7 أيار ـ مايو 1954. وقتل خمسة آلاف جندي فرنسي من القوة الأصلية، بينما جرح نصف العدد المتبقي ممن استسلموا في تلك المعركة والذين بلغ عددهم 10 آلاف فرد. وزاد العدد التقديري لخسائر القوات الشيوعية عن 25 ألف رجل، ولكن المهم في الأمر هو أن جياب قد انتصر في معركة المرحلة الثالثة من خطته. وتوصل الفرنسيون لدى مغادرتهم الهند الصينية إلى اتفاق تجزئة، فصلوا بموجبه الشطر الشمالي الشيوعي من فيتنام عن جزئها الجنوبي الديمقراطي.

بدأ جياب والفيتناميون الشماليون في عام 1959 بدعم الثوار الشيوعيين في الشطر الجنوبي المعروفين «بالفايتكونج» (Bietcong). وواصل جياب تطبيق خطته الحربية المكونة من ثلاث مراحل، محققاً قدراً معقولاً من النجاح باستخدام المرحلتين الأولى والثانية في القتال ضد الأعداد والأسلحة المتفوقة

المتوافرة لدى الفيتاميين الجنوبيين وحلفائهم الأميركيين. وكان جياب يصيب النجاح كلما التزم الصبر وعدم التعجل في تطبيق المرحلة الثالثة من خطته. وفي عام 1965 واجه جياب فرقاً أميركية في وادي أيا درانج (Ia Drang) وهو يقود قوات فيتنامية شمالية، وبعد تعرضهم لخسائر كبيرة انسحب الشيوعيون وتراجعوا عبر الحدود ليدخلوا الأدغال المجاورة.

عاد جياب ليحاول تطبيق المرحلة الثالثة من خطته في هجوم تيت (Tet) الذي شنه عام 1968 وكذلك في حصار كيه سانه (Khe Sanh) الشبيه بحصار داين بيان بو (Dien Bien Phu). وكاد الأميركيون والفيتناميون الجنوبيون أن يسحقوا قوات الفيايتكونج في أقل من ستة أسابيع. كما استنزفوا قدرات قوات الفيتناميين الشماليين بصورة كبيرة. وعاد جياب للقتال وفقاً للمرحلتين الأولى والثانية من خطته، وتمكن من إضعاف التأييد الأميركي العام للمشاركة في تلك الحرب حتى قامت الولايات المتحدة الأميركية بسحب أغلب قواتها من تلك المنطقة. وفي عام 1972 عاد جياب لإحياء المرحلة الثالثة من خطته في عملية أطلق عليها اسم «هجوم عيد الفصح» (Easter Offensive). وتمكنت القوات الفيتنامية الجنوبية المدعومة بالقوة الجوية الأميركية من سحق الهجوم الشيوعي مرة أخرى. وكانت الخسائر فادحة إلى درجة أن الشيوعيين قد نحوا جياب عن منصبه القيادي وأعادوه إلى هانوي ليعمل وزيراً للدفاع. وعندما تمكن الشيوعيون في النهاية من تحقيق النصر الحاسم على فيتنام الجنوبية وأعادوا توحيد الشطرين عام 1975 في جمهورية فيتنام الاشتراكية، كانت التكتيكات التي حققت ذلك النصر هي تكتيكات جياب ولكنه لم يكن في موقع القيادة حينها.

تمكن جياب ـ الذي لم يتلق أي تدريب عسكري يؤهله لتولي القيادة ـ من التفوق على أعدائه وتحقيق النصر في ظروف غير مواتية تماماً. فقد كانت تكتيكاته بسيطة مما جعل لمرؤوسيه من القادة قدراً كبيراً من حرية التصرف في الميدان. وفي نهاية المطاف حقق جياب النصر، وتمكن من توحيد بلاده بفضل استعداده لمواصلة القتال لأطول مدة وتحمل أكبر قدر من الخسائر طبقاً

للظروف. ويعتبر جياب «بطلاً وطنياً» في فيتنام اليوم، بينما يعتبره العالم معلماً في مجال حرب العصابات. ولا تزال النجاحات التي حققها تؤثر بقدر كبير في القرارات السياسية والعسكرية في عدد من الدول، وخصوصاً الولايات المتحدة الأميركية. كما لا تزال الجهات الأميركية المختصة تقارن كل عملية نشر لقواتها خارج الحدود الأميركية باحتمالات التحول إلى فيتنام أخرى.



جون جوزيف بيرشنج

JOHN JOSEPH PERSHING

قائد أميركي

(1948 - 1860)

بدأ بيرشنج حياته المهنية العسكرية في هدوء؛ فقد ولد في 13 أيلول - سبتمبر 1860 بمنطقة لين كاونتي (Linn County) بولاية ميسوري، وكان والده تاجراً في تلك المدينة الصغيرة. وعمل بيرشنج مدرساً لعدة سنوات قبل أن يلتحق بالأكاديمية العسكرية الأميركية في ويست بوينت، وتخرج فيها عام 1886 برتبة نقيب على الرغم من ترتيبه الأكاديمي العادي، حيث جاء في وسط قائمة المتخرجين من دفعته.

شارك بيرشنج بعد تعيينه ضابطاً في سلاح الفرسان في الحملة ضد «قبائل أباتشي» (Apache) الهندية في الجزء الجنوبي من الغرب الأميركي، وساعد على مطاردة «هنود سوز» (Sioux) عقبد معركة ونديدني (Wounded Knee) بولاية

داكوتا الجنوبية عام 1891. وعمل في آخر عام 1891 وحتى 1895 أستاذاً للتاريخ العسكري بجامعة نبراسكا، كما درس في أثناء أوقات فراغه وحصل على شهادة جامعية في القانون.

قاد النقيب بيرشنج عند اندلاع الحرب الإسبانية ـ الأميركية سرية سلاح الفرسان العاشرة المؤلفة من الجنود ذوي البشرة السوداء. وأدى ذلك التعيين بالإضافة إلى صرامته وعدم ميله للمزاح إلى إطلاق لقب «جاك الأسود» عليه وهو اللقب الذي لازمه طيلة حياته. وقاتل بيرشنج وجنوده بصورة مميزة في معركتي إيل كيه ني (El Caney) وكيتل هيل (Kettle Hill) بكوبا، وكانت تلك هي المرة الأولى التي حظي فيها باهتمام الرئيس الأميركي ثيودور روزفلت.

بقي بيرشنج في قصيرة ليتعافى من مرض الملاريا الذي أصيب به في كوبا، ونقل عام 1899 إلى الفلبين حيث أضاف نجاحاً آخر هناك بإدخاله أساليب قتالية وإدارية جديدة لتحييد ثوار جبهة مورو. وتناوبت مدة خدمته في الفلبين مع مدة تعيينه كملحق عسكري لدى اليابان ثم مدة عمله كمراقب في الحرب الروسية ـ اليابانية خلال الفترة 1905 ـ 1906.

وتقديراً لنجاحه المميز في الفلبين وما أرسله من تقارير قيمة في أثناء مهمته في اليابان، فقد أصدر الرئيس روزفلت أمراً بترفيعه من رتبة نقيب إلى رتبة عميد مباشرة عام 1906. ورفعته تلك القفزة الاستثنائية ليتخطى تسعمائة من الضباط الذين سبقوه في أقدمية الرتبة.

قاد جون بيرشنج الملقب «بجاك الأسود» القوات الأميركية للتدخل السريع في أوروبا خلال الحرب العالمية الأولى، كما أشرف على تطوير القوات الأميركية من مجرد مجموعات ووحدات فرسان صغيرة إلى جيش متطور يستخدم الأسلحة الحديثة كالآليات المدرعة والطائرات والمدافع الرشاشة، والتي يدعمها تنظيم أركان متقدم لا يزال سائداً حتى اليوم. ووصل بيرشنج إلى قمة النجاح الذي حققه بعد أن خدم في الجيش الأميركي ضد مناوشات الهنود الحمر في غرب البلاد، وبعد أن شارك في الحرب الإسبانية ـ الأميركية في كوبا والفلبين،

ثم قيادته للحملة التأديبية التي طاردت قوات الثوار المكسيكيين بقيادة بانشو فيلا (Pancho Villa).

وأظهر ذلك الترفيع الاستثنائي إلى رتبة عميد، الثقة الواضحة التي أولاه إياها الرئيس روزفلت. لكن بعض الكتاب الذين حاولوا الانتقاص من قيمة ذلك النجاح يشيرون إلى زواج بيرشنج من ابنة أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأميركي الذي كان يتمتع بنفوذ سياسي.

وأياً كان السبب وراء قفزة بيرشنج الكبيرة، فقد أثبت صحة قرار الرئيس في مرحلة لاحقة من خدمته، وبعد المزيد من الخدمة في منطقة الشرق الأقصى تولى بيرشنج قيادة المنطقة العسكرية في سان فرانسيسكو. ففي أعقاب الغارة التي قامت بها قوات العصابات المكسيكية بقيادة زعيمها باشنو فيلا ضد مدينة كولمبس (Columbus) في نيومكسيكو، قاد بيرشنج في 9 آذار ـ مارس 1916 بالحملة التأديبية إلى المكسيك. وعلى الرغم من فشله في إلقاء القبض على فيلا أو قتله، فقد تمكن من تدمير الجزء الأكبر من قواته وتعطيل عملياته. واكتسب بيرشنج خبرة كبيرة في الاستخدام التكتيكي للمعدات الجديدة، ومنها الآليات ذات المحركات والطائرات، والتي شكلت بداية تطور الجيش الأميركي من مرحلة القتال بالخيل إلى الحرب بالآليات الحديثة.

بينما كان بيرشنج مشغولاً بمطاردة فيلا، توفيت زوجته وابنتاه في حريق بمسكن الأسرة في سان فرانسيسكو، فأصبح أكثر صمتاً وانعزالاً، كما ركز على تحقيق المزيد من النجاح بعد أن أنهمك في العمل.

في 12 أيار ـ مايو 1917 تم تعيين بيرشنج قائداً للقوات الأميركية للتدخل السريع ووصل إلى فرنسا في 23 حزيران ـ يونيو من السنة نفسها. وواجه لدى وصوله ضغوطاً مباشرة لتخصيص قواته للانضمام إلى صفوف الحلفاء الإنجليز والفرنسيين. وبناء على تعليمات من الرئيس وودرو ويلسون، رفض بيرشنج تجزئة قواته وتوزيعها، وتمسك ببقاء القوات الأميركية منفصلة ومميزة للتولى

منطقة مسؤوليتها، وكان يردد كلما حثه القادة على تغيير موقفه قائلاً: «لن أكره على شيء».

لم يتنازل بيرشنج عن موقفه إلا مرة واحدة؛ فبينما كان ينظم ويدرب جيشه المكون من مليون رجل، قام ولفترة قصيرة بإسناد الفرق الفرنسية المشاركة في القتال لصد الهجوم الألماني في ربيع عام 1918، وبمجرد تمكن الحلفاء من تعزيز خطوطهم ومواقعهم، قام بيرشنج بسحب قواته ووضعها تحت سيطرته المباشرة.

قاد بيرشنج القوات الأميركية للتدخل السريع لتشترك في صيف عام 1918 كقوة قتالية مستقلة في معارك إقليم لورين. ونظراً إلى عدم رغبته في التورط في حرب خنادق طويلة، فقد بدأ على الفور العمليات الهجومية ليحول العمليات الثابتة إلى حرب مناورات. وتمكنت القوات الأميركية للتدخل السريع من صد الألمان أثناء الهجوم الذي شنته على أون ـ مارن (Aisne-Marne) في 25 تموز ـ يوليو 2 آب ـ أغسطس 1918، كما صدتهم في منطقة سان ـ ميهيل (Meuse-Argonne) خلال الفترة 26 أيلول ـ سبتمبر حتى هدنة 11 تشرين الثاني ـ نوفمبر من العام نفسه.

وعلى الرغم من مشاركة القوات الأميركية التي قادها بيرشنج في مرحلة متأخرة من الحرب، فقد قامت بدور كبير، ومع أنها كانت تشكل نسبة 10٪ فقط من قوات الحلفاء المتقدمة على جبهة القتال الغربية، فقد اضطر الألمان إلى إشراك ربع جيشهم بالكامل لإبطاء التقدم الأميركي خلال الهجوم النهائي.

تعتبر قدرة بيرشنج على تنظيم جيش مكون من أكثر من مليون رجل وصموده أمام الضغوط السياسية من الحلفاء عملاً مميزاً ويستحق التقدير. كما أنه أدخل تطويراً مهماً في إدارة الجيش باستخدام نظام أركان مكون من ركن إدارة (G-1) وركن استخبارات (G-2) وركن عمليات (G-3) وركن إمداد وتجهيز (G-4)، وهو النظام الذي ما زال مستخدماً في الجيش الأميركي حتى اليوم.

تم ترفيع بيرشنج في أثناء قيادته للقوات الأميركية للتدخل السريع في فرنسا إلى رتبة لواء عام 1917 ثم إلى رتبة فريق أول في وقت لاحق من العام نفسه. وعقب عودته إلى الولايات المتحدة الأميركية، تم ترفيعه إلى رتبة قائد الجيوش الأميركية وهي الرتبة التي كان يحملها قبله جورج واشنطن فقط. وفي المرحلة الممتدة من عام 1921 وحتى تركه الخدمة الفعلية عام 1924 تولى منصب رئيس أركان الجيش، ثم تولى رئاسة لجنة الآثار الحربية الأميركية، وتفرغ لكتابة مذكراته.

يعتبر بيرشنج من أهم العسكريين الأميركيين في مطلع القرن العشرين، وكان له تأثير مباشر في التطورات والعمليات التي شاركت فيها القوات الأميركية في خلال الحرب العالمية الثانية. وعلى الرغم في تدهور صحته ودخوله المستشفى من نهاية عام 1941 حتى وفاته في 15 تموز - يوليو 1948 وهو في السابعة والثمانين من عمره، فقد عاش سعيداً نظراً لكونها شهدت انتصار الحلفاء على ألمانيا واليابان في الحرب العالمية الثانية. وكانت تلك الانتصارات قد تحققت بفضل ما أدخله بيرشنج من تطوير وتغيير شمل تنظيم الجيش الحديث والهيكل الجديد للقيادة والأركان.



موريس الناساوي

MAURICE OF NASSAU

قائد هولندي

(1625 ـ 1567)

كان موريس الذي ولد في 14 تشرين الثاني ـ نوفمبر 1567 في ديلنبيرج (Dillenburg) في ألمانيا عسكرياً بحكم نشأته. فقد قاد والده وليم الملقب بـ«وليم الصامت» ثورات مبكرة لم يكتب لها النجاح لتحرير هولندا من السيطرة الإسبانية. ولم يهمل موريس تلقي العلوم المدنية في أثناء تعلمه فن الحرب على يد والده؛ فقد التحق بالمدرسة في هايدلبيرج (Heidelberg) ثم انضم مرة أخرى إلى والده بمدينة أنتويرب (Antwerp) ودرس الرياضيات واللاتينية وآدابهما في جامعة ليدن (Leiden University).

دفع اغتيال وليم الأب عام 1584 بالفتى موريس ابن السابعة عشرة من العمر، إلى موقع القيادة بسرعة لم تكن في حسبانه ولم يتوقعها له والده. فعلى

الرغم من صغر سن موريس أصبح رئيساً «للدولة المقاطعات المتحدة» (State of the United Provinces)، وأضاف إلى حكمه خلال السنوات القليلة التالية ولايته بصفة نائب للملك على الأقاليم المجاورة التي تشمل هولندا وزيلندا (Zeeland). كما تولى موريس بالإضافة إلى مسؤولياته الحكومية منصب واجبات القائد العام ليصبح في الواقع قائداً لجميع القوات العسكرية الهولندية.

أدرك موريس ضرورة إعادة تنظيم جيشه ليتمكن من تحرير هولندا من السيطرة الإسبانية. وقادته دراسته لتاريخ الرومان وحبه لمادة الرياضيات إلى تخفيض حجم وحدته المقاتلة الأساسية إلى خمسمائة فرد، وتنظيمها على نسق مشابه للكتيبة التي أصبحت نواة التنظيم القتالي في الجيوش مستقبلاً. وأدخل موريس ضمن تشكيل الكتيبة حملة الرماح ليكونوا في الوسط ووضع حملة البنادق ليكونوا على كل جنب من أجنابها. واستعاض عن التشكيلات المكونة من قوات متمركزة في العمق تتقدم لتعويض الفاقد الأمامي بتنظيم قواته على نسق يتيح للجميع المشاركة في القتال منذ استهلال المعركة. واعتمد على أسلوب المناورة في تعويض الخسائر؛ إذا قام بتدريب قواته مراراً خلال زمن السلم ليتمكن من نقلها بسرعة إلى المناطق المهددة في أثناء المعركة.

نفذ موريس الناساوي عدداً من الإصلاحات الشاملة التي وفرت للجيش الهولندي القوة التي انتزع بها استقلال هولندا من إسبانيا. واعتبرت التغييرات التي أدخلها على تنظيم المشاة النموذج الأولي للوحدات التي تماثل الكتيبة في الحجم، كما أكسبه دمجه للإسناد الذي توفره المدفعية وهندسة الميدان سمعة كبيرة كمعلم في مجال حرب الحصار. وأدرك موريس أيضاً أهمية احتراف الجيش فقام بتحسين الرواتب وظروف الخدمة للمجندين، وأسس أول أكاديمية عسكرية لتدريب الضباط.

عمل موريس أيضاً على ضمان توفير أحدث الأسلحة المتوافرة لجنوده، بما في ذلك البنادق الأخف وزناً والأطول مدى، وقام بتوحيد عيارات مدفعيته، كما دمج بطاريات المدافع وعناصر الإسناد بالهندسة الميدانية لتصبح جزءاً

عضوياً من تشكيلات كتائب المشاة. ولم يدخل تغييراً يذكر على قوات سلاح الفرسان الهولندية، ولكنه نفذ تدريبات مكثفة ليزيد سرعة الفرسان في الاستجابة للأوامر في أثناء المعركة.

حظي الضباط والجنود أيضاً باهتمام ورعاية موريس، فقد كان يجندهم من السكان الوطنيين وفرض عليهم نظاماً صارماً للتدريب والانضباط، ووفر لهم الرواتب الكافية التي عمل على دفعها على أساس منتظم، وهو ما لم يكن معتاداً بالنسبة إلى الجيوش في القرن السادس عشر. وشجع موريس ضباطه على الالتحاق بالجامعات المحلية.

عام 1590 كان موريس قد فرغ من حشد جيش مدرب يعتمد عليه وله القدرة على الاستجابة للأوامر وسرعة الحركة، واستغل موريس فرصة إعادة انتشار الجيش الإسباني لمواجهة التزامات في مناطق أخرى من القارة الأوروبية وقام بالاستيلاء على بريدا (Breda) وستانبيرجين (Steenbergen) عام 1590، كما تمكن في السنة التالية من الاستيلاء على ديفنتر (Deventer) وزوتفين (Zutphen) ونيامخن (Nijmegen) وجرونجين (Groningen). وبعد إخضاع الأقاليم الشمالية، بدأ موريس في خلال الأعوام العشرة التالية بناء نظام دفاعي يربط المدن والأنهار بعدد من المتاريس التي تدعمها المدفعية والحواجز التي بنتها وحدات المهندسين.

واصل موريس إلى بناء خطّه الدفاعي، تنفيذ العمليات الهجومية ضد القوات الإسبانية في الأقاليم الجنوبية. فقد تقدم في 24 كانون الثاني - يناير 1597 تحت ستار الطقس السيء ليهاجم القوات الإسبانية المؤلفة من ستة آلاف رجل في منطقة تورنهوت (Tournhout) بقواته المكونة من سبعة آلاف رجل. ولم يخسر الهولنديون في هذه المعركة إلا مائة رجل، في مقابل 2500 قتيل من أعدائهم. وانتقل موريس بعد ثلاث سنوات إلى منطقة أبعد في اتجاه الجنوب وقام بغزو فلاندرز. وفي 2 تموز - يوليو من العام نفسه هزم الإسبان في معركة حاسمة بنيوبورت (Nieuwpoort) وكبدهم خسارة بلغت 3500 جندي، بينما

بلغت خسارته 2500 جندي. واضطر موريس إلى الانسحاب إلى الأراضي الهولندية بسبب تلك الخسائر وطول خطوط الإمداد المتاحة له.

دخل موريس في عدد من المعارك البرية والبحرية الصغيرة خلال السنوات القليلة التالية، كما كان يتعامل مع صراعات داخلية على السلطة. وتمكن من تحقيق هدنة طويلة مع إسبانيا عام 1609 بفضل كبر حجم جيشه وتحصيناته القوية، ولكنه عاد ليرفض تجديد اتفاق الهدنة مع إسبانيا عام 1621 ليواصل القتال ضدها من جديد. لكنه لم يحقق أي انتصارات كبرى في حملته الأخيرة، وتوفي بمرض مزمن في الكبد بمدينة لاهاي في 23 نيسان - إبريل 1625 وكان في السابعة والخمسين من عمره.

وعلى الرغم أن موريس لم يواجه جيشاً غازياً ولم يسع إلى إخضاع أراضي بلدان أخرى على نحو ما جرى مع قادة آخرين، فإنه يستحق ازدراج ضمن قائمة أبرز القادة العسكريين؛ لكونه أول من رسخ مفهوم الكتيبة بوصفها القوة المناورة الأساسية، كما وضع الأسس الخاصة برعاية وتدريب الضباط والأفراد. وقد أصبح جوستاف أدولف واحداً من أعظم القادة العسكريين على مر التاريخ بفضل تبنيه للعديد من التغييرات التي قدمها موريس وإدخالها تحسينات على جزء منها. كما قامت جيوش أخرى في كل أنحاء أوروبا بنقل وتطبيق الهيكل التنظيمي الذي ابتدعه موريس، واتباع طرق التدريب التي كان قد أدخلها.



جان دارك

JOAN of ARC

بطلة فرنسية

(1431 - 1412)

ولدت جان في 6 كانون الثاني ـ يناير 1412 بقرية دونريميه (Domremy) الواقعة في شمال شرقي فرنسا لأبوين متدينين من الفلاحين في تلك المنطقة. وتقول الروايات بأن جان قد بدأت تسمع وهي في الثالثة عشرة من عمرها أصوات قديسين حددتهم فيما بعد بأسماء، وهم ميخائي ومارجريت وكاثرين. ويبدو أن جان قد كتمت تلك التوجيهات القدسية بتحرير بلادها حتى عام 1429 حين اتصلت بروبيرت دو بودريكورت (Robert de Baudricourt) الذي كان قائداً لقوات المليشيا في مدينة مجاورة، وأقنعته بتوفير قوة مرافقة إلى قصر وادي لوار (Loire Valley) الذي يقطنه شارل، الابن الوحيد الذي بقي على قيد الحياة حينها من أبناء الملك شارل السادس.

قادت جان دارك ـ وهي مزارعة فرنسية شابة ـ جيشاً أنهت به حصاراً أورليان (Orleans) وتوجت شارل الابن البكر لملك فرنسا، باعتباره الملك والوريث الشرعي لعرش والده، كما طردت الجيش الإنجليزي من أراضي بلادها، وذلك «بوحي من السماء» حسبما قالت. ومع أنها عاشت الحياة العسكرية لمدة تقل عن السنة وماتت قبل بلوغ سن العشرين، فقد أثرت بصورة مباشرة في حصاد حرب المئة عام ولا تزال تعتبر حتى اليوم رمزاً إلى الوفاق والوحدة في فرنسا.

وكان شارل الابن قد حرم من تاج الملك في فرنسا بموجب معاهدة تروييه (Troyes) لعام 1420 بين إنجلترا وفرنسا، وحاول جاهداً دون أن يصيب نجاحاً اعتلاء العرش الملكي بطرد المحتلين الإنجليز حتى ظهرت جان. فوجه شارل رجال الكنيسة بمقابلة تلك الشابة والاستماع لدعاواها، وعندما أكدوا له صحة ما تدعيه، قام بتزويدها بقوة صغيرة لمرافقتها إلى أورليان.

ليس هناك أي أثر في الروايات التاريخية التي تناولت سيرة جان دارك بالكثير من الافتتان يدل على تفسير منطقي للأسباب التي دعت قادة الجيش الفرنسي إلى السماح لها بتولي القيادة. وعلى الرغم ذلك فقد قادت في مطلع أيار ـ مايو 1429 سلسلة من الهجمات الناجحة لإنهاء حصار أورليان وأجبرت القوات الإنجليزية على الانسحاب في 8 أيار ـ مايو من السنة نفسها. وشاعت الأخبار التي تتحدث عن الانتصار الذي تحقق في أورليان، وعن القائدة الجديدة التي تستجيب «لأصوات قدسية» في أنحاء البلاد، وجددت الروح الوطنية بين الفرنسيين و استحثتهم على تحرير بلادهم من قبضة المستعمر الإنجليزي.

ومن ثم انتقلت جان دارك من أورليان إلى رانس (Rheims) وفتحت الطريق وطردت المستعمرين من المدينة، وتم تنصيب شارل السابع. في كاتدرائيتها ليصبح ملكاً لفرنسا في 17 تموز ـ يوليو من السنة نفسها. وبعد حضورها مراسم التنصيب، شجعت الملك شارل السابع على استغلال تلك الأفضلية والتقدم نحو باريس التي كان الإنجليز يحتلونها طيلة عشر سنوات. وفضل شارل تأجيل قراره

بناء على نصائح مستشاريه الذين أشاروا عليه بالتفاوض لعقد معاهدة سلام، ولكنه وافق أخيراً على خطة جان دارك وقاد الجيش الذي حمى تنصيبه نحو باريس في شهر أيلول ـ سبتمبر من السنة نفسها. وقادت جان دارك هجوماً انتهى بالفشل، فأصدر الملك شارل أمراً لقواته بالانسحاب والعودة إلى مقره بوادي لوار.

توقف نشاط جان دارك لفترة ستة أشهر، وعادت بعد ذلك إلى باريس وهي تقود قوة صغيرة. وفي 23 أيار ـ مايو هاجمت جيشاً من البيرجنديين (Burgundians) المتحالفين مع الإنجليز في مدينة كونبيين (Compiegne)، ولكنها فشلت في تلك المحاولة وتم أسرها. وسلمها البير جنديون إلى الإنجليز مقابل فدية، بينما سلمها الأخيرون إلى دائرة محكمة جامعة باريس التي يسيطر عليها الإنجليز وحاكمها قاضي محكمة التفتيش في فرنسا.

بدأت محاكمة جان دارك في كانون الثاني ـ يناير 1431، وشكلت المحاكمة انتهاكاً للعديد من الإجراءات والأصول القانونية المعروفة في ذلك الحين؛ فقد تم تغيير الاتهامات الأولى بالسحر إلى تهمة الزندقة أثناء سير المحاكمة، وتبدلت الإجراءات تدريجياً وركزت على رفض جان دان دارك الموافقة على الخضوع لتحقيق الكنيسة في موضوع «الأصوات القدسية» وقضية ارتدائها ملابس الرجال. وفي 24 أيار ـ مايو 1431 اصطحب مسؤولو المحكمة جان دارك إلى ميدان عام، وأبلغوها أنهم سيحكمون عليها بالإعدام إذا رفضت الاعتراف بالتهم المنسوبة إليها؛ فأقرت جان دارك «بجرائمها وأخطائها»، لكنها عادت بعد أيام وارتدت ملابس الرجال لتسحب بذلك اعترافها السابق.

أعلن القضاة القائمون على محاكمة جان دارك في 29 أيار ـ مايو 1431 أنها «مرتدة عن دينها»، وقام سجانوها بحرقها في اليوم التالي بعد شدها على وتد أمام حشد كبير من الناس بسوق روان (Rouen) الكبيرة. ولم يبذل شارل السابع أي جهد في خلال المحكمة أو بعدها لإنقاذ جان دارك.

لم ينته تأثير جان دارك في الجيش الفرنسي بموتها؛ فقد تشكلت جماعات من الثوار تخليداً لذكراها وقامت بشن غارات على خطوط القوات الإنجليزية،

كما استجمع الجيش الفرنسي المحبط قواه واستلهم سيرتها ليجدد قتاله ضد المحتل الإنجليزي. وتمكن الفرنسيون خلال خمس سنوات فقط من طرد الإنجليز خارج باريس، وكسبوا هدنة معهم في نهاية المطاف.

كان لتأثير جان دارك، سواء في الواقع أو في الأسطورة، دور مباشر في حرب المئة عام. وليس ثمة دليل يثبت فهمها لأي قدر من التكتيك والاستراتيجية أو حتى الضروريات الأساسية للعمليات العسكرية، ولكنها امتلكت موهبة القيادة التي فهمتها وبرهنت على إجادتها بالفعل. فقد كانت تتقدم القوات في جميع المعارك التي شاركت فيها، وعلى الرغم من تعرضها للإصابة مرتين فقد ظلت باقية في أخطر المواقع في قلب المعركة. وتجدر الإشارة إلى أنها كانت تدرك قيمة شخصيتها كرمز وطني أكثر من كونها مجرد مقاتلة، وأنها قد أقرت على الفور أثناء محاكمتها بأنها لم تقتل أي فرد في المعارك التي خاضتها.

حققت جان دارك في خلال ستة أشهر فقط من المشاركة في القتال التميز الذي جعلها المرأة الوحيدة ضمن قائمة أبرز القادة العسكريين، ولكنها لم تكن مجرد رمز. وبغض النظر عن مشاعر المرء تجاه مسألة «الأصوات القدسية»، أو تجاه مشاركة المرأة في الأعمال القتالية، يمكن القول بأنها قد تركت سمة بارزة في ذلك الحين، وهي السمة التي استمرت إلى يومنا هذا.

عاد شارل السابع، الذي لم يفعل شيئاً لإنقاذ جان دارك حين أخضعت للمحاكمة، وأمر بإعادة محاكمتها رسمياً عام 1456، وردت تلك المحاكمة للشابة المناضلة اعتبارها. وفي 16 أيار ـ مايو 1920 أعلن البابا بينديكت الخامس عشر (Pope Benedict XV) تطويبها كقديسة. ولا تزال فرنسا تعتبر يوم الأحد الثاني من شهر أيار ـ مايو من كل عام عطلة وطنية في كل أنحائها، وذلك تكريماً لجان دارك التي كانت رمزاً خالداً إلى وحدة ذلك البلد وقوميته.



آلن فرانسيس بروك (آلانبروك)

ALAN FRANCIS BROOKE (ALANBROOKE)

قائد بريطاني

(1883 ـ 1963)

كان مولد بروك في 23 تموز ـ يوليو 1883، بمنطقة بانجيريه ـ دو ـ بوجور (Bangeres - de) Bigorre) في فرنسا لعائلة أيرلندية من ملاك الأراضي. وعاش في بداية حياته في فرنسا وتلقى تعليمه فيها ثم في أيرلندا، ثم التحق بالأكاديمية العسكرية لملكية في وولتيش (Woolwich). وبعد تخرجه عام 1902 برتبة ضابط في قوات المدفعية، خدم في أيرلندا والهند وعاد إلى فرنسا في أيلول ـ سبتمبر 1914. وتولى في خلال الحرب العالمية الأولى قيادة قوات مدفعية من كندا والهند. وكان قد نال عدداً من الأوسمة تقديراً لما أبداه من شجاعة، كما حظي بالثناء لقيامه بتعديل نظام ستار النيران بالمدفعية الزاحفة المطبق في فرنسا ليقوم بإسناد القوات المهاجمة.

خدم بروك، رئيس هيئة أركان جيوش الإمبراطورية البريطانية، وكمستشار عسكري لرئيس الوزراء السابق ونستون تشرشل خلال الحرب العالمية الثانية. وقد تعاون بصورة جيدة مع الحلفاء الأميركيين والسوفيات وكان بمنزلة القوة المحركة في تحقيق الوحدة وتحديد أهداف الحلف. وكان لجهوده، خصوصاً خلال المرحلة المبكرة من الحرب، دور مهم في إيقاف تقدم قوات المحور وهزيمتها لاحقاً.

تولى بروك عقب الهدنة سلسلة من مناصب الأركان والقيادة المهمة، ومنها منصب قائد كلية المدفعية ومنصب مدير التدريب العسكري. وتولى عام 1939 قيادة الفيلق الثاني من قوات التدخل السريع البريطانية في فرنسا. وعلى الرغم من تفوّق الألمان عليه، فقد أظهر مهارة فائقة عند الانسحاب إلى دنكيرك وإخلائها. إذ أدى تنسيقه المميز للتحرك على الساحل - والذي تم عن طريق زياراته الشخصية للقادة العاملين تحت إمرته في جبهة القتال - إلى ضمان الانسحاب الناجح لأغلب قوات الحلفاء عبر القنال الإنجليزي.

كسب اثنان من قادة الفرق الذين عملوا تحت إمرة بروك في دنكيرك، وهما الجنرال بيرنارد لو مونتجمري والجنرال هارولد روبيرت ألكسندر (Harold Rupert Alexander) شهرة واسعة في المدة المتبقية من الحرب. وعلى الرغم من أنه لم يصب القدر نفسه من النجاح الذي حققه مرؤوساه المذكوران، فإنه يعتبر أكثر تأثيراً ونفوذاً منهما لكونه قائدهما الذي عملا تحت قيادته، وهو الذي كان يوجه العمليات التي نفذاها تحت إمرته.

تولى بروك لدى عودته إلى إنجلترا قيادة القوات البريطانية المرابطة في الداخل (في إنجلترا) وقام بوضع خطة دفاعية ضد غزو ألماني محتمل. وأصدر تشرشل، رئيس الوزراء البريطاني حينها، قراراً في كانون الأول - ديسمبر 1941 بتعيينه رئيساً لهيأة أركان قوات الإمبراطورية، حيث أصبح القائد العام للقوات البرية البريطانية بأكملها.

سجل بروك في مذكراته الحربية أن دوره في الحرب كان تحويل تطلعات

تشرشل إلى واقع عسكري، وفي واقع الأمر تحول بروك إلى مهندس لسياسة الحلفاء التي أعطت الأولوية لأوروبا والمعروفة باسم «أوروبا أولاً» والتي ركزت على هزيمة الألمان قبل التحول لمواجهة اليابان بكامل القوة، كما صاغ الخطة الاستراتيجية لتحرير منطقة شمال أفريقيا وجزيرة صقلية وإيطاليا بالتزامن مع قصف المراكز على ألمانيا لإضعاف تصميم الألمان على مواصلة الحرب. وكانت هيأة أركانه قد وضعت الخطة الأولية لمعركة نورماندي، ما جعل تشرشل يشعر بالارتياح التام لدرجة أنه قد أوصى بتعيينه قائداً أعلى لتلك العملية. وعلى الرغم من حرصه الزائد على تولي القيادة الميدانية لعملية غزو نورماندي، فقد أذعنَ للرغبة الأميركية التي طالبت بأن يتولى دوايت ديفيد أيزنهاور قيادة وتوجيه عملية الغزو، تقديراً لارتفاع حجم الوحدات الأميركية المقاتلة والتي كانت تشكل غالبية القوة المنفذة للغزو.

كان بروك قد أثنى على تشرشل ووصفه بأنه «أروع رجل قابله في حياته»، إلا أنه عاد وسجل في مفكرته الحربية أيضاً بأن رئيسه قد كان «أصعب شخص عمل معه في حياته». وعلى الرغم من الاختلافات بينهما فقد عملا معاً وشكلا فريقاً متمكناً في وضع الخطط والإشراف على سير الحرب، حيث تولى تشرشل القيادة السياسية وقام بروك بواجبه في القيادة العسكرية. ولكن الأهم من ذلك هو أن بروك قد تمكن من خلق وإدامة علاقات عمل جيدة مع القادة السوفيات ومن ضمنهم ستالين، كما حظي باحترام وتقدير روزفلت والقادة العسكريين الأميركيين. وكان نظير الأميركي في قيادة قوات الحلفاء، جورج كاتليت مارشال، قد وصفه على أفضل نحو، حيث قال عنه «لقد كان حازماً في التمسك بموقف، ولكنه كان متقبلاً للحوار، وكان ذا أفق واسع في آرائه وأحكامه، وكانت صداقته مصدراً للغبطة والسرور».

تبادل أيزنهاور وبروك الإعجاب كعسكريين محترفين؛ فقد كتب أيزنهاور في مذكراته قائلاً: «لم يكن بروك ليتردد في الاختلاف معك بحدة. . . بيد أن ذلك لم يؤثر مطلقاً في صلاته وصداقاته الشخصية الحميمة، أو في طبيعة دعمه غير المحدود، يجب أن يصنف كقائد عسكري بارع».

وقد قدر تشرشل براعة بروك بترفيعه إلى رتبة مشير في كانون الثاني ـ يناير 1944. كما اعترف الحلفاء في أنحاء العالم بمساهماته، إذ كرمته في حينها حكومات دول مثل بولندا وبلجيكا وفرنسا والدنمارك وتشكيوسلوفاكيا واليونان والبرتغال وأثيوبيا والاتحاد السوفياتي والسويد على ما قام به. وبعد تقاعده عن الخدمة الفعلية عام 1946 تم ترفيعه ليصبح نبيلاً برتبة فيكونت. وتوفي بروك بمرض ا لقلب في وتني (Wintney) بإنجلترا في 17 حزيران ـ يونيو 1963 وكان في التاسعة والسبعين من العمر.

إضافة إلى قدرات بروك في المجال الاستراتيجي ومهاراته الدبلوماسية، كان يتصرف كمشير بريطاني؛ فقد كان ذا قامة رياضية نحيلة وكان له شارب قصير وطغت عليه هيأة العسكري الصارم. كما كان متحفظاً قوي العزيمة وكان مع ذلك صبوراً في التعامل مع مرؤوسيه في أثناء العمل الرسمي، أما في غير هذه الأوقات فقد كان منفتحاً على الآخرين، وكان يتعامل بلطف وبلا حواجز مع ذوي الرتب جميعاً.

وفرت المفكرة العسكرية التي سجل فيها بروك تفاصيل يومياته في مرحلة الحرب، توصيفاً ثاقباً وتحليلاً دقيقاً لعمليات صنع القرارات الرئيسة والثانوية التي اتخذت. وعلى الرغم من الشهرة الواسعة التي حظي بها مرؤوسوه من القادة الميدانيين الذين عملوا تحت إمرته، ومنهم مونتجمري وهارولد ألكسندر، فإن بروك هو أبرز شخصية عسكرية بريطانية التي كان لها أثر كبير في الحرب العالمية الثانية؛ وذلك لقيامه بصياغة سياسات الحلفاء ومساهمته في تحقيق وحدتهم.

كان لبروك تأثيراً أكبر، مقارنة بنظرائه، في سياسات الحلفاء وعملياتهم في المرحلة الأولى من الحرب. ومع تطور الصراع وتزايد المشاركة الأميركية فيه، تقلص دوره في وجود القائدين مارشال وأيزنهاور وذلك لتنامي قوة الولايات المتحدة الأميركية وتراجع القوة البريطانية.



جان بايتيست فاكيت دو جريبوفال

JEAN BAPTISTE VAQUETTE DE GRIBEAUVAL

قائد فرنسي

(1789 ـ 1715)

ولد جريبوفال بمدينة أميان (Amiens) في 17 أيلول ـ سبتمبر 1715، وكان والده قاضياً. وفي عام 1732 التحق بقوات المدفعية الفرنسية ونال رتبة ضابط بعد ثلاثة أعوام من ذلك، وظل يخدم طيلة العشرين عاماً التالية في العديد من المناصب القيادية والميدانية، كما درس فنون المدفعية، وتم إلحاق جريبوفال بالجيش النمساوي عند اندلاع حرب السنوات السبع، واشترك في العمليات القتالية في أثناء حصار جلاتز (Glatz) في شهري حزيران ـ (يونيو) ـ تموز ـ (يوليو) 1760، كما شارك في مرحلة لاحقة في الدفاع عن مدينة شفايدنيتز (Schweidnitz). وتدرج جريبوفال في سلم الترقيات حتى وصل إلى رتبة مشير، ووصل إلى منصب القائد العام لجميع قوات المدفعية النمساوية بانتهاء الحرب.

تولى جريبوفال بعد عودته إلى فرنسا عام 1764 منصب مفتش بسلاح المدفعية. وتم ترفيعه إلى رتبة فريق في السنة التالية، ونظراً إلى ضعف نفوذه وصلاته لدى البلاط الملكي فقد مضت عشر سنوات أخرى قبل أن يحصل جريبوفال على منصب المفتش العالم للمدفعية. وبعد أكثر من أربعين عاماً من الخدمة في قوات المدفعية، وصل جريبوفال أخيراً إلى الموقع الذي أتاح له مباشرة إدخال التغييرات وتنفيذ التطوير الذي ظل يخطط له منذ التحاقه كضابط حديث بقوات المدفعية.

قام جان دو جريبوفال بتحديث وإعادة تنظيم عناصر الإسناد بالنيران في الجيش الفرنسي، مما أدى إلى تفوق المدفعية الفرنسية طيلة قرن بأكمله. وكانت التطويرات التي أدخلها في توحيد عيارات المدافع والدمج ما بين عربات حمل المدافع وأجزاء المدفع نفسه، ثم ما أدخله من تطوير في قابلية المدفع للحركة السهلة هي الأسس التي استمر استخدامها إلى يومنا هذا. وبالإضافة إلى تحديث الأسلحة، قام جريبوفال أيضاً بتدريس تكتيكات المدفعية واستخداماتها لعدد من كبار القادة في تلك الفترة، ومنهم نابليون.

وتمكن الأسس التي قامت عليها إصلاحات جريبوفال في توحيد عيارات المدافع وتخصيص مدافع محددة للقيام بواجبات محددة. وكانت الجيوش قد اعتادت، قبل مجيء جريبوفال، حشد المدافع من كل الأصناف دون اعتبار للأحجام والأوزان ومدى قابلية الحركة للقيام بأي مهام قتالية تواجهها. وجاء جريبوفال ليصنف المدفعية إلى ثلاث فئات هي مدفعية الميدان ومدفعية الحصار والمدفعية المتركزة، واقتصر إنتاج قذائف المدافع على زنة أربعة أرطال وثمانية أرطال واثني عشر رطلاً فقط، كما خفض الوزن العام للمدفع ليصل إلى 150 صعفاً من وزن القذيفة الواحدة. وحصر استخدام المدافع ذات القذائلف زنة ثمانية وزنة اثني عشر رطلاً، وهي المدافع الأكبر حجماً والأثقل وزناً والأقل قابلية للحركة، لتبقى في المواقع المتمركزة والدفاعات والتحصينات الساحلية، بالإضافة إلى استخدامها في حالات الحصار الطويل الأمد لمعاقل ونقاط العدو

القوية. وركز جريبوفال على المدافع ذات القذائف زنة أربعة أرطال، كما أدخل في مرحلة لاحقة مدافع ذات قذائف زنة ستة أرطال لتكون مدافع الهجوم الأساسي.

أدرك جريبوفال أن أكبر عقبة تقيد المدفعية، وخاصة في حال الهجوم، وهي افتقادها لقابلية الحركة. لذا قام بتنفيذ تغييرات لتمكين قطع المدفعية من التنقل بسهولة، ليس مع قوات المشاة فقط ولكن مع قوات سلاح الفرسان أيضاً. واستخدم لهذا الغرض مجموعات من الخيول التي وزعها في شكل أزواج لتقوم بجر عربات حمل المدافع الأخف وزناً والمصممة على نحو أفضل والمجهزة بمقصورة تخزين للقذائف والبارود. وقام بمعايرة وتوحيد تجهيزات تحميل المدافع وأجزاء المدفع نفسه لتصبح قابلة لتعويض بعضها ببعض. كما أضاف جريبوفال أيضاً عربات أخرى لتحميل الذخيرة وقطع الغيار والمؤن والإمدادات اللازمة لأفراد سدنة المدافع.

شدد جريبوفال على فرض المزيد من الجودة النوعية في توحيد وزن القذائف وأحجام قوالبها وفي إنتاج بارود المدافع. كما ابتكر مقاييس متدرجة لدرجات انحراف المدفع، وقام بتركيب مسامير لولبية لتسهيل عملية التصويب على الهدف وتعديل وضعيته بدقة تامة.

وقام مفتش المدفعية الفرنسية أيضاً بإعادة تنظيمها على أساس بطاريات تحتوي كل واحدة منها على ثمانية مدافع، ليبقى السدنة مع الخيول والمدافع العاملة نفسها ليشكلوا فريقاً واحداً. وتقوم تلك البطاريات المكتفية ذاتياً بالمناورة كوحدات مستقلة وتتدرب على الرماية المنسقة التي تطلق فيها دفعة واحدة من القذائف.

أدرك جريبوفال أن الاهتمام بجودة سدنة المدافع لا يقل أهمية عن المدافع نفسها؛ ولذا قام باستبدال السائقين المدنيين ومدربي الخيول التقليديين المدنيين واستعاض عنهم بجنود نظاميين، وساعد التدريب الصارم المكون من التدريبات المتكررة وتمارين الرماية بالذخيرة الحية على تحويل السدنة إلى فرق ذات كفاءة

عالية، كما بذل جهداً لزيادة رواتب وتحسين مستوى معيشة أفراده العاملين ضمن سدنة المدافع بالإضافة إلى جنود الجيش الآخرين.

كان جريبوفال يعتقد أن السبيل لتحقيق أقصى أفضلية ممكنة من استخدام المدفعية في المعركة هو استيعاب القادة الفرنسيين لقدراتها وقيادتها. ولهذا الغرض بدأ بإعطاء الضباط تدريباً متخصصاً على المدفعية وتدرب على يديه العديد من كبار القادة الفرنسيين، ومنهم نابليون بونابرت. وواصل جريبوفال تقديم خدماته لفرنسا وتطوير مدفعيتها حتى وفاته بباريس في 9 أيار ـ مايو 1789.

رفع جريبوفال مكانة المدفعية لتصبح صنواً مكملاً لقوات المشاة والفرسان ضمن الثالوث المكون لعناصر الحرب البرية. وإذا كان الجنرال السويدي جوستاف أدولف ومرؤوسه لينارت تورستنسون هما اللذين وضعا اللبنات الأولى لأهمية المدفعية، فإن جريبوفال هو الذي قام بتطوير أفكارهما ودمج المدفعية لتصبح عنصراً عضوياً من عناصر الحرب الحديثة. وحققت فرنسا التفوق في مجال المدفعية خلال القرن التاسع عشر بفضلب التحديثات التي أدخلها جريبوفال على معداتها واهتمامه برعاية سدنتها وتوفير ظروف خدمة جيدة لها، فضلاً عن حرصه على تدريب كبار القادة في بلاده لاستيعاب فنون المدفعية المختلفة.



أومار نيلسون برادلي

OMAR NELSON BRADLEY

قائد أميركي

(1981 - 1893)

ولد برادلي في 12 شباط ـ فبراير 1893 لأب يعمل كاتباً إدراياً، في عائلة ذات إمكانات مادية متواضعة في ولاية ميسوري. وبذل برادلي جهداً كبيراً في الدراسة والنشاط الرياضي، وتم قبوله بالأكاديمية العسكرية الأميركية في ويست بوينت. وزامل برادلي الجنرال دوايت أيزنهاور في دفعة عام 1915 بالأكاديمية العسكرية، وهي الدفعة التي لقبت «بالدفعة التي سقطت عليها النجوم» بسبب عدد القادة الذين كانوا من المنتسبين إليها.

لم يكن برادلي قد حصل على أي خبرة قتالية عندما تم تعيينه ليصبح واحداً من كبار القادة الأميركيين في خلال مرحلة الحرب العالمية الثانية. فعلى الرغم من محاولاته العديدة للانضمام إلى القوات الأميركية التي تم نشرها في فرنسا في

الحرب العالمية الأولى، فقد ظل يعمل في المهام التي أسندتها إليه الولايات المتحدة الأميركية. وكانت حياته المهنية ما بعد الحرب قد سارت بوتيرة نمطية مشابهة لزملائه من الضباط الأميركيين، حيث تناوبت ما بين واجب قيادة القوات والالتحاق بالكليات ومعاهد التدريب في وقت ندرت فيه الترفيعات وانخفضت الرواتب. ولم يحصل برادلي على رتبة رائد إلا بعد تسع سنوات من تخرجه في الكلية العسكرية في ويست بوينت، وظل على تلك الرتبة طوال اثنتي عشرة سنة.

وبغض النظر عن الرتبة، بدأ برادلي يترك بصماته الخاصة على مسيرة الجيش الأميركي في وقت مبكر من حياته المهنية. ففي عام 1929، وعقب ثلاثة أعوام من الخدمة مع كتيبة المشاة السابعة والعشرين في هاواي وقضاء عام بكلية القيادة والأركان بقاعدة فورت ليفنورث (Fort Leavenworth) بولاية تكساس، عاد برادلي إلى قاعدة فورت بيننج بولاية جورجيا ليخدم ثانيةً بوصفه معلماً بمدرسة المشاة. واستطاع نيل اهتمام الجنرال جورج كاتليت مارشال، رئيس هيأة أركان الجيش فيما بعد، والذي تعرف عن قرب على المهارات التنظيمية والقدرات القيادية للضابط الشاب.

خدم برادلي ومارشال معاً فترات متقطعة في خلال العشرين عاماً التالية. وعمل مارشال الذي تعهد مرؤوسه الموهوب بالرعاية، على إسناد مهام أفادت الجيش وحققت لبرادلي المزيد من التقدّم المهني. فقد رتب مارشال في شباط - فبراير 1941 لبرادلي أن يتولى قيادة مدرسة المشاة، ومن ثم يتم ترفيعه إلى رتبة عميد. وأسندت إلى برادلي عقب إعلان الحرب قيادة فرقة المشاة الثانية والثمانين، ثم قيادة فرقتي المشاة الثامنة والعشرين والثانية والثمانين لمدة قصيرة في أثناء استعدادهما للمشاركة في الحرب.

قاد أومار برادلي، القائد الأول للقوات الأميركية البرية العاملة بمسرح العمليات الأوروبي في الحرب العالمية الثانية، فيلقاً بشمال أفريقيا وصقلية كما قاد جيشاً في معركة نورماندي. وبعد وقت قصير من اندلاع الحرب على السواحل الفرنسية، تولى برادلي قيادة مجموعة القتال الثانية عشرة من قوات

الجيش الأميركي المكونة من مليون وثلاثمائة ألف رجل ـ وهو أكبر تشكيل عسكري من حيث القوى البشرية في تاريخ القوات الأميركية ـ ودخل بها ألمانيا حيث هزم جيشها. وحاز برادلي لقب «الجنرال المجند» نظراً لتواضعه وارتباطه الدائم بالجنود.

أسندت أول مهمة قتالية إلى برادلي ليعمل بصفة مساعد قائد لزميل دفعته السابق أيزنهاور الذي تولى قيادة القوات الأميركية في شمال أفريقيا. وكان أول واجب ميداني له هو العمل مساعداً لقائد قوات الفيلق الثاني تحت إمرة جورج باتون. وعندما تم ترفيع باتون ليقود الجيش السابع، تولى برادلي من بعده قيادة قوات الفيلق الثاني وهو برتبة فريق طيلة المدة المتبقية من حملة شمال أفريقيا. وفي 7 أيار ـ مايو 1943 تمكنت قوات برادلي من احتلال مدينة بنزرت، كما أسرت أربعين ألفاً من قوات المحور.

ظل برادلي قائداً لقوات الفيلق الثاني، وخدم في الجيش السابع بقيادة جورج باتون في خلال الهجوم على صقلية في 10 تموز ـ يوليو 1943، وكان برادلي في مقدمة هجوم الحلفاء، وتمكن من احتلال ميسينا (Messina) عقب خمسة أسابيع فقط من تنفيذ مراحل الإنزال.

وقع اختيار أيزنهاور على برادلي في تشرين الأول ـ أكتوبر 1943 ليتولى قيادة الجيش الأول الأميركي المشكل من القوات البرية التي كانت تستعد لتنفيذ عملية أوفر لورد في نورماندي. ولم يتم اختيار باتون لقيادة تلك العملية بسبب حادثة صفعه لعدد من الجنود وما نالته من تغطية عامة في وسائل الإعلام، وأصبح يعمل تحت إمرة برادلي.

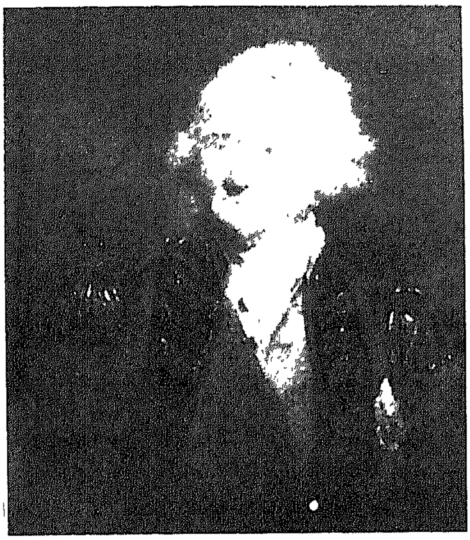
ازدادت مسؤوليات برادلي بعد اختراق الحلفاء لدفاعات نورماندي وتحركهم إلى داخل الأراضي الفرنسية، فاستغل برادلي مزية الأفضلية الناتجة عن التقدم الهجومي للحلفاء، وحرم الألمان من تجهيز أي تحصينات قوية بعد أن حرر باريس واندفع نحو الأراضي الألمانية. وعلى الرغم من الانتكاسة التي حدثت بسبب الهجوم المعاكس النهائي الذي شنه هتلر في غابة الآردن

(Ardennes) في نهاية عام 1944، فقد تمكن برادلي من فتح ثغرة في خط سيجفريد (Siegfried Line)، وهو خط الدفاع الألماني المكون من سلسلة من التحصينات، وعبر نهر الراين عند رأس جسر ريماجين (Remagen) في مطلع عام 1945. وأجبر التقدم السريع لقوات برادلي أكثر من 335 ألف جندي ألماني على الاستسلام بعد أن حوصروا في جيب الرور (Ruhr Pocket).

تلقى برادلي ترفيعاً آخر وأصبح جنرالاً بأربعة نجوم في 12 آذار - مارس 1945. وفي الشهر التالي انضمت قواته إلى القوات السوفياتية على امتداد نهر إلب (Elbe)، ما أجبر ألمانيا على الاستسلام.

عين برادلي رئيساً لإدارة قدامى المحاربين وظل على رئاستها لمدة سنتين بعد انتهاء الحرب. وفي عام 1948 حل محل أيزنهاور كرئيس لهيأة أركان الجيش. وفي 16 كانون الثاني - يناير 1949 تم تعيينه كأول رئيس لهيأة الأركان المشتركة التي كانت قد تشكلت للتو، وخدم في ذلك المنصب في خلال المرحلة الأولى من الحرب الباردة والصراع الكوري. وفي أيلول - سبتمبر 1950 انضم برادلي إلى نخبة محدودة للغاية من الضباط الأميركيين الذين نالوا شرف الترفيع إلى رتبة جنرال بخمسة نجوم. وفي خطوة نادرة بالنسبة إلى هذه الرتبة تقاعد عن الخدمة الفعلية في 15 آب - أغسطس 1953، وظل يعمل مستشاراً لمؤسسات عسكرية وشركات صناعية خاصة، حتى أدركته المنية بمدينة نيويورك في 8 نيسان - إبريل 1981 وهو في الثامنة والثمانين من عمره.

ساهم برادلي بجهد رئيس في انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية؛ فقد استطاع قيادة قوات ضخمة باقتدار تام، وحافظ على التوازن الدقيق الذي فرضته ظروف القتال ضمن التحالف مع البريطانيين والحلفاء الآخرين مع الإفادة القصوى من جهود قادة ممتازين - ومزاجيين في الوقت نفسه - مثل باتون. وأخيراً، فقد امتد تأثير برادلي ليشمل الجنود الذين خدموا تحت إمرته، وكان محبوباً لديهم بكل تأكيد. ولا شك في أن تلك الخصائص لا يحظى بها إلا قلة من القادة العسكريين في أي عصر من العصور.



رالف آبركرومبي

Ralph Abercromby

قائد بريطاني

(1801 - 1734)

ولد آبر كرومبي بمدينة منستري (Menstry) في إسكتلندا في 7 تشرين الأول ـ أكتوبر 1734 لعائلة بارزة تنتمي إلى طبقة ملاك الأراضي. ودرس بمدرسة رجبي (Rugby) قبل الالتحاق بدراسة القانون في إدنبرة وليبتسخ. لكنه سرعان ما مل مهنة القانون وأقنع والده عام 1756 أن يشتري له رتبة ضابط ضمن وحدة الحرس الثالثة. وخاض آبركرومبي بعد سنتين من ذلك أول تجربة قتالية له في ألمانيا خلال حرب السنوات السبع. وظل يخدم هناك حتى انتهاء تلك الحرب عام 1763 حيث تعلم الكثير من قادته ومن البروسيين الذين أعجب بانضباط وحداتهم.

عاد آبركرومبي إلى وطنه بعد توقيع معاهدة هوبير تسبورخ

(Hubertusburg) ليخدم في أيرلندا. لكنه اقتنع تحت ضغوط من عائلته بترك الخدمة العسكرية عام 1773 ليترشح لعضوية البرلمان، وفاز بمقعد برلماني، ولكنه خسر النفوذ السياسي بانحيازه إلى حركة الاستقلال في المستعمرات الأميركية، على الرغم من تعرض أحد أشقاء آبركرومبي للإصابة وحصول آخر على وسام الشجاعة تقديراً لبسالته في الحرب الثورية الأميركية، فقد واصل معارضة الاحتلال البريطاني والقمع لتلك المستعمرات.

كره آبر كرومبي ممارسة السياسة فاستقال من عضوية البرلمان عام 1780، وعاد إلى الخدمة في الجيش في الوقت المناسب لينضم إلى حملة دوق يورك المتجهة نحو هولندا. وفي عام 1793 وصل آبر كرومبي إلى رتبة لواء وقاد قوة بحجم لواء إلى داخل إقليم فلاندرز لمواجهة الفرنسيين. وحقق هناك سمعة مميزة بفضل شجاعته القيادية في المعارك التي جرت في فيرن (Furnes) وفالسنيين. وكان آبر كرومبي واحداً من قلة من القادة البريطانيين الذين خرجوا بسمعة طيبة من تلك الحملة؛ وذلك بفضل قيادته الماهرة للقوات التي تولت حراسة مؤخرة الجيش عند انسحابه من هولندا في شتاء عام 1794 ـ 1795.

أثرت الهزيمة التي تعرض لها الجيش البريطاني في أميركا وانسحابه الاضطراري من أوروبا في معنويات أفراده وكفاءة ضباطه بصورة سلبية للغاية، وجعلت المراقبين يصفون ضباطه الذين كانوا في السابق معتدين بأنفسهم بأنهم مجموعة من «العجائز»، وأن جنوده «صبية معتوهون». وكرس آبركرومبي جهده خلال الفترة المتبقية من حياته المهنية لمهمة استعادة الانضباط بين صفوف الجيش واستعادة الاحتراف الذي كان معروفاً بين ضباطه.

مهد رالف آبركرومبي السبيل لاستعادة الاحتراف في الجيش البريطاني في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر، وبرز في تدريب الضباط والأفراد الذين حققوا النصر في الحروب ضد نابليون. واجتمعت لديه صفات مثل الشجاعة ورباطة الجأش والاهتمام الفائق بالجندي العادي لتكسبه محبة العسكريين والمدنيين على السواء. ولولا قيادة آبركرومبي لما تمكن الجيش البريطاني ـ على

الأرجح - من هزيمة الفرنسيين وتحقيق مكانة بريطانيا العظمى كقوة عسكرية مهيمنة خلال ذلك القرن.

تولى آبركرومبي عام 1795 قيادة حملة جزر الهند الغربية وأبرح إلى منطقة الكاريبي للاستيلاء على الجزر التي تحتلها فرنسا. وتمكن في خلال حملة دامت سنتين من فك الحصار المفروض على القوة الإنجليزية في سان فنسنت (St. Vincent)، واستولى على جزر سان لوتشيا (St. Lucia) وديميرارا (Demerara) وترينداد، كما أعاد تنظيم الدفاعات البريطانية الموجودة على أرض جرينادا. وإلى جانب تلك الانتصارات العسكرية تمكنّ آبركرومبي من استعادة الانضباط في صفوف قواته، وتخلص من الضباط المعروفين بالفساد وعدم الكفاءة. وقام بحفز القوات العاملة تحت إمرته باعتماده الزي العسكري القطني الخفيف الملائم للمناخ الاستوائي، والذي استخدمه كبديل للزي التقليدي المصنوع من الصوف، كما شجع الاهتمام بالصرف الصحي وصحة الأفراد في الميدان.

تولى آبركرومبي عام 1797 قيادة كافة القوات البريطانية في أيرلندا قبل أن يغادر في عام 1799 للمشاركة في الحملة الإنجليزية - الروسية في هولندا. وفي عام 1800 تولى قيادة القوات البريطانية بمنطقة البحر الأبيض المتوسط واستولى على مينوركا (Minorca). وبعد تدريب مكثف على العمليات البرمائية، قام آبركرومبي في 8 آذار - مارس 1801 بإنزال 14 ألف جندي مشاة وألف من قوات الفرسان وستمائة قطعة مدفعية بمنطقة أبو قير بمصر. واعتبرت تلك العملية من أنجح وأكفأ عمليات الإبحار التي نفذت حتى ذلك الحين.

واجه آبر كرومبي قوات فرنسية قوية ومصممة على النصر خارج مدينة الإسكندرية في 21 آذار - مارس 1801، وتفوق البريطانيون المنضبطون لينتصروا في تلك المعركة. وظل آبركرومبي في مقدمة قواته في تلك المعركة على الرغم من تقدمه في العمر وضعف بصره، وعرض نفسه لنيران العدو وهو يواصل مؤازرة جنوده، وأصابته طلقة بندقية في فخذه مع نهاية المعركة وسببت له مضاعفات لم يتعاف منها مطلقاً، وتوفي عن عمر يناهز السادسة والستين على

متن السفينة الحربية «فودريانت» (Foudroyant) في 28 آذار - مارس 1801، ودفن في مالطا.

لربما كان أفضل مثال يدل على شخصية آبر كرومبي هو ما حدث في أثناء تلقيه العلاج الميداني من الإصابة القاتلة التي تعرض لها، فقد سأل أحد معاونيه قائلاً: «ما هذا الذي وضعتموه تحت رأسي»؟، وعندما أبلغوه أن الوسادة التي يتوسدها «ليست سوى غطاء لأحد الجنود»، رد الجنرال الهرم متذمراً «أعيدوا الغطاء إلى صاحبه فوراً».

اقتضى الأمر مرور أكثر من عقد بأكمله بعد موت آبركرومبي قبل أن يدرك الجيش البريطاني إنجازاته الفعلية في تحويل الجيش من قوة نخرها الفساد وعدم الكفاءة وضعف التدريب إلى جيش تمكن من هزيمة نابليون في معركة ووترلو. وكان العديد من الضباط البريطانيين الذين خدموا خلال فترة الحرب ضد نابليون من الذين تربوا تحت رعاية آبركرومبي، وهم الذين دربوا جنودهم على مواجهة الفرنسيين طبقاً للأصول التي وضعها معلمهم الأكبر. فقد انتظر دوق ويلنجتون في معركة ووترلو بالجيش الذي انتقاه آبركرومبي من الضباط والجنود الذين وصفوا بالعجائز وعدم الكفاءة ذات يوم، وهو الجيش الذي تحول ليصبح أفضل قوة عسكرية على مستوى العالم.

استخدم آبركرومبي طيلة حياته العسكرية ذكاءه ورؤيته الثاقبة في تقويم الأمور على نحو لم يكن مألوفاً بين الضباط الذين عاصروه؛ فقد كسب احترام رؤسائه، ونال محبة جنوده بفضل حسن معاملته لمرؤوسيه.

خدم آبركرومبي فترة طويلة وخاض بشرف الجندي الملتزم معارك ونزاعات ثانوية، لذا فإنه لم يحقق الشهرة التي نالها الضباط الذين خدموا في خلال أحداث وفترات تاريخية أكثر أهمية. وعلى الرغم من ذلك فقد كان التزامه الصارم بالانضباط وما غرسه من احتراف في الجيش البريطاني، هو الذي مهد الطريق لدوق ويلنجتون والقادة الآخرين ليحققوا المكانة التاريخية التي بلغوها في ما بعد.



نورمان شوارزكوف

H. Norman Schwarzkopf

قائد أميركي

(- 1934)

ولد شوارزكوف بمدينة ترنتون (Trenton)، بولاية نيوجيرسي في 22 آب - أغسطس 1934، وكان والده قد تخرج في الكلية العسكرية في ويست بوينت وخدم في شرطة الولاية وفي قوات احتياطي الجيش الأميركي. وتم استدعاء والده لأداء الخدمة الفعلية خلال الحرب العالمية الثانية. وكانت المرة الأولى التي يشاهد فيها شوارزكوف الصغير منطقة الشرق الأوسط عندما زار والده الذي كان يعمل كمستشار عسكري لشاه إيران عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية.

دخل شوارزكوف كلية فالي فورج العسكرية قبل أن يتم قبوله في دفعة عام 1956 بالكلية العسكرية في ويست بوينت. وبعد تخرجه برتبة ضابط في قوات

المشاة، حيث بقي في خدمة ميدانية في وحدات داخل الولايات المتحدة الأميركية وفي ألمانيا. ثم التحق بجامعة كاليفورنيا الجنوبية (Southern California) لمدة سنتين وحصل على درجة الماجستير في هندسة الصواريخ الموجهة، وعاد إلى الكلية العسكرية في ويست بوينت للعمل كمدرس ضمن هيأة التدريب فيها.

وبعد مرور عام على خدمته في الكلية، طلب العودة إلى الخدمة في فيتنام، وتحققت رغبته وعمل مستشاراً لفرقة فيتنامية تابعة لجيش فيتنام الجنوبية آنذاك محمولة جواً. ونال عدداً من أوسمة الشجاعة، كما نال وسام القلب الأرجواني (Purble Heart) وهو وسام عسكري أميركي.

خدم شوارزكوف بالكلية العسكرية في ويست بوينت لمدة سنتين، وحضر دورة بكلية القيادة والأركان التابعة للجيش، وحصل على ترقية مبكرة إلى رتبة مقدم ثم عاد إلى فيتنام. وتولى في العام 1969 ـ 1970 قيادة الكتيبة الأولى ووحدة المشاة السادسة، وعين قائداً للواء المشاة 198 التابع لفرقة المشاة (الأميركية) الثالثة والعشرين.

لم يكن شوارزكوف راضياً عن التدهور الذي أصاب الجيش من جراء حرب فيتنام الطويلة، كما كان مستاء من تنامي الشعور العدائي العام من قبل الشعب الأميركي تجاه المؤسسة العسكرية. ولذا فكر في الاستقالة من الخدمة، لكنه عدل عن فكرته وقرر البقاء في الخدمة الفعلية مع العديد من رفقائه الضباط ليتولوا إعادة بناء الجيش الأميركي. وخدم شوارزكوف خلال الأثنتي عشرة سنة التالية في مهام أركان وقيادة ميدانية بكل من ألاسكا وهاواي وألمانيا والولايات المتحدة الأميركية، حيث تبوّأ على المناصب.

وتولى شوارزكوف في حزيران ـ يونيو 1983، قيادة فرقة المشاة الميكانيكية الرابعة والعشرين بقاعدة فورت ستيوارت (Fort Sgtewart) في ولاية جورجيا. وخدم خلال الغزو الأميركي لجزيرة جرينادا في تشرين الأول ـ أكتوبر 1983 بمنصب نائب القائد والقائد الأقدم لقوات الجيش المشاركة في العملية

والتي أطلق عليها اسم «الغضب العاجل». وقام شوارزكوف في تلك العملية الناجحة نوعاً ما بتنفيذ القدر الأكبر من واجبات التنسيق بين القوات المشاركة، وخطط بنفسه عملية إجلاء طلاب الطب الأميركيين من الجزيرة.

نال شوارزكوف ترفيعاً آخر وأصبح جنرالاً بثلاثة نجوم. وتولى في عام 1986 قيادة قوات الفيلق الأميركي الأول في فورت لويس (Fort Lewis) بواشنطن. وبعد عام من ذلك غادر إلى وزارة الدفاع الأميركية ليتولى منصب نائب رئيس أركان الجيش للعمليات. وفي عام 1988 ترقى شوارزكوف إلى رتبة فريق أول، وتم تعيينه قائداً للقيادة المركزية للجيش الأميركي بقاعدة ماكديل (McDill) الجوية في ولاية فلوريدا، وهو مقر القيادة العسكرية المسئولة عن القوات المخصصة للحالات الطارئة بمنطقة الشرق الأوسط.

وبعد وقت قصير من قيام القوات العراقية بغزو دولة الكويت واحتلالها في 2 آب أغسطس 1990، تم نقل شوارزكوف وقيادته إلى مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية، وتولى قيادة القوات الأميركية وقوات التحالف. واعتمد شوارزكوف على الدروس التي تعلمها من تجربة فيتنام وخصوصاً الصعوبات التي تفرضها الحرب المحدودة في عدم إمكانية تخصيص جميع الموارد للقتال، وطلب ـ وتلقى بالفعل ـ عدداً ضخماً من قوات التحالف الجوية والبحرية والبرية. وبعد تسلم جميع الوحدات لمواقعها، أعلن شوارزكوف في 17 كانون الثاني ـ يناير 1991، بدء الحرب الجوية التي استمرت لمدة 42 يوماً، وأتبعها بهجوم بري لمدة مئة ساعة، حيث تمكنت هذه القوات من طرد القوات العراقية وحررت دولة الكويت، وتغلغلت في داخل الأراضي العراقية، قبل أن تعلن وقف إطلاق النار. وبينما كان عدد القتلى من القوات الأميركية أقل من أربعمائة فرد، بلغ عدد القتلى من القوات العراقية 8 ـ 15 ألفاً، وتم أسر أكثر من 85 ألف جندي عراقي.

قاد نورمان شوارزكوف بصفته قائداً للقيادة المركزية للقوات الأميركية، قوات التحالف التي هزمت العراق وحررت دولة الكويت في عملية درع وعاصفة الصحراء (1990 ـ 1991). فقد أدى دوره القيادي في إحراز الانتصار

الحاسم لقوات التحالف وتعامله الماهر مع وسائل الإعلام العالمية، إلى تحقيق شهرته كأبرز جنرال أميركي منذ الحرب العالمية الثانية. كما يمثل شوارزكوف جيل قادة الجيش الأميركي المتلزمين الذين خاضوا حرب فيتنام الطويلة، وظلوا في الخدومة ليستعيدوا القدرة القتالية لوحداتهم وتماسكها.

كان من بين ما تعلمه شوارزكوف في فيتنام أهمية جانب العلاقات العامة؛ وقد استطاع المحافظة على دعم وسائل الإعلام وتأييد الجمهور له، بفضل المؤتمرات الصحفية المنتظمة التي درج على عقدها وجاذبية شخصيته العسكرية. وبانتهاء تلك الحرب القصيرة، كان الأميركيون يهتفون لشوارزكوف ويعتبرونه بطلاً قومياً.

أثبت شوارزكوف صواب قرار اختياره، وبرهن على أنه القائد المناسب في الوقت المناسب وللمهمة الحربية المناسبة. وأطلق على شوارزكوف لقب «الدب»، ولقب «نورمان العاصف»؛ وذلك بسبب ضيق صدره وعدوانيته وسلوكه المتحدي المجابه للعدو. وبعيداً عن تلك الصفات، أظهر شوارزكوف مهارات مميزة في دمج المجهود الجوي والبحري والبري لقوات التحالف المتعددة الجنسيات وحقق النصر النهائي.

تقاعد شوارزكوف بعد عودته من عملية عاصفة الصحراء. واختار البعد عن الأضواء ولم يمارس أي نشاط عام سوى إلقاء بعض المحاضرات والظهور النادر في محطات التلفزة، ثم إصداره لسيرته الذاتية في كتاب اختار له عنوان **«حرب لا تقتضي بطلاً»** It Doesn't Take a Hero.

يكفي أداء شوارزكوف المتفرد في هزيمة القوات العراقية وتحرير دولة الكويت لاحتلاله موقعاً في هذه القائمة. ولكن ينبع تأثيره ونفوذه الحقيقي من كونه نموذجاً يقاس عليه كقائد عسكري أميركي فضل البقاء في خدمة المؤسسة العسكرية عقب حرب فيتنام، وساهم بجهده في إعادة بنائها واستعادة سمعتها في الداخل وفي أنحاء العالم، لتصبح الولايات المتحدة الأميركية بعد فوزها في الحرب الباردة أكبر قوة عسكرية عالمية.



ألكسندر فسيلفيتش سوفروف

ALEXANDER VASILEVICH SUVOROV

قائد روسي

(حوالي 1729 ـ 1800)

ليست هناك أي تفاصيل محددة عن فترة شباب سوفروف، وتقول بعض الروايات إنه قد ولد في موسكو أو في شرق فنلندا، فيما بين 1725 ـ 1730، (مع ترجيح ميلاده في عام 1729). وعلى الرغم من أنه كان طفلاً هزيلاً، فقد التحق كمجند بالجيش الروسي وهو في حوالي الثالثة عشرة من عمره. وفي عام 1754 حصل على رتبة ضابط وكان ذلك إنجازاً في حد ذاته في خلال الحقبة التي عرفت قيام الأغنياء وأهل النفوذ بشراء رتب الضباط لأبنائهم عند ميلادهم.

خدم سوفروف كضابط حديث ضد البروسيين في حرب السنوات السبع، وخاض معركة كونرسدورف (Kunersdorf) في 12 آب ـ أغسطس 1759. وعندما

شارك في احتلال برلين في 9 تشرين الأول ـ أكتوبر 1760، كان قد ترفع إلى رتبة عقيد بفضل شجاعته وتفوقه القيادي.

أدخل سوفروف بوصفه قائد كتيبة عام 1962 تكتيكات وأساليب تدريب جديدة اقترنت بالمرحلة المتبقية من حياته المهنية؛ فقد قام بتبسيط التدريبات المعقدة وركز على إكساب قواته اللياقة البدنية اللازمة للتحرك العاجل والمسير الطويل، ومنح مرؤوسيه من القادة صلاحيات واستقلالية للمناورة بوحداتهم واستغلال الأفضلية، كما نأى بنفسه عن عقلية أسلوب الحصار النمطية السائدة في ذلك الوقت، وتبنى نظرية ترى أن الجيش سيتكلف خسائر أقل خلال الهجوم الفوري، مقارنة بما سيتعرض له من خسائر نتيجة الأمراض التي تصيب الجنود في الحصار الطويل. وطرح سوفروف أسلوب الالتحام المباشر والعنيف وكان يقول: «الحربة خير رفيق والطلقة أسلوب غبي».

قاد ألكسندر سوفروف خلال حياته المهنية الطويلة القوات الروسية للنصر على بولندا وتركيا وفرنسا وعلى متمردين من بلده. وعلى الرغم من مواجهته عدواً أكبر في أغلب الأحيان، فإن سوفروف المعروف بذكائه وشجاعته وإصراره على بلوغ الهدف، لم يخسر معركة قط. وكان قد واجه العديد من القيود المترتبة على مكائد بعض أفراد البلاط الملكي وغيرتهم في روسيا، ولكنه كسب إعجاب الشعب الروسي بفضل ما أدخله من تجديد على العمليات الهجومية باستخدام المسير العاجل لمسافات طويلة والهجمات المفاجئة المدعومة بالتدريب التفصيلي للجيش. وكان الاتحاد السوفياتي قد اعتمد عام 1942 وسام سوفروف تكريماً لما تركه من إرث عسكري.

أخضع سوفروف أساليبه الجديدة للتجربة العملية في نيسان ـ إبريل 1773، خلال الهجوم على قلعة تورتوكاي (Turtukai) في المراحل المبكرة من الحرب الروسية ـ التركية الأولى وتم منحه وسام الشجاعة وترفيعه إلى رتبة فريق. وفي السنة التالية اجتاح سوفروف معقل كوزلودجي (Kozludjii) التركي القوي، على الرغم من التفوق العددي لقوات العدو عليه (بنسبة خمسة إلى واحد).

حققت تكتيكات سوفروف النتائج المرجوة على الرغم من المواجهات الدامية، وأظهر جنوده روحاً معنوية مرتفعة وحفظوا لقائدهم مكانة سامية. وبالمقابل، عمل سوفروف على ضمان رواتب عادلة لجنوده ووفر لهم المؤن والتسليح، وأصبح سوفروف محبوباً بين جنوده بسبب حرصه على قيادة قواته من الأمام ومشاركته جنوده في أخطار المعركة وتعامله الإنساني معهم، على عكس ما كان معروفاً حينها عن شخصية الضابط المرتفع.

عاد سوفروف من تركيا إلى روسيا وباشر إنشاء سلسلة من المنشآت العسكرية؛ وعرفت تلك المنشآت باسم خط كوبان (Kuban Line) وهو عبارة عن تحصينات لأغراض الدفاع عن الجزء الجنوبي من الأراضي الروسية. وفي عام 1783 أخمد ثورة في شبه جزيرة القرم في حملة دموية لم تبق قواته في خلالها على حياة أي من المتمردين.

انتصر سوفروف في معركة كنبيرن (Kinburn) التي وقعت في المرحلة الأولى من اندلاع الحرب الروسية ـ التركية الثانية في عام 1787. وأتبع ذلك بانتصارات أخرى في فوسوني (Focsoni) في تموز ـ يوليو 1789، كما هزم بعد شهرين جيشاً تابعاً للدولة العثمانية في معركة ريمنك (Rymnik)، وكان يفوق قواته عدداً بنسبة أربعة إلى واحد. ونال سوفروف مرة أخرى نوط الشجاعة كما منح لقب «كونت»، وارتدى شعار الانتماء إلى طبقة النبلاء الذي يحمل نقشاً لصاعقة من برق تتجه نحو هلال تركي.

أثبت الكونت الذي منح اللقب حديثاً جدارته به عندما تحرك في كانون الأول ـ ديسمبر 1790 ضد الدفاعات التركية في أزميل (Izmail). ونسق سوفروف هجوماً برياً بستة أرتال ودعمه بنيران المدفعية البحرية، وكبد العدو خسائر بلغت أكثر من 26 ألف جندي. ومهد سقوط أزميل الطريق إلى الدانوب والقسطنطينية [الاسم القديم لإسطنبول]. وعلى الرغم من مرور ثلاث سنوات قبل التوصل إلى معاهدة سلام، فقد شكل سقوط أزميل النهاية الفعلية للصراع.

قاد سوفروف في عام 1793 جيشاً إلى داخل بولندا الواقعة تحت الاحتلال

الروسي وذلك لإخماد تمرد للفلاحين. وتمكن جيشه من هزيمة المتمردين في 10 تشرين الأول ـ أكتوبر 1794 بمعركة ما سيوفيتس (Maciejowice)، واستولى على وارسو بعد أسبوعين، وكافأته الملكة كاثرين الكبرى بترفيعه إلى رتبة مشير ومنحته ضيعة واسعة كما أسندت إليه قيادة جيش أكبر حجماً.

خلد سوفروف إلى فترة راحة عام 1795، وأصدر خلالها كتاباً قدم فيه أفكاره الحربية واختار له عنواناً ملائماً تماماً هو «**فن الانتصار**» The Art of Victory. وبعد سنتين فقط توفيت كاثرين الكبرى، وقام خلفها القيصر بول الأول بالاستغناء عن سوفروف ونفيه من روسيا. وكان القيصر بول قد استبدل جميع القادة العسكريين لعدم ثقته في المقربين من كاثرين، وعندما انضم القيصر في عام 1798 إلى إنجلترا والنمسا لمواجهة نابليون، أدرك حاجته إلى القادة المقتدرين واستدعى سوفروف للخدمة معيداً إليه رتبته وامتيازاته.

وعلى الرغم من أن سوفروف قد قارب السبعين من عمره، فقد قام بتدريب جيش مشترك من الروس والنمساويين لإخراج الفرنسيين من شمال إيطاليا. وتمكن في ربيع وصيف عام 1799 من هزيمة الفرنسيين في كاسانو (Cassano)، وتريبيه (Trebbia)، ونوفي (Novi)، وانتصر بذلك في آخر معاركه الكبرى. وبعد سلسلة من المعارك التي ضعف فيها الدعم المقدم من الحلفاء النمساويين، أصدر القيصر بول أوامره لسوفروف بالعودة إلى روسيا وقام بحل ذلك التحالف. وكافح سوفروف في غياب أي دعم ليشق طريقه عائداً في اتجاه الشمال عبر جبال الألب تحت وطأة ظروف صعبة.

على الرغم من انسحاب سوفروف الناجح وعودته إلى روسيا محافظاً على غالبية جيشه، فلم يستقبل كبطل؛ إذ لم يعد القيصر بول في حاجة إلى المحارب العجوز، وقام بإعفائه من منصبه القيادي وتجريده من رتبته خوفاً من تزايد شعبيته. وبعد أشهر قليلة توفي سوفروف بمدينة سانت بطرسبرج في 18 أيار ـ مايو 1800 وهو في السبعين من عمره بسبب تدهور حاله الصحية عقب حملة الانسحاب الطويلة. وطبقاً لتوجيهات من القيصر بول، تم دفن سوفروف

بلا أي مراسم رسمية، ولم يحضر دفنه أي عناصر من القيادات التي عمل فيها.

لم يغب سوفروف عن المجد طويلاً، فقد كشف الشعب الروسي بعد وفاة القيصر بول عن إعجابه الشديد بالمشير القدير وتبجيله إلى حد التقديس تقريباً. ويحتل سوفروف مكانة مميزة كأبرز قائد عسكري في بلاده خلال الفترة الواقعة بين بطرس الأكبر واندلاع الحرب العالمية الثانية، وذلك لروحه الهجومية وشعبيته الكبيرة. وقد ظلت استراتيجيته نموذجاً يحتذى للجيش الروسي في خلال تلك الحرب وفي حقبة الحرب الباردة. لقد وضع سوفروف أسس المناورات التكتيكية التي اهتدت بها الجيوش الروسية فيما بعد، وخلق لنفسه مكانة مرموقة كقائد عسكري يقتدى به.



لويس ألكسندر بيرتييه

Louis Alexandre Berthier

قائد فرنسي

(1815 - 1753)

ولد بيرتييه في فرساني بفرنسا في 20 تشرين الثاني - نوفمبر 1753، والتحق بالجيش الملكي وهو في الثالثة عشرة من عمره؛ إذ خدم مع والده الذي كان مديراً لهيأة المساحة العسكرية. وفي عام 1680 أبحر بيرتييه إلى أميركا بوصفه ضابط أركان في جيش جان دي روشامبو (Jean de Rochambeau)، والذي كان يدعم سكان المستعمرات المترمدين. ولدى عودته إلى فرنسا وقت اندلاع الثورة فيها، وجد بيرتييه نفسه مفصولاً من الجيش عام 1793 بسبب خدمته الملكية السابقة.

وإثر صدور عفو عام في آذار - مارس 1795 عن الضباط الذين خدموا التاج الملكي، أعيد بيرتييه إلى الجيش الفرنسي برتبة قائد لواء ليتولى مهام

رئيس أركان الجيش في الألب وإيطاليا. وبعد ثلاثة أشهر ترقى إلى رتبة قائد فرقة عسكرية وانضم إلى جيش نابليون كرئيس للأركان. ومنذ ذلك الحين لم يفترق الضابطان حتى تنازل نابليون عن السلطة للمرة الأولى عام 1814، فكانا متلازمين يعتمد أحدهما على الآخر، حتى أنّ الضباط غالباً ما كانوا يطلقون على بيرتييه لقب «زوجة الإمبراطور».

كان بيرتييه يقوم، بوصفه رئيس أركان الجيش الكبير، بتوجيه ستة قادة برتبة فريق وثمانية آخرين برتبة عقيد، وهم مسئولون عن التخطيط والإدارة والإمداد والتموين. وقد منحه نابليون ألقاباً عديدة وثروة، والمسؤولية الإضافية لوزير الحرب من عام 1799 إلى عام 1807. وفي عام 1804 قام نابليون بترقية رئيس أركان إلى رتبة مشير.

أدى بيرتييه دوراً مهماً في الحملات الفرنسية في مصر وفي أرجاء أوربا. وفي المناسبات القليلة التي كان عرضة فيها للمشاركة الفعلية في القتال، أثبت شجاعة فائقة، إلا أن إسهاماته الرئيسة كانت تتجاوز كثيراً خطوط القتال؛ إذ كانت قدرته غير مسبوقة على تحويل خطط رؤسائه العسكرية المعقدة إلى أوامر بسيطة للقادة الميدانيين، والإبلاغ بالتغيرات التي تحدث في خضم القتال.

كان يتولى تحويل خطط الإمبراطور إلى أوامر ومن ثم نقلها إلى القادة الميدانيين. أثبت قدرة غير عادية في تنسيق الإمدادات والمؤن إلى عدد كبير من القوات الضخمة السريعة التنقل، إلى حد أن الأمر بدا كما لو كان بيرتييه على علم برغبات نابليون قبل أن يعبر عنها الإمبراطور نفسه. وقد وصف نابليون رئيس أركانه بأنه «الرجل الذي خدمني أطول فترة ولم يخذلني قط». وزعم نابليون أنه ما كان ليخسر معركة ووترلو لو كان بيرتييه حاضراً. ولا يدخل اسم بيرتييه في قائمة القادة العسكريين المؤثرين باعتباره قائداً في ميدان القتال، بل بوصفه أول ضابط أركان محترف يترك بصمته من خلال براعته الفائقة في تنسيق ودعم هيأة أركانه.

إبان حملة أوسترليتز، على سبيل المثال، كان بيرتييه يدعم الزحف السريع

الذي استغرق خمسة أسابيع، لمائتي ألف رجل من شمال فرنسا عبر آلم وفيينا إلى أوسترليتز. وبينما كان الجنهود لا يزالون يطالبون سكان القرى التي يمرون عبرها بتوفير الطعام والمأوى لهم، كما كان معتاداً في ذلك الوقت، أسس بيرتييه سلسلة مستودعات على طول الطريق لتوفير الطعام للجنود، ما هيأ لهم الإسراع في الزحف. فعندما كان الجنود يصلون إلى مقصدهم حاملين المؤن التي تكفيهم عدة أيام وذخيرتهم الاحتياطية، كانوا على استعداد للقتال على الفور.

وقد تجلت مهارات بيرتييه كذلك في تمكنه من الحفاظ على النظام والسيطرة على مرؤوسيه من القادة في أثناء الانسحاب الشاق من روسيا عام 1812. وقد تمكن نابليون بفضل المهارات التنظيمية لبيرتييه من حشد جيشه إلى النصر عام 1813 في ليتسين، وباوتزين، وليبتسخ، إلا أن الجيش الكبير، الذي أنهكته الحروب كان، ولا يزال، يواجه قوة متنامية في صفوف الأعداء. وقد رأى بيرتييه بعد وقت قصير من إصابته في بريين (Brienne) في 29 كانون الثاني - يناير 1814 أن من الخير لفرنسا ومواطنيها أن تكف عن الحرب الطويلة، وقد انضم إلى مجموعة القادة برتبة مشير الداعين إلى السلم. وفي 11 نيسان - إبريل أجبروا نابليون على التنازل عن عرش الإمبراطورية والعيش في المنفى في جزيرة إلبا.

ومع عودة الملكية لأسرة بوربون (Bourbon)، استعاد بيرتييه رتبته وأوسمته. وعندما هرب نابليون من منفاه في جزيرة إلبا وعاد إلى فرنسا، انضم إلى جانبه كثير من قادته السابقين برتبة مشير ومعظم أفراد جيشه، إلا أن بيرتييه لم يقدم على ذلك، بل إنه شخصياً أمن سلامة الملك لويس الثامن عشر ثم تقاعد في ضيعته البافارية.

ولم يشعر نابليون بخيبة أمل كبيرة إثر نكوص بيرتييه قبل تنازل (الإمبراطور) عن العرش في المرة الأولى، بل إن ما أزعجه أكثر هو أن صديقه وموضع سره رفض الانضمام إليه في أثناء صراع المئة يوم، فقد ثبت أن غياب

بيرتييه كان أكثر من مجرد خسارة شخصية؛ إذ لم يتمكن جيش نابليون الجديد على الإطلاق من تحقيق النظام والعظمة التي اتسم بها الجيش الأصلي. حقاً، كان يمكن أن تنقلب النتائج في ووترلو لو كان بيرتييه حاضراً يصدر الأوامر الصحيحة ويمد الجيش باحتياجاته على النحو الصحيح.

وفي الأول من حزيران ـ يونيو 1815 توفي بيرتييه في الحادية والستين من عمره إثر سقوطه من نافذة مرتفعة في ضيعته في بامبيرج (Bamberg). وأشارت الدلائل إلى أن وفاته كانت قضاء وقدراً، إلا أن بعض التقارير رجحت تعرضه إلى الإسقاط على يد مغتالين، بينما يعزو آخرون وفاته إلى الانتحار للتكفير عن إحساسه بخيانة إمبراطوره. ويقال إن الحزن غلب على نابليون لرحيل بيرتييه كما لو أن شيئاً بينهما لم يقع.

لقد كان تنظيم بيرتييه لهيأة أركان ضباطه المرؤوسين المسؤولين عن التخطيط للعمليات وتنسيق الإمدادات التموينية ومهام النقل المختلفة، أبعد ما يكون عن الإتقان، إلا أن نجاحه أصبح نموذجاً يحتذى للجيوش منذ ذلك الحين، بما في ذلك ألمانيا والولايات المتحدة الأميركية وغيرهما من القوى في القرن العشرين؛ ذلك أن قدراً كبيراً من النجاحات الضخمة لنابليون تعزى إلى رئيس أركانه.



خوسيه دي سان مارتين

JOSÉ dE SAN MARTIN

ثائر من أميركا اللاتينية

(1850 - 1778)

انتقل سان مارتين إلى إسبانيا بعد ثماني سنوات من مولده في 25 شباط - فبراير 1778، ليصبح ضابطاً أرستقراطياً في الجيش الإسباني في مدينة يابيو (Yapeyu) الواقعة شمال شرقي الأرجنتين. وعلى الرغم من انضمامه إلى الجيش الإسباني، وهو ما زال مراهقاً، وتدرجه حتى وصل إلى رتبة مقدم في أثناء خدمته ضد قوات بونابرت في حرب شبه الجزيرة (Peninsular War)، فقد ظل ولاؤه وتعاطفه مع مسقط رأسه في أميركا الجنوبية.

وفي عام 1811 استقال سان مارتين من منصبه، وأبحر إلى بيونس آيريس بعد أن تكشفت له حقيقة الملكية المستبدة في إسبانيا. والتحق مباشرة بحركة الاستقلال الأرجنتينية وساعد على تشكل مجموعة مناصرة للثورة عرفت باسم

لوجيا لوتارو (Logia Lautaro). وفي عامي 1813 ـ 1814 أسس قاعدة تدريب في غرب الأرجنتين بالقرب من مندوسا (Mendoza)، وأدار عمليات محدودة ضد المحتل الإسباني، وكان الوجود الإسباني في الأرجنتين محدوداً فواجه المتمردون معارضة ضئيلة عندما أعلنوا استقلالهم في 9 تموز ـ يوليو 1816.

أدرك سان مارتين أنه بينما تحقق إعلان الاستقلال بسهولة نسبية، فإن الحفاظ عليه كان شبه مستحيل إذا ما أبقى الإسبان على جيش قوي في الجارتين، تشيلي وبيرو. ولذلك شرع سان مارتين، ضماناً لحرية وطنه، في تحرير دول أميركا اللاتينية الأخرى. وفي أوائل عام 1817 قاد جيشاً قوامه 3 آلاف من رجال المشاة و7 آلاف فارس و21 قطعة مدفعية في عبور مذهل لجبال الأنديز البالغ ارتفاعها 13700 قدم، والتي كان يظن من قبل أنها تستعصي على العبور، وذلك توغلاً داخل تشيلي. وقد فاجأ في 12 شباط ـ فبراير المدافعين الإسبان عن تشاكابكو (Chacabuco) مفاجأة تامة وهزمهم هزيمة منكرة، واحتل العاصمة سانتياجو في 15 شباط ـ فبراير. وقام الإسبان بهجوم مضاد من بيرو على مدى العام التالي، إلا أن القوات الأرجنتينية ـ التشيلية المشتركة هزمتهم في النهاية في معركة مايبو (Maipu) في 5 نيسان ـ إبريل 1818.

رفض سان مارتين تزعم الحكومة التشيلية الجديدة مزكياً بدلاً منه رفيقه العسكري الثائر بيرناردو أوهيجنز (Bernardo O'Higgins) لهذا المنصب. وعلى الرغم من سيطرة الثوار على الأرجنتين وتشيلي، فقد ظلت مواقعهم ضعيفة نتيجة لتواصل الاحتلال الإسباني للبيرو والسيطرة الإسبانية على البحار المحيطة بأميركا الجنوبية.

قام سان مارتين بعون من البحار الإنجليزي السابق توماس كوكرين (Thomas Cochrane) ببناء البحرية التشيلية في عامين. وسرعان ما حقق كوكرين نصراً ساحقاً على السفن الإسبانية في مياه تشيلي، وبدأ حملة لقصف الدفاعات المقامة على ساحل بيرو. وفي أوائل عام 1820 حاصر كوكرين ما

تبقى من الأسطول الإسباني في ميناء كاياو (Callao) في بيرو، وهو ما سمح لأسطول سان مارتين الغازي أن يبدأ رحلته.

وبعد سلسلة من المعارك الناجحة، دخل سان مارتين ليما وأعلن استقلال بيرو في 28 تموز ـ يوليو 1821. وفي غضون بضعة أشهر تمكن من هزيمة الحاميات المعزولة، إلا أن معظم الجيش الإسباني انسحب إلى هضاب بيرو، وقام بتحصين مواقعه الدفاعية. وحين أدرك أن جيشه أضعف من أن ينجح في مهاجمة الإسبان، اقترح عقد تحالف مع رفيقه الثائر سيمون بوليفار الذي نجح في تحرير كولومبيا من السيطرة الإسبانية، وكان آنذاك يقوم بعملياته في الإكوادور.

التقى محرراً أميركا الجنوبية العظيمان، سان مارتين وبوليفار، في جواياكيل (Guayaquil) بالإكوادور في 26 ـ 27 تموز ـ يوليو 1822. ولم يحضر لقاءاتهما الخاصة أي شهود، ولم يتم تسجيل أي محاضر للاجتماعات. ومع ذلك، يبدو أن القائدين لم يتفقا على كيفية طرد الإسبان من بيرو أو كيفية توجيه المستقبل السياسي لأميركا الجنوبية. وسواء شعر سان مارتين بعدم الرضى أو أدرك حقيقة أن الثورة الناجحة لا يتأتى لها أكثر من قائد واحد، فقد تنحى عن مسؤولياته الرسمية وغير الرسمية وعهد بقواته إلى بوليفار وعاد إلى بيونس آيريس.

أبحر سان مارتين وابنته إلى فرنسا بعد وفاة زوجته عام 1824، حيث عاش هناك طيلة السنوات الثماني والعشرين اللاحقة، باستثناء زيارة قصيرة إلى أميركا الجنوبية عام 1829. ورحل في صمت في مدينة بولون سيرمير (Boulogne-sur-Mer) بفرنسا في 17 آب ـ أغسطس 1850، وهو في الثانية والسبعين من عمره.

كان سان مارتين، الذي كان يتسم برباطة الجأش والتجهم، يمتلك قدرات هائلة في التكتيك والاستراتيجية والإدارة والقيادة؛ ما هيأ له إحراز انتصارات عظيمة بأدنى حد من الخسائر في صفوفه. أما أسلوبه في القتال فكان يعتمد

على تحاشي الهجمات المباشرة المكلفة، وعادة ما كان يبدأ بهجوم مضلل على قوات العدو ثم يتبعه بتحرك مطوق للقوات المعادية.

ويوصف سان مارتين واحداً من القادة العسكريين القلائل في عصره ممن لا يتطلعون إلى طموحات سياسية، فقد أثبت أنه جندي محترف مجرد من الأنانية، وغير مهتم بأمر سوى حرية قارته.

لهذا فإن سجل خدمته المنكر للذات بلا طموح شخصي أو مادي أو مكاسب سياسية، سيظل فريداً بين القادة المؤثرين؛ فقد كان هدفه الأوحد المعلن هو تحرير أميركا اللاتينية من الإسبان. وعلى الرغم من عدم رغبته في شغل أي منصب في الحكومة الجديدة، فقد اقترح قيام ملكية مستنيرة ذات سلطة محدودة يتزعمها أحد أبناء أسرة إنكا الملكية التي حكمت في حقبة ما قبل - كولومبيا بوصفه حاكماً لعرش رمزي.

وقد تنحى سان مارتين برغبته وأسلم زمام جيشه لبوليفار عندما بدا أن ذلك هو أفضل السبل لنجاح الثورة، ويظل بوليفار الذي كان نفوذه العسكري الشامل أعظم، يكرم اليوم على أنه «المحرر»، إلا أن سان مارتين هو بالتأكيد أعظم وأنبل وطني في أميركا اللاتينية؛ لأنه عهد بقيادته لبوليفار لما في ذلك من الخير الأعظم لوطنه.



جوزيبي جاريبلدي

Giuseppe Garibaldi

قائد ايطالي

(1882 - 1807)

ولد جاريبلدي في أسرة تعمل في البحر في نيس بفرنسا في 4 تموز - يوليو 1806. انضم إلى والده على متن سفينة وهو في الخامسة عشرة، ثم تقدم في عمله حتى أصبح قبطاناً لمركبه الخاص في عام 1832، إلا أن اهتمامه الحقيقي تحول إلى الحركة الثورية الإيطالية بقيادة جوزيبي ماتسيني (Giuseppe Mazzini) في بيدمونت (Piedmont) بجزيرة سردينيا والمعروفة «بإيطاليا الشابة». آنذاك لم تكن إيطاليا بلداً موحداً بل كانت تتكون من مجموعة من الولايات المحتلة والخاضعة للحكم الأجنبي. وفي عام 1834 قاد جاريبلدي سفينة حربية إلى جنوة لدعم الثورة الوليدة، وأخفق العصيان ففر إلى أميركا الجنوبية بعد صدور حكم بالإعدام به.

لم تفتر حماسة جاريبلدي للثورة في وطنه الجديد؛ ففي مرحلة 1836 ـ 1843 كان يقود سفينة حربية دفاعاً عن ولاية ريو جراندي دي سول (Rio Grande de Sul) ضد البرازيل، ثم انتقل إلى أورجواي ليساهم في النضال ضد الأرجنتين. وفي تلك الفترة أصبح قائداً للقوات البرية، وأتقن التكتيكات التي كان يطمح إلى تطبيقها في المستقبل. كما قام بتجنيد مغتربين إيطاليين من أمثاله، وشكلهم في وحدات يسهل حشدها للقيام بهجوم ثم تعود إلى الإندماج سريعاً في المجتمع المدني. وبما أنه اعتاد دوماً أن يواجه قوات تفوقه عدداً، فقد استغل أسلوب حرب العصابات القائم على الضربات السريعة والغارات الخاطفة رافضاً أن يشترك على نحو حاسم في حروب المواقع الثابتة، وقد اتخذ جاريبلدي أيضاً «زياً» من قمصان حمراء بسيطة والتي سرعان ما أصبحت الاسم المتعارف عليه لجيشه في أميركا الجنوبية ثم لاحقاً في إيطاليا.

جوزيبي جاريبلدي كان قائداً لأنجح قوة عسكرية في تاريخ إيطاليا الحديث. تزعم جهوداً لتوحيد بلاده، وفرض ـ بوصفه مهندس حرب العصابات ـ نفسه قائداً ثورياً مشهوراً أكثر من أربعين عاماً من القيام بالحملات العسكرية في شبه الجزيرة الإيطالية وأميركا الجنوبية. وقد أعْلَتْ بريطانيا العظمى من قدر جاريبلدي، فأطلقت عليه لقب «بطل العالمين»، كما عرض الرئيس إبراهام لنكولون على الوطني الإيطالي مهمة قيادية في الجيش الاتحادي إبان الحرب الأهلية الأميركية.

وبعد أن أمضى جاريبلدي اثنتي عشرة سنة في أميركا الجنوبية، علم باستئناف حركة الاستقلال ريسورجمنتو (Risorgimento) (الإحياء) لنشاطها في إيطاليا، فعاد إلى وطنه كي ينظم فرق «القمصان الحمر» من ثلاثة آلاف متطوع. وفي أعقاب حملة حرب عصابات قصيرة وغير ناجحة ضد المحتلين النمساويين في شمال إيطاليا وجنوب سويسرا، قاد جاريبلدي متطوعيه إلى روما في عام 1849 لدعم صديقه القديم ماتسيني في الدفاع عن المدينة ضد القوات الفرنسية في محاولة لاستعادة السلطة البابوية. ونجح جاريبلدي في قيادة التحصينات

الدفاعية بمدينة روما طيلة ثلاثة أشهر ضد القوات الفرنسية المتفوقة عدداً، ثم وجد نفسه مضطراً إلى التفاوض معها، وفي 3 تموز - يوليو زحفت القوات الفرنسية نحو روما بينما انسحب منها جاريبلدي وخمسة آلاف من القوات المدافعة عنها. ولم يدم وقف إطلاق النار سوى مدة خروج جاريبلدي من روما، فلم يلبث أن تعرض رجاله للهجوم عقب خروجهم من المدينة من جانب قوات من النسما وفرنسا ونابولي، فراح معظم رجال جيش القمصان الحمر بين قتيل وأسير.

أما جاريبلدي نفسه فقد فر ليستقر به المقام أخيراً في منفاه في الولايات المتحدة الأميركية. وبعد أن أمضى فترة وجيزة في مدينة نيويورك، حيث عمل في صناعة الشموع، أبحر إلى بيرو ليعمل من جديد قبطاناً على سفينة تجارية. وفي عام 1854 عاد إلى إيطاليا ليقيم فيها، فاشترى مسكناً في جزيرة كابريرا (Caprera) المقابلة لجزيرة ساردينيا، وليعمل قبطاناً لأول سفينة رفّاس إيطاليا [سفينة بخارية ذات محرك على شكل دولاب].

وفي عام 1859 اندلعت الحرب مع النمسافكون جاريبلدي من جديد قوة من متطوعي القمصان الحمر. وبعد قتال لم يدم طويلاً ضد النمساويين في الألب، وضع جاريبلدي جيشه المؤلف من ألف رجل على متن سفينتين بخاريتين، وأبحر جنوباً لدعم التمرد الصقلي ضد الملك فرانسيس الثاني ملك نابولي. وفي أيار - مايو 1860 قام رجال القمصان الحمر بتأمين صقلية، ثم عبروا إلى البر الرئيسي حيث احتلوا نابولي وجنوب شبه الجزيرة الإيطالية في شباط - فبراير 1861. وقد اعتبرت إيطاليا كلها آنذاك جاريبلدي بطلاً عظيماً بعد أن عهد بفتوحاته إلى فيكتور إمانويل الثاني (Victor Emmanuel II)، الذي أعلن في 18 شباط - فبراير 1861 قيام مملكة إيطاليا على تلك الأراضي.

لقد كان جاريبلدي بطلاً، لا في وطنه فحسب بل وخارجه. ففي تموز - يوليو 1861، عرض إبراهام لنكولن عليه منصباً قيادياً في جيش الاتحاد المتنامي، والذي كان يقاتل الولايات الأميركية الاتحادية المشكلة حديثاً. رفض

جاريبلدي هذا العرض؛ إذ خاب أمله لأن لنكولن لم يكن قد أعلن بعد نهاية العبودية كما أن العرض لم يجعل منه قائداً «أعلى». وبعد ذلك ببضع سنوات اعترفت بريطانيا العظمى أيضاً بالمحرر الإيطالي في أثناء زيارته لندن في نيسان ـ إبريل 1864.

وعلى الرغم مما حصل عليه جاريبلدي من أوسمة من خارج إيطاليا، فلم يكن راضياً عن التطورات في داخل وطنه. فكانت روما لا تزال تحت الحكم البابوي في حين رغب هو في أن تمد إيطاليا سيطرتها الكاملة على كل بقعة داخل حدودها. وفي عام 1862، ثم في عام 1866 قاد جاريبلدي هجمات ضد الولايات البابوية، إلا أن الجيش الأقوى كان في كل مرة يهزمه ويأسره. ولكن نظراً إلى صيته الوطني والعالمي، كان آسروه يطلقون سراحه إثر كل قتال، ويسمحون له بالعودة إلى كابريرا.

وقد ساعد جاريبلدي ـ ومعه ولداه ـ فرنسا على حربها مع بروسيا عام 1870؛ ولذا لم يكن حاضراً عندما احتلت القوات الإيطالية روما في تشرين الأول ـ أكتوبر من ذلك العام. وفي عام 1874 اختاره جمهور محبيه عضواً في البرلمان الإيطالي، حيث قضى عامين قبل أن يعتزل الحياة العامة عام 1876. وفي أخريات أيامه عبر جاريبلدي عن تأييده للاشتراكية، وأيد الدعوة إلى حقوق العمال وتحرير المرأة، كما أيد المساواة بين الأجناس، وأعرب عن معارضته لعقوبة الإعدام قبل أن يتوفى في منزله في كابريرا في 2 حزيران ـ يونيو 1882، وهو في الخامسة والسبعين من عمره.

لقد أبهر جاريبلدي أتباعه وأعداءه بأمانته واستقامته. وقد أظهر على مدى حملاته التي بدأها في أميركا الجنوبية ثم واصلها في أيطاليا ببراعة قصوى في حرب العصابات، إلا أن افتقاره إلى التدريب العسكري النظامي كان واضحاً في محاولاته القيام بعمليات تقليدية، وكان عادة ما يعاني الهزيمة إذا ما لجأ إلى تكتيكات تتجاوز فنون حرب العصابات.

لقد أورث جاريبلدي مواطنيه ما هو أكثر من إجراءات أو استراتيجيات

عسكرية محدودة؛ إذ ترك لهم روح وطنيته ودعمه الذي لا يفنى لاستقلال بلاده. ويظل اسمه اليوم رمزاً إلى الرجل الوطني العظيم والقوة الدافعة وراء توحيد إيطاليا. ولقد أكسبه تكريسه المنكر للذات من أجل تحرير شعبه مكانة دائمة في التاريخ المشرف لبلده، وأبقى عليه رمزاً إلى ثورات المستقبل في شتى أرجاء العالم بغض النظر عن اختلاف القضية أو المعتقد.



إيفان ستيبانوفيتش كونيف

IVAN STEPANOVICH KONEV

قائد سوفياتي

(1973 - 1897)

ولد كونياف في 16 كانون الأول ـ ديسمبر 1897 لأبوين من الفلاحين في لودينو (Lodeino) بالقرب من آخنجل (Archangel) في أقصى شمال روسيا. التحق بالجيش القيصري وهو في الخامسة عشرة من عمره. وفي عام 1916 خدم في الجبهة الجنوبية الغربية كرقيب مدفعية، وفي أعقاب الثورة انضم إلى الحزب البلشفي ثم الجيش الأحمر عام 1918. ثم انخرط في سلك الضباط وتدرج في الرتب على مدى عقدين، فقاد فوجاً خلال الفترة 1926 ـ 1930، ثم فرقة في العام 1934 ـ 1937، ثم فيلقاً عامي 1937 ـ 1938. وقد أفلت من حركة التطهير التي قام بها جوزيف ستالين والتي قامت بإعدام أو نفي كثير من قيادات الجيش.

وفي أوائل الحرب العالمية الثانية قاد كونياف مجموعة تشكيلات عسكرية

عانت انتكاسات على يد الألمان في سمولنسك (Smolensk) وخارج موسكو. وقد حل محله الجنرال جورجي قونسطنطينو فيتش جيكوف (Georgi Konstantinovich Zhukov)، الأمر الذي أشعل فتيل المنافسة بينهما طيلة حياتهما العملية. وعلى الرغم من أن كونياف ظل أدنى في الرتبة من جيكوف، فقد تولى قيادة مجموعة تشكيلات كالينين (Kalinin) وشن الهجوم السوفياتي المضاد من موسكو في 5 كانون الأول ـ ديسمبر 1941. وفي غضون عام من المعارك المريرة التي سقط فيها من الجانبين حصيلة ضخمة من القتلى، نجح كونياف في دحر الألمان للخلف مسافة مئة ميل.

وفي أواخر عام 1943 تولى كونياف قيادة الجبهة الأكرانية الثانية، وهو موقع ووحدة تابعان فنياً للجبهة الأكرانية الأولى بقيادة جيكوف. ولقد سمح ستالين عمداً بقيام المنافسة بين كونياف وجيكوف حفزاً لهما، ولم يخص أياً منهما بتحقيق الهدف النهائي منفرداً. وهو الاستيلاء على برلين. وقد قام كونياف وجيكوف بمحاصرة فيلقين ألمانيين في كورسن (Korsun) في أوائل عام 1944، فقتلا وأسرا أكثر من مئة ألف من جنود العدو. ثم اتجها صوب الغرب حيث سقط أكثر من 350 ألف قتيل وأسرا 158 ألفاً من خيرة قوات هتلر. وفي 20 شباط ـ فبراير 1944 قام ستالين بترقية كونياف إلى رتبة مشير في قوات الاتحاد السوفياتي.

وفي خريف عام 1944 أبطأ كونياف والسوفيات من تقدمهم بغية السماح بوصول التعزيزات عبر خطوط الإمداد الهائلة الاتساع، وذلك قبل مواصلة الهجوم في 12 كانون الثاني ـ يناير 1945. وقد وصل كونياف إلى خط أودر ـ نيس (Oder-Neisase) في 15 شباط ـ فبراير، وتوقف ثانية للتموين ثم تحرك صوب برلين في 16 نيسان ـ إبريل. وبعد تسعة أيام، انضمت وحدات المقدمة في جيش كونياف عند نهر إلب إلى القوات الأميركية المهاجمة من جهة الشرق. وسرعان ما كانت قوات كونياف هي أول قوات للحلفاء تدخل برلين؛ ففي 2 أيار ـ مايو قبل كونياف وجيكوف استسلام المدينة.

وبعد انتهاء الحرب لم يعد جيكوف يروق لستالين، وفي عام 1946 حل كونياف محل منافسه في منصب القائد العام للقوات البرية السوفياتية. وفي عام 1955 تولى كونياف منصب نائب وزير الدفاع السوفياتي وكان أحد مهندسي التحالف العسكري لدول الكتلة الشرقية الشيوعية. وعند قيام حلف وارسو تم تعيينه القائد العسكري الأعلى للحلف.

احتفظ كونياف بمنصبه وسلطاته بعد وفاة ستالين، واستمر يقدم المشورة إلى المفتش العام للجيش بعد تقاعده تقاعداً شبه تام عام 1960. وباستثناء استدعاء وجيز للخدمة العاملة إبان أزمة برلين عام 1961، ظل كونياف على ذلك الوضع حتى وفاته في 21 أيار ـ مايو 1973، وهو في الخامسة والسبعين من عمره. وقد دفن في الكرملين بما تقلده من أوسمة من الاتحاد السوفياتي ودول حلف وارسو والدول الشيوعية في أنحاء العالم.

لقد ذاع صيت كونياف في ميادين القتال على أنه قائد كفؤ إلى أقصى حد. وأثبت قبل الحرب العالمية الثانية وأثناءها وبعدها أنه خبير في التعامل مع ستالين، والحفاظ على سمعة الشيوعي المخلص المتفاني. وقد هيأت له شجاعته الذاتية وخدمته الجديرة بالتقدير أن يحصل مرتين على وسام البطل من الاتحاد السوفياتي وخمس مرات على وسام لينين، ووسام النصر الماسي، وهذا الوسام الأخير لم يمنح إلا لأحد عشر ضابطاً سوفيتياً فقط.

لقد ارتقى كونياف من بداياته الريفية المتواضعة إلى قمة الرتب العسكرية السوفياتية. وكان له قدرة متفردة على فهم الحرب الشاملة المكثفة مع استخدام المدرعات والدعم الجوي، وقد ضحى عن طيب خاطر بالرجال والموارد المطلوبة لتحقيق النصر. فلولا جهود كونياف والقادة السوفيات الآخرين على الجبهة الشرقية، كان من المشكوك فيه أن يكتب النجاح لجهود التحالف على الجبهة الغربية.

وعلى الرغم من أن جيكوف، منافس كونياف في مجال عمله الطويل، كان يعلوه رتبة في أثناء الحرب العالمية الثانية، وأثبت بعدها أن لديه موهبة

مماثلة في البقاء على وضعه في سنوات ما بعد الحرب، فإن كونياف أثبت في النهاية أنه الأكثر فاعلية وتأثيراً، إذ إن تنظيمه وقيادته للقوات العسكرية لحلف وارسو كان يمثلان المجابهة الرئيسة للولايات المتحدة الأميركية وحلف شمال الأطلسي (الناتو) لأكثر من ربع قرن.

وبينما كان دور كونياف في وقف التهديد النازي وتأثيره اللاحق في حلف وارسو لهما أهميتهما، فإن أفول الاتحاد السوفياتي محا تأثيره البارز؛ إذ فقد الحزب الشيوعي، الذي انضم إليه كونياف شاباً، كثيراً من سلطته وانهارت طريقة الحياة السوفياتية التي دافع عنها ولم يعد لها وجود الآن.



سليمان الأول

SULEIMAN I

سلطان تركي

(1566 - 1494)

ولد سليمان، الذي جاء ترتيبه العاشر في سلسلة طويلة من السلاطين الأتراك، في طرابزون (Trabzon) في 6 تشرين الثاني ـ نوفمبر 1494. انضم في شبابه إلى جيش جده أولاً ثم إلى جيش والده وقت دفاعهما عن الأمبراطورية العثمانية وأحرز مكاسب متواضعة في ضم أراض جديدة. وبوفاة والده، سليم الأول عام 1520، ارتقى سليمان إلى العرش، وبدأ من فوره خططاً لتوسيع حدود إمبراطوريته ونفوذه. ومن حسن حظ السلطان الجديد أن كان لديه وزير كفؤ هو إبراهيم باشا للإشراف على الأوضاع الداخلية والإدارية، ما أراحه من مسؤوليات القصر، وجعله يتفرغ لقيادة جيشه في الميدان.

وقد ورث سليمان عن أبيه أكبر جيش في العالم وأفضله تدريباً، حاوياً

عناصر رفيعة من المشاة، وسلاح الفرسان، والمدفعية، والمهندسين. وقد قام بتوجيه أولى مهماته القتالية ضد المجر بحجة الانتقام من المعاملة السيئة التي لقيها مبعوثوه في ذلك البلد. أما الحقيقة وراء دوافعه فكانت، مثلما هي الحال في معظم حملاته، تأمين حدوده وإضافة مزيد من الأراضي.

وفي عام 1521 استولى جيش سليمان على بلجراد، وفي العام الذي يليه تحول إلى جزيرة رودس لمواجهة فرسان القديس يوحنا المدافعين عن الجزيرة والذين كانوا يمثلون العقبة الرئيسية أمام سيطرة الأتراك على الخطوط البحرية للاتصالات، وللغزو من جهة البحر الأبيض المتوسط. وعلى الرغم من الحصار الذي دام ستة أشهر، فشل الأتراك في اختراق حصون الجزيرة المنيعة. وفي أثناء هذا المأزق الحرج عرض سليمان استسلام رودس مقابل السماح للفرسان وجيشهم بالانسحاب بأمان. وقد تمكن بمهارته التفاوضية وبدعم جيشه الجرار من تحقيق هدفه من دون أي خسارة جديد في الأرواح، وهو أسلوب عمد إليه السلطان ثانية فيما بعد.

كذلك أظهر سليمان براعة في التعامل مع الطوائف الداخلية التي كانت تهدد حياته؛ إذ أبقى على المجموعات المعارضة، ولا سيما الإنكشارية المرتزقة، في حملات لا تكاد تتوقف. ولم يغير هذا من موقفهم تجاه سلطانهم، فقد استنزف الكثير من طاقاتهم الموظفة للتمرد.

وقد مثلت المجر أيضاً تهديداً لحدود الإمبراطورية عام 1526؛ فدخل سليمان أولاً في مفاوضات حول معاهدة مع جيرانه البولنديين لضمان حيادهم، ثم تحرك ضد المجر في جيش قوامه ثمانون ألف رجل. وفي 29 آب - أغسطس هاجم سليمان ركيزة القوات المجرية في سهل موهاكس (Mohacs). وقد أجهز الأتراك في سلسلة هجمات أمامية وتحركات عن طريق الجناحين، مدعومين بالمدفعية، على أكثر من خمسة عشر ألف مجري بمن فيهم ملكهم لويس ومعظم حاشية قصره. ثم احتل سليمان بودا (Buda)، ونصّب ممثله الخاص على عرش المجر.

بعد ثلاث سنوات قاد سليمان جيشه ليحمل على إمبراطورية هابسبورج (Hapsburg) النمساوية، ولكنه لم يحقق نصراً كاملاً وإنما نجح في التفاوض على معاهدة سلم تمكن بفضلها من دعم سيطرته على المجر.

وبعد تأمين سليمان لحدوده الغربية، اتجه لمحاربة أعدائه في الشرق؛ فقام في عامي 1534 ـ 1535 بغزو بلاد فارس، واحتل مدينتي تبريز وبغداد. وفي ذات الوقت أقام تحالفاً مع فرنسا ضد الإمبراطورية الرومانية «المقدسة»، وشيد علاقات مع الفرنسيين دامت عدة قرون.

وبينما كان سليمان يقاتل في بلاد فارس، ويتفاوض مع الفرنسيين، أرسل أسطول سفنه الحربية بقيادة القرصان السابق باربروسا (Barbaroussa)، وأحكم سيطرته على البحر المتوسط. وقد هيأ انتصار باربروسا على مدينة البندقية والإمبراطورية الرومانية المقدسة في معركة بريفيزا (Preveza) في 27 أيلول ـ سبتمبر 1538 للأتراك إحكام سيطرتهم على البحر المتوسط على مدى السنوات الثلاثين التي تلت. وبعد معركة بريفيزا، بدأ الأسطول التركي سلسلة من الغارات ضد جنوب أوروبا وساحل شمال أفريقيا، والتي استمرت لما يقرب من عقدين. وفي الوقت الذي كان فيه باربروسا يحكم سيطرته على البحر، واصل سليمان حربه ضد فارس، منهياً العدوان بينهما بمعاهدة أماسيا (Amasia) عام 1555، والتي تم بموجبها ضم أرضروم ويريفان (Erivan) وفان (Van) وتبريز وجورجيا إلى الإمبراطورية العثمانية.

وقام سليمان، في سنواته الأواخر، بحملات متقطعة لضمان سلامة إمبراطوريته. وفي الثانية والسبعين توجه على رأس جيش من مئة ألف رجل في حملة جديدة على النمسا حيث توفي في 5 أيلول ـ سبتمبر 1566 في معسكره. وبعد ذلك بثلاثة أيام أخضع جيشه آخر مقاومة له وأنهى الحملة بنجاح.

لقد كان سليمان يختار بحكمة معاونيه من ذوي الكفاءة والثقة لإدارة شؤون الحكم في الوقت الذي كان يقوم هو بحملات في ميدان القتال لتوسيع حدوده. ولقد أدت قيادته، التي عملت على تكامل قدرات سلاح الفرسان مع

المشاة والمدفعية والمهندسين، إلى انتصارات متواصلة، وأنتجت واحدة من أقوى الإمبراطوريات في القرن السادس عشر.

لقد أطلق حلفاء سليمان وأعداؤه عليه «المهيب» لإنجازاته العسكرية والدبلوماسية. كذلك حقق في الداخل نجاحاً مماثلاً؛ فقد كان حكيماً في اختيار معاونيه في إدارة شؤون الإمبراطورية في غيابه، واتسم حكمه باللين والعدل حتى لقبه شعبه بالقانوني، وزاد على ذلك تشجيعه للفنون والتعليم بين أبناء بلده.

لقد كان سليمان أنجح سلالة سلاطين الأتراك المديدة وأكثرهم تأثيراً، وكان أيضاً آخرهم؛ إذا كان أبناؤه يفتقرون إلى القدرات الضرورية إلى الحكم، فتناحروا فيما بينهم على أحقية خلافة الحكم، ما اضطره إلى إعدام اثنين منهم. ونتيجة لذلك تعدد القادة بعد وفاته، ممن غلب عليهم الضعف والحمق وإدمان المسكرات دون أن ينمازوا بأي سمة من سمات القيادة الحقيقية. فأخذت الإمبراطورية العثمانية التي سيطرت على معظم البلقان وشمال أفريقيا والشرق الأوسط والبحر المتوسط إبان حكم سليمان الأول تنهار على نحو متواصل على مدى الأجيال اللاحقة.



كولن كامبل

Colin Campell

قائد بريطاني

(1863 - 1792)

ولد كامبل، في أسرة متواضعة في 20 تشرين الأول - أكتوبر 1792، يعمل أبوه نجاراً في جلاسكو [إسكتلندا]، يدعى جون ماكليفر (John Macliver)، وكان من الممكن أن تحد نشأته المتواضعة من فرصته في أن يحترف الجندية التي كانت تسيطر عليها الأرستقراطية، لولا مكانة والدته وأسرتها، فقد نجح خاله في إلحاقه بفوج المشاة التاسع، وسجل الصبي باسم كامبل وهو اسم أسرة عريقة، ولم يبذل كولن أدنى جهد لتصحيح هذا الخطأ.

في عام 1808 أبحر كامبل إلى البرتغال حيث شهد القتال على مدى السنوات الخمس التالية في شبه الجزيرة، مشاركاً في الحملات على روليكا (Rolica)، وكيرانا (Corunna)، وولخيرن (Walcheren)، وباروسا (Barossa)،

وطريف (Tarifa)، وفيتوريا (Vitoria). وقد تجلت شجاعته تحت القصف، ونجا من حمى أشبه بالملاريا أصيب بها في سان سباستيان (San Sebastian) عام 1813.

وبمجرد التئام جروح كامبل، انضم إلى الجيش البريطاني في أميركا الشمالية، وقد حصل على رتبة نقيب فشهد الأيام الأخيرة من الحرب في عام 1812، ونجا من الهجوم المشؤوم على الأميركيين في نيوأورليانز في عام 1814. ولأن انتهاء الحرب في الولايات المتحدة الأميركية والهزيمة النهائية لنابليون الأول في أوروبا عام 1815 وضعا نهاية للترقيات السريعة، فقد عاش كامبل الحياة النمطية لجندي المستعمرات على مدى الخمس والعشرين السنة التالية؛ إذ قام بعدة مهام يجوب العالم بحاميته، مع اشتراكه بعض الأحيان في حروب صغيرة، أو مناوشات متباينة.

وفي عام 1823 ساعد كامبل على إخماد انتفاضة ديميرارا في غينيا البريطانية. إلا أنه لم يحدث قبل عام 1835 أن وصل إلى رتبة مقدم وقيادة المشاة التاسعة، وذلك بعد نحو ثلاثة عقود من الخدمة. وبعد ذلك بعامين نقل كامبل إلى المشاة الثامنة والتسعين حيث خدم في حرب الأفيون خلال الفترة 1841 ـ 1843. ولقد كان لتلك الخدمة في الصين، وورود «اسمه في قائمة الشرف العسكرية»، لشجاعته وحنكة قيادته، أثرهما في ذيوع صيته بين الشعب الإنجليزي.

شارك كامبل بين عامي 1848 ـ 1852 في الحملات الاستعمارية في الهند. وفي اندلاع حرب القرم، كان قد وصل إلى قيادة لواء الهايلاند (High Land)، مع حصوله على رتبة لواء. وسرعان ما نال كامبل، الذي كان صيته ملء الأسماع في أرجاء الإمبراطورية البريطانية، مكانة أسطورية لقيادته المتسمة بحسن الاستعداد والتماسك. وفي بلاكلافا (Balaklava) واجه جنوده الهايلاندرز 93 (Nighty-third Highlanders)، في 25 تشرين الأول ـ أكتوبر 1854، هجوماً مباغتاً شنه تشكيل ضخم من سلاح الفرسان الروس. وأصدر كامبل أوامره إلى

رجاله: «لا تراجع من هنا، يا رجال! عليكم أن تموتوا حيث تقفون»! . تماسك جنوده ودحروا الهجوم الروسي فيما أصبح يعرف بالوقفة البطولية لـ«الخط الأحمر الرفيع».

وفي عام 1857 عاد كامبل إلى الهند لقمع عصيان. ومع أن بعضهم قد انتقده، مطلقاً عليه لقب «السيد الجمل الزاحف» (Sir Crawling Camel)، أو «العجوز الحذر»، لدقته في التخطيط وحرصه على التقدم في الهجوم، فقد استرد كامبل النظام بأقل الخسائر البشرية البريطانية. وقام بتأمين لكناو (Lucknow) في آذار ـ مارس 1858، واستعاد السيطرة على شمال الهند كلها في أيار ـ مايو التالي وهو برتبة فريق أول.

لقد كانت إنجازات كامبل بالقطع نتاج ما هو أكثر من مجرد الحرص؛ إذ كان واحداً من أوائل الضباط على مستوى أي دولة، ما يؤكد على أهمية القوة البدنية عن طريق إجرائه تدريبات تكييفية وفاحصة لسلامة القوى العقلية، من خلال إحاطة جنوده على الدوام بالمعلومات في الوقت الذي كان يبذل كل جهد ليجنبهم المشاق والمخاطر التي لا ضرورة فيها. وكان يحدث باستمرار تشكيلاته القتالية، وفي الوقت نفسه يدمج ما بين آخر المستجدات في الأسلحة النارية وبين دعم سلاحي المدفعية والهندسة المتطورين. وكان كامبل يجري تدريبات ميدانية مكثفة وقت السلم لاختبار تلك التطويرات وتنقيحها، فكان يدرب وحداته على تكتيكات الحركة وتشكيلات القتال وسبل التعزيزات.

وفي الوقت الذي كان فيه القادة الآخرون يركزون على القتال الدموي المتلاحم بالسلاح الأبيض، ركز كامبل على الرماية بالبنادق وفضل القتل من مدى بعيد كإجراء يوفر الأمان. وقبيل تحقيق انتصاره العظيم على الروس في بلاكلافا عام 1854، أراد جنوده الهايلاندرز استغلال الفرصة بالهجوم على صفوف الروس؛ فصاح فيهم كامبل غاضباً: «اللعنة على كل هذا الحماس»، وهو لم يبرح موقعه واستمر يمطر الفرسان الروس بوابل من طلقات البنادق والمدفعية.

عاد كامبل إلى وطنه عام 1860، فاستقبل استقبال الأبطال ورقي إلى رتبة

مشير بعدها بعامين. وقد توفي في تشاتيم (Chatham) في 14 آب - أغسطس 1863، ودفن في وستمنستر آبي في جنازة عسكرية مهيبة، وذلك بعد خدمة تربو على نصف قرن.

لقد صعد كامبل كعصامي» و«جندي بالمصادفة» من أصول اجتماعية متواضعة إلى رتبة مشير في وقت كانت فيه الثروة والوضع الاجتماعي أهم من القدرات. ونجح - على الرغم من حرمانه من تلك المزايا - من خلال المثابرة والعزم الذي لا يلين. وبينما كان بعض المراقبين يرونه أحرص مما ينبغي، فلا ينكر أحد قدرته على إحراز النصر، فجنوده - الذين توقفت حياتهم على خططه وقيادته - كانوا شديدي الإعجاب به، وأشاد به شعبه البريطاني بوصفه واحداً من أحب قادته العسكريين إلى قلبه.

إن كولن كامبل ينهض بمفرده كأهم القادة العسكريين المؤثرين في الجيش البريطاني على مدى قرن فيما بين عصر ويلنجتون عام 1815 والحرب العالمية الأولى عام 1914. وإن حرصه المخلص على رعاية رجاله ودقة خططه وتنفيذها في العمليات كان لها أثرها في بناء جيش ذي قدرة تدريبية عالية وحافز معنوي قوي. وكانت سياساته في الترقي التي اعتمدت على القدرة لا على الأصل أو الأقدمية سبباً في خلق قادة المستقبل الذي سيكتب لهم قيادة الجيش البريطاني مع دخول القرن العشرين.



صامويل (سام) هيوستن

SAMUEL (SAM) HOUSTON

قائد من تكساس

(1793 - 1863)

ولد هيوستن في 2 آذار - مارس 1793 بالقرب من ليكسنجتون بولاية فرجينيا الأميركية لأب كان ضابطاً في الجيش ممن شاركوا في الثورة الأميركية، ثم انتقل هيوستن مع والدته إلى حدود تنسي عندما توفي والده عام 1807، حيث تلقى تعليماً محدوداً، وكان يميل إلى زيارة قرى شيروكي الهندية القريبة أكثر من متابعته الدراسة. وعندما كان في السادسة عشرة هيأ له أخوه وظيفة في متجر محلي كبير. ولم يعبأ هيوستن بالعمل موظفاً كما كانت حاله في الدراسة، وبدلاً من المداومة على الذهاب إلى المتجر، كان يتنقل مع رفاقه الهنود.

ظل هيوستن مع الشيروكيين لمدة ثلاث سنوات، يتعلم لغتهم وعاداتهم قبل أن يلتحق كجندي بجيش أندرو جاكسون في أوائل عام 1813، حيث تدرج في المناصب

حتى وصل إلى رتبة ضابط. وفي 28 آذار ـ مارس 1814 شارك في معركة منعطف هورس شوو (Horseshoe Bend) في ألاباما ضد الهنود الكريك (Creek) الذين تحالفوا مع البريطانيين. وقد قاتل هيوستن ببسالة وأصيب بعدة جروح في القتال.

وفي أعقاب الحرب ظل هيوستن في الجيش وخدم بصفته ضابط اتصال لأصدقائه الشيروكيين، فأسهم في نقلهم إلى مقاطعة أوكلاهوما. وفي عام 1818 رقي إلى رتبة ملازم أول، إلا أنه استقال بعد توبيخه من رؤسائه لارتدائه ملابس السكان الأصليين ولشدة قربه من الهنود.

عاد هيوستن إلى تنسي حيث درس ومارس المحاماة، وظل نشطاً في المليشيا المحلية. وفي عام 1821 عين لواء في التنظيم العسكري للولاية. وفي عام 1823 انتخبه جيرانه عضواً في الكونجرس الأميركي، وبعدها بسنوات أربع اختاروه حاكماً للولاية. وقد توقف تقدم هيوستن فجأة في نيسان ـ إبريل 1829 عندما هجرته عروسه بعد ثلاثة أشهر فقط من دون الكشف عن الأسباب؛ فاستقال من منصب الحاكم وانتقل إلى الغرب ليعيش ثانية مع الشيروكيين.

وفي أثناء المدة التي قضاها مع الهنود قام هيوستن بعدة رحلات إلى واشنطن لحث رفاقه القدامى في السلطة التشريعية على معاملة الشيروكيين والقبائل الأخرى معاملة أفضل. وفي عام 1832 طلب أندرو جاكسون، الذي أصبح في ذلك الوقت رئيساً للولايات المتحدة الأميركية، من هيوستن التوجه إلى تكساس من أجل التفاوض مع الهنود هناك لتأمين عبور آمن للتجار الأميركيين إلى أراضي المكسيك.

وفي نسيان ـ إبريل 1833 حضر هيوستن مؤتمر سان فيليب (San Felipe) والذي صوت على إرسال مندوب إلى مكسيكو سيتي بغية الحصول على وضع الدولة لتكساس. ومع ذلك فليس هناك من دليل على مشاركته في المباحثات التمهيدية لاستقلال تكساس، ويبدو أن هيوستن استمر في العمل مع قبائل هندية مختلفة في الوقت نفسه الذي كان فيه ممثلاً غير متفرغ للعديد من المصالح التجارية في نيويورك.

وأياً كانت نشاطات هيوستن، فإنه ترك انطباعاً قوياً لدى أهل تكساس، وعندما بلغت حركة الاستقلال أوجها، طلبوا منه أن يتولى قيادة جيشهم الصغير الحديث التكوين. وعلى الرغم من ما وجه إلى هيوستن من انتقادات لعيشه مع الهنود ولإفراطه في الشراب، فإن طوله الذي يزيد على ستة أقدام وما يتمتع به من طريقة أخاذة في الحديث جعلته الاختيار الأمثل لأهل تكساس. وفي تشرين الثاني ـ نوفمبر 1835 تولى هيوستن رسمياً قيادة القوة الصغيرة، وشارك في المؤتمر الذي أعلن استقلال تكساس عن المكسيك في 2 آذار ـ مارس 1836.

جاء رد المكسيك عاجلاً على المستعمرة المتمردة؛ فقام الجنرال سانتا آنا بسحق مقاومة تكساس في أليمو (Alamo) بسان أنطونيو، وفي جول ـ آياد (Gol-iad) الحامية تماماً في نيسان ـ إبريل. استغل هيوستن الوقت الذي أتاحه قتال المدافعين «الشهداء» ليدرب ويستحث بقية جيشه المهلهل الذي يقل عن ثمانمائة رجل، متحاشياً قتالاً مباشراً مع قوات سانتا آنا المتمرسة.

أتاح هيوستن لسانتا آنا أن يطارده حتى وثق القائد المكسيكي من أن جيش تكساس لا يمثل تهديداً ذا أهمية، فكان أن أوقع به هيوستن الخطأ في الظن. وفي صباح 21 نيسان ـ إبريل هاجم هيوستن ومعه 783 من مقاتلي تكساس قوات سانتا آنا التي تبلغ نحو ضعف عدد قواته. كان سانتا آنا قد أقام القليل من الأسوار المصنوعة من الأوتاد، كما كان معظم جنوده نائمين حينما تدافعت قوات هيوستن على معسكرهم الواقع عند ملتقى بافلو بايو (Buffalo Bayou) مع نهر سان جسنتو. أما القلة من المسكيكيين الذين حاولوا الهرب فقد وجدوا طريقهم مسدوداً عند مستنقع عميق. وفي معركة استغرقت خمس عشرة دقيقة قتل أفراد جيش تكساس وأسر الجيش المكسيكي كله ولم يخسروا سوى ستة من رجالهم، وكان من بين الأسرى سانتا آنا.

وعلى الرغم من أن هيوستن أصيب في المعركة بجرح موجع في كاحله فقد التقى بسانتا آنا وأقنعه بتوقيع أمر إنسحاب لكل القوات المكسيكية من تكساس، وفي 22 تشرين الأول ـ أكتوبر 1836 أدى هيوستن يمين القسم كأول

رئيس لجمهورية تكساس. وقد اعترفت الولايات المتحدة الأميركية والقوى الأوروبية بهذه الأمة الجديدة فوراً. وقد استمرت المكسيك في عدم اعترافها باستقلال الجمهورية، فإنها لم تبذل جهداً يذكر لاستردادها.

أدى هيوستن دوراً مهماً في انضمام تكساس إلى الاتحاد في عام 1845، وأصبح عضواً في مجلس الشيوخ الأميركي بين 1846 ـ 1859. وفي عام 1860 فاز بانتخابات الولاية لمنصب الحاكم، إلا أنه سرعان ما وقع خلاف مع معظم جمهور تكساس لأنه عارض الانفصال عن الاتحاد. فلم يكن هيوستن ـ الذي كان مالكاً للعبيد، وكان ابنه يقاتل في صفوف المتمردين في الحرب ـ معارضاً كبيراً للكونفيدرالية على قدر ما كان نصيراً لتكساس، داعياً إلى حياد الجمهورية أو إلى إعادة تأسيسها، ولم يقبل المجلس التشريعي في تكساس أياً من توصياته، وعندما رفض هيوستن أن يقسم يمين الولاء للكونفيدرالية عند اندلاع الحرب الأهلية، قام أهالي تكساس بخلعه، فتقاعد في مزرعته في هانتسفيل (Huntsville) بتكساس، حيث توفي في 23 تموز ـ يوليو 1863 وقد أتم السبعين من عمره.

وعلى الرغم من عزل هيوستن من منصبه في أثناء الحرب الأهلية، فقد ظل اليوم بطلاً كبيراً من أبطال تكساس. وأطلق اسمه على أكبر مدنها وعلى جامعة وكليات ومنشآت كثيرة تكريماً له. وإذا كانت معركة سان جسنتو معركة هامشية في التاريخ الطويل للصراعات الكبرى، فإن تأثيرها يتجاوز سمعتها المحدودة. فعندما حقق هيوستن النصر فيها، وهي المعركة الكبرى الوحيدة التي خاضها، تمكن من تحرير مساحة من الأرض تبلغ 260 ألف ميل مربع، وأصبحت تكساس فيما بعد، تمهد الطريق لضم مساحة أخرى تبلغ نصف مساحة تكساس تقريباً إلى القسم الغربي من الولايات المتحدة الأميركية. وبعد فترة وجيزة من ضم تكساس عام 1845 دخلت الولايات المتحدة الأميركية في حرب مع المكسيك لخلاف على الحدود بينهما، إلا أن هيوستن كان قد حدد مستقبل تكساس والمنطقة الجنوبية الغربية من الولايات المتحدة الأميركية في معركة شرسة لم تستغرق أكثر من ربع الساعة والمعروفة بمعركة سان جسنتو.



ريتشارد الأول (قلب الأسد)

RICHARD I (THE LION-HEARTED)

ملك انجليزي

(1157 - 1199)

ولد ريتشارد في أكسفورد في 8 أيلول - سبتمبر 1157، وهو الأبن الثالث للملك هنري الثاني ملك إنجلترا، وإلينور الأكويتية (Eleanor of Aquitaine). كان يفضل منذ صباه الباكر المغامرة في العمليات العسكرية على مسؤوليات القصر. وقد انضم ريتشارد الذي نصب دوقاً على أكويتيه (Aquitaine) (جنوب غربي فرنسا) عام 1172 إلى إخوته في تمرد على والدهم. وعلى الرغم من أن التمرد فشل، فقد سمح له والده بالبقاء في هذا المنصب.

تمكن ريتشارد بين الأعوام 1175 - 1185 لصيته المتنامي، كمقاتل شجاع ومنظم بارع، من قمع عدة محاولات تمرد داخلية. ويمثل استيلاؤه على قلعة تالبيرج (Taillebourg) في سانتون (Saintonge) عام 1179، وهي التي كان يُظن

أنها قوية التحصين ومستعصية، واحدة من أشهر مآثره في تلك الفترة. وبعد وفاة أخيه الأكبر في عام 1183 واندلاع القتال داخل الأسرة، أصبح ريتشارد وريثاً لعرش أبيه.

وعندما توفي هنري الثاني عام 1189، ورث ريتشارد عرشي نورماندي وإنجلترا، وأظهر قليلاً من الاهتمام في حكم كل من المملكتين؛ إذ أمضى فقط ستة أشهر في إنجلترا خلال السنوات العشر التي تلت. ومع ذكل كان يقدر الثروات التي أتاحها له التاج لتكوين جيش ينضم به إلى الحملة الصليبية الثالثة لاستعادة الأرض المقدسة من المسلمين. وقد تسبب ريتشارد ـ تقريباً ـ في إفلاس إنجلترا ببيعه الممتلكات وفرضه الضرائب لتمويل حملته.

أبحر ريتشارد وجيشه إلى فلسطين في عام 1190، وكان في خطته أن يمضي الشتاء في صقلية. ولما وجد أن الصقليين لم يكرموا وفادته، اقتحم ميسينا (Messina) وأخذ بالقوة ما لم يعرض عليه بالمعروف. وفي الربيع أبحر إلى قبرص وأسس قاعدة إمداد، ووصل إلى فلسطين في 8 حزيران ـ 1191.

واستطاع ريتشارد عن طريق القوة وتأثير الشخصية أن يوحد جيشه الإنجليزي مع الجيشين الفرنسي والألماني، وأن يتولى القيادة في حصار عكا الذي دام عامين، وفي غضون ستة أسابيع استطاع ريتشارد أن يهزم المسلمين بقواته الموحدة الأقوى، وأن يدخل المدينة، من دون رحمة أجهز على 2700 من الأسرى.

وبعد تأمين عكا اتجه ريتشارد صوب القدس كي يستعيدها من السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي سيطر على المدينة المقدسة عام 1187. وفي أثناء المسير أظهر ريتشارد قدراته كاستراتيجي وخبير إمداد؛ فحرك جيشه المتحالف المؤلف من خمسين ألف جندي، بمحاذاة الساحل، وذلك حتى يتمكن أسطوله من مواكبة التقدم ويقدم الإمداد من جديد. وفرض ريتشارد نظاماً صارماً، فلم يسمح لجنوده أن ينقسموا لمطاردة مجموعات المسلمين الصغيرة التي كانت تقلق مضجعهم في محاولة لإغوائهم وإيقاعهم في الكمائن. وقد تجاهل ريتشارد

استفزازات المسلمين القتالية حتى 7 أيلول ـ سبتمبر، عندما أدار جيشه كاملاً وفق إشارة مرتبة سلفاً ضد أرسوف فقتل سبعة آلاف ولم يخسر سوى سبعمائة من جنوده.

وفي حين لم يواجه الصليبيون آنذاك سوى مقاومة مسلحة ضعيفة في طريقهم نحو القدس، فقد كان عليهم أن يناضلوا عبر «الأراضي المحروقة» فيما بين أرسوف والقدس؛ لأن صلاح الدين أمر جيشه المنسحب بتدمير كل مصادر الطعام والمياه.

وعلى مدى العام التالي وقعت مناوشات بين صلاح الدين وريتشارد، إلا أن الأخير لم يستطع أن يجمع التموين والماء الكافيين لمحاصرة القدس. رفض صلاح الدين أن يدخل في معركة حاسمة، وفي أيلول ـ سبتمبر 1192 تبادل القائدان ـ على ما بينهما من اختلاف كبير ـ الاحترام، واتفقا على هدنة لمدة ثلاث سنوات في الوقت الذي كان الصليبيون يحتفظون بعكا وشريط من الأرض بمحاذاة الساحل. وقد استمرت سيطرة المسلمين على القدس، فلم ينقطع الزوار المسيحيون عن زيارة أماكنهم المقدسة في المدينة.

وفي أواخر عام 1192 عندما كان ريتشارد مبحراً صوب بلاده، تحطمت سفينته قرب البندقية ووقع أسير في يد ليوبولد (Leopold) ملك النمسا الذي احتجزه في العديد من القلاع تباعاً، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن دفع الشعب الإنجيلزي في شباط ـ فبراير 1194 فدية ضخمة مقدارها 150 ألف مارك.

وعند عودته إلى بلاده توج ريتشارد ملكاً مرة أخرى، تثبيتاً للقبه في 17 نيسان ـ إبريل، إلا أنه لم يمكث في إنجلترا طويلاً، فأبحر في أيار ـ مايو إلى نورماندي، حيث دخل على مدى السنوات الخمس التالية في مناوشات قتالية مع أعداء مختلفين كانوا ينازعونه على تاجه وأراضيه. أما أهم إنجازات ريتشارد العسكرية، فكانت إظهاره لقدرته على فهم أهمية التحصينات والهندسة، وذلك ببنائه قلعة شاتو ـ جيلار (Chateau-Gaillard) على جزيرة في نهر السين.

وفي ربيع عام 1199 حاصر ريتشارد قلعة أسقف ليموج (Limoges)؛ لأن

الأخير رفض أن يسلمه كنزاً من الذهب عثر عليه أحد الفلاحين. وفي أثناء إحدى المناوشات الصغيرة حيث كان ريتشارد يقود جنوده كالعادة، أصيب بجرح في الكتف من سهم مارق فتسبب في حدوث الغنغرة (الغرغرينا). وتوفي ريتشارد في 6 نيسان ـ إبريل وهو في الثانية والأربعين من عمره.

تزوج ريتشارد في قبرص من بيرينجاريا (Berengaria) ابنة سانتشو السادس (Sanchp VI) ملك نيفار (Navarre)، في أثناء رحلته إلى فلسطين عام 1191 فقد كان زواج منفعة بكل معنى الكلمة، ولم يخلف ريتشارد وريثاً.

وعلى الرغم من أن مغامرات ريتشارد «قلب الأسد» تقص فيما لا يحصى من الكتب والقصائد والأفلام صورة تعوزها الدقة، فإن شجاعته وقيادته العسكرية تتسم بالأصالة. إذ أثبت أنه واحد من القادة القلائل الذين كان بوسعهم تنظيم القوات الصليبية المختلفة وتنسيقها، كما أن أداءه يضعه في مصاف القادة البارزين في القرون الوسطى، وقد توفي في 6 نيسان (أبريل) من عام 1199 بعد إصابته، وهو في الثانية والأربعين من عمره.



شـاكـا

SHAKA

ملك الزولو

(حوالي 1787 - 1828)

ولأن شاكا، الذي ولد حوالي عام 1787، كان ابناً غير شرعي لأحد زعماء الزولو ولامرأة متواضعة الأصل، فقد عومل معاملة قاسية كمنبوذ، وربما كان ذلك سبباً لفظاظته مستقبلاً، فاسم شاكا نفسه يعني «الطفيل المعوي».

ومإن بلغ شاكا سن البلوغ حتى كان قد أظهر طموحاً فائقاً وذكاء حاداً وعدم اكتراث بحياة البشر إجمالاً. وفي نحو السادسة عشرة من عمره انضم إلى القوة المحاربة للزعيم دينجزويو (Dingiswayo)، زعيم ميثيثوا (Mthethwa) الذي كان يحكم الزولو، فتعلم شاكا من دينجزويو التنظيم العسكري والتكتيكات في الوقت الذي كان يشحذ شجاعته الذاتية في الاشتباكات العديدة.

وعندما توفي والد شاكا في عام 1816 أرسل دينجزوايو - على وجه

السرعة ـ شاكا إلى الزولو وعهد إليه بقيادتهم عسكرياً، وبدأ شاكا على الفور تحسين الجيش والانتقام من أولئك الذين أساؤوا معاملته ومعاملة والدته في مرحلة طفولته.

أقام الزعيم الجديد للزولو نظاماً عسكرياً مماثلاً لنظام دينجزويو، فاستبدل بالرماح الخفيفة في الرمي المسماة آسيجيس (assegfais) السهام الحادة الثقيلة المارقة المعروفة بـ«إي ـ كلاواس» (i-Klwas). وأدخل شاكا كذلك ضمن أسلحته درعاً أثقل وأكبر حجماً مصنوعة من جلد البقر، وعلم كل محارب كيفية استخدام الرمح من جانبه الأيسر كي يعقف رمح العدو من جانبه الأيمن، ما يعرض أضلع العدو إلى طعنة رمح قاتلة.

كان النظام والقتال المتلاحم سمتين تميزان جيش شاكا. وبغية تعويد رجاله على الخشونة، فقد منعهم من ارتداء الخف المصنوع من الجلد، فكانوا يتدربون ويقاتلون حفاة الأقدام. وكانت قواته تتدرب قاطعة مايربو على خمسين ميلاً هرولة في اليوم الواحد في تضاريس حارة صخرية، وذلك حتى يتمكنوا من مفاجأة العدو. وكان الفتية ينضمون إلى جيش شاكا كمحاربين متدربين وكحملة التموين والأسلحة الإضافية إلى أن انضمامهم إلى القوات الرئيسية.

فيما سبق ظهور شاكا كان معظم قتال الأفارقة منصباً على الهجوم الجماعي مع استخدام قذائف الرماح وقليل من المناورة؛ فقام شاكا بتغيير ذلك وأدخل تكتيكاً مبتكراً أطلق عليه تشكيل «الجاموس»؛ وهو يتألف من أربعة أقسام: «قرنان» و«صدر» و«خاصرة»، وهو ما يشكل هيأة الجاموس، وفي أثناء الهجوم يقوم الصدر بمهاجمة مقدمة العدو، بينما يضرب القرنان الجناحين لتطويق الخصم. وتبقى الخاصرة احتياطياً، وعادة ما كانت تطارد الفارين من القتال أو تكون منتظرة خلف موانع لا تمكنهم من رؤية القتال، حتى لا يأخذهم الحماس فيندفعوا مبكراً عما ينبغي. وكان شاكا يوجه تشكيل الجاموس» عن قرب من مكان أعلى، وكان يسيطر على الأقسام الأربعة عن طريق الراجلين.

كانت استراتيجية شاكا في تنفيذ تكتيك «الجاموس» بسيطة؛ إذ كانت

هجماته الأولية تأتي ضد مجموعات وعشائر صغيرة، ما كان يتيح له نصراً سهلاً، ثم كان يخير الناجين بين الموت والانضمام إلى قواته، أما الذين كانوا يختارون الانضمام إليه - ومعظمهم كان يفعل - فكانوا يتخلون عن ولائهم القبلي لاعتبارات الخيار، بل إنهم لم يكونوا يكتفون بانضمامهم إلى الزولو، وإنما كانوا يتحولون إلى زوليين أيضاً. وكان المحاربون الجدد يتلقون تدريباً على طريقة الزولو في الحرب، ومن ثم يلحقون بالفصائل.

بدأ شاكا بنحو 350 محارباً فقط، وبنهاية العام الأول من قيادته بلغ تعداد قوات الزولو ألفي محارب، وفي عام 1818، وبينما كان شاكا - البالغ حينها الحادية والثلاثين - يحاول الانتقال لدعم معلمه دينجزوايو في المعركة ضد الندواندوي (Ndwandwe)، تورط في معرة جوكلي هل (Gokli Hill)، ما دفع به إلى أن يخوض واحدة من المعارك الدفاعية القليلة في حياته. مات دينجزوايو في القتال وانسحب شاكا مفلتاً بصعوبة من الهزيمة، وفي العام التالي ظل يحارب أعداء أضعف منه لزيادة عدد قواته. وبعد مرور أقل من عام على جوكلي انتقم شاكا لمقتل دينجزوايو بتدمير الندواندوي في معركة استغرقت يومين عند مخاضة نهر ميهلوتزي (Mhlatuzi). وفي قتاله ضد الندواندوي استخدم شاكا تكتيكاً جديداً على الحروب الأفريقية؛ فبينما كان يدمر أعداءه، كان يطبق سياسة الأرض المحروقة فلا يترك شيئاً حياً أو أثراً على الحياة في أعقابه.

استمر شاكا لعشر سنوات في الإغارة والتدمير وضم العشائر والقبائل عبر أرجاء جنوب أفريقيا، فنمت دولة الزولو حتى بلغت 250 ألف نسمة، بجيش قوامه ما يزيد على 40 ألف محارب يحتلون أرضاً مساحتها مليونا ميل مربع، تمتد من مستعمرة الكيب (Cape Colony) في الجنوب إلى تنزانيا الحديثة في الشمال. وقد لقي نحو مليوني فرد مصرعهم من أعداء شاكا في فترة سلطته التي دامت عقداً.

ظل مجال اهتمام شاكا محصوراً في جنوب أفريقا حتى عام 1824 إلى أن

قام رجل إنجليزي زائر يدعى فين (H. F. Fynn) بمعالجة ملك الزولو من جرحه. وتقديراً من شاكا للتجار الإنجليز سمح ببدء معاملاتهم في مملكته، بل وحاول تبادل السفراء الملكيين مع الملك جورج.

وفي خاتمة المطاف جاءت نهاية شاكا، لا على يد أعدائه الخارجيين بل من الداخل؛ فقد ساء سلوكه الخاطىء بوفاة والدته عام 1827؛ إذ إن المعاملة الفظة التي غالباً ما كان يلقاها رعاياه على يديه، بما في فذلك إعدام بعضهم بدعوى «رائحة مثل رائحة الساحرة» تنبعث منهم، وعمليات الإعدام الجماعية التعسفية لقرى بأكملها، قد خلقت جواً من الفزع بين رعاياه المدنيين، وزاد الضجر في صفوف جيشه من العمليات التي لا تتوقف، والتي كانت تتوغل بعيداً عن الوطن حيناً بعد حين مع سعيه لغزو قبائل أخرى وضم أراض جديدة. كما أن شروط وضوابط شاكا التي فرضها على محاربيه أضعفت روحهم المعنوية.

وفي الفترة التي توفيت فيها والدته لم يعد شاكا يقود جيشه في الميدان، ما زاد درجة فقدان الثقة به بين قومه. وفي 23 أيلول ـ سبتمبر 1828 اغتاله أخواه غير الشقيقين دنجين (Dingane) وماهلنجانا (Mhlangana). ويقال إن ميتة شاكا، وهو في الحادية والأربعين، لم تكن ميتة إذ استرحم قاتليه أن لا يفعلانها. ودفنه قاتلاه في قبر غير معلوم في موضع ما قرب قرية ستانجر (Stanger) في إقليم ناتال (Natal) الحالي.

غير أن موت شاكا لم يكن يعني زوال نفوذ الزولو، فسرعان ما قتل دنجين شريكه في المؤامرة، وأصبح الزعيم الأوحد لقبائل الزولو، فأتاحت زعامة جديدة متمرسة على تنظيمات وتكتيكات شاكا هيمنة متواصلة للزولو. وبعد نصف قرن من وفاة شاكا كانت دولة الزولو لا تزال تستخدم تشكيلات «الجاموس» لقهر أعدائهم ولدحر الغزاة، ما يعزز سمعة شاكا باعتباره أكثر قادة أفريقيا العسكريين تأثيراً في العصر الحديث.



روبرت إدوارد لي
ROBERT EDWARD LEE
قائد كونفيدرالي
(1807 - 1870)

ولد لي في 19 كانون الثاني - يناير 1807 في ستراتفورد بولاية فرجينيا، وهو ابن بطل ثوري في الحرب وينتمي إلى واحدة من أعرق الأسر في بلده. وجاء ترتيبه الثاني عند تخرجه في الأكاديمية العسكرية في ويست بوينت عام 1829، ولم يحدث أن نال علامة سيئة. كان ضابطاً ذا حضور عظيم، طوله يقرب من ست أقدام، لم يكن يدخن أو يتعاطى المشروبات الروحية أو يلجأ إلى السباب، وكان يضع دينه وشرفه فوق كل اعتبار.

وفي أثناء التكليفات الأولى له كمهندس لتطوير الحصون والمواني، كان أداؤه طيباً لكنه لم يظهر مواهب متميزة. ولم يكن قبل اندلاع الحرب مع المكسيك قد تمرس على القتال، بل كانت أول تجربة له، وأثبت تفرده كمقاتل

تحت ألسنة النيران. وباعتبار لي عضواً في هيئة أركان الجنرال وينفيلد سكوت، فقد قام بنفسه بعمليات الاستطلاع التي اكتشفت طريقاً يحيط بالعدو في سيرو جوردو عام 1847، وهو ما قاد إلى النصر. وفي العمليات ضد مكسيكو سيتي، وضع لي خطة تنظيم المدفعية الأميركية، وأصيب بجرح طفيف في معركة تشابولتيك في 13 أيلول ـ سبتمبر 1847. وقد كتب سكوت فيما بعد أن لي «كان أفضل جندي رأيته في الميدان».

وفي أعقاب الحرب المكسيكية خدم لي في عدة أفواج في سلاح الفرسان قبل أن يصبح مديراً للأكاديمية العسكرية في ويست بوينت عام 1852. وعلى الرغم من أنه أدخل تحسينات على منهج الأكاديمية وطرق التعليم، فإن أفضل ما قام به في أثناء سنواته الثلاث هناك هو فصله جيمس ماكنيل ويسلر (James McNeill Whistler) والذي أصبح فيما بعد فناناً، وذلك لعجزه الأكاديمي.

وفي عام 1859 قاد لي قوة صغيرة إلى هاربرز فيري (Harpers Ferry) لإخضاع «التمرد» الذي حرض عليه جون براون (John Brown). وبعد ذلك بعام تولى قيادة منطقة تكساس وظل هناك حتى اندلاع الحرب الأهلية عام 1861. وفي نيسان ـ إبريل من العام نفسه، استدعى سكوت ـ الذي كان يشغل وقتها منصب القائد العام للجيش ـ لي إلى واشنطن حيث عرض عليه الرئيس إبراهام لنكولن قيادة قوات الاتحاد الميدانية. وعلى الرغم من قضائه ما يزيد على ثلاثين سنة خدمة في الجيش الأميركي ومعارضته للعبودية والإنفصال، رفض لي العرض مبيناً أنه لا يستطيع أن يقود جيش ضد موطنه ولاية فرجينيا.

استقال لي من الجيش الأميركي في 25 نيسان ـ إبريل 1861، وقبل وظيفة قائد قوات ولاية فرجينيا، إلا أنه لم يشترك على الفور في العمليات القتالية، وكان يشرف لعدة أشهر على تعبئة المليشيات وتحصين المواقع الرئيسية. وفي آب ـ أغسطس انضم إلى هيأة أركان جيفرسون ديفيس (Jefferson Davis) رئيس الولايات الكونفيدرالية كمستشار شخصي له. ولم يتول لي ما أعاد تسميته

بجيش شمال فرجينيا إلا بعد إصابة جوزيف دايفس (Joseph Davis) في أيار - مايو 1862.

وقد أظهر لي مواهب غير عادية في فترة الحرب بالمراوغة بقواته وفي حسن تقديره لنوايا العدو ونقاط ضعفه. وكان خبيراً في نشر قواته الأمامية والتزامه باحتياطاته المحدودة واستغلاله خطوط الاتصال الداخلية وتوزيعه الإمدادات بمهارة حتى إن الطلاب العسكريين لا يزالون يدرسون تقنياته في المراوغة والإمداد والتموين إلى اليوم. ومع خبرته الهندسية قام لي أيضاً بتطوير واستغلال التحصينات الميدانية لكسب مزايا دفاعية وإجبار العدو على التحرك ضد القوات الكونفيدرالية.

إن أعظم خصائص لي هو سلوك الرجل الهادىء الذي نادراً ما كان يرفع صوته أو يعبر عن غضب، وكان ذلك أيضاً عيبه الأكبر. فبأسلوبه الهادىء استطاع أن يحوز الولاء والثقة بين جنوده الذين كانوا يكنون له غالباً تقدير الأب الروحي. إلا أن هذا الأسلوب نفسه قد حد من سيطرته على ضباطه المرؤوسين من أمثال جيمس لونجستريت (James Longstreet) وجي. إي. بي. ستيورات، والذين تسببت عدم طاعتهم واستقلاليتهم في بعض الحالات في عدم التنفيذ السليم لخطط لي أو في إفشالها.

في الانتصار المبدئي الذي حققه لي تمكن من صد جورج ماكليلان وجيشه الاتحادي الفائق العدد عندما هددوا ريتشموند. وبعد التحرك صوب الشمال وهزيمتهم القوات الاتحادية شر هزيمة في المعركة الثانية في بول رن (Bull Run) في 29 ـ 30 آب ـ أغسطس 1862، قرر لي ألا يناور ضد واشنطن دي. سي، بل أن يحول مسار الحرب إلى الولايات الشمالية، معتقداً أن السبيل الوحيد الذي تستطيع الكونفيدرالية أن تحافظ على استقلالها من خلاله هو أن تهاجم مباشرة وتهزم الجيش الاتحادي.

كانت أول مغامرة قام بها لي في أراضي الشمال فاشلة فشلاً ذريعاً؛ ففي آنتيتم كريك (Antietam Creek) بولاية ميريلاند في 17 أيلول ـ سبتمبر 1862

التقى الشمال والجنوب في أشد أيام الحرب دموية. وعلى الرغم من أن الخسائر في الأرواح لدى الاتحاديين كانت تفوق خسائر الكونفيدراليين، إذ وصلت إلى سبعة عشر ألفاً في مقابل اثني عشر ألفاً، فقد أجبرت الخسائر لي على الانسحاب عائداً إلى فرجينيا.

لقد أتاحت براعة لي في التحصينات أن يحقق نصراً دفاعياً في فردريكسبيرج (Fredericksburg) في نيسان - إبريل 1863، وبهجومه المضاد البارع، والذي قادة ستونوول جاكسون (Stonewall Jackson) عن طريق تطويق الجناحين، تمكن من هزيمة الجيش الاتحادي عند تشانسلر سيفل (Chancellorsville) في الشهر التالي. وقد شجعت هذه الانتصارات لي على أن يأمر قواته بغزو ثان للشمال على الرغم من إصابة جاكسون بجرح مميت في تشانسلر سيفل. وفي جيتزبورج (Gettysburg) بولاية بنسلفانيا وجه لي الأمر لجيشه بالهجوم على قوات الجيش الاتحادي في ميدان مكشوف يبلغ عرضه ميلاً مربعاً، وذلك على الرغم من انقطاع الاتصال بينه وبين سلاح فرسانه، ودون تأييد تام من القادة الذين يرئسهم والذين كانوا ممتعضين من شن الهجوم، ومع نهاية المعركة في 2 تموز - يوليو كان ما يربو على 25 ألف جندي كونفيدرالي قد لقوا حتفهم أو جرحوا أو فقدوا. حيث عاد لي بمن بقي من جنوده إلى فرجينيا وقدم استقالته إلى الرئيس ديفيس الذي رفضها.

كانت الكونفيدرالية قد بلغت أوجها قبل جيتزبورج، إلا أن لي والجنوب كانا لا يزالان بعيدين عن الهزيمة. وفي سلسلة بارعة من الدفاعات عام 1864 في وايلدرنس وسبوتسيلفانيا وكولد هاربر، تمكن لي من تحقيق وقفات ناجحة ضد هجمات القائد الاتحادي الجديد يوليسيس سيمبسون جرانت. وقد أدت مهارة لي في توقع تحركات جرانت ونشر احتياطي القوات الكونفيدرالية الواهنة إلى إطالة أمد الحرب وعمر الكونفيدرالية.

في نيسان - إبريل 1865 سيطر الاتحاد على نهر المسيسبي واحتل أتلانتا وحاصر جيش لي في بطرسبيرج، إلا أن لي نجح في اختراق الحصار وتقهقر

غرباً، فلحق جرانت بالجيش الكونفيدرالي في تراجعه وأوقفه عند أبوماتوكس كورت هاوس في ولاية فرجينيا. واستسلم لي في 9 نيسان ـ إبريل 1865، كما استسلمت بقية القوات الكونفيدرالية في غضون شهر من ذلك التاريخ.

وعاد لي إلى موطنه بفضل الشروط الكريمة في اتفاقية الاستسلام، وفي خريف 1865 عين مديراً لكلية واشنطن (Washington College)، التي أصبحت تعرف فيما بعد بجامعة واشنطن ولي (Washington and lee University) في ليكسنجتون بولاية فرجينيا، حيث توفي بنوبة قلبية وهو في الثالثة والستين في 12 تشرين الأول ـ أكتوبر 1870. وفي 1975 صوت الكونجرس الأميركي أخيراً على رد الجنسية إلى لي الراحل.

وما زال لي يعد بطلاً عسكرياً وتلقى سيرته الاحترام، وتدرس مهاراته الاستراتيجية في القتال ضد جيوش أكبر عدداً وعدة، إلى جانب قدراته في اكتساب احترام مرؤوسيه ومحبتهم، كما يعد رمزاً إلى الكرامة العسكرية الأميركية. وعلى الرغم من أن الجنوب الأميركي يخلد ذكرى هذا القائد بطريقة رومانسية، فإنه يأتي في مرتبة أدنى من جرانت الذي انتصر عليه وكان له تأثير فعلي أطول أمداً. لقد خلف لي إرثاً جعله رمزاً إلى كبرياء الجنوب الأميركي، ولكن القضية التي كان يناضل من أجلها كانت قضية خاسرة.

وعلى الرغم من وقار لي وحرفيته ومهاراته العسكرية، فقد كان يمثل بلداً استعبد شعباً بأكمله، وتاجر في البشر وباعهم كأنهم ماشية، فكان القادة الكونفيدراليون يصرون على أنهم يقاتلون من أجل «حقوق الولايات». وتوخياً للإنصاف يمكن القول بأن شاكا ملك الزولو الأفريقي يحتل مرتبة أعلى من لي، فكلاهما يتمتع تقريباً بالمهارات الميدانية نفسها.



تشستر وليم نيمتس
CHESTER WILLIAM NIMITZ
قائد أميركي
(1966 - 1885)

ولد بعيداً نيمتس عن البحر في 24 شباط/ فبراير 1885 في فريدريكسبيرج بولاية تكساس، فقد فضل الالتحاق بالأكاديمية العسكرية الأمريكية، إلا أنه قبل وظيفة في الأكاديمية البحرية الأمريكية عندما علم بأن أكاديمية ويست بوينت لم يبق فيها فرصة للقبول، وعند تخرجه التحق نيمتس بالأسطول الأمريكي في آسيا، متقدماً في الرتب ومتولياً قيادة المدمرة ديكاتير (Decataur)، وكاد منصبه يؤول إلى نهايته في 7 تموز/ يوليو 1908 عندما جنح بالمدمرة. وعلى الرغم من أنه حوكم عسكرياً لإهماله في الخدمة، فلم تزد عقوبته على التوبيخ.

وبعد عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية كلف نيمتس بعدة مهام تتعلق بالغواصات قبل أن يبحر إلى أوروبا عام 1913 ليدرس نظم تحرير

محركات الديزل الألمانية والبلجيكية. وعندما عاد إلى وطنه، استغل هذه المعلومات في الإشراف على تشييد الغواصات الأمريكية مومي (Maumee) التي تعمل بوقود الديزل، وظل يعمل على متنها ضابط تنفيذ ومهندساً أول بعد تدشينها عام 1916.

وعندما دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية في نيسان/ إبريل 1917، انضم نيمتس بالغواصة مومي إلى أسطول الأطلسي. وفي آب/ أغسطس عين نيمتس مساعداً لقائد قوة الغواصات الأميرال صامويل روبنسون (Samuel S. Robinson) وذلك بعد ترقيته إلى رتبة رائد بحري، وظل الأميرال معلمه مدة امتدت إلى العقد التالي.

وفي أعقاب الحرب خدم نيمتس في أركان وزارة البحرية في واشنطن، وفي عام 1920 نقل إلى بيرل هاربر للإشراف على تشييد قاعدة غواصات جديدة، وعلى مدى السنوات العشرين التالية خدم في العديد من مهام ومجالات الغواصات وكذلك على متن السفن الحربية والمدمرات، كما قام بمهام عديدة في واشنطن وشارك في مسؤولية إعداد برامج تدريب ضباط البحرية الاحتياط في الجامعات الأمريكية.

وعند ترقيته إلى رتبة لواء عام 1938 تولى نيمتس قيادة فرقة طرادات في سان دييجو وفرقة بوارج في هاواي، والتي شملت الغواصة الأمريكية أريزونا، وذلك قبل العودة إلى واشنطن كرئيس لمكتب الملاحة في حزيران/ يونيو 1939. وفي الوقت الذي قصف فيه اليابانيون بيرل هاربر عام 1941، كان نيمتس رئيس شؤون أفراد البحرية هو المسؤول عن العملية الضخمة لبناء القوى البشرية في وقت الحرب.

وفي 31 كانون الأول/ ديسمبر 1941 ـ وبناء على توصية من وزير البحرية فرانك نوكس (Frank Knox) عين الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت نيمتس رئيساً للأركان في أسطول الهادي، ورقاه إلى رتبة الأميرال. أن قيادة أمريكية واحدة في الهادي كانت ستصبح أكبر قيمة فإن كلاً من الجنرال مكارثر وأفراد

الجيش رفضوا العمل تحت قيادة ضابط بحري. ونتيجة لهذا، أصبح هناك قائدان حيث اشترك نيمتس ومكارثر في المسؤولية في الهادي، ولحسن الحظ فإن الضابطين تفاهما نتيجة دبلوماسية نيمتس، واتفقا يبدو على أن هناك ما يكفي من اليابانيين ويزيد حتى يقاتلا معاً.

على الرغم من أن الحلفاء اعتبروا الحرب ضد اليابان أمراً ثانوياً حسب خطتهم «أوروبا أولاً»، فإن نيمتس لم يؤجل استراتيجيته بوقف التوسع الياباني والاستيلاء على ما حققوا من مكاسب، ودفع الحرب إلى أراضي اليابان. فاستغل نيمتس معلومات حصل عليها من محللي الشفرة حول خطط اليابانيين، واشتبك معهم في أول معركة حرجة في بحر الكورال في أيار/ مايو 1942.

كذلك اعتمد نيمتس على معلومات الاستخبارات في تحديد مواقع العدو بقيادة الأميرال الياباني إسوروكو ياماموتو (Isoroku Yamamoto) الذي هاجم بيرل هاربر، في المياه المحيطة بجزيرة ميدواي (Midway) في حزيران/ يونيو، ولقيام نيمتس بالهجوم في الوقت الذي كانت فيه معظم الطائرات اليابانية على سطح الحاملة للتزود بالوقود وإعادة التسلح، فقد حقق أول نصر بحري أمريكي في الحرب وأول هزيمة للبحرية اليابانية على مدى 350 عاماً. وشملت خسائر اليابانيين أربعاً من الحاملات التسع في أسطولهم وأكثر من ثلاثمئة طائرة والعديد من خيرة الطيارين اليابانيين.

لقد أسهمت معركة ميدواي البالغة الأهمية في أن تصبح الأمور في يد الأمريكيين. وتعاون نيمتس ومكارثر في سلسلة حملات انقضاض على الجزر التي كانت تقرب شيئاً فشيئاً من قلب الأراضي اليابانية. واستولى نيمتس على جزر جلبيرت (Gilbert) في تشرين الثاني/ نوفمبر 1943، وجزر المارشال (Marshall) في شباط/ فبراير 1944، وجزر الماريانا (Mariana) في آب/ أغسطس 1944. وفي تشرين الأول/ أكتوبر انضم نيمتس إلى قوات مكارثر لاسترداد الفلبين، وقد اعترفت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية بإنجازات نيمتس وذلك بترقيته إلى الرتبة المنشأة الجديدة، قائد القوات البحرية، والذي يحمل صاحبها خمسة نجوم.

وفي أوائل عام 1945 شنّ نيمتس عدة هجمات على جوبام (Guam) وإيواوجيما (Iwo Jima) وأوكيناوا (Okinawa). وكان يتأهب لغزو اليابان عندما استسلم اليابانيون عقب إلقاء القنبلتين الذريتين. وفي 29 آب/ أغسطس 1945، أبحر نيمتس إلى خليج طوكيو على متن بارجته الأمريكية ساوث داكوتا (South Dakota). وفي الاحتفال بالاستسلام الذي أقيم على ظهر الميسوري (Misouri) في 2 أيلول/ سبتمبر، وقع نيمتس الاتفاقية بوصفه ممثل الولايات المتحدة الأمريكية.

عاد الأميرال إلى واشنطن فاستقبل بالترحاب في 5 تشرين الأول/ أكتوبر الذي عرف بـ«يوم نيمتس». ثم ما لبث بعد الاحتفالات أن تولى منصب رئيس عمليات البحرية وأشرف على مدى العامين التاليين على تسريح الأفراد والسفن في الوقت الذي كان يقوم فيه أيضاً بتوفير مدخلات تطوير الغواصات التي تعمل بالطاقة النووية. وقد تقاعد نيمتس في 15 كانون الأول/ ديسمبر 1947. وفي الأعوام التالية عمل لمدة قصيرة مستشاراً لوزير البحرية، كما عمل لمدة عامين مفوضاً للأمم المتحدة بشأن كشمير. وتوفي نيمتس قبل عيد ميلاده الحادي والثمانين من جراء مضاعفات عملية جراحية في 20 شباط/ فبراير 1966، ودفن في مقبرة جولدن جيت الوطنية (Golden Gate) في سان فرانسيسكو.

لقد كان نيمتس خبيراً في الحفاظ على الروح المعنوية وتحقيق التعاون بين الرتب، والوحدات كلّها، وكان أكثر قادة البحرية الأمريكية تأثيراً في الحرب العالمية الثانية؛ فخبرته الواسعة المتنوعة هيأت له تنفيذ المهام الجريئة التي قادت إلى النصر تلو الآخر. كما أثبت نيمتس تفوقه على ياماموتو أفضل أميرال ياباني في معركتهما البالغة الأهمية في ميدواي.



جيبهارد ليبرخت فون بلوخر

Gebhard Leberecht Von Blucher

قائد بروسي

(1819 ـ 1742)

ولد بلوخر في روستوك (Rostock) بميكلينبيرج (Mecklenburg) في 16 كانون الأول/ ديسمبر 1742، وانضم إلى الجيش السويدي وعمره أربعة عشر عاماً، واشترك في المراحل الأولى من حرب السنوات السبع. وعند وقوعه في الأسر على أيدي البروسيين في عام 1760، بُهِر به آسروه حتى أنهم عرضوا عليه الالتحاق بفوج الفرسان الثامن. أحسن بلوخر الخدمة في الفوج الجديد، ما أكسبه صيتاً لجرأته وجسارته، وعلاوة على كونه قائداً متعصباً لمهمات الفروسية، فقد كان معروفاً بإسرافه في معاقرة الخمرة وعلاقاته مع النساء وبإدمانه المقامرة، وهي صفات غير مقبولة في جيش فريدريك الأكبر الذي كان ضباطه من الطبقات الراقية.

ولما تم تخطي بلوخر في الترقية عام 1773 استقال من الجيش البروسي وعاش حياة المزارعين. وعلى الرغم من أنه لم يغير من عاداته الشخصية، فقد عاد إلى الجيش البروسي برتبة رائد بعد وفاة فريدريك عام 1786، وكانت خدمته متميزة في المعارك ضد الجمهورية الفرنسية الجديدة في عام 1793 و 1795، ورقي إلى رتبة لواء وهو في الحادية والخمسين لانتصاره في معركة لاندو (Landau) في 28 أيار/ مايو 1794.

وعقب إيقاف بروسيا هجماتها ضد فرنسا عام 1795، شغل بلوخر منصب حاكم مينستر (Munster) العسكري، حيث عاون على تطوير الجيش البروسي. وفي عام 1805، كتب ورقة عنوانها «**أفكار حول تنظيم جيش وطني**» (Thoughts on the Organization of a National Army)، والتي ناقش فيها نظام الخدمة العسكرية البروسية الجامع.

هو من أعاد بناء العسكرية البروسية لتصبح قوة لا يستهان بها وكان أثره في إقصاء نابليون الأول عام 1814، ذلك هو جيبهارد فون بلوخر. فقد أسهم دعمه لآرثر ويلزلي دون ويلجنتون في معركة ووترلو بعدها بعام بدرجة قوية في الهزيمة النهائية التي لحقت بنابليون، وقد هيأت له شجاعته الذاتية وإصراره وفطنته أن يصبح واحداً من أكثر قادة جيله العسكريين تأثيراً ونجاحاً. لقد كان بلوخر، المعرووف بـ«مارشال إلى الأمام» (Marshal Forward)، وذلك لأسلوب قيادته الجريء من المقدمة، هو أبو الوطن البروسي.

عاد بلوخر إلى ميدان القتال عام 1806 لوقف تقدم نابليون، إلا أن الفرنسيين أثبتوا أنهم الأكثر فهزموا البروسيين في سلسلة من المعارك. أحسن بلوخر التصرف في أثناء انسحاب البروسيين، على الرغم من وقوعه في الأسر لاحقاً فقد خرج من تلك المواجهة واحداً من القادة البروسيين القلائل الذين ما زالوا يحظون بالاحترام.

إن وظيفة بلوخر العسكرية قد آلت إلى نهايتها حين كان يناهز عامه السبعين، في وقت كانت بروسيا لا تزال تئن تحت سيطرة فرنسا. ومع هذا فإن

أعظم انتصارات بلوخر لم تكن قد تحققت بعد؛ فعندما تخلت بروسيا عن تحالفها مع الفرنسيين إثر هزيمة نابليون في روسيا عام 1813 عدل بلوخر عن تقاعده وتولى قيادة القوات البروسية في الميدان، وتمكن بعد قتاله الفاشل ضد الفرنسيين في ليتسين وباوتزن في أيار/ مايو 1813، من اغتنام الفرصة في كاتزباخ (Katzbach) ففي 26 آب/ أغسطس وحقق نصراً حاسماً في ليبتسخ في 18 تشرين الأول/ أكتوبر.

وبعد ترقية بلوخر إلى رتبة مشير واصل هجومه ضد نابليون بعبوره نهر الراين إلى داخل فرنسا في الأول من كانون الثاني/ يناير 1814. ومع تقدم قوة روسية عبر وادي مارن (Marne)، والهجوم الذي شنته القوات النمساوية من جهة الجنوب، أطبق الحليفان على باريس. وقد أوقف نابليون تقدم بلوخر في عدة معارك. إلا أن بلوخر كان دائماً يعيد تنظيم قواته ويستأنف تقدمه، وفي نيسان/ إبريل سار بلوخر باتجاه باريس مجبراً نابليون على التنازل عن الحكم.

وعقب الاستيلاء على باريس عاد بلوخر إلى ضياعه في سيليزيا (Silesia) ليتقاعد عن جدارة. ولم يدم الأمر طويلاً، فعندما فرّ نابليون من جزيرة إلبا عاد إلى فرنسا، امتطى بلوخر مرة أخرى جواده، وهو في الثانية والسبعين من عمره وتولى قيادة الجيش البروسي في الميدان. وعقب نكسة لم تطل في ليجني (Ligny) في 16 حزيران/ يونيو 1815 حشد بلوخر قواته ـ على الرغم من ما أصابه من جروح إثر سقوطه من فوق جواده في منتصف المعركة ـ وتحرك صوب ووترلو لدعم ويلنجتون ضد قوات نابليون الرئيسية.

وفي 18 حزيران/ يونيو انقض البروسيون ـ وفي مقدمتهم بلوخر ـ على الجناح الأيمن لجيش نابليون في الوقت الذي كان الفرنسيون يهاجمون مقدمة جيش ويلنجتون، فأجبرت الضربة نابليون على التقهقر، وسرعان ما استسلم بعد ملاحقة الفرسان البروسيين له. وفي أعقاب الهزيمة النهائية لنابليون، عاد بلوخر إلى وطنه بطلاً معززاً مكرماً في بروسيا وفي أرجاء الأمم المتحالفة. حيث واصل «الحياة الوادعة»، يبطىء من إيقاعها بعض الشيء وهن الشيخوخة إلى أن

توفي في السادسة والسبعين من عمره في بيته في كريبلوفيتس (Krieblo witz) في سيليزيا في 12 أيلول/ سبتمبر 1819.

إن بلوخر الذي لم يكن يوماً خبيراً بالتكتيكات أو الاستراتيجية فاق الجميع بجسارته. وما كان يعوزه في جانب الدهاء ودقة التفكير كان يعوضه بقدرته على حثّ جنوده، الذين كانوا يندهشون لانغماسه في شرب الكحوليات والتبغ والمساوىء الأخرى. وفي بعض الأحيان كان حلفاؤه ـ مثلهم في ذلك مثل أعدائه ـ يرتابون في قدرته العقلية نظراً إلى تصرفاته المريبة، بما في ذلك زعمه ذات مرة بأنه حامل بفيل. وبغض النظر عما إذا كان سلوكه المعيب بالفعل نتاج خلل في قدرته العقلية أو إغراقه في تناول المسكرات أو روح دعابته المضللة، فإن سمعته كمقاتل كان من شأنها بث الخوف في نفوس خصومه للوهلة الأولى عند ظهوره في ميدان القتال.

لم يكن بلوخر ـ باعتباره قائداً مقاتلاً ـ مثيلاً في عصره، وقلة من القادة تضاهيه حتى يومنا هذا؛ فتأثيره في الروح القتالية البروسية ثم من بعد الألمانية يظل اليوم مضرباً للمثل، فوصول بلوخر في الوقت المناسب إلى ووترلو عكس اتجاه المعركة، وساعد على إنهاء عصر نابليون وتغيير تاريخ أوروبا والعالم بأكمله.



بيرنارد لاو مونتجمري

BERNARD LAW MONTGOMERY

قائد بريطاني

(1976 ـ 1887)

أكثر قادة بريطانيا العظمى الميدانيين في الحرب العالمية الثانية تأثيراً، إنه بيرناد مونتجمري الذي أدى دوراً مهماً في نصر الحلفاء في شمال أفريقيا وأوروبا؛ إذ حقق أول الانتصارات على الألمان، وكان له دوره المشهود في عمليات الحلفاء التي انتهت بسحق النازيين، وأنهت الحرب العالمية الثانية في أوروبا. ورغم أن مونتجمري كان متغطرساً ووقحاً ومتخايلاً وفي العادة مفتقراً إلى الخيال، فإنه مع ذلك كان يتمتع بقدرة كبيرة على حث جنوده لتحقيق النصر بإصرار.

بعد عامين من مولده في لندن في 17 تشرين الثاني/ نوفمبر 1887. انتقل مونتجمري إلى تسمانيا (Tasmania) بصحبة أبيه الذي كان أسقفاً مكرساً لهذه

الجزيرة. وصف مونتجمري فيما بعد طفولته على أنها طفولة غير سعيدة، ولعله وجد في العسكرية مخرجاً. وبعد قضائه أربع سنوات في كاتدرائية القديس بولس، دخل أكاديمية ساندهيرست عام 1907. وفي صيف عام 1908 حصل على رتبته العسكرية على الرغم من أنه كاد يفصل لاعتدائه بالضرب على طلاب آخرين.

لم يكن مونتيغمري يدخن أو يحتسي الخمر، فإن مزاجه الحاد قد أكسبه ما قصر عنه غيرهما من الشرور. فعند توليه أول وظيفة له وكانت في الهند قام ورفاقه من الضباط بتحطيم نادي اليخوت في بومباي في شجار صاخب، وعلى نقيض الضباط الآخرين الذين كانوا سكارى سكراً بيناً، فإن مونتجمري الممتنع عن تناول المسكرات قطعياً، انضم إليهم على ما يبدو في عنفهم لمجرد الاستمتاع بالشجار.

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى بدأ مونتجمري يكتسب سمعة لجسارته في القتال، والأداء الممتاز فيما يتعلق بمهام الأركان؛ فقد تعلم في حرب الخنادق الدموية في فرنسا دورساً ألهمته اتخاذ القرارات السديدة، فبعد ثلاثة أيام فقط من وصول وحدته إلى فرنسا في 23 آب/ أغسطس 1914 قاد مونتجمري دون تخطيط أو استعداد فصيلته ضد الألمان ففي لو كاتو (Le Cateau)، وخسر مونتجمري كثيراً من رجاله في تلك المعركة المربكة، وكان هو نفسه معدوداً من بين المفقودين لعدة أيام.

وفي 13 تشرين الأول/ أكتوبر 1914 أصيب مونتجمري الذي كان في السابعة والعشرين إصابات بالغة أثناء قيادته هجوماً في أولى معارك إيبر، فحصل لبسالته على وسام الخدمة المتميزة ورقي إلى رتبة نقيب. وبعد تعافيه في إنجلترا عاد إلى فرنسا كضابط ركن في اللواء 104، وشارك في معركة سوم (Somme) التي كانت مجزرة دموية، وذلك من 24 حزيران/ يونيو إلى 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 1915. أما في المدة المتبقية من الحرب العالمية الأولى، فقد خدم مونتجمري في مواقع ذات مسؤوليات أركان متزايدة. وباقتراب الصراع من نهايته

وصل إلى رتبة مقدم وحاز على سمعة جديرة بقائد مقاتل وضابط أركان متميز.

سعى مونتجمري بعد الحرب إلى الحصول على وظيفة ثابتة في التدريس وسافر إلى أيرلندا وفلسطين. وحين اندلعت الحرب العالمية الثانية وصل مونتجمري ـ وكان حينئذ برتبة لواء ويقود فرقة ـ إلى فرنسا في 30 أيلول/ سبتمبر 1939، فقامت فرقته بالدفاع عن لوفان (Louvain) وبلجيكا ضد القوات الألمانية المتقدمة قبل أن يتقهقر ضمن انسحاب الحلفاء الشامل. وفي دنكيرك، حال مونتجمري دون تطويق الألمان لرأس الشاطىء، وقاد حرس المؤخرة في أثناء الإجلاء.

عاد مونتجمري إلى إنجلترا وتدرج في الرتب حتى ووصل إلى رتبة فريق. وقد حانت اللحظة التي حقق فيها إنجاز عظمته في آب/ أغسطس 1942 عندما قُتل الضابط المكلف بقيادة القوات البريطانية في شمال أفريقيا من جراء حادث طائرة، فاختير مونتجمري ليحل محله. وقد تولى في مصر قيادة الجيش الثامن الذي كان يعاني مشكلات مستفحلة لتدني الروح المعنوية، نتيجة هزائمه المتكررة في المعارك أمام فيلق أفريقيا بقيادة إيرفين روميل.

شرع مونتجمري من فوره في زيادة مشاعر الثقة بين أفراد جيشه وتعزيزه بالرجال والدبابات وقطع المدفعية. وفي معركة «علم حلفا» خلال الفترة من 31 آب/ أغسطس إلى 2 أيلول/ سبتمبر 1942، أوقفت القوات البريطانية تقدم روميل. وبعد شهر بدأ مونتجمري ـ بعد حشده كمّا فائقاً من الرجال والسلاح ـ هجوماً مضاداً مدروساً، وقد انتهز تفوقه في العدد ووقوع الألمان في مشكلات إمدادية وتموينية، فأحرز النصر على روميل في العلمين يوم 23 تشرين الأول/ أكتوبر، موقعاً 59 ألف ألماني ما بين قتيل وأسير ومدمراً أكثر من خمسمئة دبابة ألمانية، وأتبع مونتجمري النصر بهجوم حذر عاد عليه بانتقاد من أرادوا اللجوء إلى مزيد من الجرأة. ومع ذلك انضم مونتجمري إلى القوات الأمريكية المتقدمة من جهة الغرب في 12 أيار/ مايو 1943، فأنهوا كل مقاومة لدول المحور في شمال أفريقيا.

لقد كانت معارك شمال أفريقيا هي قمة نجاح مونتجمري في تاريخه

العملي، إلا أن مزيداً من النجاح كان لا يزال ينتظره، ومع ذلك كانت قيادته اللاحقة تحت إمرة الأمريكية الذي كان ينظر إليهم على أنهم أدنى، بل إنه لم يحاول جهداً في إخفاء احتقاره لهم. على الرغم من احتقاره لرؤسائه الأمريكيين فقد كان حسن البلاء عند غزو الحلفاء لصقلية في 19 تموز/ يوليو 1943، وعندما قام بتأمين أمن المنطقة الواقعة تحت سيطرته في الجزيرة، عاد إلى إنجلترا ليساعد على التخطيط لغزو نورماندي والتي كان قد تولى فيها بداية قيادة القوات البرية المؤلفة من خمس وأربعين فرقة تتألف من مليون رجل.

ونظراً إلى بطء مونتجمري في الهجوم على رأس الشاطيء في نورماندي والاستيلاء على مدينة كايين (Caen) إضافة إلى خلافاته المستمرة مع قائد قوات التدخل السريع للحلفاء دوايت ديفيد أيزنهاور، فقد نجم عن ذلك تولي القائد الأمريكي القيادة المباشرة للقوات البرية، وعهد إلى مونتجمري بدور معاون على قدم المساواة مع أومار نيلسون برادلي. ظل مونتجمري وقحاً ومزاجياً كعادته إلا أنه أسهم في تحرير الحلفاء لباريس أسهاماً كبيراً.

كان مونتجمري لا يزال على رأيه بشن هجوم حاشد على الألمان بينما كان أيزنهاور يؤيد هجوماً واسع الجبهات. وقد اقترح مونتجمري الذي وصل آنذاك إلى رتبة مشير القيام بهجوم محمول جواً ضد هولندا لتأمين جسر عبر نهر الراين لنقل الوحدات المدرعة، حتى يتسنى لها الاندفاع إلى قلب الأراضي الألمانية. وكانت هذه الخطة التي تنطوري على المخاطرة مختلفة اختلافاً كبيراً عن عمليات مونتجمري التي تتسم عادة بالحذر، مما أثار التكهنات بشأن دوافعه.

وسواء أراد مونتجمري أن يقود أول هجوم بري إلى داخل ألمانيا وأنه أراد ببساطة أن يتلذذ بانضمام فرقتين أمريكيتين أخريين تحت قيادته، فإن عملية «بستان السوق» باءت في نهاية المطاف بالفشل؛ إذ أخفق جهاز الاستخبارات الضعيف في كشف الكم الكبير من المدافعين الألمان الذين قتلوا وأسروا كثيراً من قوات مونتجمري.

عوض مونتجمري، نحواً ما، عن أدائه السيىء في هولندا بصده للهجوم

الذي وقع على الجزء الشمالي من إقليم الآردن الألماني في كانون الأول/ ديسمبر 1944. ومع ذلك لم تؤد تعليقاته حول ضعف الأداء القتالي الأمريكي في معركة النتوء (Batttle of the Buulge) إلى قيام علاقة ودية بينه وبين القادة الأمريكيين.

وفي الأيام الأخيرة من الحرب قاد مونتجمري القوات البريطانية في سلسلة حملات ناجحة ومحكمة الخطط، فتم له الاستيلاء على هولندا والدانمارك وشمال ألمانيا. وقبل بالاستسلام الشامل للقوات الألمانية بالمنطقة في 14 أيار/ مايو 1945 في لونبيرج هيث (Luneburg Heath) بالقرب من بحر البلطيق.

بقي مونتجمري في ألمانيا بعد الحرب قائداً لوحدات الاحتلال البريطاني، ثم تولى قيادة قوات حلف شمال الأطلسي من عام 1951 في 25 آذار/ مارس 1976 وعمره تسعة وثمانون عاماً.

إن كثيراً من حرص مونتجمري وامتعاضه المعلن بشأن التقدم من دون استكمال كافة الاستعدادات إنما يعزى إلى خبراته في الحرب العالمية الأولى. وقد كان لحدبه على جنوده واهتمامه براحتهم أثره في ذيوع صيته بينهم، بينما تسببت مطالبه من مرؤوسيه من الضباط وإقصاؤه المتلاحق لهم في عزلته عنهم، كما أن الأمريكيين وغيرهم من الحلفاء امتعضوا من موقفه المتعالى ووقاحته، ومع ذلك فربما كان خير حكم على تأثيره هو مقولة ونستون تشرشل: «قبل العلمين لم نحقق نصراً إطلاقاً، بعد العلمين لم نصب بخسارة إطلاقاً».

يأتي مونتجمري الخبير البريطاني في المدرعات والمناورة، إلى حد ما، تالياً في الأهمية لجورج كاتليت مارشال وأيزنهاور وآلن فرانسيس بروك وبرادلي نظراً إلى قيادتهم الأوسع والأكثر أهمية. إلا أنه يأتي متقدماً على جورج باتون، الذي غطى مسلكه المزاجي الخاطىء على قدرته القتالية، بينما كان العديد من نظائره الألمان، مثل روميل وهاينز جورديان يساوونه أو يفوقونه في أرض المعركة، فإن النصر النهائي للحلفاء أكسبه مكانة تعلو على مكانتهم في هذه القائمة.



كارل جوستاف إميل فون ماترهايم

Carl Gustav Emil Von Mannerheim

قائد فنلندي

(1951 - 1867)

ولد مانرهايم في 4 حزيران/ يونيو 1867 لعائلة أرستقراطية في فيلناس (Villnas)، بالقرب من توركو (Turku) كانت بلاده فنلندا جزءاً من روسيا. وبعد تعيينه ملازماً في سلاح الفرسان الروسي عام 1889، شارك ضمن حرس الشرف في مناسبة تتويج القيصر نيكولاس الثاني وزوجته ألكسندرا في 26 أيار/ مايو 1895. وفي أثناء الحرب الروسية ـ اليابانية عام 1904 ـ 1905، شهد مانرهايم القتال وكان برتبة رائد، وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى، وكان مانرهايم برتبة فريق وقائد فيلق ضد الألمان.

وفي أعقاب انهيار الجيش الروسي إبان ثورة تشرين الثاني/ نوفمبر 1917، عاد مانرهايم إلى الوطن لينضم إلى الحركة التي أعلنت استقلال فنلندا في 6

كانون الأول/ ديسمبر 1917، وفي 16 كانون الثاني/ يناير 1918 تولى قيادة القوات البيضاء المعادية للشيوعية في غربي فنلندا، وتحرك باتجاه الجنوب لطرد الحرس الأحمر المناصر للشيوعية. وعند فاسا (Vasa) استولى مانرهايم على حامية روسية وعلى أسلحتها وذخيرتها التي كان في احتياج شديد إليها. وتمكن بعون من المعدات التي استولى عليها من أن يواصل عملياته ضد الحرس الأحمر إلى أن واجه قوة تفوقه خارج تامبيري (Tampere) في 16 آذار/ مارس.

توقف هجوم مانرهايم، إلا أن الجيش الألماني دخل المعركة واستولى على هلسنكي في 18 نيسان/ إبريل، فانقسمت القوات البلشفية إلى قسمين. انتهز مانرهايم فرصة انتصار الألمان وتحول تجاه الشرق وقطع الطريق بين برزخ كيرلين (Karelian Isthmus) وروسيا. وبهزيمة الروس وإجبار الألمان على الانسحاب فوراً بموجب الهدنة التي أنهت الحرب العالمية الأولى تأكد استقلال فنلندا. وعلى الرغم من إعلان مانرهايم وصياً على عرش فنلندا في 12 كانون الأول/ ديسمبر 1918، استمر في قيادة الجيس، وتمكن من هزيمة آخر جيوب الحرس الأحمر، ومع توقف العمليات الحربية وإعلان استقلال جمهورية فنلندا في 17 حزيران/ يونيو 1919، تقاعد مانرهايم.

وفي عام 1931، وكان في العقد السابع من عمره، استدعت حكومة فنلندا مانرهايم للخدمة كرئيس لمجلس الدفاع لتجهيز الدفاعات ضد تهديد سوفييتي جديد؛ فأشرف مانرهايم طيلة الأعوام الثمانية التالية على إنشاء خط تحصين مكون من نقاط قوية متصلة عبر التضاريس الوعرة لبرزخ كرلين.

كان ذلك الخط الذي عرف بخط مانرهايم على وشك الانتهاء عندما بدأ السوفييت هجوماً في 30 تشرين الثاني/ نوفمبر 1939 مؤلفاً من نحو مليون جندي. واجه مانرهايم ـ الذي كان قد عين قائداً عاماً ـ القوات الروسية بجيش لا يزيد على 300 ألف جندي، لم يكن من بينهم سوى خمسين ألف جندي نظامي. وقد كانت القوات الفنلندية كانت أقل حجماً بكثير، فقد أعد مانرهايم جنوده، وكذلك تحصيناته الدفاعية إعداداً جيداً؛ فكل جندي فنلندي كان لديه

اللباس الشتوي المناسب، بما في ذلك زي خارجي أبيض يضاهي الطبيعة المكسوة جليداً، وزوج من الزلاجات لسهولة الحركة.

وفي المقابل كان السوفييت يفتقرون إلى المعدات والتدريب العالي. ولم يكن الغزاة ـ ومعظمهم من أوكرانيا ـ قد زودوا بوسائل البقاء، فكان قتالهم متدنياً في درجات حرارة بلغت أربعين تحت الصفر. وفي معركة سوموسالمي (Suomnssalmi) استغل مانرهايم حال الطقس، ما بين كانون الأول/ ديسمبر 1939 وكانون الثاني/ يناير 1940، وطبيعة التضاريس في إبطاء تحركات السوفييت، وقام بقطع خطوط إمداداتهم عن طريق نصب الكمائن، ثم دمر الوحدات المعزولة من خلال القناصة والمدفعية، ففقد السوفييت في أثناء الغزو 27500 جندي ما بين قتيل في المعركة أو متجمد من الجليد حتى الموت في مقابل تسعمئة قتيل فنلندي، كما خَلَّف السوفييت وراءهم أسلحة ومعدات فرقتين كاملتين.

كان النصر الفنلندي عظيماً، كانت الكثرة الفائقة من السوفييت التي لم يكن بوسع جنود مانرهايم أو الطقس أن يحيدها. وفي الأول من شباط/ فبراير أعد الاتحاد السوفييتي أربعاً وخمسين فرقة مؤلفة من ثلاثة أرباع المليون رجل لاختراق خط مانرهايم. حيث قاتل الفنلنديون ببسالة إلا أن الكم الهائل تمكن في نهاية المطاف من التغلب على دفاعاتهم في سوما (Summa)، وفي 12 آذار/ مارس 1940 استسلم الفنلنديون، ولكن السوفييت سمحوا لهذا البلد بأن يتمتع بنوع من الحكم الذاتي شريطة ألا يشن مواطنوه حرب عصابات على المحتلين. وقد بلغت خسارة الفنلنديين خمسة وعشرين ألف قتيل في حين سقط من السوفييت ما يقدر بعشرة أضعاف هذا العدد إضافة إلى 400 ألف جريح.

لم يدم السلام طويلاً بين الاتحاد السوفييتي والفنلنديين؛ فعندما غزت ألمانيا أراضي روسيا في 22 حزيران/ يونيو 1941، تحالفت فنلندا مع الألمان واستأنفت جهودها بعد أن استدعت مانرهايم لقيادة الجيش لطرد الروس من أراضيها. وقد نجح مانرهايم في إجبار الروس على الانسحاب، على الرغم من طلب الألمان من مانرهايم مواصلة مطاردة الروس صوب لينينجراد، فقد رفض

دخول قواته الاتحاد السوفييتي، ففي هذه المرحلة القصيرة التي تلت، قامت حكومة فنلندا بترقية مانرهايم إلى رتبة مشير.

وفي عام 1944 بعد أن أصبح للروس أخيراً اليد العليا على الألمان، جدد الروس هجومهم على فنلندا، فأبلى جيش مانرهايم بلاء حسناً، لكنهم تعرضوا لأعداد تفوقهم بصورة كبيرة، ما اضطر فنلندا مرة أخرى إلى توقيع اتفاقية سلام مع السوفييت في 4 أيلول/ سبتمبر 1944. وقد قام مانرهايم ـ كجزء من الاتفاق ـ بحملة أخيرة لطرد حلفائه الألمان السابقين من منطقة لابلاند (Lapland) المحتلة.

وبمقتضى الاتفاق الجديد تولى مانرهايم أيضاً منصب رئيس جمهورية فنلندا، وفي خطوة سياسية بارعة تضاهي مناوراته العسكرية البارزة، تمكن من الحفاظ على استقلال فنلندا في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك بالتوازن ما بين الشرق والغرب. وقد ظل مانرهايم على رأس حكومته حتى دخل مرحلة الشيخوخة واضطره اعتلال صحته إلى التقاعد عام 1946. وتوفي وهو في الثالثة والثمانين في لوزان بسويسرا في 27 كانون الثاني/ يناير 1951.

لولا مانرهايم، ربما ما كنا نعرف بلداً باسم فنلندا؛ فما من شك من أن قيادته العسكرية والسياسية قد أنقذت البلد الذي ما كان ليكتب له البقاء بعد حربين عالميتين وسياسات ما بعد الحرب العالمية الثانية. فخبرته في بناء الدفاعات الضخمة، علاوة على توظيفه المحترف للحرب المتحركة ضد قوات أكبر عدداً مع صعوبة التضاريس والطقس، قد أكسباه التميز بوصفه أجدر عسكري فنلندي.

كذلك فإن أداء مانرهايم يضعه في مصاف السوفييت باعتباره أكثر خصومهم احتراماً وهيبة؛ فلقد أثبت لبقية العالم على مدار العقود الأربعة التي تلت أنه في الإمكان التصدي للجيش السوفييتي المزهو وهزيمته. وإن مكانته مانرهايم الضئيلة نسبياً في هذه القائمة لا تمثل انعكاساً لقيادته الذاتية وتأثيره قدر ما هي نتيجة لافتقار فنلندا إلى التأثير في بقية أرجاء العالم. وقد أطلق عليه لقب جورج واشنطن فنلندا تخليداً لبطولته الفائقة وشجاعته الباسلة في أرض المعركة.



أرنولد

H. H Arnold

قائد أمريكي

(1950 - 1886)

ولد أرنولد في 25 حزيران/ يونيو 1886 في جلادين (Gladwyne) بولاية بنسلفانيا، وهو ابن طبيب وحفيد محارب قديم شارك في الحرب الأهلية. تخرج أرنولد عام 1907 في أكاديمية ويست بوينت وكلف بالعمل في سلاح المشاة. وفي أعقاب دورة عمل في الفلبين نقل أرنولد إلى سلاح الإشارة وتعلم قيادة الطيران في دايتون (Dayton) بولاية أوهايو على يد الأخوين رايت في عام 1911. وكانت رخصة طيران أرنولد هي التاسعة والعشرين فقط تصدر في الولايات المتحدة آنذاك. وفي أيلول/ سبتمبر من ذلك العام قام بأول مهمة توصيل بريدية، وفي عام 1912 سجل رقماً قياسياً في التحليق على ارتفاع وصل إلى 6540 قدماً.

وفي الوقت الذي أنجز فيه أرنولد هذه المهام التي لفتت الانتباه إلى تقدم علم الطيران، قام بجمع ثلة صغيرة من الطيارين وفنيي الطائرات في مطار كوليج بارك (College Park) بولاية ميريلاند، وعلاوة على تدريب الملاحين الجدد، فإن المجموعة وضعت المصطلحات والرموز العسكرية لأجزاء الطائرات وإجراءاتها الفنية. كما كان لها تجاربها في القصف الجوي ومصوبات القذائف والاتصالات الجو ـ أرضية.

وفي عام 1913 عاد أرنولد إلى سلاح المشاة ومهمة أخرى في الفلبين. أثناء المناورات الميدانية في باتانجا (Batanga)، التقى وزميله الملازم جورج كاتليت مارشال، وتوطدت بينهما صداقة وعلاقة عمل استمرت طوال فترة عملهما.

وعند عودة أرنولد إلى قسم الطيران بسلاح الإشارة عام 1916، أشرف ـ وكان أصغر عقيد في الجيش ـ على تدريب الطيارين في أثناء الحرب العالمية الأولى، وعند استقلال قسم الطيران عن سلاح الإشارة في الجيش الأمريكي، تولى أرنولد منصب مساعد المدير. ولأن الحرب انتهت قبل أن يتمكن من الوصول إلى فرنسا لاكتساب خبرة ذاتية في القتال، فقد فكر في ترك الجيش بعد انقضاء الهدنة، ولكنه قرر أخيراً البقاء في الخدمة، وأمضى فترة العقد التالي في الساحل الغربي للولايات المتحدة في سلسلة مهام، حيث أوصل تطويره للطيران المدني والعسكري.

لجأ أرنولد إلى العديد من العروض ومحاولات تسجيل أرقام قياسية لجذب الانتباه إلى سلاح الطيران الناشيء ولزيادة تمويله. وفي عام 1924 سجل رقماً قياسياً في الطيران بلغ 113 ميلاً في الساعة، وفي عام 1934 قاد طلعة من عشر قاذفات بي ـ 10، روج لها بصورة كبيرة، بين واشنطن. دي. سي وفيربانكس (Fairbanks) بآلاسكا. وفي أثناء تلك المرحلة وما بعدها، كتب ونشر مقالات في المجلات لتطوير الطيران، كما كتب سلسلة من كتب الأطفال تصور الطيار بطلاً.

وقد أصبح أرنولد ـ بوصفه أحد الطيارين الرواد وقائداً عسكرياً كبيراً ـ متحدثاً باسم جهاز الطيران المدني والعسكري؛ فأسهم في تشكيل شركة خطوط «بان أمريكان» التجارية، وشجع الصناعة على تكييف مصانع السيارات لتدخل في مجال الإنتاج الواسع النطاق للطائرات. وفي أثناء تلك المرحلة دعا أرنولد لتكوين قوات جوية مستقلة داخل الجيش الأمريكي وكذلك تطوير القاذفات الطويلة المدى. وقد ثبت أن لدعمه فعالية في إنشاء وتمويل الطائرة بي ـ 17 المعروفة بـ«القلعة الطائرة»، والتي سرعان ما أثبتت أنها في غاية الأهمية.

وفي عام 1939 انضم أرنولد إلى أركان صديقه القديم جورج مارشال الذي كان يشغل آنذاك منصب رئيس أركان الجيش، ليصبح أرنولد قائداً لسلاح الطيران في الجيش. وعلى الرغم من محدودية الميزانية وسياسة الانعزالية التي كان يفضلها كثير من الأمريكيين، فقد قدم أرنولد دعماً للحرب الجوية البريطانية ضد الألمان بينما كان يقوم ببناء مرافق الطيران الأمريكية. وفي مدة تتجاوز العام بقليل، زاد أرنولد معدل إنتاج الطائرات الأمريكية وتدريب الطيارين إلى ستة أضعاف ما كان عليه.

وعندما دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب عام 1941، استمر أرنولد على علاقته الوثيقة بصناع الطائرات المدنية ومعاهد تدريب الطيارين وإعداد المعدات على نطاق واسع. وكان يدعم على نحو خاص القاذفات البعيدة المدى، باعتبارها مفتاح سلاح الطيران في الحرب.

وبحلول عام 1942 انتزع أرنولد الاعتراف بالسلاح الذي أطلق عليه سلاح القوات الجوية الأمريكية، ليقف على قدم المساواة مع القوات البرية. ورقي في عام 1943 إلى رتبة فريق اعترافاً بإنجازاته التي شملت هيمنة الحلفاء على الأجواء في كافة أرجاء أوروبا.

وفي عام 1944 قام أرنولد بتنظيم الوحدة 20 للقوات الجوية في المحيط الهادي، والمؤلفة من طائرات بي ـ 29. وقد كان لتلك القاذفات الجديدة القدرة على الوصول إلى الجزر اليابانية انطلاقاً من قواعدها في المحيط الهادي، وأخيراً

ألقت القنبلتين الذريتين اللتين أنهيتا الحرب. ولم يكن القصف البعيد المدى هدف أرنولد الوحيد في تنظيم الوحدة 20؛ إذ كان يرى أيضاً أن تلك الوحدة تمثل قوة قذف استراتيجية عالمية يمكن لها أن تبقى قائمة بعد انتهاء النزاع وتتحول إلى قوة جوية لها استقلالها التام. وقد كوفئت جهود أرنولد بترقيته إلى رتبة جنرال ذي النجوم الخمسة قبيل انتهاء الحرب.

عانى أرنولد بعد الحرب الثانية من أزمات قلبية عديدة، فتنحى رسمياً عن الخدمة في حزيران/ يونيو 1946. وبعد ذلك بعام حصل سلاح الجو الأمريكي على الاستقلالية التي كان أرنولد يسعى إليها، فأصبح بذلك نداً للجيش والبحرية. وفي أيار/ مايو 1949 وصل أرنولد - وهو لا يزال على قائمة الخدمة؛ إذ إن القادة من ذوي النجوم الخمسة لا تقاعد لهم إطلاقاً - إلى رتبة قائد عام سلاح الجو، فكان أول امتياز يتم على هذا النحو في القوات المسلحة الأمريكية. وفي 15 كانون الثاني/ يناير 1950، توفي قائد القوات الجوية «هاب» أرنولد البالغ من العمر أربعة وستين عاماً، في منزله في سينوما (Sonoma) بولاية كاليفورنيا.

لقد تعهد أرنولد سلاح الجو الأمريكي وليداً إلى أن استقام عوده. ومثله مثل مارشال، جاء تأثير أرنولد من موقعه في البنتاجون لا من دوره في خطوط القتال الأمامية. ومع ذلك كان صاحب الأثر الرئيسي في تطوير هذا السلاح ليصبح النزول في العالم الذي يشكل الدعامة الأساس للجيش.



جون آربثنوت فيشر

JOHN ARBUTHNOT FISHER

قائد بريطاني

(1920 - 1841)

ولد فيشر في سيلان في 25 كانون الثاني/ يناير 1841 لأب إنجليزي كان يعمل مزارعاً. سافر إلى انجلترا وهو في السادسة ليتلقى العلم، وعندما بلغ الثالثة عشرة التحق بالبحرية الملكية البريطانية وخدم في بحر البلطيق إبان حرب القرم، ثم في الصين عام 1857. تخصص فيشر في المدفعية والمعدات الحربية، وحصل على رتبة ملازم أول بحري وعمره عشرون عاماً. ثم رقي إلى رتبة عقيد بحري عام 1874، فتولى قيادة السفينة إنفلكسبل (Inflexible) أثناء قصف مدينة الإسكندرية في 11 تموز/ يوليو 1882.

تقلّب فيشر في الأعوام 1883 - 1891 في المناصب القيادية ما بين قيادة السفينة إكسلينت (Excellent)، ومدرسة المدفعية البحرية الملكية، ومكتب

المعدات البحرية، فقاد حركة تبني المدافع الكبيرة السريعة الطلقات الخلفية التحميل، والتلسكوبات البحرية الآلية البعيدة المدى، وبعد ترقيته إلى رتبة لواء بحري عام 1890، عمل فيشر مراقباً لنفقات مجلس رئاسة القوات البحرية لمدة خمس سنوات. وفي أثناء تلك المرحلة عمل على الإسراع بتدبير مراجل أنابيب المياه.

وفي عام 1900 تولى فيشر قيادة مركز أمريكا الشمالية وجزر الهند الغربية نائباً للأميرال، ثم نقل بعد عام لتولي قيادة أسطول البحر المتوسط. وفي 21 تشرين الأول/ أكتوبر 1904، تولى فيشر أعلى منصب في البحرية الملكية وهو القائد الأول للبحرية، وبوصفه قائد القوات البحزية، فقد واجه مشكلتين رئيسيتين متعارضتين وهما: كيفية خفض النفقات بصورة كبيرة في الوقت الذي كان ينبغي فيه الإعداد لمواجهة الاعتداءات المستقبلية من جانب ألمانيا.

وقد عالج فيشر هاتين المشكلتين بوضعه خطة لإنشاء أسطول يكون أصغر حجماً وأقوى تجهيزاً. فقد أمر في البداية بالتخلص من السفن المتهالكة الأقدم عمراً، وأعاد كثيراً من الوحدات إلى المياه الوطنية. وبتوفيره المال، بدأ برنامجاً لبناء بارجة كبيرة سميكة البدن حملت كثيراً من المدافع الكبيرة من العيار ذاته، وذلك بغية إطلاق مقذوفات أثقل بأسلوب أكثر إحكاماً. وعلى الرغم من أن العديد من قادة البحرية الآخرين قد اقترحوا فكرة السفينة ذات «المدافع الكبيرة» نفسها، فإن فيشر هو أول من جعل منها حقيقة واقعة. وفي عام 1906 دشنت البحرية الملكية السفينة دريدنووت (Dreadnought) المسلحة بمدافع عيار 12 بوصة، والتي يعتمد نظام تسييرها على محركات توربينية عالية السرعة، وهذه أيضاً من ابتكارات فيشر. وبحلول عام 1909 كان قد أحل سفنه محل معظم السفن الحربية التابعة للبحرية الملكية، فجعل من الأسطول البريطاني أقوى أساطيل المعمورة. وقد انتبهت دول أخرى لمفهوم المدفعية الكبيرة وبدأت تحذو حذو البريطانيين.

ولم تقتصر مهارات فيشر وابتكاراته على النواحي الميكانيكية والتسليحية

بل امتدت إلى العنصر البشري؛ فمن منطلق تعاطفه الكبير مع البحار العادي، أدخل برامج تدريب لرفع كفاءته في الوقت الذي حظر فيه عقوبة الجلد.

وقد ترتب على إعادة فيشر تنظيم وتسليح البحرية البريطانية أن ناصبه الكثيرون العداء؛ إذا كان فظاً لا يعرف الهوادة في معاملته الضباط، وكانت فلسفته أنه ما من أسلوب يتبع سوى أسلوبه الخاص. وحدث أن أدت قيادة فيشر المطلقة والمسيطرة بحلول عام 1910 إلى انقسام القيادة البحرية، ما أثار جدلاً عاماً اضطره إلى التقاعد.

إلا أن نفوذ فيشر حتى في تقاعده لم ينقطع؛ فواحد من أصدقائه السياسيين كان ونستون تشرشل الذي أصبح القائد الأول برئاسة القوات البحرية عام 1911، الذي كان يستمد المشورة من فيشر، وهو ما كان له دوره المباشر في إحلال النفط محل الفحم كوقود للسفن الحربية عام 1912. كذلك واصل فيشر توصياته بإجراء تعديلات على نظم التزويد وتطوير المعدات.

وحين اندلع القتال ضد ألمانيا، استدعى تشرشل فيشر إلى الخدمة بوصفه القائد الأول للبحرية. وقد كان لإعادة فيشر تنظيم الأسطول أثره في تحقيق النصر الكبير لبريطانيا بالقرب من جزر فوكلاند في كانون الأول/ ديسمبر 1914، بعد الهزيمة التي منيت بها في كورونيل (Coronel). كما قام فيشر بتصميم برامج بناء السفن والأنشطة المعاونة لها، وكذلك وضع سياسات الحصار البحري وعمليات التلغيم التي اتبعها البريطانيون في مرحلة ما بعد الحرب.

ثم بدأت علاقة فيشر الطيبة من تشرشل في التدهور حين دبّ بينهما الخلاف حول الهجوم الذي كان مخططاً له في الداردنيل، ما اضطر فيشر إلى الاستقالة مرة أخرى في أيار/ مايو 1915. وبعد ذلك بسنوات خمس مات فيشر في 10 تموز/ يوليو 1920 في لندن، وهو في التاسعة والسبعين من عمره، وقد ماتت معه آماله السياسية.

يعد فيشر ـ باستثناء هوراشيو نيلسون ـ الشخصية المهيمنة على امتداد تاريخ البحرية البريطانية. فإذا ما أردنا وصفه، فهو الذكي المبتكر المتشبث

برأيه والمتفاني في عمله، حيث أسهمت وجهة نظره بتقديم الكيف على الكم، وقدرته على وضع أفكاره الثورية موضع الواقع العملي، في تقوية الأسطول البريطاني على نحو كبير، والذي أصبح مثلاً تحتذيه بحريات العالم لعقود تلت.



هيهاتشيرو توجو

HEIHACHIRO TOGO

قائد ياباني

(1934 - 1848)

ولد توجو في عائلة عسكرية في 27 كانون الثاني/ يناير 1848 في كايّابا (Kajiya) بساتسوما (Satsuma). وفي سن الثامنة عشرة انضم إلى أسطول ساتسوما. وفي عام 1871 التحق بالبحرية الملكية اليابانية الحديثة التكوين كطالب، وفي أواخر ذلك العام بدأ تدريبه مع البحرية البريطانية. وقد خدم توجو خلال السنوات السبع التالية في البحر على متن السفينة وستر (Worcester)، فأبحر بوصفه بحراً عادياً في السفينة هامبشير (Hampshire)، في جولة حول العالم، ودرس الرياضيات في كامبردج، وراقب بناء السفن في شيرنيس (Sheerness) عند مصب نهر التايمز.

وبعد عودته إلى اليابان عام 1878، أمضى توجو أغلب السنوات الست

عشرة التالية في البحر، وهو يترقى في الرتب مكتسباً سمعة الضابط الملتزم بالنظام بلا هوادة والذي أعدّ فريقاً عالي التدريب قوي الحافز. وفي عام 1894 حين تجمعت نذر الحرب بين اليابان والصين، تولى توجو قيادة السفينة نانيوا (Naniwa). وعندما اكتشفت الناقلة البريطانية كاوتشنج (Kowching)، وهي تقل جنوداً صينيين متوجهة صوب كوريا التي كانت تحتلها اليابان، لم يتردد في الاشتباك مع السفينة، وبعد إغراقه إياها قام بإنقاذ الطاقم البريطاني، لكنه رفض التقاط الأحياء من الصينيين ودمر قوارب نجاتهم.

حالف توجو النجاح تلو النجاح فيما تبقى من زمن الحرب، بما في ذلك الاستيلاء على مورموزا، في الوقت الذي رقي فيه إلى رتبة لواء بحري. وبحلول تشرين الأول/ أكتوبر 1903 تولى توجو قيادة الأسطول الياباني بأكمله حين كان يواجه تهديداً من جانب الجارة روسيا. كان الأسطول الروسي المنقسم ما بين المحيط الهادي والبلطيق يفوق قوات توجو عدداً بنسبة سفينتين مقابل سفينة وزورقين مقابل زورق. وحيث أدرك توجو أن أسطول البلطيق بحاجة إلى عدة أشهر كي يبحر إلى مياه المحيط الهادي، قرر الشروع فوراً في الاشتباك مع أسطول الشرق الأقصى قبل أن يتمكن العدو من جمع قوتيه معاً.

ولم ينتظر توجو إعلاناً رسمياً بالحرب، فشن هجوماً مباغتاً ضد الأسطول الروسي في الشرق الأقصى في قاعدة بورت آرثر (Port Arthur) في 7 شباط/ فبراير 1904. ولأن الهجوم لم يكن حاسماً، فقد واصل توجو عملياته على مدى أشهر عديدة تالية، إلى أن غرق معظم الأسطول الروسي في الشرق الأقصى في المعارك التي دارت في البحر الأصفر في 23 حزيران/ يونيو و10 آب/ أغسطس، ودفع ببقية الأسطول إلى داخل بورت آرثر. ثم قام بحصار الميناء في الوقت الذي كانت القوات اليابانية البرية تستولي فيه على المدينة.

وبعد أن أجهز توجو على أسطول الشرق الأقصى، تحول صوب أسطول البلطيق، والذي كان متوجهاً نحو اليابان، إذ كانت السفن الروسية قد تلقت الأوامر من القيصر نيكولاس الثاني بالثأر للهزيمة المذلة التي وقعت في البحر

الأصفر. كان أسطول البلطيق وقوات توجو متكافئين حجماً، إلا أن الروس كانوا في البحر لسبعة أشهر، فكانت فرق توجو أنشط وأفضل تدريباً، وسرعان ما أثبت أن قيادتها هي الأفضل.

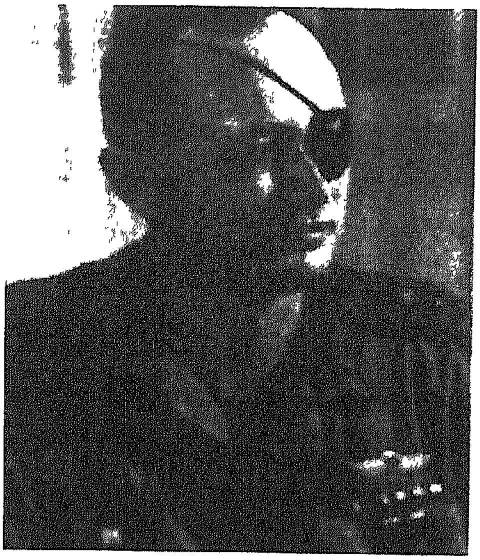
التقى توجو الروس في منطقة مضايق تسوشيما، ما بين كوريا واليابان، في 28 أيار/ مايو 1905. فأمر ـ مستغلاً سرعته ـ باللجوء إلى العديد من المناورات التي أكسبته مزايا الموقع ومدى الإطلاق المدفعي. وعلى الرغم من إصابته بجرح غائر في فخذه في بدايات المعركة من تناثر شظية، فقد رفض النزول عن منصة سفينة القيادة ميكاسا (Mikasa)، وواصل إدارة القتال، وظلت فرقه المدربة تقذف السفن الروسية بوابل لا ينقطع من النيران.

وفي تتابع متلاحق غاصت اثنتا عشرة سفينة من أسطول البلطيق، وبلغ عدد القتلى الروس 4830 فرداً، وتم أسر قائدهم الأميرال زينوفي روجديستفينشي (Zinovy Rozhdestvensy)، في حين بلغت خسائر توجو إعطاب سفينة ومصرع 110 من البحارة. هذه النتيجة التي تميل بشدة إلى صالح جانب واحد من القتال بين بحريتين كبيرتين متكافئتي القوة لم يشهدها أحد من قبل.

لقد أنهت معركة تسوشيما الحرب الروسية ـ اليابانية، ولم تظهر اليابان على أنها المنتصر فحسب بل كقوة مهيمنة في المحيط الهادي والعالم أجمع. وكرمت اليابان توجو بطلاً قومياً، واحتفظت بسفينة القيادة ميكاسا تذكاراً، ورقته البحرية إلى منصب رئيس الأركان العامة، وخلع القيصر الياباني عليه لقب الكونب.

في عام 1913 عين القصر الإمبراطوري توجو قائداً للقوات البحرية، وعهد إليه بصفة شخصية بالإشراف على تعليم ولي العهد هيروهيتو (Hirohito). وإخيراً استقال توجو من الخدمة في عام 1921، إلا أنه ظل عضواً في مجلس رتبة مشير في كل من القوات البرية والبحرية. وفي عام 1930 أوصى بزيادة حجم وقدرات البحرية اليابانية، وقد كانت هذه التوصيات موضوعة موضع التنفيذ حين وافته المنية وهو في السادسة والثمانين من عمره في 30 أيار/ مايو 1934 من سرطان في الحلق.

وقد أقيمت لتوجو جنازة رسمية، ولكن نفوذه لم ينته بوفاته، إذ أن رأيه بضرورة تكورين بحرية كبيرة، وكذلك هجومه المباغت الذي شنه في صراع غير معلن ـ على ما يبدو ـ كانا المبدأين الاستراتيجيين اللذين أخذت بهما اليابان في الحرب العالمية الثانية. لقد أخرج توجو اليابان من حال العزلة والنفوذ الضئيل إلى مرتبة القوى الكبرى. ويظل توجو باعتباره منتصراً في واحدة من أهم المعارك البحرية في التاريخ بطلاً يابانياً وواحداً من أعظم قادة القوات البحرية في العالم، لا يعلو عليه إلا هوراشيو نيلسون، وتشستر وليم نيمتس، وألفريد ثاير ماهان، وجون آربثنوت فيشر.



موشي ديان

MOCHE DAYAN

قائد اسرائيلي

(1981 - 1915)

لقد كانت حياة ديان وتأسيس دولة إسرائيل متداخلين منذ ولادته في 29 أيار/ مايو 1915. وكان أول طفل يولد في مزرعة ديجانيا التعاونية بفلسطين، بالقرب من بحيرة طبرية، وهي منطقة كانت جزءاً من الامبراطورية العثمانية آنذاك. وقد واجه ديان في طفولته مشاق حياة الفلاحة، وفي سن الرابعة عشرة انضم ديان إلى الميليشيات اليهودية «الهجاناه». ووفي الهجاناه تلقى ديان تدريبات على حرب العصابات ومارس أولى مراحل القتال. وباستثناء زيارة قصيرة استغرقت ستة أشهر للندن عام 1935، بقي ديان وسط القتال المتكرر.

وفي عام 1936 خدم ديان، الذي كان آنذاك رقيباً، في العديد من الفصائل عندما كان البريطانيون المسؤولون عن حماية فلسطين يسمحون لأفراد الهجاناه

بالعمل كمرشدين وفي الحراسة والاستطلاع. على الرغم من أن ديان لم ينبهر بنظام وإجراءات عمليات تلك الوحدات، فإنه أكمل تعليمه العسكري.

وقد طبق ديان ما تعلمه من دروس على يد البريطانيين عند توليه قيادة إحدى مجموعات الحرس المتنقل لشرطة المستوطنات اليهودية عام 1937. وكانت الأساليب العسكرية التي قام بتطبيقها هي نفسها التي كان لها مردودها بينما كان يترقى في المناصب. كان ديان يمقت النمطية وكل ما لا يتصل مباشرة بالاستعداد القتالي، وكان يركز على التميز في استخدام السلاح واستغلال طبيعة المواقع والهجوم الشامل. وفي أثناء تلك المرحلة كان ديان يطور أيضاً معلوماته العسكرية في الوقت الذي كان يعمل فيه تحت إمرة القائد البريطاني غير التقليدي تشارلز وينجت (Cgarles O. Wingate).

مع اندلاع الحرب العالمية الثانية عام 1939 توقف الدعم البريطاني للهجاناه، وأخيراً حظر نشاط المنظمة، واعتقل البريطانيون وسجنوا العديد من قادتها بمن فيهم ديان الذي حكم عليه بالسجن مدة خمس سنوات، ومع ذلك فقد أطلق الإنجليز سراحه عام 1941 حتى يعاونهم على محاربة خصومهم الألمان والفيشيين(*).

وقد أثبت ديان تميزه في عدة معارك قبل أن يصاب بجرح بالغ في حزيران/ يونيو 1941، عندما أصابت رصاصة المنظار الذي كان يراقب به العدو، فدفعت بالزجاج والمعدن إلى داخل جمجمته وترتب على ذلك تلف عينه اليسرى ومحجرها.

وقرب نهاية الحرب نمت الهاجاناه بلغت قوتها ثلاثين ألف فرد، وجددت نشاطاتها في محاولة للحصول على دولة خاصة باليهود. وعندما انسحب البريطانيون من المنطقة، زادت حدة المواجهات بين الهجاناه والدول العربية المجاورة التي أقسمت على إحراز النصر على اليهود.

وبعد اندلاع حرب عام 1948، تولى ديان وكان وقتئذ برتبة رائد، قيادة قطاع وادي الأردن في 18 أيار/ مايو، ونجح في إبقاء سيطرته على ديجانيا أمام

القوة السورية التي كانت تفوقه عدداً. وبعد تعيينه قائداً للكتيبة التاسعة والثمانين بعد ما حقق من انتصار، لم يتبع ديان قواعد سوى ما كان يعني له من تجنيد الأفراد والمركبات من الوحدات الأخرى. وفي غضون أسابيع حاز سمعة القائد، حين شن غارات على المواقع العربية الأكثر تقدماً.

وفي آب/ أغسطس بدأت مهارات ديان الذي كان قد رقي إلى رتبة مقدم، تظهر كسياسي علاوة على كونه جندياً، وذلك عندما اشترك في المفاوضات التي أدت إلى وقف الحرب. وبانتهاء النزاع عام 1949 كان ديان برتبة لواء ومسؤولاً عن قيادة القطاع الجنوبي من بئر السبع. وقد سعى ديان أثناء فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى تنظيم قوات دفاع إسرائيلية محترفة. وفي عام 1953 تولى ديان منصب رئيس أركان الجيش الإسرائيلي وبدأت العسكرية الإسرائيلية تتسم بسماته.

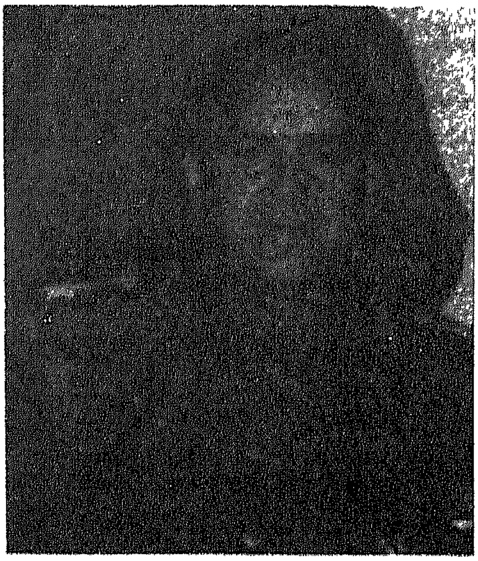
كان ديان يكافأ على الأداء الجيد، وقد أبدل بكثير من القادة الكبار قادة يصغرونهم سناً ويفوقونهم جرأة. وبينما حدد من عدد الوحدات المعاونة، فقد زاد من قوة المشاة وسلاح المدرعات. وقد بنى ديان وحدة محمولة جواً منتقاة، وطالب في الوقت نفسه بأن تعم الانتقائية جميع الوحدات الأخرى. وقد طلب من القادة المرؤوسين مواصلة القيام بالمهام الموكولة إليهم أن تبلغ نسبة خسائرهم ما لا يقل عن 50٪. وقد كان يتمتع بشعبية كبيرة بين جنوده وبأنه سيحاول التقليل من الخسائر في صفوفهم.

وبعد تدهور العلاقات في أنحاء الشرق الأوسط عام 1956، وجد ديان الفرصة سانحة لوضع جيشه موضع الاختبار. ومن دون انتظار لإعلان الحرب رسمياً، أمر ديان قوات المظلات التابعة له بتأمين الممرات الجبلية الفائقة الأهمية ودفع بسلاحي المشاة الميكانيكية والمدرعات لشن هجمات خاطفة صوب مصر. ويتفادى ديان النقاط الحصينة ورفضه الاشتباك في معركة حاسمة مع المصريين، تمكن من إحراز النصر لجيشه. وقد أصبح الجنرال ذو عصابة العين السوداء رمزاً للكفاءة العسكرية اليهودية داخل إسرائيل وخارجها.

ترك ديان الجيش عام 1958 ليدخل مجال السياسة، غير أنه في عام 1967 وقبيل اندلاع حرب الأيام الستة، استدعته الحكومة الإسرائيلية إلى الخدمة وزيراً للدفاع. وعلى الرغم من أن مرؤوسيه كانوا قد وضعوا أغلب خطط المعركة، فقد كان ديان هو المنفذ للهجوم الذي شمل ضربة جوية وقائية دمرت سلاح الجو المصري على الأرض في الخامس من حزيران/ يونيو. ولم تهزم قيادة ديان القوات البرية المصرية في أقل من أسبوع فقط، بل وانتزعت مرتفعات الجولان ذات الحيوية الاستراتيجية من أيدي السوريين أيضاً.

وقد سمت شهرة ديان بعد حرب الأيام الستة لتذوي فقط مع الهزائم الأولى نتيجة الهجمات المصرية المفاجئة في تشرين الأول/ أكتوبر 1973، والتي أسفرت عن خسائر إسرائيلية غير مسبوقة. على الرغم من أنه حشد قواته في النهاية للنصر، فقد تعرض لانتقادات لعدم استعداد جيشه، فاستقال من منصب وزير الدفاع في أعقاب الحرب. وعاد للعمل في مجال السياسة، فعمل في عدة مناصب سواء عن طريق التعيين أو الانتخاب حتى وفاته في 16 تشرين الأول/ أكتوبر 1981 في تل أبيب وعمره ستة وستون عاماً.

إن إنجازات ديان شاملة وإن كانت بسيطة، فقد مكنت إسرائيل، على رغم الكثير من العقبات، من البقاء. وتميز ديان لا يرجع فقط إلى أعماله، وإنما إلى قدراته الكامنة على تدريب الرجال وقيادتهم، إذ لم يأت تعليمه العسكري من الأكاديميات، بل جاء من «الكيبوتز» (نظام المزارع الجماعية الإسرائيلية) وأرض المعركة. وقد جعل ديان، بمهاراته الاحترافية في تدريب جيشه ـ علاوة على جرأته ومرونته في ميدان القتال ـ من القوات العسكرية الإسرائيلية واحدة من أكفأ وأكثر القوات المقاتلة فاعلية.



جورجي قونسطنطينوفيتش جيكوف

Georgi Konstantinovich Zhukov

قائد سوفييتي

(1974 - 1896)

ولد جيكوف في 2 كانون الأول/ ديسمبر 1896 في قرية ستريلكوفكا (Strelkovka)، على بعد نحو ستين ميلاً شرقي موسكو، لأبوين مزارعين. عمل صبياً في حرفة الفراء وعمره خمسة عشر عاماً. وفي عام 1915 كان من بين من وقعت عليهم القرعة للخدمة العسكرية في سلاح الفرسان الإمبراطوري، ورقي إلى رتبة رقيب، وحصل على عدة أوسمة لبسالته في محاربة الألمان في المراحل الأولى من الحرب العالمية الأولى. ثم خدم جيكوف إبان الثورة البلشفية عام 1917 في الجيش الأحمر كضابط في سلاح الفرسان، وفي آذار/ مارس 1919 انضم إلى الحزب الشيوعي.

كان جيكوف يتقدم جيشاً في جيش الاتحاد السوفييتي الجديد في

العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين. وقد قاد بنجاح عام 1939 ـ بوصفه قائد فيلق ـ القوات السوفييتية والمنغولية التي كانت تدافع ضد القوات اليابانية الغازية في خالكين جول (Khalkin Gol). وقد أوقع جيكوف في معارك على الحدود بين منغوليا ومنشوريا، ما يربو على ستين ألف قتيل في صفوف اليابانيين. فكان أن كوفيء بترقيته إلى منصب قائد الجيش وقائد منطقة كييف العسكرية.

التقى جيكوف للمرة الأولى ورئيس وزراء الاتحاد السوفييتي جوزيف ستالين في كانون الثاني/ يناير 1941، بعد إحرازه نصراً عسكرياً لافتاً في مناورة تدريب عسكرية لم يكن من المنتظر أن يكسبها. وقد ظلت العلاقة علاقة توتر؛ إذ كان ستالين غيوراً من نجاحات جيكوف العسكرية وخشي من شعبيته بين الجماهير والعسكر.. ومع ذلك فإن ستالين ـ الذي لم يكن يتردد في الإجهاز على مناوئيه السياسيين المحتملين أو من كان يبغضهم ـ أبقى عليه في القيادة.

وقد أصبح جيكوف أخيراً واحداً من القلة التي كانت ترفع صوتها في وجه ستالين، وعاش ليُكتب له عمر جديد؛ فعندما صاح ستالين بأن خطة وضعها جيكوف ما هي إلا «هراء»، رد غاضباً: «إن كنت تعتقد أن رئيس أركانك لا يمكنه الحديث إلا هراءً، إذن فجردني إلى رتبة جندي ودعني أدافع عن بلدي ببندقية وحربة في يدي».

لم يجرد ستالين رئيس أركانه من رتبته، مدركاً الحاجة إليه لهزيمة الألمان الذين هاجموا الاتحاد السوفييتي في 22 حزيران/ يونيو 1941. في البداية تولى جيكوف الدفاع عن كييف، ولكن عندما هدد الألمان موسكو، انتقل إلى الدفاع عنها، فأوقع وهو خارج المدينة، وبفضل برد الشتاء الروسي المهلك، أول هزيمة لرايخ هتلر ذي الألف عام، وجذب إليه انتباه العالم.

وفي موسكو ظهرت سمات جيكوف التي كان لها دورها في كسبه المعارك اللاحقة. فقد أثبت أستاذية في الإفادة من طبيعة التضاريس ومن الاستخبارات في توقع أي تحركات للعدو، وطالب قادته المرؤوسين بالطاعة

الفورية ولم يتردد في نقل أو إعدام من يتنكر لذلك. وكان يشرف عن قرب على الخطط ووضع أدق التفاصيل لها، فما أن كانت المعركة تبدأ، حتى كان يسمح لقادة الجبهة الأمامية بمرونة التصرف باستقلالية في حدود القطاعات الموكولة إليهم. وقد تقبل جيكوف الصريح القاسي المحب للانتقام الخسائر الجمة في صفوف قواته ومواليه، إذا اقتضت الضرورة ذلك لتحقيق أهدافه العسكرية.

أراد جيكوف المضي قدماً في الهجوم بعد دفاعه الناجح عن موسكو، إلا أن ستالين حال بينه وبين ذلك مطالباً بدلاً من ذلك بتقوية الدفاعات الموجودة. ونتيجة لهذا، أعاد الألمان تجميع أنفسهم وهددوا ستالينجراد. وقد واجه مزيداً من الهجمات الألمانية. وفي صيف عام 1943، هزم الألمان في معركة دبابات كبيرة في كيرسوك، وأتبع ما حقق من نصر بمطاردة حثيثة لفلول الجيش المنسحب. فلم يخطر للنازيين من حينها أن يشنوا هجوماً على الاتحاد السوفييتي.

وفي أعقاب معركة كيرسوك، تولى جيكوف الجبهة البيلوروسية (روسيا البيضاء) الأولى، وبدأ العمليات ضد الأراضي الألمانية. ولتحقيقه النصر تلو النصر، فقد دفع بجيشه صوب برلين، منافساً الحلفاء الآخرين في الوصول إلى العاصمة الألمانية. وقد قبل جيكوف مع زميله السوفييتي المشير إيفان ستيانوفيتش كونياف، استسلام الألمان في 9 أيام/ مايو 1945.

ظلّ جيكوف في برلين بعدما حقق انتصارات بوصفه القائد السوفييتي في ألمانيا المحتلة قبل العودة إلى وطنه ليستمتع بالشهرة التي تحققت له داخل بلاده وفي الدول الغربية. ومع ذلك تصاعدت شهرة جيكوف، فاستدعاه ستالين الذي بات في وقت السلم غير محتاج إلى من اعتبرهم جنرالات متغطرسين، وأقصاه إلى قطاع عسكري غير ذي أهمية.

وعندما مات ستالين عام 1953، استعاد جيكوف سلطته وأسهم في صعود نيكيتا خروشوف لتولي القيادة عام 1957. ومكافأة له على ذلك، أصبح جيكوف

أول عسكري محترف يعين عضواً في مجلس الرئاسة في الحزب الشيوعي، إلا أن خروشوف، مثله مثل سلفه، سرعان ما خشي من شهرة جيكوف واحتمال قيامه بانقلاب عسكري، فاتهمه بعدم الولاء وجرده من سلطاته المدنية والعسكرية، وحدد إقامته في شقة في موسكو.

ومع خروج خروشوف من السلطة عام 1964، خفف عن جيكوف بعض القيود، ولكنه لم يسمح له مرة أخرى بالمشاركة الحزبية أو العسكرية. فأمضى سنواته الأخيرة يكتب مذكراته عن الحرب العالمية الثانية ومرحلة ما بعد الحرب لدور النشر في الاتحاد السوفييتي. وقد توفي في 18 حزيران/ يونيو 1974.

وعلى الرغم من أنه كان متغطرساً وقاسياً وأحياناً جلفاً، فقد حاز جيكوف لقب أعظم قادة الاتحاد السوفييتي. وكوّنه على هذه الدرجة، فقد بلغ في المرتبة ما يناهز القمة التي بلغها كل قادة الحرب العالمية الثانية، وذلك بفضل هجومه العنيد، الجيد التنسيق الذي دحر الألمان من داخل روسيا إلى برلين. ويكفيه دليلاً وحيداً على قدراته أنه تفادى الكثير من حملات التطهير التي قام بها ستالين ومن خلفه، وأنه مات ميتة هادئة في الثامنة والسبعين. وفي الوقت الذي تجاوزت فيه إنجازاته في الحرب العالمية الثانية إنجازات منافسه كونياف، فإن كونياف قد احتفظ بمنصبه ونفوذه مدة أطول في حقبة ما بعد الحرب، ما أدى إلى أن يحتل جيكوف مكانة متأخرة بعض الشيء في هذه القائمة.



فرديناں فوش

FERDINAND FOCH

قائد فرنسي

(1851 ـ 1929).

لم يتمرس فوش بالقتال عملياً إلا في مرحلة متقدمة من حياته العملية وبعد أن وصل إلى رتبة الضابط العام. ولد في 2 تشرين الأول/ أكتوبر 1851 في تارب (Tarbes) وكان والده موظفاً. التحق بسلاح المشاة الفرنسي عام 1870 غير أنه لم يشهد القتال في الحرب الفرنسية ـ البروسية، وفي العام التالي التحق بالأكاديمية العسكرية في نانسي (Nancy) وكلف بالعمل ضابطاً في سلاح المدفعية عام 1873.

وفي الوقت الذي كان رفاق عصره يقيمون شهرتهم ومكانتهم من خلال النزاعات المتعددة عبر أنحاء المستعمرات الفرنسية، ظلّ فوش في فرنسا طالباً ومعلماً للنظرية العسكرية والتكتيكات. وفي عام 1885 انضم إلى هيأة تدريس

في الأكاديمية العسكرية الفرنسية «إيكول دي جير» (Ecole de Guerre) محاضراً في التاريخ العسكري، وفي عام 1908 أصبح مديراً للأكاديمية. وكان فوش الذي أبدى إعجاباً وتأييداً كبيرين بكارل فون كلاوسفيتس، قد ثبت أقدامه أكثر كطالب لفنون الحرب بإصداره عام 1903 كتابه «**مبادىء الحرب**» (Principes de la Guerre).

ركز كتاب فوش على التكتيكات والاستراتيجية التي ستكون سائدة لاحقاً فيما سوف يتولاه من قيادات ميدانية. وكان يقول بأن مفتاح النصر يكمن في «إرادة انتزاع الغلبة» من جانب الجنود وقادتهم، وعلاوة على حماسة الجنود المقاتلين، ركز فوش على التخطيط المفصل والاستغلال الأقصى لقوة النيران وطبيعة التضاريس. ولم يمثل الدفاع في منظوره سوى خطوة استعداد للهجوم، وكان مبدؤه القائم على «الهجوم حتى آخر نفس» يشدد على ضرورة الهجوم مهما كانت التضحيات من دون اعتبار للبدائل أو الخسائر في الأرواح، فوفق ما يرى فإن «الهجوم هو قانون الحروب»، والقائد العظيم هو الذي يمكنه إيصال هذه الفكرة إلى رجاله.

وباندلاع الحرب العالمية الأولى، شهد فوش أول قتال فعلي وهو في الحادية والستين من عمره، وذلك عندما قاد الفيلق العشرين الفرنسي. وفي 8 آب/ أغسطس 1914، هاجم الألمان الفيلق في محاولة للاستيلاء على نانسي، فاضطر فوش في البداية إلى التقهقر، ثم حشد رجاله وشن هجوماً مضاداً. ومارس فلسفته في شن الحرب بقوله: «ميسرتي تذعن، ميمنتي تخترق، قلبي يتفكك، وضع ممتاز؛ إني أهاجم».

وقد حقق الهجوم المضاد لفوش الانتصار وحماية نانسي على الرغم من تكبده خسائر فادحة في الأرواح. وبعد شهرين رقي ليتولى قيادة الجيش التاسع، فأوقف تقدم الألمان ضد باريس عند نهر مارن. وقد أثمر نجاحه في تعيينه منسقاً لقوات الحلفاء في الشمال المؤلفة من فرق فرنسية وبريطانية وبلجيكية. ولم يكن مخولاً لأي سلطة مباشرة على القوات غير الفرنسية، ولكنه

كان يهيمن على كل قوات الاحتياط المكونة من الوحدات الفرنسية، وقد هيأت له قيادته المحدودة تلك القوات الاحتياطية نوعاً من السيطرة الشاملة.

وعلى الرغم من أن قيادة فوش لجيش الحلفاء أثبتت نجاحها، فإن مواصلته تطبيق استراتيجيته، نجم عنها خسائر جمة ما أغضب قادة الحلفاء والقادة الفرنسيين. وإثر الخسائر الضخمة إبان معركة سوم عام 1916 والتي مني فيها الحلفاء بخسائر بلغت ما يزيد على 600 ألف رجل، نقل فوش إلى منصب أقل نفوذاً، وشغل على مدى العامين التاليين منصباً استشارياً ثانوياً.

وفي آذار/ مارس 1918 بدأ الألمان هجوماً آخر دحر قوات الحلفاء من مواقعهم في الخنادق وهدد باريس. وفي 3 نيسان/ إبريل تولى فوش قيادة الحلفاء، بدعم من البريطانيين والأمريكيين الذين وصلوا آنذاك. فقام على الفور بإعادة تنظيم الوحدات في الجبهة، وأعد الخطط لإعادة شن الهجوم.

وقد أفاد فوش في الحرب من المعارك المريرة والخسائر الفادحة التي مني بها مسبقاً، فأعد خططه للهجوم على نحو ملائم، وبدلاً من مهاجمة القوة الألمانية، وجه فوش ـ الذي كان قد رقي إلى رتبة مشير في آب/ أغسطس ـ ضرباته إلى خطوط السكك الحديدية التي كانت تُنقل عبرها إمدادات القوات الألمانية في الجبهة. وبعد أن قطع تلك الخطوط التموينية وأجبر الألمان على التقهقر، أمر بشن هجوم مطاردة، وبحلول تشرين الثاني/ نوفمبر، كانت قوات الحلفاء قد أجبرت الألمان على طلب الهدنة.

وفي أعقاب الحرب كرم كل من البولنديين والبريطانيين فوش بمنحه رتبة مشير داخل قواتهم المسلحة. وقد مات في باريس وعمره ثمانية وسبعون عاماً في 20 آذار/ مارس 1929، ودفن مع نابليون الأول، وهنري دو لاتور دو آفرون دو تورين.

وعلى الرغم من الخسائر التي وقعت في صفوف وحدات فوش، فليس بوسع أحد أن ينكر تأثيره في محصلة الحرب العالمية الأولى؛ فقد حقق النصر بأسلوب حرب بالغ التكلفة. وقد وعى قادة المستقبل دروس الحرب العالمية

الأولى، ولم يلقوا بقواتهم في خضم حمامات الدم، كما عرفتها حروب الخنادق الثابتة. ولكن فوش كان رجلاً وقائداً يمثل عصره، وحتى مناوئو تكتيكاته أدركوا قدراته في إحباط هجوم الألمان، وفي هزيمتهم الكاملة في النهاية.

لقد أقام البريطانيون لاحقاً تمثالاً لفوش خارج فكتوريا في لندن التي انطلق منها كثير من جنودهم إلى الجبهة، وعند قاعدة التمثال كتبت فقرة مقتبسة عن فوش تقول: «إنني مدرك أنني أخدم بريطانيا قدر خدمتي لبلدي فرنسا».



إدوار الأول
Edward I
ملك انجليزي
(1307 - 1239)

إن إدوارد منذ مولده في ويستمنستر في 17 حزيران/ يونيو 1239 وريث العرش باعتباره الابن الأكبر للملك هنري الثالث. منح إدوارد العديد من الأراضي والألقاب، التي كان لها إسهامها في أول تجربة قتال له عام 1255 حين ثار ملاك الأراضي الزراعية متمردين على طول الحدود مع ويلز المستقلة. حيث أخفقت جهود إدوارد في قمع التمرد من دون عون من هنري أو النبلاء.

وحين خاب أمل إدوارد لأنه لم يلق عوناً، انضم لمدة قصيرة من الوقت إلى التمرد الذي كان يتزعمه عمه سايمون دي مونتفورت (Simon de Montfort) ضد العرش، ولكنه ما لبث أن عدل عن رأيه عام 1259 وسعى إلى عفو من أبيه، فناله. وقد ظل إدوارد في فرنسا أشبه بالمنفى لسنوات طوال قبل

أن يعود إلى إنجلترا عام 1263 ليعضد أباه في حرب أهلية أخرى ضد عمه مونتفورت ومؤيديه من البارونات. وفي معركة لويس (Lewes) في 14 أيار/ مايو 1264 قاد إدوارد حملة أنزلت هزيمة ماحقة ببعض من قوات التمرد، وعندما طارد بحمق فلول الناجين، هاجمته قوات العدو الرئيسية فأوقعته والملك هنري في الأسر.

وبعد مضي عام من الأسر، فر إدوارد، وبدأ حملة عسكرية وصفها الكثيرون لاحقاً بأنها أبرع من شهدته الأراضي الإنجليزية من قتال، بل ذهب بعضهم إلى حد القول بأنها أبرع قتال تنظيماً في التاريخ. ذلك أن إدوارد قام بجمع القوات الملكية المبعثرة، وأقام تسلسلاً قيادياً واضحاً، وجمع بين خفة الحركة ومباغتة الهجمة فهزم مونتفورت في سلسلة من المعارك في تموز/ يوليو ـ آب/ أغسطس 1265. وفي أعقاب المعركة الأخيرة في إيفيشم (Evesham) في 4 آب/ أغسطس، أنقذ إدوارد أباه وأعاده إلى الحكم.

ومع أن إدوارد أفلح في إنجاز أهدافه العسكرية، فقد كان قليل الجهد في تودده إلى جنده، وبث الرعب في نفوس أعدائه. فإبان الحملة سيّر عساكره من دون هوادة لتحقيق ما كان يصبو إليه، وفي أعقاب نصره أعدم قادة المعارضة وعامل الأسرى معاملة فظة، إلى درجة أنه أطال أمد الحرب إلى ما يقرب من العام لأن جيوباً صغيرة استمرت تقاوم ولم تخضع.

ولتعطش إدوارد مزيد من القتال، انضم إلى لويس التاسع ملك فرنسا، في حملة لاستعادة الأراضي المقدسة من المسلمين. مات لويس في الطريق ولم تصل الحملة إلى مقصدها، إلا أن إدوارد نزل في عكا وقاد عدة عمليات بين أيار/ مايو 1271 وأيلول/ سبتمبر 1272. وإن لم يكن قد زاد على سجله أي انتصارات كبيرة تذكر، فقد أضاف ذلك إلى شهرته كبطل جنسا، في حملة لاستعادة الأراضي المقدسة من المسلمين. مات لويس في الطريق ولم تصل الحملة إلى مقصدها، إلا أن إدوارد نزل في عكا وقاد عدة عمليات بين أيار/ مايو 1271 وأيلول/ سبتمبر 1272. وإن لم يكن قد زاد على سجله أي انتصارات

كبيرة تذكر، فقد أضاف ذلك إلى شهرته كبطل ج عناية تفوق ما أولاه للعمليات العسكرية، متبنياً قيام حكومة مركزية قوية ذات سلطة يتقاسمها العرش وبرلمان منتخب، ومع أن البرلمان الذي أسسه إدوارد لم يكن الأول من نوعه في إنجلترا، فقد كان هو البرلمان الذي أصبح جزءاً دائماً من الحكومة، وسرعان ما لقب إدوارد بالقانوني للتشريعات الكثيرة التي أدخلها بغية وضع حد لتعارض اللوائح، ووضع معايير لقوانين الملكية، وإقامة تنظيمات شرطة مدنية، وتطوير التجارة الخارجية.

وعلى الرغم من أن شؤون الحكومة قد حظيت بمعظم وقت إدوارد، فإنه لم يغفل عن المسائل العسكرية؛ إذ قاد في ربيع عام 1277، جيشاً مؤلفاً من ستة آلاف رجل إلى ويلز لإخماد تمرد قاده الأمير الويلزي ليويلن (Llywelyn). وقد أمد إدوارد قواته بتموين إضافي، عوناً لهم، مؤلف من أسطول بحري ووظف حطابين وبناة طرق لتجهيز ممرات تسهل سرعة الحركة.

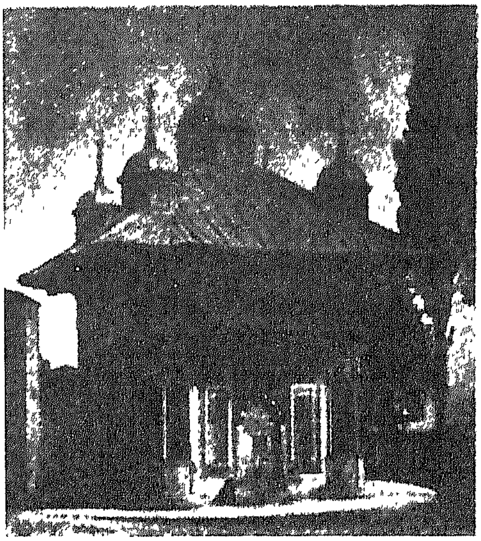
وبحلول تشرين الثاني/ نوفمبر كان قد تمكن من سحق المتمردين، مرغماً إياهم على طلب السلم، غير أن الهدنة لم تدم أكثر من أربع سنوات، وما ليث ليويلن أن شهر السلاح ضد إنجلترا. وفي هذه المرة لم يسمح إدوارد بحل سلمي، فقضى على المتمردين الويلزيين، واستولى على آخر معاقلهم في قلعة بير (Bere) في نيسان/ إبريل 1283. وقد شيد قلاعاً في كونويه (Conway)، ورودلان (Rhuddlan)، وهارليتش (Harlech)، وبومارس (Baeumaris)، والتي أسهمت إسهاماً جلياً في الهزيمة العاجلة التي حلت بحركات التمرد الويلزية عامي 1287 و1298.

وفي عام 1290 فصل إدوارد في النزاع على العرش الخالي في إسكتلندا، بناءً على طلب الإسكتلنديين، فاختار جون دي بيليل (John de Baliol) ملكاً، وحاول أن يطوي إسكتلندا تحت لواء النفوذ التام للإنجليز، غير أن بيليل والإسكتلنديين قاوموا ذلك وشكلوا تحالفاً مع فرنسا التي دخلت عام 1295 في

حرب مع إدوارد، فلجأ إلى ما استخدمه من تكتيكات برية وبحرية في هزيمته للويلزيين، وغزا إسكتلندا في آذار/ مارس 1296 وأجبر بيليل على التنحي.

وحين وجّه إدوارد جيشه ضد فرنسا، كان وليم والاس (William Wallace) قد انتهز القيام بتمرد آخر في إسكتلندا عام 1298، فعاد إدوارد لمحاربة والاس، حتى لقب بـ«مطرقة إسكتلندا» لحربه المتمردين بضراوة، إذ أدخل القوس الطويلة في القتال ذي المدى البعيد حتى يتيح الغلبة لرماة السهام. وأسر والاس وأعدمه عام 1305، ولكنه أخفق في إخماد التمرد الإسكتلندي تماماً. وقد توفي إدوارد عن عمر يناهز الثامنة والستين في بير (Bergh) قرب كارلييل (Caelisle) في السابع من تموز/ يوليو 1307 بينما كان يعد حملة أخرى ضد الإسكتلنديين.

لقد كان إدوارد الطويل القامة الأشقر ذا شخصية مهيمنة، كما كان قائداً عملاقاً، وإن كان متهوراً في عنفه وحاد المزاج في صباه، فقد نضج وأصبح ملكاً جسوراً، ملهماً يصغي لمرؤوسيه ومستشارايه عند اتخاذ القرارات العسكرية والإدارية. وقد كان لتحسيناته التي أدخلها على العسكرية الإنجليزية ـ ولا سيما تقويته للتسلسل القيادي وإدخاله للقوس الكبيرة ـ وعمله على تكامل العمليات البرية والبحرية الأثر المتواصل في نجاح الحملات التي ميزته، وجعلت منه أكثر قادة عصره العسكريين تأثيراً، بل وواحداً من أعظم القادة في تاريخ بلده.



سليم الأول

Selim I

سلطان تركي

(حوالي 1470 ـ 1520)

هو ابن السلطان التركي بايزيد الثاني، ولد حوالي عام 1470 ميلادية. شغل في منطقة البلقان منصباً ولاه إياه كجزء من تعليمه. وعندما خص بايزيد المسن، الذي اتسم حكمه بالهدوء وقلة العداء صوب جيرانه، ابنه الثاني أحمد بحدبه وأثرته، خشي سليم أن يخلف أخوه والده. فتمرد وجمع جيشاً صغيراً ضد يايزيد كان هيناً على الوالد أن يوقع به الهزيمة، فاضطر سليم إلى الفرار إلى القرم.

وخشي بايزيد أن يتحالف مع العدوة اللدودة فارس، فراجع نفسه وتخلى عن العرش لصالح سليم عام 1512. وقد كافأ السلطان الجديد الذي سرعان ما كني بـ«الجهم»، كرم أبيه بأن أعدم جميع أقاربه على الفور ممن يمتون بأي صلة

كانت للسلطنة. ثم انقلب سليم «السني» على سكان إمبراطوريته من الشيعة، وذبح منهم أربعين ألفاً.

وبعد أن أمن على نفوذه داخل حدود بلده، بدأ خططاً لتوسيع مملكته، في البداية عقد معاهدات سلام مع جيرانه على الجبهة الغربية، ومن ثم وجه قواته صوب الشرق. كان هدفه الأول الفرس أنفسهم الذين خشي والده انضمام ابنه إليهم. وقد اعتبرهم سليم أعداءً لوقوفهم إلى جانب أخيه ولقوة نفوذ الشيعة داخل حدودهم.

وفي حزيران/ يونيو 1515، تحرك سليم صوب فارس على رأس جيش قوامه ستون ألف رجل. وكان عماد جيشه من الإنكشارية؛ أي الأسرى المسيحيين الذي كانوا في مرتبة وسطى بين المرتزقة والجنود الأرقاء. قسّم سليم جيشه إلى سلاح فرسان خفيف وآخر ثقيل العتاد تدعمهما مدفعية متحرّكة وجنود مشاة بحوزتهم أسلحة نارية بدائية. كان النظام في جيش سليم صارماً، أساسه إعدام كل من يشكو أو يحتج.

وفي 23 آب/ أغسطس 1515، هاجم سليم الجيش الفارسي الرئيسي وقوامه خمسون ألف رجل، بقيادة الشاه إسماعيل على الجانب الشرقي من نهر الفرات. كسب سليم معركة شالدران (Chaldiran) واحتل العاصمة الفارسية تجيش سليم صارماً، أساسه إعدام كل من يشكو أو يحتج.

وفي 23 آب/ أغسطس 1515، هاجم سليم الجيش الفارسي الرئيسي وقوامه خمسون ألف رجل، بقيادة الشاه إسماعيل على الجانب الشرقي من نهر الفرات. كسب سليم معركة شالدران (Chaldiran) واحتل العاصمة الفارسية ته على غزو إمبراطوريته. لم ينتظر سليم حتى يهاجَم، بل تقدم صوب سوريا وأنزل بالجيش المتحالف هزيمة قاصمة في معركة مرج دابق في 24 آب/ أغسطس 1516. وبعد احتلال قصير لسوريا توجه مرة أخرى شرقاً للاستيلاء على غزة في تشرين الأول/ أكتوبر، ووصل إلى أطراف القاهرة في كانون الثاني/ يناير 1517.

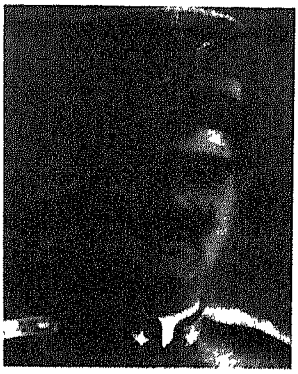
وعند منطقة الخانكة كان المصريون ومن نجا من السوريين بعد مرج دابق يجهزون دفاعاتهم بتجريدهم الحصون الساحلية والسفن الراسية في المرفأ من المدافع بغية تعزيز قوة نيرانهم. تقدم سليم ليلاً موجهاً معظم قواته الهجومية من الزاوية اليمنى على طول الدفاعات لا من المقدمة. ووضع مدفعيته في موضع مرتفع ليتيسر له إطلاق النار على سلاح فرسان الخصم. وبانتهاء المعركة كان ما يزيد على سبعة آلاف من أعدائه ممددين صرعى في أرض المعركة. ولم تعد هناك مقاومة تذكر في الطريق بينه وبين القاهرة حيث أعدم من تبقى من المقاومين.

وحين حلت الهزيمة بكل حلفاء فارس، لم يكن بوسعهم سوى الاستسلام للسيطرة العثمانية. وقد فرض سليم نفوذه على أسيا الصغرى كلها، فقد أعلن نفسه سلطاناً على مصر وخليفة للمسلمين، وحج البيت الحرام في مكة وزار المدينة، ولقد لقي هناك الحفاوة والتكريم وكذا في أرجاء العالم العربي بوصفه قائد العالم الإسلامي وحاميه.

وفي مرحلة لا تزيد على ثماني سنوات، أحل سليم الأول إمبراطوريته العثمانية محل الفارسية بوصفها القوة الإقليمية المهيمنة، وباستثناء حركتي التمرد الدينيتين القصيرتين في سوريا والأناضول عامي 1518 و1519، اللتين سرعان ما سحقهما سليم، ظلت الإمبراطورية العثمانية من دون منازع في أسيا الصغرى. فتطلع سليم إلى التوسع في منطقة البحر الأبيض المتوسط. في عام 1520 تحالف مع القرصان الجزائري الكبير بابروسا لجمع أسطول استعداداً لغزو إسبانيا. إلا أن المنية وافت سليماً قبل أن ينفذ خططه وهو في الخمسين من عمره في أيلول/ سبتمبر 1520 بالقرب من كورلو (Corlu).

لم يوقف موت سليم الأول توسع الإمبراطورية العثمانية؛ إذ كان قد درب ابنه سليمان الأول تدريباً جيداً، وهو الذي بتحالفه مع بابروسا سيقوم لاحقاً بتوسيع الإمبراطورية. كان المسرح قد أعد لغزوات ابن سليم، وهي التي أضفت عليه لقب «المهيب».

لقد قلب سليم موازين القوى في آسيا الصغرى، فحلّت الإمبراطورية العثمانية محل الفارسية لتكون هي القوة المهيمنة. وعلاوة على ما أضافه إلى الإمبراطورية بما يزيد على ضعف حجمها، أسس تنظيماً عسكرياً دائماً ليحقق الانتصارات على يدي ابنه. على الرغم من أنه مستحق لما يطلق عليه من أوصاف الطاغية والمتعصب دينياً، كان سليم الأول أيضاً قائداً عسكرياً في غاية التأثير؛ إذ أدخل استخدام المدفعية لدعم عمليات المشاة والفرسان، وأحكم سيطرته على جيش كبير مختلط من المرتزقة والعبيد والقوات النظامية والميليشيات ليهزم الفرس وحلفاءهم، ولم يتجاوز أحد إنجازاته وتأثيره في عصره سوى ابنه.



جوليو دوهي
Giulio Douhet
قائد ايطالي
(1869 ـ 1930)

ولد دوهي في كاسارتا (Caserta) في 30 أيار/ مايو 1869، وسار على نهج عائلته، فالتحق بالأكاديمية العسكرية الإيطالية التي تخرج فيها على رأس أقران، وكلف بالخدمة في سلاح المدفعية عام 1892. وفي مطلع حياته ركز دوهي على إدخال العناصر الميكانيكية في الجيش الإيطالي، فتولى قيادة كتيبة دراجات نارية تحت التجريب. وفي عام 1909 التقى رائد الطيران االأمريكي ولبر رايت (Wilbur Wright) في أثناء زيارته لإيطاليا، وانبرى من فوره يتحمس لقوة الجو العسكرية.

قاد دوهي، إبان الحرب الإيطالية ـ التركية عام 1911 ـ 1912، أول كتيبة طيران إيطالية وأوّل وحدة قاذفات جوية في العالم. وقد نشر ما استقاه من خبرة

في أول كتيب لمبادىء القتال الجوي بعنوان **«قواعد استخدام الطائرات في الحروب»** (Rules of the Use Airplanes in War) عام 1913.

عند اندلاع الحرب العالمية الأولى، كان دوهي رئيس أركان إحدى فرق المشاة، إلا أنه سرعان ما عين رئيساً لفرقة طيران الجيش، وقد حث على تكثيف القصف الجوي، إلا أنه لم يحرز تقدماً كبيراً قبل إحالته إلى المحكمة العسكرية وسجنه بتهمة انتقاد أسلوب رؤسائه في أسلوب إدارة الحرب.

استغل دوهي وقته في السجن لتنقيح نظرياته حول قوة الطيران، واستمر في الكتابة. ولم تمض إلا بضعة أشهر على الهزيمة التي مثلث كارثة للقوات الإيطالية في كابوريتو (Caporetto) في تشرين الثاني/ نوفمبر 1917، والتي أثبتت صحة انتقاداته للقيادة العسكرية، حتى وجد نفسه مطلق السراح عائداً إلى عمله، بل ورئيساً لمكتب الطيران المركزي الذي كان قد أنشيء لتوه.

وفي عام 1921 نشر دوهي كتابه **«سيادة الجو»** ثم خدم مدة قصيرة في حكومة موسوليني الفاشية قبل أن يتقاعد وهو برتبة لواء عام 1922. وتوفي في روما في 15 شباط/ فبراير 1930 وعمره واحد وستون عاماً.

وقد كان دوهي على مدار حياته العملية غزير الإنتاج في كتابة المقالات والكتب حول قدرات القوة الجوية العسكرية، ولكن معظم شهرته وتأثيره مستمد من كتابه **«سيادة الجو»** الذي يدافع فيه عن الطائرة باعتبارها السلاح الميداني الوحيد المطلق. كما طالب بإنشاء سلاح جو قائم منفصل كلية عن الجيش والبحرية، وصنع «طائرة قتال» تجمع بين قدرات الطائرة المقاتلة وتلك القاذفة.

كانت ثقته بالقوة الجوية كبيرة إلى حد ذهابه إلى أن يقتصر دور القوات البرية والبحرية على النواحي الدفاعية فقط، ويترك للقوات الجوية التعامل مع جميع العمليات الهجومية. كان اعتقاده أن الطائرات وحدها باستطاعتها تدمير وحدات العدو البرية ومعداته، ودعمه الصناعي، والإرادة المدنية للقتال. فوفقاً لما كان يراه، فإن الهجمات الجوية الكثيفة كانت كافية في حد ذاتها لتحقيق

النصر، وكان يقول بأن القوة الجوية بوسعها أن توقع أفدح الأضرار في أقصر وقت ممكن».

وقد تطرق دوهي في كتاباته إلى كفاية تكلفه التصميمات العسكرية المعتمدة على الطائرات المدنية وطائرات الشحن التي تمكن إعادتها لاستخدامات ما قبل الحرب بعد تحقيق النصر. ويمكن جلب الطيارين من شركات الطيران التجارية وإخضاعهم لفترات تدريب إضافية وجيزة.

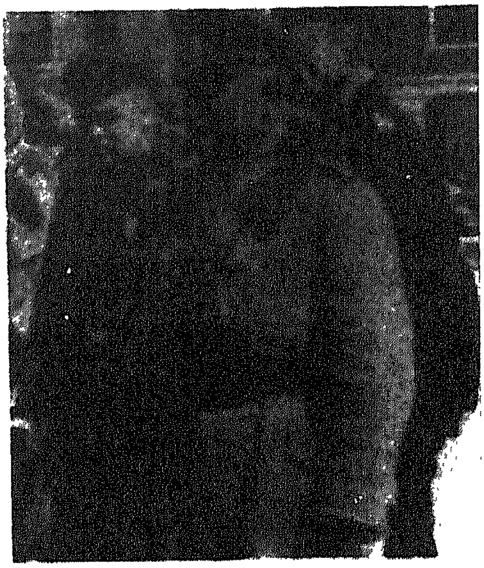
وعلى الرغم من ظهور أفكار دوهي التي تتطلع إلى قوة الطيران في المستقبل، فلم يكن له تأثير كبير مباشر في الجيش الإيطالي، ولم تحاول إيطاليا إنشاء سلاح جو مهيمن؛ إذ لم يكن الاقتصاد الإيطالي قادراً على تحمل بناء وتجهيز أسطول جوي بالحجم الذي اقتراحه دوهي، وكان موسوليني يفضل شخصياً قوة برية بحرية.

لقد درس كل من الفرنسيين والألمان نظريات دوهي وتجادلوا حولها جدالاً حامياً فيما سبق الحرب العالمية الثانية، إلا أن أياً منهما لم يكن يتبناها. ومع أن ترجمة إنجليزية لكتابه **«سيادة الجو»** لم تظهر قبل عام 1942، فإن هيو ترنشارد (Hugh Trenchard) قائد الطيران البريطاني، ويبلي ميتشل (Billy Mitchell) المناصر لفكرة سلاح الجو الأمريكي، كانا على معرفة بكتبه.

لقد كانت الحرب العالمية الثانية بمنزلة المختبر لوضع نظريات دوهي موضع الاختبار؛ فقد لجأت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا إلى القصف الاستراتيجي المكثف؛ فأثبتتا أهمية القوة الجوية لكنهما رفضتا كثيراً من أفكاره الأساس. فلم يستطع أحد أن يبتكر بنجاح طائرة قادرة على أن تكون قاذفة ومقاتلة في الوقت نفسه، ولم تتمكن الضربات الجوية القوية من كسر إرادة الأعداء أو أن تقلل من قدراتهم على شن الحرب؛ إذ استمرت الصراعات منذ الحرب العالمية الثانية تبرهن على نقاط الضعف في أفكار دوهي من حيث إن القوة الجوية وحدها كفيلة بقهر العدو؛ فما من دولة تمكنت حتى اليوم من كسب حرب من دون احتلال مشاتها لأراضي العدو.

إن كتابات دوهي لم يكن لها التأثير أو العمر اللذان كانا لأعمال أساتذة فن الحرب الآخرين، أمثال سون تسور، وكارل فون كلاوسفيتس وأنطوان هنري جوميني وجون فريدريك تشارلز فولر. . على الرغم من أن ما دافع عنه دوهي ثبت أنه غير عملي، فإنه مع ذلك، كان أول من تصور وكتب حول إمكانات القوة العسكرية الجوية، فقد كتب أن «التجهيز للحرب يتطلب إذن إعمال الخيال».

إن تأثير دوهي الأعظم ليس نتاج محتوى نظرياته في المقام الأول، بل هو وليد تبصره من أجيال مضت في أن القادة العسكريين ينبغي لهم أن يُدخلوا القوات الجوية ـ مثلها مثل القوات البرية والبحرية ـ في خطط الحرب، خصوصاً كتابه «سيادة الجو» عام 1921 (Il dominio d'ell Aria) والذي تضمّن أول نظرة مترابطة الأفكار حول الحرب الجوية.



هاينز جودريان

Heinz Guderian

قائد ألماني

(1954 - 1888)

هاينز جودريان هو القائد الألماني لعمليات الدبابات، ومنفذ أسلوب «الحرب الخاطفة» التي ترتب عليها تحقيق انتصارات لأدولف هتلر في فرنسا وروسيا. ومن خلال تطبيق النظريات حول القدرات المدرعة، حوّل جودريان أسلوب الحرب من عمليات الخنادق الثابتة في الحرب العالمية الأولى إلى الحرب المتحركة وقتال المناورات في الحرب العالمية الثانية. وقد ظل جودريان، الأرستقراطي والصريح والسليط الفج، على ولائه لهتلر. كما كان أيضاً واحداً من الضباط القلائل الذين كانت لديهم الرغبة في الوقوف إلى جانبه وتحمل النتائج..

ومنذ مولد جودريان في كولم (Kulm) في 17 حزيران/ يونيو 1888 لأب

كان ضابطاً في الجيش الروسي، وهو ميسر لاحتراف حياة الجندية. فدخل المدرسة الحربية وعمره 12 عاماً، وبعد 8 سنوات انضم إلى كتيبة هانوفر ييجر (Hannover Jaeger) والتي كان والده يتولى قيادتها. حصل على رتبة ملازم في 27 كانون الثاني/ يناير 1908. وقد كلف في بادىء الأمر بالخدمة في سلاح المشاة، والتحق بشركة راديو لاسلكية عام 1912، حيث أعجبته إمكانات الاتصالات الإلكترونية.

وقد اشترك جورديان في الحرب العالمية الأولى قائداً لمحطة لاسلكية مخصصة للفرقة الخامسة بسلاح الفرسان، ثم تدرج في هيآت الأركان حتى وصل إلى هيأة الأركان العامة في عام 1918، وفي خلال تلك المرحلة كان شديد الإعجاب بقدرات المدرعات. وفي أواخر العشرينيات بدأ يدرس كتابات الإنجليزي جون فريدريك تشارلز فولر حول مفهوم حرب الاختراق.

وبعد الهدنة ظل جودريان في الخدمة كواحد من أربعة آلاف من الضباط الألمان الناجين، الذين اختيروا لبناء الجيش وقت السلم. ومع اهتمامه المتزايد بالدبابات، أنجز العديد من مهام الأركان والمهام الميدانية في وحدات النقل الميكانيكي، حيث طور نظرياته في الحرب المدرعة.

غير أن جودريان واجه معارضة شديدة في داخل الجيش الألماني والهيكل السياسي لإنشاء وحدة دبابات، بسبب ارتفاع التكلفة وعدم استيعاب قدراتها. ولم يُسمح لجودريان بإنشاء أول كتيبة دبابات إلا في عام 1934 بعد تولي هتلر السلطة ورؤيته سلسلة من الاستعراضات المصغرة للعمليات المدرعة وإعجابه بها. لم يكن لدى ألمانيا سوى قاعدة صناعية محدودة يمكن من خلالها بناء أعداد كبيرة من الدبابات، فقد أدرك هتلر أنه لكي يحقق أهدافه العسكرية، فهو في حاجة إلى سلاح ماضٍ. وقد أقنع جودريان هتلر بأن خفة الحركة وعنصر الصدمة الكامنين في حرب المدرعات يحويان هذه المزية.

وبدعم من هتلر، قام جودريان بتوسيع عاجل لقوة سلاح الدبابات الألماني المعروف باسم «بانتسر» (Panzer)، في أواخر الثلاثينيات، واستمر في

تنقيح أفكار فولر وليدل هارت حتى يتمكن من تطوير استراتيجته هو حول الحرب الخاطفة. وفي عام 1936 تضمن كتابه «**انتباه! مدرعات**» Axhtung! Panzer الخطوط العريضة لنظريته القائلة بأن حشد الوحدات المدرعة مع المدفعية والدعم الجوي، يوفر القدرة لاختراق خطوط العدو الأمامية ثم الانتشار للانقضاض على المؤخرة لتدمير وحدات القيادة والتحكم والإمداد والاحتياط. وكان جودريان يرى أن مفتاح الضربة الخاطفة الناجحة يكمن في الحركة السريعة المعززة التي يمكنها التغلب على طبيعة التضاريس الصعبة لتحقيق التقدم. وكان يقول بأن القادة المدعومين باتصالات ممتازة تسمح لهم بإحكام السيطرة على الحركة والاتجاه يجب أن يتولوا القيادة مع الأمام.

بحلول عام 1939 كان لدى جودريان خمس فرق مدرعة للعمليات وأخرى كثيرة في مراحل عديدة من التجهيز. وفي 22 آب/ أغسطس وجهت الأوامر إلى جودريان بوصفه القائد العام لقوات المدرعات بقيادة غزو بولندا. فعبر جودريان ـ الذي كان يوجه الأوامر لفيلقه المدرع من دبابته في المقدمة ـ الحدود في 1 أيلول/ سبتمبر، وفي غضون أربعة أيام كان قد اخترق دفاعات البولنديين الرئيسية، وبحلول 16 أيلول/ سبتمبر كان قد تمكن من هزيمة كل ما تبقى من مقاومة.

وقد بهر هتلر بسلاح المدرعات فمنح جودريان وسام صليب الفارس، وزاد مخصصات صنع الدبابات. وقد أفاد جودريان من دروس الحرب في بولندا حول التضاريس الصعبة والحفاظ على التنسيق القريب مع الدعم الجوي، فقاد في 10 أيار/ مايو 1940 هجوماً مباغتاً عبر غابة الآردن في بلجيكا ودمر الخطوط الفرنسية، وبعد ذلك بثلاثة أيام استولى على سيدان. وبحلول 23 آيار/ مايو كان قد استولى على كاليه (Calais) وبولون (Boulogne)، رغم مواجهته المستمرة لقوات تفوقه عدداً. وعقد العزم على تدمير ما تبقى من القوات الفرنسية والإنجليزية في دنكيرك حين أمره هتلر بتغيير مسار هجومه صوب الجنوب. وبحلول 22 حزيران/ يونيو كانت فرنسا قد استسلمت وتقدم جودريان مكتسحاً تجاه حدود سويسرا.

وبعد أن أثبتت هجمات الحرب الخاطفة نجاحاً، أمر هتلر جودريان بقيادة عملية غزو الاتحاد السوفييتي، فاخترق ومعه الوحدات الألمانية الأخرى في حزيران/ يونيو 1941 الدفاعات الروسية وسار مندفعاً عبر الأراضي الروسية. وبعد مسيرة خمسة أيام ومئتي ميل، أحاط الجيش الألماني بـ 300 ألف من القوات الروسية عند مينسك مجبراً إياهم على الانسحاب. وبعد ذلك بشهر قام سلاح المدرعات بالمناورات نفسها وأجبر مئة ألف آخرين على الاستسلام في سمولنسك (Smolensk)، ثم أعاد الكرة آسراً 600 ألف قرب لوخيفستا (Lokhvista) في 15 أيلول/ سبتمبر.

وعلى الرغم من ما حققه جودريان والألمان، من نجاحات أولية، فقد وجهوا في نهاية خطوط إمداد طويلة بالشتاء الروسي القارص. فتباطأت خارج موسكو حركة الألمان الذين غلبهم الإعياء بمعداتهم المتآكلة، ثم توقفت. أمر هتلر الجيش بالثبات، إلا أن جودريان وقادة آخرين فضلوا حكمة الانسحاب على تعريض رجالهم وأسلحتهم للخطر من دون جدوى، فأعفى هتلر، الذي انتابه الغضب الشديد، جودريان وضباطاً كباراً آخرين من القيادة.

ولم يدرك هتلر أن جودريان أثمن من أن يبقى من دون الإفادة منه إلا متأخراً في شباط/ فبراير 1943، فاستدعى هتلر قائد سلاح الدبابات وعينه مفتشاً عاماً لقوات المدرعات. فعمد جودريان على الفور إلى زيادة إنتاج الدبابات، ورفع مستوى تدريب قوات المدرعات، غير أن جهوده جاءت بعد فوات الأوان، إذ لم تحل بين بلاده والهزيمة المحتومة.

ظل جودريان محترفاً مخلصاً حتى نهاية المطاف، فلم يشارك في المحاولة التي قادها العسكر لاغتيال هتلر في 20 تموز/ يوليو 1944. وفي أعقاب حملة التطهير في صفوف المتآمرين، رفعه الفوهرر إلى منصب رئيس الأركان العامة للقيادة العليا للجيش. على الرغم من هذه المكافأة فإن جودريان كعادته رفض أن يكون رجل «السمع والطاعة»، وظل واحداً من ضباط قلائل تتوافر لديهم الإرادة لمجادلة الزعيم الألماني. وعندما دعا جودريان إلى عقد سلام مع قوات

الحلفاء الزاحفة، فصل هتلر قائد الدبابات من الخدمة للمرة الثانية في 21 آذار/ مارس 1945.

عاد جودريان إلى تيرول (Tyrol) حيث وقع أسراً في أيدي الأمريكيين في 10 أيار/ مايو. وقد قُبِضَ عليه باعتباره مجرم حرب، ولم توجه إليه أي تهم رسمية، ومات في 14 أيار/ مايو وعمره ستة وستون عاماً.

لقد كان لجون فولر وغيره من المتحمسين للمدرعات أثرهم على أفكار جودريان، إلا أن قائد سلاح المدرعات الألمانية هو الذي جعل من حرب المدرعات حقيقة واقعة، وهو الذي أثبت صحة نظرياته بصعوده إلى دبابة القيادة وقيادته لفرقة في القتال. ومن المحقق أن جورج باتون، قد قرأ كتاب جودريان، كما هي الحال مع كل قائد مدرعات له قيمة منذ ذلك الحين.



لين بياو
LIN PUAO
قائد صيني
(1907 - 1971)

أسهم لين بياو إسهاماً كبيراً في صراع الشيوعيين على السلطة في الصين والذي دام مدة اثنين وعشرين عاماً، وشغل مناصب عسكرية مهمة، وكان أقر المستشارين إلى ماوتسي تونج بعد أن استولى الشيوعيون على الحكم في البلاد عام 1949. ومن مآثره الانتصارات الذي حققها على الغزاة اليابانيين في الحرب العالمية الثانية، وهزيمته الوطنيين في صراعهم على السلطة في الصين، ودعمه لكوريا الشمالية فيما حققت من انتصارات حاسمة على قوات الأمم المتحدة (معظمها قوات أمريكية)، ودعمه لفيتنام الشمالية في جهودها لإلحاق الهزيمة بفيتنام الجنوبية التي كانت مدعومة من الأمريكيين. لقد كان لقدرات لين على تنظيم وتدريب أعداد كبيرة من الرجال بموارد محدودة؛ نهجه الحذر الحازم في

القتال، نتائج برزت في استيلاء الشيوعيين عَلى السلطة في الصين وإمساكهم بزمام الأمور في البلاد أمداً طويلاً.

ولد لين في 5 كانون الأول/ ديسمبر 1907 في مقاطع هوبيه (Hubei) ابناً لصاحبي مصنع. تخرج من أكاديمية وامبو (Whampoa) العسكرية عام 1926، وصعد سلم ترقيات الضباط سريعاً في أثناء الحملة الشمالية خلال الفترة تموز/ يوليو 1926، نيسان/ إبريل 1927 فحصل على رتبة رائد في أقل من عام. وفي آب/ أغسطس 1927 فرّ من الجيش الوطني وانضم إلى الانتفاضة العسكرية الشيوعية، ومعه فوجه، مبدلاً موقع ولائه؛ إذ كان لين معجباً بالاشتراكية منذ أيام دراسته، وكان قد انضم إلى الحزب الشيوعي الصيني عام 1925.

شارك لين على مدار الأعوام القليلة التي تلت في العديد من المعارك الاستراتيجية ضد الوطنيين، وهو ما أبقى للجيش الأحمر حيويته، وبحلول الثلاثينيات رأى ماو في لين معاوناً موثوقاً به، فدعم انتخابه للجنة التنفيذية للحكومة الشيوعية الصينية المؤقتة، وإبان المسيرة الطويلة عامي 1934 ـ 1935، قاد لين هجمات عديدة لتغطية انسحاب الجيش الأحمر.

وفي أثناء التوحيد المؤقت للشيوعيين والوطنيين إبان الحرب العالمية الثانية لمحاربة عدوهما المشترك «اليابان»، حقق لين ـ وكان قائد فرقة ـ النصر الأول للصين على الغزاة اليابانيين شمالي البلاد. وفي 2 آذار/ مارس 1938 جرح لين وتم إجلاؤه إلى روسيا للعلاج. وفي مدة نقاهته في موسكو، كان ممثلاً للصين في الاتحاد السوفييتي..

عاد لين إلى الصين أوائل عام 1942، فجند جيشاً من مئة ألف رجل وقام بتدريبهم ومغ ذلك تفادى القتال انتظاراً لاستسلام اليابان حتى يتيسر له توجيه جيشه الكبير ضد الوطنيين، ما أتاح للشيوعيين السيطرة على منشوريا. وبحلول أيار/ مايو من العام التالي، كان قد زاد عدد جيشه ليصل إلى نصف مليون رجل، حرّكه صوب الجنوب مع القوات الشيوعية الأخرى. وفي 22 كانون

الثاني/ يناير 1949، استولى على بكين، ومن ثم واصل مسيرته إلى نهر يانجتسي (Yangtze).

وبهزيمة الجيش الوطني النهائية وقيام جمهورية الصين الشعبية في 21 أيلول/ سبتمبر 1949، تقلد لين سلسلة مناصب رفيعة في كل من الحكومة والجيش. وفي أواخر عام 1950 قاد جيشاً من «المتطوعين» إلى داخل كوريا، وذلك عندما احتلت قوات الأمم المتحدة كوريا الشمالية وهددت منطقة نهر يالو (Yalu). وفي هجوم مضاد شنه لين خلال الفترة 25 تشرين الثاني/ نوفمبر 1950 ـ 15 كانون الثاني/ يناير 1951، على قوات الأمم المتحدة المؤلفة في معظمها من جنود الولايات المتحدة الأمريكية وبحريتها، تمكن من طردها خارج كوريا الشمالية، واحتل عاصمة الجنوب سيئول، مُنزلاً بها ما وصف بأنه أفدح الخسائر البرية في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.

عُين لين عند عودته نائباً لرئيس وزراء جمهورية الصين الشعبية. وفي عام 1955 رقّاه ماو إلى رتبة مشير لجيش التحرير الشعبي، حيث قام بتحسين الاستعداد العسكري، والحصول على السلاح، والتدريب الكلي. وفي عام 1959 ساعد لين ماو على القيام بحملة تطهير بين صفوف من زعم تأييدهم للروس في الجيش والحكومة. وفي عام 1962 وجّه جهود الصين ضد الهند في الهمالايا، وفي الوقت نفسه تقريباً تولى عملية دعم الصين لجهود فيتنام الشمالية في اجتياح فيتنام الجنوبية. وزعم لين لاحقاً أنه قام بتجهيز فرقتي مشاة كاملتين من فيتنام الشمالية بأسلحة ومعدات استولى عليها من الأمريكيين في كوريا الشمالية.

وقد دعم لين ثورة ماو الثقافية في مرحلة 1966 ـ 1969، فكافأه ماو بتعيينه خلفاً له. غير أنه مع انتهاج ماو نهجاً أكثر اعتدالاً وسعيه لتحسين العلاقات مع الغرب، فقد لين الثقة في رفيقه القديم وبدأ يخطط لمحاولة انقلاب مع القادة اليساريين.

وفي 8 أيلول/ سبتمبر 1971 شرع لين في عمل عسكري للاستيلاء على

الحكم واغتيال ماو، إلا أن منافساً له كشف خطته، ما مكّن ماو من الاحتفاظ بالسلطة بسهولة، فحاول لين وبرفقته عائلته ومستشاروه المقربون الفرار إلى الاتحاد السوفييتي. ولم تعلن الحكومة الصينية إلا في أواخر عام 1972 أن لين، البالغ من العمر أربعة وستين عاماً، قد قُتل وكامل زمرته في 13 أيلول/ سبتمبر 1971 عندما تحطمت الطائرة التي كانت تقلهم في أوندرخان (Undurkhan) بمنغوليا. وفي عام 1973 شطب اسم لين بعد رحيله من الحزب الشيوعي الصيني.

على الرغم من وضعية لين في صين اليوم على أنه خائن، فلا يزال يعد واحداً من أعظم القادة العسكريين في العصر الحديث. فقد تمكن بقوة شكيمته ودهائه ومواهبه العسكرية عامة من الحفاظ على الجيش الشيوعي الناشيء في الثلاثينيات، ثم قاده إلى النصر ضد اليابانيين الوطنيين. وبمجرد نجاحه شكّل أكبر جيوش العالم وقادها، ونفّذ عمليات ناجحة لتأمين حدود بلاده.

وبينما كان تأثير ماو ـ يقيناً ـ أكبر نظراً لسلطاته عسكرياً وسياسياً، فإن استيلاء الشيوعيين على السلطة في الصين ربما ما كان يكتب له أن يتم دون قيادة لين؛ فالتنظيم وأساليب التدريب وتكتيكات الجيش الصيني تظل اليوم في أغلبها تعزى إليه. لقد كان لين، الذي يصفه البعض بأنه «عديم اللون»، ويفتقر إلى التوهج، واحداً من أخلص الشيوعيين في التاريخ. وكان أثره في الرأي العام العالمي من خلال الكتيب الذي أصدره عام 1965 **«عاش انتصار حرب الشعب»** (Long Live the Victory of the People's War)، والذي دعا فيه الثوريين في أرجاء المعمورة لحمل السلاح ودحر الرأسمالية.



إسوروكو ياماموتو

ISOROKU YAMAMOTO

قائد ياباني

(1943 - 1884)

ولد إسوروكو تاكانو (Isoruku Takano) في نييجاتا (Niigata) في 4 نيسان/ إبريل 1884 باسم إسوروكو تاكانو ابناً سادساً لعائلة ساموراي، وفي ما بعد اتخذ بشكل قانوني اسم عائلة والده بالتبني. وبعد مدة وجيزة من تخرجه من الأكاديمية البحرية اليابانية عام 1904، شارك ياماموتو في معركة تسوشيما الفاصلة حين كان ضمن أفراد الأسطول الذي يقوده الأميرال هيهاتشيرو توجو والذي هزم الروس. وقد أصيب ياماموتو في أثناء المعركة بإصابات بالغة، بما في ذلك بتر إصبعين في يده اليسرى، وهي العاهة التي كادت أن تؤدي إلى فصله من الخدمة.

وفي أعقاب الحرب الروسية، كُلف ياماموتو بالعديد من المهام على متن

السفن الحربية، والتي توقفت في مراحل تداخلها مع تعليمه المدني والعسكري. وبحلول عام 1915 كان قد بدأ بالفعل يظهر تحمسه لتطوير السفن القادرة على إطلاق الطائرات ثم استقبالها عند عودتها. وفي خلال المدة 1919 ـ 1921، التحق بجامعة هارفارد حيث بدأت أول صلاته بالأمريكيين. وبعد تكليفه بالعديد من المهام القيادية عند عودته إلى اليابان وقيامه بجولات كمراقب للعمليات البحرية الأوروبية، سافر مرة أخرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1925، حيث قضى ثلاث سنوات ملحقاً عسكرياً في واشنطن دي. سي.

وحين عاد ياماموتو إلى اليابان عام 1929، تولى قيادة حاملة الطائرات أكاجي (Akagi) ورقي إلى رتبة لواء بحري. وباستثناء زيارات قصار للمؤتمرات البحرية الدولية على مدى السنوات القلائل التالية، فقد كرس ما تبقى من وقته في وظيفته للملاحة البحرية وعمليات حاملات الطائرات. ونظراً إلى ابتكاراته وقوة مراسه فقد تمكن من الحصول على أولويات التمويل من حكومته؛ ما هيأ له تأسيس واحد من أحدث الأساطيل البحرية وأقواها في العالم بنهاية الثلاثينيات من القرن العشرين، حيث كانت حاملة الطائرات قلب قوته وعمادها..

وبحلول عام 1939 كان معظم القادة المدنيين والعسكريين في اليابان مقتنعين بأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تمثل مصدر المقاومة الوحيدة الممكنة أمام غزوهم مجمل شرق آسيا. وقد شعر أولئك القادة بأن شن هجوم لتدمير أو إعطاب الأسطول الأمريكي في المحيط الهادي، من شأنه أن يدفع الأمريكيين المتبعين سياسة الانعزالية لطلب السلام وترك اليابانيين من دون معارضة لتحقيق ما يطمحون إليه. وقد عارض ياماموتو الهجوم استناداً إلى معرفته بطريقة التفكير الأمريكية وبحجم الموارد الأمريكية، من خلال إقامته الطويلة في الولايات المتحدة، وبسبب خشيته من أن تؤدي القاعدة الصناعية العريضة والثروة الطبيعية الضخمة في الولايات المتحدة الأمريكية إلى سحق وطنه المتمثل في جزيرة صغيرة.

وعلى الرغم من تحفظات ياماموتو، فقد نقح خططه بشن هجوم خاطف ضد ميناء بيرل هاربر في هاواي، ومع ثقته بقدرته على مهاجمة الميناء الأمريكي بنجاح، فقد أعرب في الوقت نفسه عن مخاوفه، من أنه بينما قد تتمكن اليابان من تحقيق نجاح قصير الأمد، فإن الأمريكيين ربما لا ينسحبون بل يسيطرون في نهاية الأمر.

أبحر ياماموتو، على رأس ست حاملات للطائرات وأسطول من سفن الدعم والتموين، من اليابان في 26 تشرين الثاني/ نوفمبر 1941، عبر الطريق الشمالي النادر استخدامه إلى جزر هاواي، وفي صبيحة 7 كانون الأول/ ديسمبر، باغتت الطائرات المنطلقة من حاملات ياماموتو القوات الأمريكية فأخذتهم الدهشة في مواقعهم وما حولها في بيرل هاربر، ودمرت معظم أسطول الجزيرة الجوي على الأرض، وأغرقت أربع بوارج كما أعطبت أربعاً أخريات إعطاباً كليّاً. وفي أقل من ساعتين كان ياماموتو قد أنزل ببحرية الولايات المتحدة الأمريكية أسوأ هزيمة عرفتها على مدى تاريخها.

كان أول موجتين من الهجمات الجوية على قدر كبير من النجاح، حتى إن ياماموتو ألغى الطلقات الأخيرة لها ضد الأرصفة الجافة ومنشآت تخزين النفط، وكان هذا خطأ بسيطاً مقارنة بخطورة ترك أسطول الحاملات الذي كان يقوم بمناورات بعيداً عن الميناء. وقد غمرت القيادة اليابانية الفرحة بهجوم ياماموتو على بيرل هاربر الذي كاد يخلو من كل مثلبة.

أتبع ياماموتو نصره بنجاحات متواصلة في جزر الهند الشرقية خلال كانون الثاني/ يناير ـ آذار/ مارس 1942، وفي المحيط الهندي في نيسان/ إبريل 1942. وفي حزيران/ يونيو 1942، نشر هجوماً مضللاً صوب جزيرة إليوشن (Aleutian) بألاسكا، بينما كان يقود شخصياً الهجوم الرئيسي ضد جزر ميدواي. . وباستيلائه على ميدواي، فإنه كان يخطط لمعاودة الهجوم على حزر هاواي.

وفي الرابع من حزيران/ يونيو كان ياماموتو يقترب من ميدواي، عندما واجهته قوة من حاملات الطائرات الأمريكية تنبهت إليه من طريق فك شفرة الراديو اليابانية؛ إذ أساءت استخبارات ياماموتو تقدير عدد حاملات الطائرات الأمريكية الناجية من المعركة الأخيرة في بحر الكورال. عانى الأسطول الياباني كذلك من مشكلات أخرى عندما باغتت الطائرات الأمريكية معظم طائراته على السطح في عمليات التسلح والتزود بالوقود. وحين انتهت المعركة كانت أربع من حاملات الطائرات اليابانية التسع غائصة في أعماق المحيط، ومعها ثلاثمئة من طائرات اليابانيين وخيرة طياريهم.

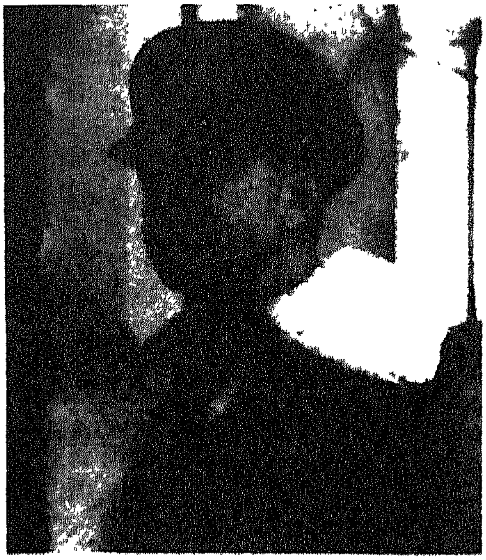
لقد تحالفت استخبارات العدو الأكثر تفوقاً وما هو أكثر قليلاً من سوء الحظ على ياماموتو، فأنزلت به أول هزيمة بالبحرية اليابانية على مدى 350 عاماً. لكنه ظل يقود العمليات البحرية المباشرة محاولاً أن يحتفظ بالبداية على الرغم من الموارد الضئيلة وتنامي قوة العدو المطرد.

ولم يتمكن الأسطول الياباني لم يتمكن مرة ثانية على الإطلاق من أن يقف أمام الأمريكيين، فقد ظل ياماموتو القائد الأرهب جانباً في المحيط الهادي. فعندما التقطت الاتصالات الأمريكية ـ وهي نفسها التي فكت رموز شفرة هجوم ميدواي ـ معلومات حول زيارة يزمع ياماموتو القيام للدفاعات اليابانية في بوجانيفيل (Bougainville)، لجأت القيادة الأمريكية إلى إجراء نادر، وذلك بتخطيطها المباشر لاغتيال قائد من قادة العدو. وفي 18 نيسان/ إبريل 1943، أسقطت الطائرات المقاتلة الأمريكية المنطقة من جوادليكنال (Guadalcanal) الطائرتين اللتين كانتا تقلان ياماموتو البالغ من العمر تسعة وخمسين عاماً والضباط المرافقين له.

وفي يوم وفاته كانت القيادة العسكرية اليابانية قد رقته إلى رتبة مشير بحري. على الرغم من أن نتائج الحرب ما كان من المحتمل أن تتغير لو كان ياماموتو نجا، فإن خسارته كانت ثقيلة الوطء على قدرة اليابان على مواصلة الحرب وعلى معنويات بحارته ومواطنيه. وقد وصف خلفه مينتشي كوجا

(Mineichi Koga) في إيجاز بليغ المشاعر بقوله: «كان هناك ياماموتو واحد، وما من أحد يمكنه أن يحل محله».

أثر ياماموتو في تطوير عمليات ناقلات الطائرات وتحديثها، وأثبت قدرتها على بسط النفوذ على امتداد مسافات مترامية. ومنذ معركة بيرل هاربر لم تحظ أي دولة على الإطلاق بأي مستوى من السيادة الدولية من دون قوة حاملات الطائرات تمثل نفوذها في أنحاء العالم. وكان ياماموتوو الذي اتّسم بروح محاربي الساموراي اليابانيين متمسكاً بمستوى راقٍ من الشرف والولاء والإخلاص، وبفضل قدراته القيادية الشخصية وابتكاراته بشأن الاستراتيجيات المعتمدة على حاملات الطائرات، فإنه يأتي في مرتبة تلي توجو بوصفه أعظم أميرال في تاريخ اليابان.



هارولد روبيرت ألكسندر

Harold Rupert Alexander

قائد بريطاني

(1969 - 1891)

ولد ألكسندر في لندن في 10 كانون الأول/ ديسمبر 1891 لأبوين أيرلنديين بروتستانتيين من ذوي الألقاب. التحق بالأكاديمية العسكرية الملكية في ساندهيرست، وعند تخرجه منها انضم إلى الحرس الأيرلندي. أبحر إلى فرنسا في أثناء الحرب العالمية الأولى مع طلائع قوات التدخل السريع البريطانية وهو برتبة ملازم ثانٍ. وبانتهاء النزاع كان قد حصل على العديد من الأوسمة لشجاعته؛ إذ أصيب ثلاث مرات، وقاد لواء، وكان أصغر مقدم في الجيش البريطاني.

على مدى السنوات الأربع التي قضاها ألكسندر في القتال على الجبهة الغربية، حتى لفت الانتباه في صفوف الجيش إلى أهميته. كتب عنه الأديب

والشاعر رديارد كبلنج (Rudyard Kipling) يقول: «لا نكران في أن العقيد ألكسندر يتمتع بموهبة التعامل مع رجاله على خطوط القتال، وهو من كانوا يستجيبون إليه عن طيب خاطر، لقد أحبه مرؤوسوه، وكان رجاله جميعاً طوع بنانه».

وفور انتهاء الحرب العالمية الأولى، تولى ألكسندر قيادة وحدة من ألمانيي البلطيق في النزاع الذي أعقب الثورة الشيوعية لتحقيق الاستقرار شمالي روسيا. ثم تولى في ما بعد قيادة الحرس الأيرلندي في وحداتهم الداخلية، كما التحق بالعديد من المعاهد العسكرية. وبعد خدمته كضابط أركان مع القيادة الشمالية بين الأعوام 1930 ـ 1934، وكُلِّفَ بقيادة لواء ناوشيرا (Nawshera) في الهند حتى عام 1938.

رقي ألكسندر إلى رتبة لواء عند عودته إلى بريطانيا، وعين قائداً للفرقة الأولى، ثم صدرت إليه الأوامر للاستعداد لهجوم محتمل ضد ألمانيا. وفي عام 1939 رحلت الفرقة الأولى إلى فرنسا. وسرعان ما نال ألكسندر ـ الذي كان معروفاً حينئذ بالفعل ويحظى بالاحترام في الدوائر العسكرية ـ التفاتاً وشهرة على المستوى الوطني. وحين شن الألمان حربهم الخاطفة داحرين الحلفاء عبر حدود فرنسا، قام ألكسندر الذي تولى قيادة حرس المؤخرة بإبطاء الهجوم الألماني لمدة أسبوع في الوقت الذي كان الحلفاء ينسحبون فيه من دنكرك. وقد تم إجلاء أكثر من 330 ألف جندي بريطاني وفرنسي وبلجيكي إلى بريطانيا العظمى في خلال المدة 28 أيار/ مايو ـ 4 حزيران/ يونيو 1940. وفي آخر ليلة من ليالي الإجلاء قام ألكسندر نفسه بالسير على شاطىء دنكيرك للتأكد من خلوه قبل أن يصعد إلى متن قارب مع آخر رجال حرس المؤخرة.

تولى ألكسندر عند عودته إلى بريطانيا قيادة القوات المتأهبة للغزو الألماني المرتقب وبعدما أصبح جلياً أن الألمان لن يقوموا بعملية غزو، وأن اليابانيين قد دخلوا الحرب، أبحر ألكسندر إلى بورما لقيادة قوات الكومنولث، فواجه مرة أخرى قوة تفوقه عدداً، وكان كل همه توفير انسحاب منظم، لا القيام بعمليات هجومية.

عاد ألكسندر إلى إنجلترا في الوقت الذي كان فيه الإنجليز وحلفاؤهم في أمس الحاجة إلى قادة من الأبطال. وعلى الرغم من أنه خدم في حملتين كبيرتين كان مآلهما الهزيمة، فقد كان هو البطل المنتظر؛ وذلك لما أظهره من مواهب وحسن قيادة في ميدان القتال من حيث تنسيقه وفق الموارد المتاحة. وفي آب/ أغسطس 1942، اندفع ألكسندر إلى مصر لقتال قوات روميل المعروفة بفيلق أفريقيا، والتي كانت تهدد مناطق شمال أفريقيا كلها. وفي أثناء حملة الصحراء التي تلت، استمر ألكسندر في إظهار الموهبة التي أهلته للتحكم في مرؤوسيه المعاندين؛ فقد كان برنارد لو مونتجمري ـ الذي يعرف عنه قوله كلمة ثناء تجاه أحد من الضباط ـ يكن احتراماً لقدرات ألكسندر القيادية، وقد أشار إليه لاحقاً بقوله: «هو الرجل الوحيد الذي يود أي جنرال عن رضىً له أن يخدم تحت إمرته».

قام ألكسندر ـ بوصفه القائد الأعلى في شمال أفريقيا ـ بتنسيق الهجمات الأمريكية والبريطانية منزلاً في نهاية المطاف الهزيمة بالفيلق الألماني. وفي رسالة كتبها ألكسندر في أعقاب النصر إلى تشرشل يقول: «سيدي! من واجبي إبلاغكم أن الحملة التونسية لم يعد لها وجود، لقد توقفت كل مقاومة للعدو، نحن سادة شواطىء شمال أفريقيا».

وبعد أفريقيا، تولى ألكسندر قيادة الغزو البريطاني ـ الأمريكي المشترك لجزيرة صقلية، حيث قاد القوات إلى داخل الأراضي الإيطالية، واستولى أخيراً على روما في 4 حزيران/ يونيو 1944. وقد عين ألكسندر الذي كان آنذاك برتبة مشير قائداً أعلى لقوات الحلفاء في منطقة البحر المتوسط في 12 أيار/ مايو 1944. وهو المنصب الذي ظل يشغله حتى نهاية الحرب. وفي الوقت الذي كان الحلفاء يعززون فيه مرافقهم استعداداً لغزو نورماندي، كان ألكسندر يواصل تقدمه شمالي روما. وكانت قدرته على التنسيق بين أفرع جيش متباين ـ مؤلف من وحدات من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والهند وفرنسا وإيطاليا ونيوزيلندا وبولندا واليونان وتشيكوسلوفاكيا ـ قدرة جلية. وقد تمكن ألكسندر

في الشهور الأخيرة من الحرب من أسر ما يزيد عن مليون جندي ألماني في حملة نهر بو (Po). وفي 29 نيسان/ إبريل 1945 قبل أول استسلام غير مشروط وقعه الضباط الألمان.

وفي أعقاب الحرب شغل ألكسندر منصب الحاكم العام لكندا في المرحلة الممتدة بين 1946 و 1952، ثم عينه تشرشل وزيراً للدفاع في حكومته ما بين 1952 ـ 1954. وفيما هو أشبه بالتقاعد على مدار السنوات الخمس عشرة التالية، شغل ألكسندر العديد من المناصب الشرفية وكان رئيس مجلس إدارة عدد من الشركات التجارية. توفي في سلوه (Slough) بإنجلترا في 16 حزيران/ يونيو 1969، وعمره ثمانية وسبعون عاماً.

كان ألكسندر جندياً محترفاً على أعلى درجات الاحتراف، وكان على خلق جم عن حق. أظهر على مدى حياته العملية قدرة غير عادية على تقديم نقاط قوة وضعف العدو، وتوقعاً لا يخيب بتحركاته. والأهم من ذلك أنه حظي بتعاون القيادات والقادة الآخرين وحافظ عليه. وأجدر ما تمكن ملاحظته أنه على مدى خمسة عقود، منذ نهاية الحرب، لم يرد في مذكرات أو كتب أو مقالات نُشرت كلمة نقد موجهة إلى ألكسندر. .

إن ألكسندر يأتي ثانياً بعد مونتجمري فحسب، بوصفه أعظم قائد ميداني بريطاني في الحرب العالمية الثانية. فقد كان أثر مونتجمري الباحث عن الشهرة والانتشار، وهو ما تحقق له، أكبر من حيث دراسته على أيدي ضباط وقادة المستقبل بما يفوق ألكسندر الأقل ذيوعاً. ومع ذلك فما من شك في أن إنجازات معظم الضباط كانوا يؤثرون الخدمة تحت قيادته.



ايرفين روميل

ERWIN ROMMEL

قائد ألماني

(1944 - 1891)

ولد روميل في هايدينهايم (Heidenheim) بالقرب من آلم بألمانيا في 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 1891. كان والده معلماً ووالدته ابنة رئيس دوقية فيرتمبيرخ (Wurttemburg). التحق بالكتيبة 124 مشاة ضابطاً دارساً عام 1910، وبعد حضوره في مدرسة المشاة في دانيتسخ (Danzig) عين ملازماً عام 1912. شهد روميل القتال في أثناء الحرب العالمية الأولى، ضابطاً صغيراً في فرنسا ورومانيا وإيطاليا، وحصل على وسام الصليب الحديدي من الطبقة الأولى. وفي 26 تشرين الأول/ أكتوبر 1917، قاد روميل هجوماً بالسلاح الأبيض على رأس مئتي ألماني ضد معقل جبلي إيطالي حصين، فأسر تسعة آلاف من جنود العدو وما يزيد على ثمانين مدفعاً ثقيلاً بينما لم يتكبد سوى خسائر طفيفة. ونظراً إلى هذا

الإنجاز المذهل، رقي روميل إلى رتبة نقيب ومنح أعلى ميدالية قتال ألمانية.

ظل روميل في جيش ما بعد الحرب وشق طريقه في سلم الرتب بتصاعد حثيث، كما تقلب في مواقع العمل ما بين المناصب القيادية في سلاح المشاة والمهام التدريسية. وفي عام 1937 نشر محاضراته حول التكتيكات، وهي التي جمعها في كتابه: «**هجوم المشاة**» (Infantry Attacks). وفي العام نفسه أصبح روميل قائد مجموعة الحرس الشخصي لأدولف هتلر.

وفي أعقاب جولة قصيرة قام بها روميل، بصفته قائد الأكاديمية الحربية، عاد لقيادة الحرس الخاص لهتلر برتبة عميد، ونظراً إلى كونه واحداً من هيأة أركان هتلر، فقد أتيح له أن يدرس عن قرب تكتيكات الحرب الخاطفة التي بدأ الجيش الألماني يعتمدها مؤخراً، فأعجب بها. وبعد سقوط بولندا التمس روميل أن يمنحه هتلر قيادة فرقة في الغزو المزمع لأراضي فرنسا. وفي 15 شباط/ فبراير 1940، تولى روميل قيادة الفرقة السابعة مدرعات.

وفي الهجوم على فرنسا في أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو، أتقن القائد الألماني التكتيكات التي استمر يستخدمها بقية حياته. تقدم روميل بسرعة خاطفة، موازناً المخاطر بالمباغتة وقوة النيران، فحشد دباباته ليخترق صفوف العدو بدلاً من أن يتعرض للاشتباك على طول جبهة عريضة مستغلاً ما سنح له من تفوق على العدو في المؤخرة غير المؤمنة نسبياً.

والأهم من ذلك أن روميل، وقد تزيا بزيه الموشى بالأوسمة، ووضع منظار الدبابات الواقي على جبهته، كان يقود الهجوم بنفسه في المقدمة. ومن ثم تجاهل، وهو في مقدمة قوات المدرعات، المخاطر الشخصية من أجل الحصول على معلومات أصيلة يبني عليها قرارات فورية. فقاتل الجنود الذين لم يعتادوا على رؤية القادة في الصفوف الأمامية قتال البواسل بضراوة ولاءً لقائدهم وحباً له.

وبانتهاء الحملة على فرنسا، كان يطلق على الفرقة السابعة مدرعات «فرقة الشبح» لهجمات روميل المباغتة وتحركاته السريعة، التي جعلت العدو لا يعرف

أين سيكون ظهورها، وقد تمكن روميل، بخسارة لا تتجاوز 2500 رجل، و42 مدرعة، من أسر نحو مئة ألف جندي، وتدمير أكثر من 450 دبابة للعدو إضافة إلى آلالاف من ناقلات الدعم وقطع المدفعية.

كافأت ألمانيا روميل بمنحه وسام صليب الفارس، وترقيته إلى رتبة لواء، وتوليته قيادة الجيش المزمع توجيهه إلى شمال أفريقيا لدعم الإيطاليين ضد الحلفاء. وفي شمال أفريقيا طبق روميل تكتيكات الحرب الخاطفة باستخدام المدرعات، والتي أثبتت نجاحاً فائقاً في سهول أوروبا، على الصحارى الفسيحة. وفي غضون شهر من وصوله في شباط/ فبراير 1941، حقق روميل بجيشه العالي التدريب أول انتصاراته ضد الريطانيين وأسر اثنين من كبار قادتهم. وفي أقل من عام كان ثعلب الصحراء، ورتبته آنذاك فريق أول، واحداً من أشهر ضباط الحرب صيتاً..

وفي حزيران/ يونيو 1941، شن روميل هجوماً على قوات بريطانية تفوقه عدداً وعدة. وبسبب تفوقه في المناورة والإقدام تمكن من الاستيلاء على ميناء طبرق الاستراتيجي في 21 حزيران/ يونيو، وبعدها بيوم رقي روميل إلى رتبة مشير.

غير أن طبرق كانت غاية ما حقق روميل؛ فمع توجيه النصيب الأوفى من الجيش الألماني للهجوم على روسيا، ظلت شمال أفريقيا ميدان قتال ثانوياً. وزادت مشكلاته اللوجستية التفوق البحري للحلفاء الذي حد من فرص الإمداد والتموين على طريق البحر. وفي الوقت الذي كانت فيه قوة الألمان واهنة، كانت فرصة تفوق الحلفاء تتنامى. كذلك وجد البريطانيون في بيرنارد لو مونتجمري قائداً قادراً على القتال بالمثل، ثم تفاقمت مشكلات روميل في تشرين الثاني/ نوفمبر 1942 عندما نزلت القوات الأمريكية إلى جهة الغرب منه وفتحت جبهة ثانية ضده.

استمرت قوات روميل المدرعة في بلائها الحسن في القتال على الرغم من تنامي قوة العدو وتعرض الحليف الإيطالي للإنهاك. ومع ذلك فإن هتلر،

إما عن غير رغبة في دعم فيلق أفريقيا أو عن عجز، أمرهم بالثبات ومواصلة القتال حتى آخر رجل. رفض روميل إهدار حياة رجاله في معركة لا طائل من ورائها فاستسلموا في 6 آذار/ مارس.

انتاب هتلر الغضب لعصيان روميل وجيشه أوامره، فقد أدرك أنه بحاجة إلى مواهب المشير، ولذا أمر بإجلائه إلى ألمانيا قبل الاستسلام. وعقب إسداء روميل النصح لهتلر حول كيفية الدفاع عن إيطاليا، توجه إلى فرنسا في 15 تموز/ يوليو 1943، وتولى مسؤولية تعزيز الدفاعات ترقباً لغزو من الحلفاء. كان روميل يحبذ تكليف سلاح المدرعات الاحتياطي بشكل مباشر بتدمير الحلفاء الغزاة بمجرد إنزالهم، إلا أن ما أبداه من قلق لم يعره أحد آذاناً صاغية. فكان كل ما استطاع أن يفعله هو تقوية الروح المعنوية للجنود من خلال قيادته الشخصية والإشراف على زرع خمسة ملايين لغم ونصف مليون عائق برياً.

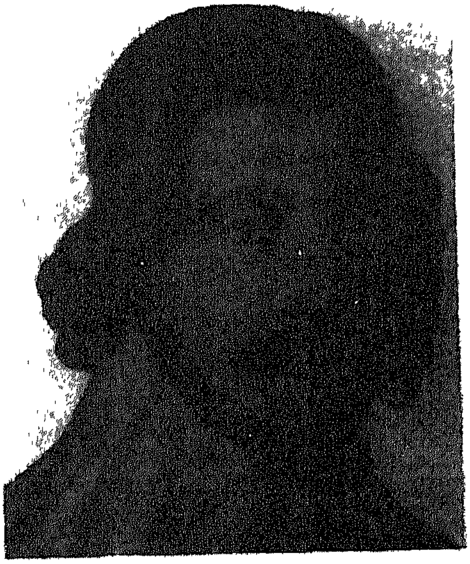
كان روميل في إجازة في ألمانيا عندما قام الحلفاء بالهجوم البري، فاندفع من فوره لتولي مهمة الدفاع عن الشاطىء. ومع أنه كان لا يزال مقيداً نتيجة رفض هتلر المستمر تكليف فرق المدرعات الاحتياطية، فقد تمكن من إيقاف البريطانيين عند رأس الشاطيء عن طريق إقامة سلسلة من أحزمة الدفاع على طول الطريق المتوقع سلوكهم إياه، واستطاع روميل أن يتفوق في مناوراته على قوة الحلفاء الجوية التي تفوقه عدداً، وذلك بتحريك رجاله إلى المؤخرة في أثناء القصف وإعادتهم إلى المواقع الدفاعية المقصوفة قبل الهجوم البري.

وفي وسط المعركة، في 17 تموز/ يوليو 1944، قصفت الطائرات مقاتلة بريطانية عربة روميل، فأصيب المشير بجرح خطير في الرأس، وأعيد إلى ألمانيا للعلاج، غير أن تطور الأحداث جعل عودته لتولي القيادة أمراً محالاً. وفي 20 تموز/ يوليو زرع ضباط ألمان قنبلة بهدف قتل هتلر؛ إلاّ أن روميل لم يشارك فعلياً في محاولة الاغتيال، فقد كان مطلعاً على الخطة لأن المتآمرين كانوا على اتصال به قبلها بأشهر. وفي حملة التطهير التي أعقبت ذلك، اعتبر روميل متآمراً عندما علم هتلر أن الخطة كانت تدعو إلى أن يتولى روميل، وهو واحد من

الضباط الألمان القلائل المتمتعين باحترام الحلفاء، رئاسة الدولة ويدخل في مفاوضات سلام لإنقاذ ألمانيا من الدمار الشامل.

وفي 14 تشرين الأول/ أكتوبر 1944 أرسل هتلر بجنرالين إلى منزل روميل يخيرانه ما بين الانتحار مع تأمين سلامه أسرته، وبين محاكمة علنية مع الإعدام والمهانة وإنزال العقاب بأسرته وهيأة ضباطه. رافق روميل البالغ من العمر ثلاثة وخمسين عاماً الجنرالين في جولة بالسيارة وتناول السم الذي قدماه له. وبعد الإعلان عن وفاته نتيجة مضاعفات الجروح التي أصيب بها في المعركة، دفن وفقاً لمراسم الشرف العسكرية.

تولى معاصروه على الجبهات الأخرى قيادة عشرات الفرق. ومع ذلك فإن جاذبيته الشخصية وشجاعته وإدراكه الممتاز وتنفيذه لحرب المدرعات هو ما أكسبه شهرة لدى طرفي القتال. ويظل اسم روميل مرتبطاً بعمليات الدبابات الناجحة، حتى إن تكتيكاته ما تزال تدرس في معاهد المدرعات في أرجاء العالم. وحتى النهاية، عندما خشي هتلر من تلطيخ صورة أعظم أبطال ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، تصرف بأقصى درجات الاحترافية والإباء، حتى قالعنه تشرشل بأن عدوه كان خصماً ماهراً وقائداً عظيماً.



لينارت تورستنسون

LENNART TORSTENSSON

قائد سويدي

(1651 - 1603)

لينارت هو ابن ضابط سويدي، ولد في 17 آب/ أغسطس 1603 في تورستنا (Torstena) بفاستر جوتلاند (Vastergotland)، وأصبح في الخامسة عشرة من الفرسان الغلمان لدى الملك جوستاف، فصحبه في حملاته ما بين 1621 و 1623 في ليفونيا، والتي عرَّفته على مقدار ما يكن الملك من اهتمام للمدفعية. ثم التحق تورستنسون في مدة 1624 ـ 1626 بالمدرسة العسكرية الهولندية التي كان يديرها موريس الناساوي، حيث تعلم المزيد عن المدفعية.

ولدى عودته إلى السويد اشترك في معركة وولهوف (Walhof) عام 1626، ثم رافق الجيش السويدي للسنوات الثلاث التالية بوصفه ضابط مدفعية، وذلك في أثناء حملة على بروسيا. بهر جوستاف بأداء غلمانه الفرسان، حتى إنه

رقى تورستنسون إلى رتبة عقيد وهو في السادسة والعشرين من عمره وعهد إليه بقيادة أول فوج مدفعية، وعلى مدى السنوات الثلاث التالية اكتسب تورستنسون لقب أبي المدفعية الميدانية وترقية إلى رتبة فريق وهو في السابعة والعشرين.

كان جوستاف موريس قد قدما الكثير على مدى العقود السابقة لتحديث المدفعية، وذلك عن طريق توحيد قياسات أقطار المدافع وزيادة عددها ميدانياً. وركز تورستنسون على استكمال هذه التحسينات وعلى زيادة الحركة ومعدل إطلاق القذائف بهدف تقديم الدعم الأفضل لعمليات المشاة وسلاح الفرسان. كان التطور الكبير السابق على تورستنسون هو قطع المدفعية الخفيفة الوزن كان قلبها يصنع من النحاس وطبقتها الخارجية من الجلد. كانت تلك المدافع الجلدية والتي يزن الواحد منها أقل من مئة رطل سهلة الحركة للغاية، غير أنها كانت خطيرة على السدنة المستخدمين لها في أرض المعركة خطورتها على الأعداء. وكانت أجلابها النحاسية الداخلية تحتفظ بالحرارة، ثم بعد عدة إطلاقات للقذائف تتوهج من تلك الحرارة فتطلق المقذوف قبل أوانه، أو تفجر المدفع بأكمله.

أعجب تورستنسون بسهولة تحريك المدافع غير أنه رأى أن المخاطر الناجمة عنها لا توجب الإبقاء عليها. وفي عام 1631 كان عوناً على تطوير مدفع مسبوك من الجديد ليحل محل المدافع الجلدية. وكان يمكن نقل المدفع الجديد زنة الأربعمئة رطل بدفع أربعة رجال أو حصانين، ويلحق بوحدات المناورة في سلاحي المشاة والفرسان. بينما يظل بصورة دائمة تابعاً لفوج مدفعية رئيسي.

ثم تحول تورستنسون بعد ذلك إلى زيادة قوة نيران كل مدفع بجمع المسحوق والطلقة داخل أوعية خشبية رفيعة لتكوين «المقذوفات» من أجل الإسراع بحشو المدافع. وقد أدى هذا التحسين ـ علاوة على التدريب الفردي وتدريب الفريق الواسع ـ إلى تمكين المدفعيين السويديين من حشو وإطلاق مدافعهم أسرع مما يتهيأ رجال المشاة لإعادة حشو بنادقهم وإطلاقها.

وقد سنحت الفرصة لتورستنسون للمرة الأولى باستخدام مدفعه المحسن في القتال في 17 أيلول/ سبتمبر 1631 في معركة بريتنفيلد، حيث أطلقت مئة من المدافع السويدية وابلاً من القذائف لتبدأ المعركة، وفي القتال اللاحق تمكنت مدافع تورستنسون من الإطلاق بسرعة تزيد ثلاث مرات على سرعة العدو. كما مكنت سهولة حركتها اشتراكها مع القوات المناورة وإحراز النصر الحاسم.

واصل الضابط السويدي المساهمة في تقدم جوستاف وأدى دوراً مهماً في عبور الليش (Lech) في نيسان/ إبريل 1632.. ولم يكن في الإمكان بالطبع كسب كل معركة باستخدام المدفعية وحدها؛ فحين كان السويديون يقاتلون على أرض غير ملائمة لاستخدام الدعم المدفعي، لم يكن يحالفهم النصر دائماً. شارك تورستنسون في الهجوم على القلاع المنيعة في آلتي فستي (Alte Veste) بالقرب من نورينبرج في أيلول/ سبتمبر 1632. وبسبب ما مثلته طبيعة التضاريس من الحد من حركة المدافع فقد اشترك تورستنسون شخصياً في القتال الذي دار قريباً من جانب أدولفوس، وبينما فر الملك ومعظم رجال المدفعية، وقع تورستنسون في الأسر.

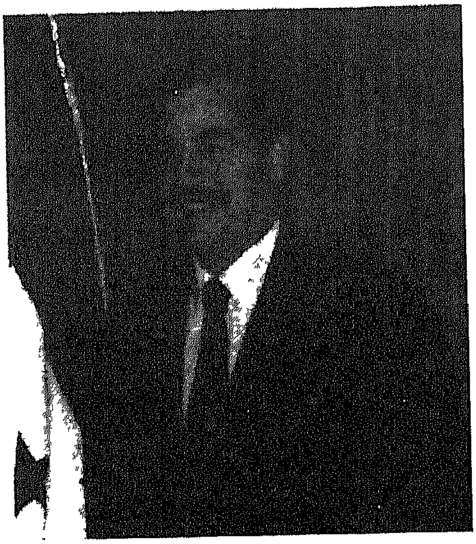
وبعد انقضاء عام على أسر تورستنسون، عاد إلى السويد في عملية تبادل للأسرى. وفي أثناء غيابه كان جوستاف قد قُتل في إحدى المعارك، وتولى يوهان بانير (Johan Baner) قيادة الجيش السويدي، انضم تورستنسون إلى بانير كرئيس للأركان، وواصل إشرافه على المدفعية إبان انتصاراتها في ويتسوك (Wittsock) عام 1636.

وبسبب طول مدة الحملة السويدية على ألمانيا (والتي امتدت خمس سنوات أخرى)، أصبح الجيش في حال معنوية متدنية نتيجة عجزه عن تحقيق نصر كامل. وعندما توفي بانير عام 1641، قبل تورستنسون ـ على الرغم من إصابته بالنقرس ـ على مضض قيادة الجيش ميدانياً، وبدأ على الفور يبث في جنده الروح المعنوية والنظام، وبعد ذلك بعام أحرز تورستنسون نصراً مهماً في

ليبتسخ أدى فيه فوجه المدفعي القديم دوراً حيوياً، وهو ما أتاح له اجتياح سكسونيا بكاملها بانتهاء عام 1642.

وفي عام 1643 واصل تورستنسون هجومه على بوهيميا (Bohemia) ومورافيا (Moravia) بقليل من التدخل، وفي عام 1644 استدار لمهاجمة الدنماركيين. طارد السويديون الجيش الدنماركي إلى داخل بوهيميا فهزم قوة من بافاريا هبت لنجدة الدنماركيين. ثم أحرز تورستنسون في جانكو (Jankau) في 5 آذار/ مارس 1945 آخر انتصاراته العظيمة، ملحقاً الهزيمة بالبافاريين، وذلك بتعجيله نقل مدفعيته إلى أرض المعركة. وبعد مدة وجيزة من معركة جانكو استقال تورستنسون من القيادة بسبب اعتلال صحته. ثم شغل مناصب سياسية في السويد قبل وفاته في إستكهولم في 7 نيسان/ إبريل 1651، وهو في الثامنة والأربعين.

لقد حظي جوستاف على شهرة تورستنسون، غير أن أبا المدفعية الميدانية أثبت أنه أستاذ في مجال ابتكار الأسلحة، وأنه تكتيكي واستراتيجي فذ في تشكيل وتوظيف وحدات المدفعية. ويكمن تأثيره المباشر فيما أحرز من نصر في حرب لسنوات الثلاثين التي رفعت السويد إلى مقام القوى العسكرية الكبرى. أما تأثيره الدائم فهو نتاج ما أدخل من تطويرات على حركة وقوة نيران المدفعية والتي وضعتها في مكانة مساوية للمشاة وسلاح الفرسان.



صدام حسين

SADDAM HUSSEIN

قائد وحاكم سياسي

(- 1937)

ولد صدام حسين في أسرة من الفلاحين كانت تعيش في فقر مدقع من دون حيازة أرض في قرية العوجة قرب بلدة تكريت على نهر دجلة في 28 نيسان/ إبريل 1937. عمل صدام الذي كان يتعرض للإيذاء البدني على يدي زوج أمه وهو طفل، في رعي الأغنام، ولم يلتحق بالمدرسة إلا في سن العاشرة عندما رحل إلى بغداد ليقيم مع أحد أعمامه. وبسبب تأخره في دخول المدرسة جاء تحصيله العلمي ضعيفاً، وكانت درجاته المتدنية سبباً في رفض طلبه الالتحاق بالأكاديمية العسكرية في بغداد وهو في السادسة عشرة.

وحين وجد الطريق مغلقاً أمام رغبته في أن يكون ضابطاً بالجيش، انضم إلى الحركة السياسية الوطنية، وفي عام 1956 شارك في محاولة الانقلاب الفاشلة

ضد الملكية في العراق. وبعدها بعام انضم إلى حزب البعث الراديكالي. وفي عام 1958 اتهم - وهو في الحادية والعشرين - بقتل أحد المسؤولين الحكوميين في بلدته تكريت، وسجن مدة ستة أشهر قبل أن يطلق سراحه لعدم كفاية الأدلة.

وفي نحو ذلك الوقت قاد الفريق عبد الكريم قاسم انقلاباً عسكرياً سيطر به على مقاليد الحكم في البلاد، حيث أيد البعثيون الحكومة الجديدة. وفي عام 1959 شارك صدام في هجوم فاشل بالرشاشات ضد عبد الكريم قاسم، وأصيب صدام إلا أنه تمكن من الفرار، وفيما بعد وحين تولى صدام السلطة أحيط دوره في تلك المحاولة الانقلابية بهالة بزعم إصابته بجروح خطيرة، وتمكنه من الفرار عن طريق عبوره نهر دجلة سباحة، ودخوله سوريا عبر الصحراء، أما في الحقيقة فإن جروحه كانت طفيفة، ويحتمل أن أحد رفاقه أصابه في وسط الكمين، وأن أعضاء آخرين في حزب البعث دبروا عمليه فراره.

اختبأ صدام في القاهرة على مدى السنوات الأربع التالية حيث التحق بكلية الحقوق لكنه لم يتخرج فيها. وعندما اغتال حزب البعث عبد الكريم قاسم عام 1963، عاد صدام إلى العراق وبدأ صعوده المتلاحق في صفوف الحزب. ثم أطيح حزب البعث في عام 1964 وقضى صدام مدة وجيزة في السجن، ولكن مع عودة البعث للحكم عام 1968، تولى صدام منصب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة.

وتمكن صدام - الذي استغل قوات أمن الحزب الفظة لصالحه وعيّن أقرب أقاربه مساعدين ومرؤوسين - من مواصلة صعوده من خلال حملات التطهير العسكري، وترهيب الأعداء وقتلهم والسيطرة المحكمة على موارد الحزب. لقد هيأ صدام لنفسه أن يكون أقوى رجل في العراق قبل مرحلة طويلة من توليه رسمياً الرئاسة عام 1979 وهو في الثانية والأربعين. وإضافة إلى إحكام صدام سيطرته على جوانب الحكم كلّها، قام - وهو الذي رفض طلبه للانضمام إلى الأكاديمية العسكرية - بترقية نفسه إلى رتبة مشير [مهيب الركن]، وبدأ يظهر مرتدياً لباس المعركة ويضع على رأسه «البريه» السوداء.

وفي أعقاب توليه القيادة، حاول استغلال دخل البلاد الكبير من النفط في تحسين التعليم والزراعة وكل أوجه المعيشة بالعراق، غير أن هذه الأمور لم تستحوذ طويلاً على انتباهه؛ إذ دخل في حرب ضد إيران عام 1980 للسيطرة على مزيد من احتياطي النفط ولتثبيت مركزه كقائد وحاكم سياسي، ولتوسيع دائرة نفوذه السياسي عربياً. فقد قال صدام متباهياً ـ وهو يأمر فرقه بشن هجمات ضد الإيرانيين جاءت مفتقرة إلى التنسيق على جبهات القتال ـ إن العراق ذو قدرات عظيمة، مثله في ذلك مثل الصين والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية. وعندما فشل الهجوم تحين صدام الفرصة وأردى القائد العسكري المخفق قتيلاً. وفي أعقاب دحر هجوم كبير عام 1982 أعدم صدام أكثر من ثلاثمئة من كبار الضباط.. وكان من العرف أن من يُغضب صداماً من أعضاء الحكومة أو قادة الجيش أو يخالفه في الرأي فهو بمنزلة من يقدم على الانتحار.

ومع إيقاع الحرب الرقيب عمد صدام إلى القيام بزيارات متكررة إلى الجبهة محاطة بدعاية كبيرة، غير أن قوته كعسكري كانت تكمن في ثروات بلاده التي أتاحت له شراء السلاح من السوفييت والصينيين. وبعد حرب دامت ثمانية أعوام وخسائر في الأرواح تعد بمئات الألوف وافق العراق وإيران أخيراً على هدنة. لم يحقق صدام شيئاً يذكر على المستوى العسكري، لكنه حقق هدفه في أن يعزز نفوذه السياسي على الصعيد الإقليمي العربي.

وعدا عن الفظائع التي ارتكبها صدام ضد الإيرانيين وقتله ضباط جيشه، أظهر كذلك فظاظة ضد الأقليات العرقية داخل العراق؛ إذ أمر صدام الذي اتهم القرى الكردية بمعاونة الإيرانيين برش تلك القرى بالغازات السامة عام 1987، وعاود الفعلة عا 1988. ما تسبب في مقتل حوالي خمسة آلاف رجل وامرأة وطفل وإصابة عشرة آلاف آخرين بإصابات خطيرة.

وفي 2 آب/ أغسطس 1990 غزت العراق دولة الكويت، وأعلن صدام حسين ضمه لها باعتبارها محافظة عراقية جديدة، ورداً على ذلك، تم تكوين ائتلاف دولي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، تمركز في المملكة العربية

السعودية، وبدأ في أوائل عام 1991 توجيه ضربات جوية للعراق أتبعها بهجوم بري أسفر عن تحرير دولة الكويت وهزيمة الجيش العراقي. هذا وقد انهار «جيش المليون رجل» الصدامي بعد قتال وجيز. وبانتهاء الحرب في 28 شباط/ فبراير كان نحو 8 ـ 15 ألف عراقي يرقدون صرعى في الصحراء، وما بين 25 ـ 50 ألفاً جرحى، بينما وقع ما يربو على 85 ألفاً أسرى في أيدي قوات التحالف.

وعلى الرغم من محاولات الائتلاف لإصابة صدام في عمليات القصف، وما أتبعها من جهود سياسية لإطاحة طاغية العالم عن الحكم فإنه لا يزال في السلطة. لقد تقاعد معظم القادة العسكريين في التحالف الذين قادوا الهجمات، وخرج العديد من القادة السياسيين إبان التحالف من الحكم، ولكن صداماً لا يزال قابضاً على زمام الحكم في العراق، ولا يزال جيشه واحداً من أقوى الجيوش في الشرق الأوسط وأشدها تهديداً من ناحية القوة العسكرية.

من المؤكد أن صداماً لم يدخل هذه القائمة بوصفه ممتلكاً لأي براعة عسكرية فائقة؛ إذ إنه حقق سلطته وحافظ عليها بطريقة لا تعرف الرحمة تمثل طريقة أدولف هتلر. ومع أن فظائعه لا تصل في عددها ما كان للقائد الألماني، فإنها تماثلها في وحشيتها. ولو أطيح صدام حسين إبان حرب تحرير دولة الكويت أو نجحت محاولات اغتياله، فما كان من المحتمل أن يستحق الالتفات إليه. غير أن ما يحفظ له مكانته في قائمة القادة العسكريين من ذوي التأثير الجلل إنما هو مواصلته الإمساك بزمام السلطة وتهديده المستمر للسلام والأمن الإقليمي والدولي.



فيدل كاسترو
Fidel Castro
ثائر كوبي
(1927 -)

ولد كاسترو في 13 آب/ أغسطس 1927 في مياري (Mayari) بمقاطعة أوريتني (Oriente) الكوبية. عاش حياة رغدة في طفولته في مزرعة قصب السكر التي كان يمتلكها والداه، ثم تلقى تعليمه في مدرسة كاثوليكية في المرحلة الثانوية في هافانا. وفي عام 1945 التحق كاسترو بجامعة هافانا طالباً يدرس القانون، ثم تحول إلى ناشط سياسي مع عديد من المجموعات المعارضة للنظام الكوبي وللحكومات الأخرى غبر أمريكا اللاتينية. فقام بمساعدة المنفيين الذين كانوا يعدون إلى إطاحة رئيس حكومة الدومينكان رافييل تروجيو (Rafael L. Trujillo)، إلى الحكومة الكوبية المجموعة عام 1947، وبعد ذلك شارك كاسترو في أحداث الشغب التي وقعت في بوجوتا والتي كانت تهدف إلى إفشال المؤتمر الدولي التاسع للدول الأمريكية.

تخرج كاسترو بعد أن حصل على إجازته في القانون عام 1950 ولديه اعتقاد قوي في نفوذ السياسة، فالتحق بحزب أورتودوكسو (Ortodoxo) ذي التوجه الإصلاحي، وسعى للحصول على مقعد في الكونجرس الكوبي، إلا أن إسقاط حكومة كارلوس بريو سوكاراس (Carlos Prio Socarras) على يد فلجتشيو باتستا (Fulgencio Batista) قضى على الانتخابات التي كانت مرتقبة. وعندما أدرك كاسترو بمدى فساد وتجاوزات حكومة باتستا، بدأ بالتخطيط لإجراءات عسكرية بدلاً من العمل السياسي.

وفي 26 تموز/ يوليو 1953، قاد كاسترو 160 من رفاقه الثوار في هجوم ضد ثكنات جيش مونكادا (Moncada) في سانتياجو دي كوبا (Santiago de Cuba)، فاستولى على أسلحة وذخائر، وحث الأهالي على مناصرة قضيته. أخفقت كل جهوده، وقامت قوات الحكومة بقتل أو اعتقال معظم أفراد قوته، وحكم على كاسترو بالسجن مدة خمسة عشرة عاماً وعلى أخيه الأصغر راؤول بثلاثة عشرة عاماً.

بعد ذلك بعام أصدر باتستا عفواً عاماً استجابة لضغوط سياسية والذي بموجبه أطلق سراح الأخوين كاسترو. لم تهن حماسة كاسترو الثورية فرحل إلى المكسيك لإعادة تشكيل جيشه بغية قيادة تمرد أطلق عليه «السادس والعشرون من تموز/ يوليو» إحياءً لذكرى الهجوم الفاشل ضد مونكادا. نزل كاسترو الذي كان يقود جيشاً من 81 ثائراً بمن فيهم أخوه الطبيب الأرجنتيني شي جيفارا، إلى الساحل الجنوبي لمقاطعة أورينتي (Oriente) في 2 كانون الأول/ ديسمبر 1956. ومرة أخرى يواجه كاسترو كارثة، حيث أسرت قوات باتستا كل المتمردين عدا اثني عشر منهم في غضون أيام من عملية الإنزال التي قاموا بها.

فر كاسترو وأخوه راؤول وجيفارا والبقية الأخرى من الناجين إلى جبال سيرا مايسترا (Sierra Maestra)، وذلك لمواصلة عمليات حرب العصابات والقيام بحملة دعائية لكسب التأييد لقضيتهم بين أوساط الفلاحين والطبقة الوسطى. وقد حصلت حركة السادس والعشرين من تموز/ يوليو على مؤيديها

وقوة الدفع بفضل جهود كاسترو، كما حصلت عليها بسبب تجاوزات باتستا وقسوته. وقد طبّق كاسترو أسلوب حرب العصابات متبعاً في ذلك سون تسو، وماوتسي تونغ، وفو نيجين جياب. وقد تعزز نفوذ كاسترو من مجرد حضوره وتجنيده لغير الراضين عن الحكومة القائمة آنذاك.

وفي أثناء إقامة كاسترو في الجبال لمدة عامين، توافرت له قوة كافية، أساسها من المنشقين على الحكومة، لإجبار باتستا على الفرار من كوبا في الأول من كانون الثاني/ يناير 1959. دخل كاسترو إلى هافانا وأعلن نفسه رئيساً لوزراء كوبا. على الرغم من أنه استمر مرتدياً لباس القتال الذي أصبح علامة مميزة عليه ورمزاً إلى ماضيه العسكري، فقد تحول إلى سياسي وكرس معظم وقته لإدارة بلاده.

كان كاسترو طيلة مدة الثورة يعد بتشكيل حكومة أمنية ومنح الصحافة حريتها، واحترام حقوق الأفراد والملكية الخاصة، كما هو منصوص عليه في دستور كوبا لعام 1940. وبدلاً من ذلك، قام بإعدام أكثر من ألف من أتباع باتستا ومناوئيه الآخرين، وبدأ يطبق النظم الاشتراكية على اقتصاد الجزيرة، وأمّم الأصول الأمريكية التي تقدر بما يزيد على المليار دولار وبدأ يتحدث ضد «إمبريالية اليانكي». وفي 31 كانون الثاني/ يناير 1961، قطعت الولايات المتحدة الأمريكية علاقاتها الدبلوماسية مع كوبا. وفي أواخر ذلك العام وبعد اعتراف كاسترو بأنه كان على الدوام ماركسياً، بدأ يتلقى المساعدات، بما في ذلك المعونات العسكرية من كل من الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية.

زاد كاسترو قبضته على كوبا بعد انتصاره على القوات الغازية في خليج الخنازير عام 1961 المدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية بهدف خلعه والتي كانت تفتقر إلى الإعداد الجيد، وقد سبب هذا الانتصار حرجاً للولايات المتحدة. لكن كاسترو أصيب بانتكاسة في العام التالي عندما أجبرت الولايات المتحدة الأمريكية الاتحاد السوفييتي على سحب صواريخه من الجزيرة، ومع ذلك ظل كاسترو الشيوعي البارز في نصف الكرة الغربي.

وفي أواخر الستينيات من القرن العشرين حاول كاسترو تصدير أفكاره السياسية؛ فأخفقت أولى محاولاته في بوليفيا بوفاة جيفارا عام 1967، غير أنه في السبعينيات، قام الجنود الكوبيون بدعم وتسليح الاتحاد السوفييتي بمعاونة الانتفاضات الماركسية عبر أرجاء أمريكا الوسطى والجنوبية وأفريقيا. وقد أوضح كاسترو أن هذه العمليات ضرورية لدعم الماركسية، ولكن الأهم هو الإبقاء على الكوبيين موحدين ونشطاء في وجه عدو محدد واضح.

إلا أن كوبا على عهد كاسترو أخفقت في أن تزدهر، وقد توقفت المساعدات الاقتصادية مع انهيار الاتحاد السوفييتي في أوائل السبعينيات من القرن العشرين. فواصل اقتصاد الجزيرة انكماشه، وما أبقى على نفوذ كاسترو وإنما هو حكمه الحديدي القبضة. ولكون كوبا تمثل واحداً من آخر الأنظمة الشيوعية في العالم، فإنها تواجه متناقضات تكاد تستعصي على التجاوز.

ما كان ليكتب لكاسترو السيطرة على الحكومة دون وجود قوته العسكرية. غير أنه بغض النظر عن أهمية الجانب العسكري في ثورة كاسترو، فهو يأتي في مرتبة ثانوية بالنسبة إلى قدراته السياسية والدعائية. ولذلك بينما نجح كاسترو في تصدير نفوذه العسكري في خلال السبعينيات والثمانينيات، فإن نفوذه ينحصر اليوم مقتصراً على كوبا وهو يذوي مع ما ينتاب اقتصاد الجزيرة من ضعف.

إن ما يضع كاسترو على هذه القائمة من القادة العسكريين المؤثرين هو الموضع الذي تم الانتصار فيه على باتستا على بعد تسعين ميلاً من الساحل الأمريكي، وكذلك تأثيره الذي طال مداه فيما يتعلق بتوازن القوى أو مستقبل الماركسية. ولعله أكثر من سواه في هذه القائمة ممن سوف يتلاشى نفوذه وتأثيره بمرور الوقت.



هوراشيو هربرت كيتشنر

HORATIO HERBERT KITHNER

قائد بريطاني

(1916 - 1850)

اقتفى كيتشنر، المولود في 24 حزيران/ يونيو 1850، بالقرب من ليستوول (Listowel) بمقاطعة كيري (Kerry) بأيرلندا، خطى والده ضابط الجيش والتحق بالجندية. وفي أثناء التحاقه بالأكاديمية العسكرية الملكية في ووليتش (Woolwich)، أبدى رغبته في القتال، فنال إجازة قصيرة عام 1870 لينظم إلى الفرنسيين متطوعاً في حربهم ضد بروسيا. ولدى تخرجه تخرجه في الأكاديمية عام 1871 دخل سلاح المهندسين الملكي، وقام على مدى السنوات العشر التالية بمهام الاستطلاع والاستخبارات في فلسطين والأناضول وقبرص.

وفي عام 1883 التحق كيتشنر بأحد أفواج سلاح الفرسان المصري في المركز القيادي الثاني، وشارك في المحاولات الفاشلة لقوات حملة النيل لتعزيز

الجنرال تشارلز جوردون (Charles Goordon) في الخرطوم عامي 1884 ـ 1885. وقد كشف كيتشنر عن بسالة متواصلة في أرض المعركة وقطع على نفسه عهداً بالثأر لمقتل جوردون، وخسارة السودان لصالح المهدي وخليفته.

وفي خلال السنوات التي تلت، حصل كيتشنر، الذي كان يحيا حياة العزوبة ولا يشغله شاغل خارج حدود العسكرية، على عدد من الترقيات واكتسب صيتاً لاجتهاده، ومستوى أدائه الرفيع. وفي عام 1882 تولى كيتشنر قيادة الجيش المصري، وراح يحث رؤوساءه في لندن لاستعادة السودان، وبعد أن منح الإذن عام 1896 سار باتجاه النيل جنوباً، فبنى سككاً حديدية بمحاذاة النهر لتأمين خطوط الإمداد. واجه الجيش المتقدم مقاومة عنيفة من المدافعين العرب، غير أن قوات كيتشنر أحرزت انتصارات في دنقلة في 21 أيلول/ سبتمبر 1896، وفي «أبو حامد» في 7 آب/ أغسطس 1897، وفي معركة نهر عطبرة في 8 نيسان/ إبريل 1898.

واجه كيتشنر وجيشه المختلط من المصريين والانجليز والمؤلف من 26 ألف رجل هجوماً حاشداً في أم درمان في 2 أيلول/ سبتمبر 1898 من 40 ألف عربي، حيث حاول الحاكم العربي إيقاف أي محاولة أخرى للتقدم إلى داخل السودان. وقد صد رجال كيتشنر الهجوم الأول من خلف سور شجر الزعرور الذي كان علفاً للإبل، مستخدمين المدفعية ولأول مرة المدافع الرشاشة.

على الرغم من إحراز كيتشنر كسباً عاجلاً، فقد أقام على ما كاد أن يتحول إلى خطأ تنجم عنه كارثة حين شرع في إصدار الأمر لرجاله بهجوم شامل لاستغلال المواقف. كان العرب أبعد ما يكون عن الهزيمة، ولم يمر اليوم على ما يرام بالنسبة إلى كيتشنر إلا بمهمة درامية لفرقة رماة الرماح الحادية والعشرين، ودفاع مستميت للواء السوداني الثاني. وبانتهاء المعركة كانت بريطانيا العظمى قد استعادت السودان، ولقي ما يربو على عشرة آلاف من الجيش العربي مصرعهم وأسر نصف هذا العدد، وثأر كيتشنر لمثل جوردون بخسارة لا تزيد على خمسمئة جندي من جنوده.

وبعد مغادرة كيتشنر إلى إنجلترا لنيل الترقية والأوسمة، عاد إلى السودان لمدة وجيزة حاكماً عاماً قبل أن يبحر إلى جنوب أفريقيا ليصبح رئيس أركان في جيش فريديك سليه روبرتس (Frederick Sleigh Roberts). وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1900 حلّ كيتشنر محل روبرتس، وواصل الحرب ضد المستوطنين الألمان المهاجرين المعروفين بالبوير مستخدماً طرائق وحشية في القتال والتي مكنته في السابق من النجاح، ثم زاد على ذلك بضعة أساليب شرسة للتعامل مع عمليات حرب العصابات للعدو.

حرم كيتشنر البوير من الطعام والإمدادات من خلال سياسة الأرض المحروقة. ولكي يحد من دعم المدنيينن قام باحتجاز نساء البوير وأطفالهم والمدنيين الآخرين غير المقاتلين فيما أسماه «معسكرات الاعتقال»، وهو أول استخدام للمصطلح وقد كانت أساليب كيتشنر، على الرغم من ما وجه من انتقادات لتكتيكاته، أساليب ناجحة أرغمت البوير على إنهاء مقاومتهم.

واليوم تنظر بريطانيا العظمى وكثير من بقية دول العالم إلى كيتشنر على أنه واحد من أكثر القادة في عصره بطولة وسطوة. وقد خدم كيتشنر أولاً، الذي رقي إلى رتبة مشير، كقائد عام للقوات البريطانية في الهند خلال مرحلة 1902 - 1909، ثم شغل منصب القنصل العام في مصر عام 1911.

كان كيتشنر في إجارة في بلاده وقت اندلاع الحرب في أوروبا عام 1914؛ فقبل منصب وزير الدولة لشؤون الحرب وبدأ يتخذ الاستعدادات لها. مع أن الكثيرين في إنجلترا ظنوا أن الحرب ستكون قصيرة الأمد، وأن الجيش النظامي الصغير سيكون كافياً لإحراز النصر، فقد كان رأي كيتشنر أن الحرب سيطول أمدها، وأنها تتطلب وجود جيش أكبر عدة من المتاح آنذاك حتى في حال تفعيل قوات الاحتياط الإقليمية.

شرع، كيتشنر، بما عرف عنه من إخلاص واجتهاد، في تشكيل جيش قادر على خوض القتال فيما سيصبح نزاعاً دولياً. وبنى محاولاته لتجنيد الأفراد على ملصق يحمل صورته وهو يشير بإصبعه قائلاً: «ملكك وبلدك بحاجة

إليك». فتقدم ما يزيد على مليون شاب كانوا كافين لتشكيل 67 فرقة مقاتلة، وذلك في واحدة من أنجح حركات التطوع حتى ذلك اليوم. تولى كيتشنر عملية تجهيز هؤلاء الرجال مطالباً بأن تقوم قطاعات الصناعة بتزويدهم بأفضل المعدات وأحدث الأسلحة. وفي مدة وجيزة كان قد قام بتدريب متطوعيه وإرسالهم إلى منطقة القتال.

ارتفع شأن كيتشنر في نظر مواطنيه بعد أن كان يعدّهم للقتال. وقد احترم القادة المرؤوسون هذا القائد العظيم، وكذلك قواته براعته في القيادة وحدبه عليهم. غير أن القصة كانت مختلفة داخل الحكومة وبين أنداده؛ فظل منزوياً، وكان متغطرساً للغاية مع السياسيين ومع كثير من رفاقه العسكريين. وترتب على ذلك أنه بمجرد أن أنجز معظم أهدافه في عملية التعبئة، قلل أعداؤه في الحكومة البريطانية من مسؤولياته وأعفوه تماماً من مهامه، بينما كان بعيداً في منطقة القتال في غاليبولي (Gallipoli) عام 1915.

وعلى الرغم من هذا الرفض، فإن كيتشنر لم يتقدم باستقالته، بل عرض خدماته في مناطق بديلة. فأبحر في عام 1916 إلى روسيا على متن السفينة هامبشير (Hampshire) لتقوية التعاون بين الدولتين. وفي 5 حزيران/ يونيو اصطدمت السفينة بلغم عند الساحل الغربي لأوركني (Orkeny) وسرعان ما غرقت. لم يكن كيتشنر البالغ من العمر ستة وستين عاماً من بين القلة الناجية، فنعت بريطانيا العظمى خسارته رغم أنه قيل إن الذين لم يعرفوه كانوا أكثر ذرفاً للدمع عليه، لقد نال كيتشنر احترام الكثيرين لكنه حظي بصداقة القليلين.

لقد كانت نجاحات كيتشنر نتاج اهتمامه الفائق بالتفاصيل استعداداً للعمليات وفي إيصال الدعم. كانت فظاظته ووحشيته منسجمتين مع فلسفات وممارسات عصره. وإن إعادة سيطرته على السودان من خلال انتصاره في أم درمان لكفيل بإكسابه شهرة دائمة، كما أن جهده في تجهيز بريطانيا العظمى للحرب العالمية الأولى يؤهله لأن يتبوأ مكانه بين أكثر القادة العسكريين تأثيراً في عصره في ذلك البلد.



كارل دونتز

KARL DOENITZ

قائد ألماني

(1891 - 1980)

ولد دونتز في 16 أيلول/ سبتمبر 1891 في جرنو (Grunau) بالقرب من برلين. شغف بحياة الجندية منذ صباه، فالتحق عام 1910 بمدرسة تدريب البحرية الملكية، وتخرج فيها ضابطاً عام 1913، وخدم مع أسطول السفن الألماني قبل أن ينضم إلى سلاح الغواصات المشكل حديثاً آنذاك في تشرين الأول/ أكتوبر 1916. وبعد أن خدم دونتز على متن الغواصة (U-86) كضابط مراقبة، تولى قيادتها. وفي أثناء هجوم ليلي ضد قوة حماية بحرية بريطانية في 4 تشرين الأول/ أكتوبر 1918، تم إغراق تلك الغواصة وأسر دونتز ومعظم أفراد طاقمه.

وكان بعد استعادته لبلاده عام 1919، واحداً من الضباط القلائل الباقين

في البحرية الألمانية الصغيرة بموجب اتفاقية فرساي. ولكن حيث إن الهدنة منعت ألمانيا من امتلاك قوة غواصات، فقد خدم دونتز في عدة مهام على متن السفن الحربية في سنوات ما بعد الحرب. ثم عاد إلى سلاح الغواصات بعد تولي هتلر السلطة وتطبيقه خطة «z» التي قضت بالتوسيع الفوري للبحرية بما في ذلك الغواصات. وفي 27 أيلول/ سبتمبر 1935، أمر قائد القوات البحرية الأميرال إريخ ريدر (Erich Raeder) دونتز بإعادة بناء أسطول الغواصات الجديد وتولى قيادته. وحين تولى القيادة فعلياً، لم يكن لدى الألمان غواصات أو طاقم أو إرشادات عمليات أو مبادىء تكتيكية.

ولأن دونتز اعتمد على خبرته الذاتية ودراسته لاستراتيجيات الغواصات الحديثة في ذلك الوقت من الدول الأخرى، فقد كان هذا بمنزلة كتاب موضوع حول حرب الغواصات الألمانية. وعلاوة على إشرافه على تصميم القوارب، بما في ذلك الأسلحة ونظم الدفع لزيادة السرعة والمدى، فقد وضع هو نفسه إرشادات تدريب طاقمه. كذلك ابتكر دونتز المفهومين الأساسيين لمبادىء سلاح الغواصات. وقد عقد العزم، وأقنع رؤساءه، على أن الهدف الرئيسي لسلاح الغواصات ينبغي أن يكون السفن التجارية لا الحربية، ذلك بهدف قطع خطوط إمداد العدو. وكان مفهومه الثاني، وهو ما أحدث ثورة في حرب الغواصات، يقوم على وجوب نشر الغواصات وقيامها بالقتال في مجموعات أو فرق وهو ما أطلق عليه «فرق الذئاب».

وقد كان لاضطرار دونتز إلى التنافس مع بحرية السطح والجيوش نظراً إلى محدودية موارد ألمانيا من الصلب أثره في إبطاء تحقيق هدفه المتمثل في بناء أسطول من ثلاثمئة غواصة. وعندما بدأت الحرب العالمية الثانية في الأول من أيلول/ سبتمبر 1939، كان كل ما بحوزة دونتز من غواصات لا يتجاوز 56، ليس من بينها سوى 22 قادرة على العمل في عرض المحيط الأطلسي. وكان عليه أن يتعامل ليس فقط مع أسطول محدود بل كذلك مع القيود التقليدية بوجوب إنذار الأهداف المحتملة قبل الإطلاق، وذلك لإتاحة الفرصة للأطقم

بالجلاء. وعلى الرغم من ذلك أغرقت غواصاته 114 من السفن التجارية في الأشهر الأربعة الأخيرة من عام 1939.

وبعد أن نشر دونتز المزيد من الغواصات، حين أتيحت الموارد، عمد إلى التركيز على حرمان بريطانيا العظمى من القدرة على إعادة التموين عن طريق البحر، كما قدم الدعم للعمليات الألمانية البرمائية. وفي آب/ أغسطس 1940، ألغى هتلر مبدأ الإنذار المسبق، وسمح لدونتز بخوض حرب غواصات لا يحدها قيد أو شرط، وفي غضون أربعة أشهر كانت الغواصات الألمانية قد أغرقت 285 سفينة تجمل في مجموعها ما يزيد على مليون طن.

وقد كان دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب في كانون الأول/ ديسمبر 1941 بمنزلة فتح باب جديد؛ إذ كان الأمريكيون يفتقرون إلى الخطط الدفاعية الخاصة بسفن الحماية التابعة لهم في طريقها إلى إنجلترا. ففي الأشهر الستة الأولى من عام 1942 هوت 585 سفينة أمريكية إلى قاع المحيط بنيران الغواصات الألمانية، بعض تلك السفن تم إغراقه على بعد أميال من الساحل الأمريكي.

وفي 30 كانون الثاني/ يناير 1943 تولى دونتز - الذي كان آنذاك برتبة أميرال، على الرغم من عدم انضمامه إلى الحزب الوطني الاشتراكي (النازي) - قيادة الأسطول الألماني. وإضافة إلى مسؤولياته الجديدة، ظل المسؤول شخصياً عن تنمية قوة الغواصات إزاء ما كان يواجهها من تحديات جديدة؛ فالحلفاء بأعدادهم المتزايدة من الرجال والسلاح الأفضل نوعاً لهم التفوق براً وبحراً، وأصبح في مقدور الرادار اكتشاف الغواصات، وتمكن الحلفاء من فك رموز الشفرة الألمانية فحددوا مواقع «فرق الذئاب».

حاول دونتز وقف تقدم الحلفاء عن طريق نظم تسمح للغواصات بإعادة شحن بطارياتها وهي غائصة، وكذلك عن طريق تطوير المحركات ونظم الطوربيد. غير أن هذه التحسينات جاءت متأخرة بعض الشيء؛ فالغواصات الألمانية التي كادت تحرز النصر في معركة الأطلسي عام 1942، كانت بحلول

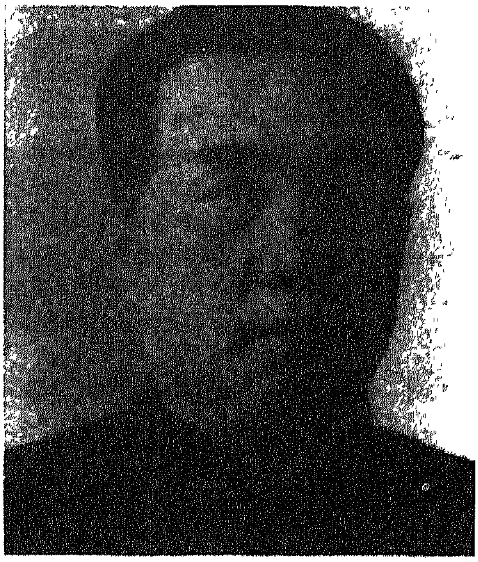
عام 1944 غير ذات فاعلية على الإطلاق في الحد من عبور السفن للمحيط. وقد واصل دونتز ورجاله بالقتال بما كان متوافراً من الغواصات التي بلغ عددها آنذاك 398 وكانت لا تزال صالحة للعمليات والنزاع يدنو من نهايته، ولم يأت إنجاز سلاح الغواصات الألماني مقابل ثمن بخس؛ إذ خسرت ألمانيا ما يزيد على 32 ألف بحار و781 غواصة.

لم تنته خدمات دونتز لألمانيا بانتهاء دور الغواصات والبحرية؛ إذ ترك هتلر قبل إقدامه على الانتحار في 30 نيسان/ إبريل 1945 تعليمات لدونتز بأن يخلفه مستشاراً لألمانيا. حاول قبطان الغواصات السابق على الفور الدخول في مفاوضات سلام منفصل مع القوى الغربية، وأن ينهي الحرب وصولاً إلى الحد الأدنى من الخسائر في الأرواح، وصوناً لنوع من الاستقلال لألمانيا، غير أن محاولاته باءت بالفشل، فاضطر في 7 أيار/ مايو أن يقبل الاستسلام غير المشروط.

ظل دونتز الرئيس الشرفي لألمانيا مدة أسبوعين قبل إلقاء القبض عليه بوصفه مجرم حرب في 22 أيار/ مايو. ومع أنه لم ينضم إطلاقاً إلى الحزب النازي، ومع إقرار العديد من قادة البحرية الأمريكيين بأنهم شنوا حرب غواصات غير ملتزمة بقيد أو شرط، فقد وجهت إليه التهمة المبهمة بارتكاب جرائم ضد السلام. فأمضى عشر سنوات مع مجرمي حرب ألمان آخرين في سجن شبانداو (Spandau) قبل أن يطلق سراحه ليعيش بقية حياته في معتزل في هامبورج. وقد توفي من مرض في القلب وعمره تسعة وثمانون عاماً في 24 كانون الأول/ ديسمبر 1980. وعلاوة على العقد الذي أمضاه دونتز في السجن كان قد فقد ولديه اللذين ماتا في القتال البحري في أثناء الحرب.

كان دونتز قائد غواصات بارعاً وصاحب رؤية نافذة أتاحت له إدراك المدى الذي يمكن أن تساهم فيه الغواصة في القتال. مع أنه سلاح غير بادٍ للعيان، فقد كان إيمان دونتز به عميقاً، وكان حدبه على طاقمه صادقاً. وقد أصبحت ابتكاراته في حرب الغواصات، ولا سيما تكتيك «فرق الذئاب» معياراً

قياسياً في عالم الحروب. على الرغم من ما أحدثته الطاقة والأسلحة النووية بعد عقد من تغيير طرأ على كثير من تكتيكات دونتز، فقد تركت الحرفية العالية والروح التي كان يتمتع بها أسطول الغواصات الألمانية أثراً لا يمحى على أسلحة الغواصات في أرجاء العالم.



كيم إيل سونج

Kim Il Sung

دكتاتور كوري

(1994 - 1912)

تحجب السرية والدعاية كثيراً من الحقائق حول حياة كيم، بل حتى اسمه مختلف عن اسمي والديه الشرعيين. ولد في 15 نيسان/ إبريل 1912 بالقرب من بيونجيانج باسم كيم سونج يو (Kim Song Ju) فر من كوريا إلى منشوريا عام 1925 هرباً من اضطهاد المحتلين اليابانيين. والتحق هناك بالحزب الشيوعي الكوري عام 1931. وفي أواخر الثلاثينيات وصل صيته أسماع السلطات العسكرية السوفيتية؛ بسبب عمليات حرب العصابات التي كان يشنها ضد القوات اليابانية وفقاً لبعض الروايات، أو بسبب حماسه الشيوعي وفقاً لروايات أخرى.

قضى كيم معظم سنوات الحرب العالمية الثانية في الاتحاد السوفيتي، بزعم مشاركته في القتال تحت العديد من الأوصاف مع الجيش الأحمر. ولكن من

المحتمل أنه قضى غالبية ذلك الوقت في التدريب السياسي، وليس في القتال العلني، وفي خلال تلك المرحلة اتخذ أيضاً لنفسه اسم كيم إيل سونج الذي كان يتسمى به أحد رجالات حرب العصابات الكوريين، وذلك بعد أن توفي ذلك الرجل الذي ذاع صيته بأنه محارب عظيم ووطني كان يقاتل اليابانيين.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية أعلن الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية خططاً لإعادة توحيد كوريا التي كان كل منهما يحتل قطاعاً منها، فعاد كيم وبعض الشيوعيين الكوريين المدربين في موسكو إلى الوطن لتنظيم الحكم في كوريا الشمالية. توقع كثير من الكوريين حين علموا بعودة كيم إيل سونج أن يستقبلوا محارب العصابات القديم الذي يحمل هذا الاسم؛ ففوجىء معظمهم بالشاب «كيم الجديد»، وليس هناك من دليل على أنه بذل جهداً يذكر لإيضاح إنجازاته العسكرية المزعومة التي لم تكن كلها لتنسب إليه.

وبانتهاء الاحتلال السوفيتي عام 1948، كان كيم قد استحوذ تماماً على كل جوانب الحكومة في الشمال وأصبح رئيساً لوزراء جمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية. وعندما أخفق السوفييت والأمريكيون في الاتفاق حول إعادة توحيد الكوريتين عام 1950، قام كيم بدعم المستشارين السوفييت وسلاحهم بغزو كوريا الجنوبية لتوحيد البلاد بالقوة تحت السيطرة الشيوعية. وعلى الرغم من أن السرية تغطي على النشاطات، فمن الواضح أن كيم كانت له السيطرة المطلقة على جيش كوريا الشمالية بالوسيلة ذاتها التي كان يسيطر بها على الجوانب الأخرى من البلاد.

واجه غزو كيم مقاومة ضعيفة حتى بعد وصول القوات الأمريكية وقوات الأمم المتحدة. ولكن على الرغم من أقصى ما بذل كيم من جهد، لم يكن نداً لدوجلاس مكارثر، عندما أنزل قواته الغازية في إنشون. أما وقد طاردتهم قوات الأمم المتحدة، فقد تقهقر الناجون من قوات كيم في فوضى صوب الشمال. ولم ينقذ كيم إلا فرق «المتطوعين» الشيوعيين الصينيين الذين دخلوا القتال

بأوامر من ماو تسي تونج في أواخر عام 1950، فردوا قوات الأمم المتحدة إلى داخل كوريا الجنوبية. وعلى مدى العامين التاليين توقفت الحرب تقريباً عند حدود ما قبل الحرب بمحاذاة خط العرض 38.

وأخيراً وقع المتحاربون على اتفاق هدنة في 27 تموز/ يوليو 1953. وبعد أكثر من أربعين عاماً احتل جنود كوريا الشمالية عدداً من المواقع المواجهة لكوريا الجنوبية وللمواقع الأميريكية على طول خط الهدنة، ولا يزال اندلاع للنيران يحدث بين الحين والآخر. إن نجاة كيم التي تمت بأعجوبة في أثناء النزاع لم تقلل من إحكامه السيطرة بعد الهدنة. وبحلول عام 1956 كان قد قضى على كل معارضيه خارج وداخل الحزب الشيوعي الكوري، متخذاً ألقاب «المارشال» و«بطل المرتين» و«بطل العمال». وفي عام 1972 «تنحى» وأصبح رئيساً، لكنه كان لا يزال مسيطراً سيطرة مطلقة على الحكومة والجيش.

وبمرور الوقت ابتعد كيم بنفسه عن كل من الاتحاد السوفيتي والصين. وداخل كوريا الشمالية قام بالترويج لشخصه بما هو أقرب إلى العبادة، فأقام التماثيل والنصب ومظاهر الشرف الأخرى التي تمجده، بينما أحدث بعض التقدم في التصنيع في كوريا الشمالية، فقد تخلف كثيراً عن كوريا الجنوبية، بل جاءت فترات كان كيم يجد فيها صعوبة لتوفير الغذاء الكافي لشعبه.

وفي عام1980 قام كيم بترفيع ابنه كيم إيل إلى عدة مناصب في السلطة. وعلى الرغم من ميول كيم الأصغر «اللعوب»، فلم يكن هناك شك في نوايا كيم الأكبر بتنصيب ابنه خلفاً له في زعامة الحكومة والجيش.

وفي 8 تموز/ يوليو 1994 توفي كيم إيل سونج وعمره اثنان وثمانون عاماً، فتولى ابنه كيم يونج إيل السلطة كما هو مخطط. وعلى الرغم من ما أبداه من تواضع منذ رحيل أبيه، فلا توجد أدلة قاطعة على أن سلطته ينفرط عقدها؛ فالتقارير عن انتشار الجوع والقمع تتواتر خارج كوريا الشمالية، غير أن الدولة الشيوعية كما أقامها كيم إيل سونج ما زالت قائمة وتستفز كوريا الجنوبية وحلفاءها الأمريكيين وتتصرف إزاءهم بعدائية.

ومع أن تأثير كيم الكلي كان هامشياً أو منعدماً خارج كوريا، فإن كوريا الشمالية ما تزال مصدر تهديد للسلام في المنطقة، وداخل البلاد يحمل كل مبنى وكل شارع تذكاراً لكيم، الذي يمثل لمواطنيه الكوريين قداسة العبادة. ولا يبدو في الوقت الحالي أن هناك أي تهديد فعلي لحركته. فأثناء احتفالات عيد العمال في 1 أيار/ مايو 1995 لهجت ألسنة الآلاف من المدنيين والعسكريين الكوريين الشماليين بالغناء في ميدان كيم إيل سونج تحت صور لينين وماركس هاتفين: «الرفيق كيم إيل سونج هو الرفيق كيم يونج إيل؛ هما الشخص نفسه».

رغم أن كيم إيل سونج لم يُظهر على الإطلاق أي مهارات عسكرية ذاتية جديرة بالإشارة وكان تقريباً دمية الاتحاد السوفيتي والصين، فما زالت تركته باقية. وكوريا الشمالية التي يرئسها الآن ابنه تماثل العراق في عهد الرئيس صدام حسين، من حيث إن كلتا الدولتين تمثل تهديداً للسلام والاستقرار إقليمياً ودولياً، واحتواء طموحاتهما المحتملة له تأثيره في سياسات القوى الكبرى وأفعالها في العالم. لهذا السبب وحده يدرج كيم بين القادة العسكريين ذوي التأثير.



ديفيد جلاسجو فاراجيت

David Glasgow Farragut

قائد أمريكي

(1870 - 1801)

ولد فاراجيت في أسرة بحرية باسم جيمس جلاسجو فاراجيت بالقرب من نوكسفيل (Knoxvile) بولاية تنسي في 5 تموز/ يوليو 1801، ثم تبنته أسرة ديفيد بورتر (David Porter) العقيد في البحرية الأمريكية عندما توفيت والدته بالحمى الصفراء عام 1808. فغير اسمه الأول إلى ديفيد إكراماً لوالده بالتبني.

وفي سن لم تتجاوز الثامنة حصل فاراجيت على منحة للدراسة للالتحاق بالبحرية، وفي أثناء الحرب عام 1812 خدم على متن السفينة إسكيس (Essex) وشارك في الغارات ضد أسطول صيد الحيتان البريطاني في المحيط الهادي. وعندما كان في الثانية عشرة من عمره، قاد سفينة من الأسلاب عائداً بها إلى الميناء عام 1813، وبعدها بعام وقع مدة وجيزة في الأسر إثر هزيمة إسيكس

أمام السفينة البريطانية فيبي (Phoebe) قبالة ساحل فالبريزو (Valpariso) بتشيلي في 28 شباط/ فبراير.

وفي أعقاب حرب عام 1812 عمل فاراجيت باجتهاد ليتغلب على حرمانه من التعليم الرسمي عن طريق دراسة اللغات والتاريخ البحري. وعلى الرغم من ما كانت عليه مرحلة السلم من تقشف، فقد تقلب فاراجيت في الوظائف على نحو متلاحق بفضل قدراته القيادية ومهاراته البحرية، فخدم في البحر الأبيض المتوسط والبحر الكاريبي والمحيط الأطلسي قبالة سواحل البرازيل. وشارك في أثناء الحرب المكسيكية في حصار مواني المكسيك. وفي عام 1854 أسس الحوض البحري في مير أيلند (Mare Island) في سان فرانسيسكو.

وفي أعقاب اندلاع الحرب الأهلية عام 1861 تلقى فاراجيت ـ وكان يتولى قيادة الأسطول المحاصر للخليج الغربي ـ أوامر بالاستيلاء على نيوأورليانز وإغلاق نهر المسيسبي. وفي ربيع 1862 حاول مراراً وعن طريق استخدام المدفعية تدمير حصن جاكسون (Jackson)، وهو المعقل الكونفيدرالي القوي الذي كان يسد القناة المؤدية لنيوأورليانز من الخليج. وبعد إخفاقه في تحييد المتمردين، أبحر بأسطوله متجاوزاً الحصن تحت جنح الظلام، وسرعان ما ألحق الهزيمة بأسطول الكونفدرالية الصغير الذي كان يقوم على حراسة نيوأورليانز. وبالتنسيق مع قائد الجيش الفريق بنجامين بتلر (Benjamin Butler) تمكن من الاستيلاء على المدينة في 24 نيسان/ إبريل.

وفي تموز/ يوليو قامت البحرية بترقية فاراجيت إلى رتبة لواء بحري المستحدثة، ثم تحرك للتصدي لمدفعية الشاطىء التي تتولى حراسة المداخل إلى فايكسبيرج، وقام على مدى العام التالي بإغلاق الممرات المائية إلى المدينة. وفي عام 1863 فرض حصاراً على فايكسبيرج بالتنسيق مع قائد القوات البرية جرانب، فاستسلمت المدينة في 4 تموز/ يوليو، ما أدى إلى انشطار الولايات الكونفدرالية شطرين. واستطاعت البحرية الاتحادية أن تفرض سيطرتها الكاملة على نهر المسيسبي.

وعندما تم تأمين المناطق الداخلية الرئيسية على النهر، تحرك فاراجيت

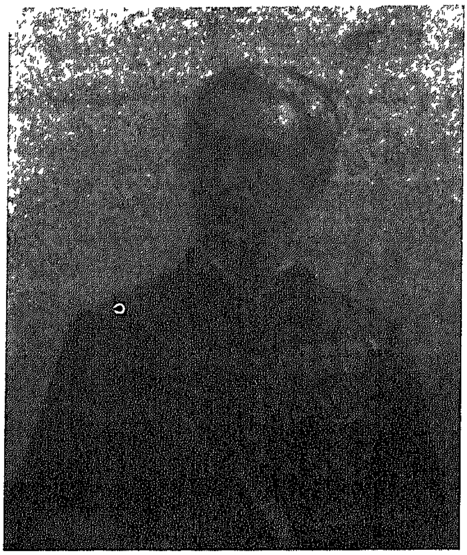
للاستيلاء على ميناء المتمردين الذي كان لا يزال يتلقى إمدادات حربية من أوروبا. وقد كان خليج موبايل يمثل عقبة كبيرة نتيجة كونه محمياً بمدخل ضيق ممتلىء بألغام على هيأة طوربيدات، كما كانت تحميه مدفعية سواحل حصن موران (Fort Moran)، والسفينة المدرعة الكونفدرالية تنسي (Tennesse).

أبحر فاراجيت إلى داخل الخليج عازماً على توجيه هجومه الرئيسي ضد سفينة المتمردين المدرعة، ولكن قبل أن يتمكن من الإطباق على السفينة، اصطدمت إحدى سفنه تيكمسي (Tecunseh)، بلغم وغرقت بمعظم طاقمها. أخفق هجوم الاتحاديين إلى أن حشد فاراجيت أسطوله وأصدر إليهم الأوامر صائحاً: «اللعنة على الطوربيدات انطلقوا بأقصى سرعة إلى الأمام».

كانت مغامرة فاراجيت التي اعتمدت على أن معظم الألغام لن يكون لها فاعلية نظراً إلى طول تعرضها إلى الماء المالح مغامرة مثمرة؛ إذ لم تصطدم أي من سفنه بعدها بطوربيدات. وبعد خوض معركة قصيرة استسلمت السفينة تنسي ودفاعات الشاطىء، فكان هذا النصر الذي أحرزه فاراجيت في ميناء موبايل وحصل على ترقية إلى رتبة أميرال ونال ثناء الأمة.

وفي أعقاب الحرب تولى فاراجيت المسن، على الرغم من اعتلال صحته، قيادة وحدة بحرية وهو في العقد السابع من عمره، مبحراً بها إلى موانى أوروبا للتأكيد على الاعتراف ببلاده، وتلقى تهاني الدول الأجنبية على النجاح في إخماد التمرد. وقد توفي فاراجيت بعد عودته بمدة وجيزة، وعمره تسعة وستون عاماً في بورتسموث بنيوهامبشاير في 14 آب/ أغسطس 1870.

لقد خدم فاراجيت، الشجاع الواسع الحيلة الجرىء، الولايات المتحدة الأمريكية لما يزيد على ستة عقود، وكان لانتصاراته في نيوأورليانز وخليج موبايل إسهاماتها الجلية في الختام الناجح للحرب الأهلية الأمريكية، ما هيأ للاتحاد الاستمرار، ذلك الاتحاد الذي كتب له بسط هيمنته على العالم خلال القرن التالي. إن فاراجيت هو أهم شخصية بحرية في الحرب الأهلية الأمريكية، كما أنه أكثر ضباط البحرية تأثيراً وصيتاً في القرن التاسع عشر وحتى مجيء جورج ديوي (George Dewey) وما حقق من نصر في خليج مانيلا.



جارنت جوزيف وولزلي

GARNET JOSEPH WOLSELEY

قائد بريطاني

(1913 - 1833)

ولد وولزلي في 4 حزيران/ يونيو 1833 في جولدن بريدج (Golden Bridge) بالقرب من دبلن بأيرلندا، ابناً لصاحب متجر تقاعد من الجيش برتبة رائد. تمكن من الالتحاق ضابطاً بالفوج الثاني عشر مشاة عام 1852، إلا أنه نقل إلى الفوج الثمانين مشاة لأسباب مالية، فخدم في الهند حيث كانت الضباط أقل تكلفة بكثير عما كانت عليه في إنجلترا. وصل وولزلي في اللحظة المناسبة ليشارك في الحرب الإنجليزية - البورمية الثانية عام 1853، حيث قاتل ببسالة قبل أن يصاب بجرح خطير في الفخذ من طلقة نارية.

وبعد تماثله للشفاء في بريطانيا حتى عام 1854 انضم إلى فوج المشاة الخفيفة التسعين في القرم، مظهراً من جديد شجاعته وليصاب للمرة الثانية

بجرح أفقده هذه المرة إحدى عينيه، وبعد تعافيه، خدم مدة وجيزة في الصين قبل أن ينقل لإخماد تمرد السِّباهيين [الهنود المجندون في الجيش البريطاني] في الهند عام 1857. ونتيجة لمشاركته في تخليص لكناو (Lucknow) والاستيلاء عليها عام 1858 رفع فخرياً إلى رتبة مقدم وهو في الخامسة والعشرين من العمر، فكان بذلك أصغر ضابط في الجيش البريطاني يحوز هذا التقدير.

وبعد قيام وولزلي بجولة أخرى في الصين، خدم في كندا مساعد قائد للإمداد والتموين عام 1861، وظل في أمريكا الشمالية طوال العقد التالي إلى أن وصل إلى رتبة عقيد، وقائماً في الأغلب بمهام تتعلق بالحاميات. زار مركز قيادة القائد الكونفيدرالي روبرت إدوارد لي إبان الحرب الأهلية الأمريكية وعبر لاحقاً عن إعجابه به.

نشر وولزلي كتاباً عام 1862 عن الحرب مع الصين، ثم عرج بقلمه ليخط أفكاراً حول أداء الجنود والإصلاح العسكري؛ فنشر في عام 1869 كتاباً تحت عنوان «**كتاب الجيب لجندي الخدمة الميدانية**» (Soldier's Pocket- book for Field Service)، ويحوي نقداً للجيش وإدارته، فقوبل باستحسان المدنيين والعسكريين. غير أن هذا الكتاب قلص صداقات وولزلي مع كبار الضباط الذين اعتبرهم المؤلف جزءاً من المشكلة لا جزءاً من الحل.

حاز وولزلي الاحترام من خلال أدائه، ورداءة السمعة من خلال كتاباته. غير أن أولى عملياته التي جعلت منه بطلاً قومياً «وناراً على علم» في موطنه إنجلترا لم تقع إلا بعد انتهاء مهمته في كندا. ففي أيار/ مايو 1870 أعلن المتمرد الكندي لويس رايل (Louis Riel) استقلال مانتوبا (Manitoba) عن الإمبراطورية البريطانية، فتقدم وولزلي الذي كان يتولى قيادة حملة النهر الأحمر (Red River Expedition) قاطعاً ستمئة ميل من البراري ليتصدى للمتمردين في فورت جاري (Fort Garry). وعن طريق استعراض القوة والمفاوضات الحكيمة تمكن من دفع المتمردين للاستسلام من دون إراقة دماء.

عاد وولزلي إلى إنجلترا عام 1871، وكان آنذاك مساعد قائد فبدأ على

الفور الإصلاحات، بما في ذلك متطلبات الخدمة القصيرة الأجل بغية ضم مزيد من المتطوعين الأكفاء، وكذلك إنشاء قوة احتياط، والعمل على أن تتم ترقية الضباط كسباً بالعمل لا شراءً بالمال. وقد ظل إصلاح الجيش هدفه الرئيسي بقية مدة خدمته، على الرغم من استدعاء الحكومة لقيادة الحملات ضد المتمردين ومصادر التهديد الأخرى للإمبراطورية.

وقد حانت أول فرصة له «لإصلاح الاعوجاج» عام 1873 عندما قاد حملة تأديبية ضد تجار الرقيق من قبيلة أيشنتي (Ashanti) بغرب أفريقيا. وعلى طريقته المعهودة قاد الحملة بمحاذاة ساحل الذهب (Gold Coast)، المعروف بـ«قبر الرجل الأبيض» نتيجة الأمراض والمشاق والخصوم. اختار وولزلي بعناية مرؤوسيه من الضباط ممن أظهروا شجاعة حسن قيادة وخبرة تكتيكية، بغض النظر عن الخلفية الطبقية أو أي ارتباطات أخرى، وقام بالتخطيط لعمليته بانتباه مفصل للنواحي التموينية وطبيعة الأراضي وأحوال الطقس الموسمية. وقد ترك هامش مرونة في خطته تحرزاً لتغيرات في الموقف أو تحسباً لعوامل غير متوقعة، كما حصر حملته «وفق ميزانية» محددة فلم يسرف في المال أو الأرواح فيما خاض من معارك.

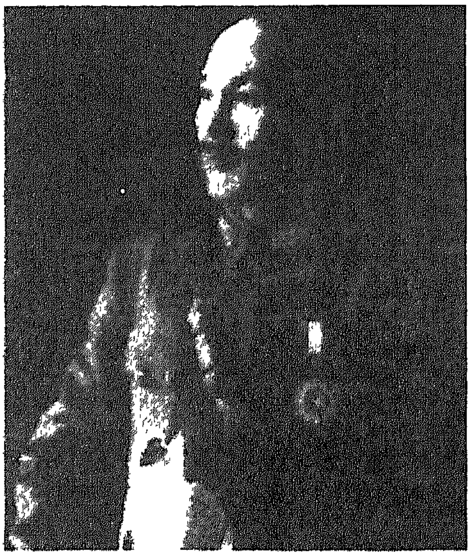
قام بنفسه مع بضعة ضباط تم انتقاؤهم بعناية بعمليات الاستطلاع في غرب أفريقيا. ثم انتظر حتى الموسم الجاف حين يقل وجود الحشرات الناقلة الأمراض قبل أن ينزل قواته. وفي اندفاعه السريع نحو الداخل قام بأسر وتدمير مركز تجارة الرقيق في كوماسي (Kimasi) منهياً سيطرة الأيشنتي على المنطقة. وفي عام 1879 عاد ولزلي إلى أفريقيا لقيادة القوات التي أخمدت الانتفاضة في أراضي الزولو.

وكلما عاد وولزلي إلى إنجلترا فيما بين تلك الحملات، كان يواصل جهوده الإصلاحية. وفي عام 1882 عاد إلى ميادين القتال لإخماد الثورة الوطنية في مصر بقيادة أحمد عرابي باشا. وسرعان ما أمن قناة السويس ثم باغت الباشا وهزمه في هجوم ليلي في التل الكبير في 13 أيلول/ سبتمبر. وبعد ذلك بعامين

قاد حملة إلى الخرطوم لإنقاذ القائد المحاصر تشارلز جوردون فوصل بعد مقتله بيومين، إلا أن وصوله كان في اللحظة المناسبة لتأمين المدينة في 28 كانون الثاني/ يناير 1855.

وفي مرحلة 1890 ـ 1894 تولى وولزلي قيادة قوات الإمبراطورية في أيرلندا قبل ترقيته إلى رتبة مشير ثم ترفيعه ليشغل منصب القائد العام في 1895. ومن خلال موقعه هذا قام بإعداد ونشر الجيش المشارك في حرب البوير عام 1898 وواصل تنفيذ الإصلاحات والتغييرات التي جهزت القوات الميدانية البريطانية للقتال الحديث في الحرب العالمية الوشيكة. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1900 تقاعد وولزلي ليتيح الفرصة لبطل حرب البوير، اللورد فريدريك سليه روبرتس، تقلد منصب القائد العام. توفي في مينتون (Menton) بفرنسا في 26 آذار/ مارس 1913، ودفن في كاتدرائية القديس بولس في لندن.

لم يحدث أن واجه وولزلي على الإطلاق قوة من قوات العدو في داخل القارة الأوروبية ولم يحدث أن اشتبك في حرب كبرى، بيد أن تأثيره في الجيش البريطاني في أواخر القرن التاسع عشر كان تأثيراً عظيماً، فهو من أعده للمستقبل بما أجرى من إصلاحات مثل تطوير نوعية المجندين والضباط. وفي حين وجهت له انتقادات بالمحاباة داخل الجيش تجاه الضباط المنتقين، والمعروفين بـ«الحلقة» كان يتمتع باحترام الجندي العادي وإعزاز الشعب البريطاني الذي أطلق عليه «قائدنا الأوحد».



تشيانج كاي ـ شيك

CHIANG KAI-SHEK

وطني صيني

(1975 ـ 1887)

ولد تشايج في حي فينجهيو (Fenghue) بمقاطعة تشيكيانج (Chekiang) بالقرب من شنجهاي في 31 تشرين الأول/ أكتوبر 1887. حاد عن تقليدية العائلة في الزراعة والتجارة البسيطة ليلتحق بالجيش. وبعد قضائه مدة وجيزة في الأكاديمية العسكرية الوطنية في بودينج (Baoding)، سافر إلى طوكيو ليلتحق بكلية أركان الجيش. وهناك تقابل مع سون يات ـ سن (Sun Yat-sen)، وانضم إلى التحالف الثوري المتحد الذي كان يتزعمه، وهو الاسم السابق لحزب الكومنتانج (الوطني) الذي كان يهدف إلى إطاحة الحكومة الملكية وتوحيد الصين في جمهورية.

تنقل تشيانج ما بين الصين واليابان على مدى سنوات عديدة تلت، مكثفاً

تدريبه العسكري، وشاحذاً فكره السياسي. وفي عام 1911 تولى ـ بوصفه معاوناً لسون ـ قيادة أحد الأفواج في الثورة التي قادت إلى إقامة جمهورية الصين عام 1912.

وعلى مدى العقد التالي قسم تشيانج وقته ما بين محاربة الأعداء في الصين ومواصلة تعليمه العسكري والاجتماعية، ويطلب المساعدة المالية لبلاده. وعند عودته إلى الصين عام 1924، تولى إدارةً إكاديمية وامبو العسكرية التابعة للحزب الوطني، حيث تهيأت له الفرصة للتأثير في الضباط الصغار وتوسيع قاعدة قوته المتنامية.

وبوفاة سون عام 1925 تولى تشيانج قيادة التحالف الثوري الاتحادي، وبدأ خططاً لاقتلاع آخر بارونات الحرب الذين كانوا لا يزالون معارضين للحكومة المركزية. وفي عام 1926 نظم تشيانج ثماني فرق لمحاربة المتزعمين للمعارضة في شمال ووسط الصين. وقام في غضون العام الأول من «الحملة الشمالية» بتطهير التحالف من الشيوعيين، وكان كثير منهم أعضاء في الحزب منذ تأسيسه. وفي العام التالي تزوج من سونج ماي ـ لنج (Soong Mei-ling)، فزاد تفوذه بارتباطه بهذه العائلة الثرية الواسعة النفوذ، بتعليمها الغربي وثروتها المصرفية. وفي 10 تشرين الأول/ أكتوبر 1928 تولى تشيانج منصب رئيس الحكومة الوطنية وحكم الصين الموحدة.

وبحلول أوائل الثلاثينيات كانت المعارضة الوحيدة الباقية في وجه تشيانج هم الشيوعيين بقيادة ماوتسي تونج. وقد كانت عملياته الأولى ضد الجيش الأحمر الشيوعي ناجحة، ما أجبرهم على الانسحاب فيما سوف يعرف «بالمسيرة الطويلة».

وفي الفترة التي شهدت مقدمات الحرب العالمية الثانية تجاهل تشيانج في البداية الغزو الياباني لمنشوريا الصينية، وواصل هجومه ضد الشيوعيين. استمر هذا النهج حتى 12 كانون الأول/ ديسمبر 1936، عندما اختطف الشيوعيون تشيانج في أثناء زيارته لمدينة زيان (Sian) الواقعة إلى الشمال

الغربي. وكان من شروط إطلاق سراحه موافقته على تشكيل جبهة موحدة مع الشيوعيين ضد اليابانيين.

بدأت الحرب الموحدة ضد اليابان في 7 تموز/ يوليو 1937. وعلى الرغم من خسارة قوات تشيانج لمعظم أراضي البلاد لصالح العدو، فقد تمكن من إقامة مركز قيادة في تشونجكينج (Chungking) جنوب غربي الصين. وقد استغل كل من تشيانج وماو المساعدات من الولايات المتحدة الأمريكية لبناء احتياطي التسليح والذخيرة واستعداداً لحرب المستقبل، تقاسماً فيما بينهما. تحاشى الرجلان القتال الكبير، لكنهما أسهما في المجهود الحربي الذي ترتب عليه بقاء عدد كبير من القوات اليابانية داخل الصين، ولم يتح لها المشاركة ضد قوات الحلفاء في المحيط الهادي، التي كانت تقوم بحملات خاطفة تجاه الجزر اليابانية.

وبانتهاء الحرب علت مكانة تشيانج بوصفه قائد الصينيين ضد اليابانيين، لتتساوى مع مكانة روزفلت وستالين في محاربة قوات المحور. استسلم اليابانيون عام 1945، ومع ذلك لم يحل السلام على ربوع الصين، بل استأنف وطنيو تشيانج وشيوعيو ماو من فورها القتال بعضهما ضد بعض. وعلى الرغم جهود الولايات المتحدة الأمريكية للوساطة، استمر القتال لصالح الشيوعيين. وفي عام 1949 نقل تشيانج حكومته الوطنية التي كانت على شفا الانهيار إلى جزيرة تايوان، وفي أثناء فرار تشيانج من الصين تخلى مؤقتاً عن منصب الرئيس، لكنه استعاد اللقب في آذار/ مارس 1950. ومنذ ذلك الوقت وحتى وفاته في 6 نيسان/ إبريل 1975 في الثامنة والثمانين من عمره، حكم «الصين الوطنية» مطوراً الجزيرة إلى قوة آسيوية اقتصادية. ومع أن تشيانج واصل محاباة الولايات المتحدة الأمريكية واستمر يتلقى المساعدات الأمريكية؛ لأنه كان واحداً من بضعة زعماء أرسلوا بقوات عسكرية إلى فيتنام لدعم جهود الولايات المتحدة الحربية هناك، فإنه لم يتمكن على أي نحو من القيام بجهد ذي مغزى لإعادة التوحد مع الوطن الأم.

لقد تقلب تشيانج ما بين القيادة العسكرية والسياسية في يسر، وهما

الدوران اللذان أداهما بوطنية حماسية، وغلظة عنيدة غالباً ما أنزلت العقاب بمن زعم حمايتهم. وقد أسهم بشكل مباشر في هزيمة اليابانيين في الحرب العالمية الثانية، ومع أن الشيوعيين تغلبوا عليه في نهاية المطاف، فقد أثبت كفاءة في تنظيم حكومة وطنية والحفاظ عليها في تايوان.

وبينما ظهر تأثير ماو أكبر في ذلك الوقت، غير أنه بعد مضي خمسين عاماً اهتزت مكانته اهتزازاً شديداً، في حين تثير ذكرى تشيانج التوقير في تايوان التي لا تزال حرة. إن ما يقدّم ماو على تشيانج في هذه القائمة ليس إلا الحجم الأكبر للصين الشيوعية وتعداد سكانها.



فريدريك سليه روبرتس

FREDERICK SLIEGH ROBERTS

قائد بريطاني

(1832 - 1914)

ولد روبرتس في 30 أيلول/ سبتمبر 1832 في كانبور (Cawnpore) بالهند، حيث كان والده الفريق إبراهام روبرتس يعمل هناك. سافر إلى إنجلترا في سن مبكرة ليدرس في إيتون (Eton) وساندهيرست، وعاد إلى الهند بعد تعيينه في سلاح المدفعية البنجالي عام 1851، فشهد قتالاً ضارياً إبان تمرد السّباهيين في الهند بين 1857 و 1859.

وفي ذلك القتال ظهرت شجاعة روبرتس في الميدان، والتي أصبحت سمه عمله في العسكرية من وقتها. ففي عام 1857 أصيب بجرح، كما أطلقت النار على ثلاثة جياد امتطاها واحداً بعد الآخر. وفي خوداجونج (Khodagunge) في 2 كانون الثاني/ يناير 1858، قاد روبرتس هجوماً مباغتاً

للفرسان، واستعاد بنفسه راية الوحدة التي كانت قد فقدت من قبل في القتال. وبانتهاء التمرد الذي دام عاماً كان قد «أشيد بذكره في القوائم العسكرية» ثلاث عشرة مرة.

ظل روبرتس في الهند بعد الحرب، وسرعان ما تلاحقت ترقياته مع تواصل ظهور حرفيته، وقدراته القيادية والإدارية. وإن كان قد خدم معظم أوقاته في مواقع تموينية، فقد شارك مباشرة في القتال فحضر أمبيلا (Umbeyla) عام 1863، والحرب الحبشية عام 1868، وحملة لوشاي (Lushai) عامي 1871 - 1872)، وفي خلال تلك المدة التي تم فيها الحفاظ على السيطرة البريطانية على المنطقة، أشيد بذكر روبرتس في القوائم العسكرية عشر مرات أخريات لإقدامه وجسارته.

وفي عام 1878 قاد روبرتس، الذي كان في ذلك الوقت برتبة لواء، واحدة من ثلاث فرق من الهند إلى أفغانستان، لإخماد ثورات داخلية. فتمكنت القوات البريطانية بقليل من الصعوبة من احتلال البلد وعينت بريطانيا مقيماً ليحكم من كابول. وعندما اغتال المتمردون الأفغان المقيم البريطاني وهيأة أركانه في 5 أيلول/ سبتمبر 1879، سار روبرتس على رأس جيش قوامه 7500 رجل للسيطرة على المدينة، فهزم قوة أفغانية تفوقه عدداً بقليل وهو في الطريق، وذلك في معركة تشاراسيا (charasia) في 6 تشرين الأول/ أكتوبر، واحتل كابول بعدها بأسبوع.

فور وصول روبرتس إلى كابول، واجه انتفاضة شاملة تحت شعار الجهاد، ما اضطره إلى إقامة معسكر دفاعي خارج مدينة شيربور (Shepur). على الرغم من أن العدد كان يفوقه بنسبة عشرة إلى واحد، فقد صمد بدفاعاته وتمكن في 23 كانون الأول/ ديسمبر من الإفلات من الحصار، والالتفاف على جناح الجيش الأفغاني وإجباره على التقهقر.

وفي صيف عام 1880 شن روبرتس مرة أخرى هجوماً، عندما دمر الجيش الأفغاني في 27 تموز/ يوليو كتيبة مشاة بريطانية في معركة مايواند (Maiwand)

ثم حاصر الحامية البريطانية في قندهار. قاد روبرتس جيشاً من عشرة آلاف رجل من كابول، وقطع به مسافة تزيد على ثلاثمئة ميل ففي الجبال الوعرة في غضون ثلاثة أسابيع ليس أكثر، تدعمه وحدة نقل متخصصة هدته إليها بنات أفكاره. وفي 31 آب/ أغسطس هاجم الأفغان وقضى على جيشهم كاملاً ليصبح أفراده ما بين قتيل وأسير، منهياً بذلك ا لحرب الأفغانية الثانية.

رقي روبرتس، الذي كان أكثر القادة البريطانيين تمتعاً بالاحترام في الجيش البريطاني، والمشهور عبر الإمبراطورية بلقب «بوبس» (Bobs)، إلى رتبة فريق عام 1883. وفي عام 1885 تولى منصب القائد العام في الهند. وبعدها قاد قوة بريطانية عبر نهر إيراوادي (Irrawaddy) إلى داخل بورما، وهي العملية التي أدت إلى ضم ذلك البلد إلى الإمبراطورية في 1 كانون الثاني/ يناير 1886.

وفي عام 1893 عاد روبرتس إلى إنجلترا، وفي عام 1895 رقي إلى رتبة مشير وتولى قيادة قوات الإمبراطورية في أيرلندا. غير أنه سرعان ما أبحر هو ورئيس أركانه، هوراشيو هربرت كيتشنر، إلى جنوب أفريقيا حين اندلعت حرب البوير، حيث أعاد تنظيم القوات البريطانية وتجديدها، وبدأ عملية بناء واسعة للمشاة المحمولة لقتال قوات البوير التي كانت تتسم بخفة حركة فائقة.

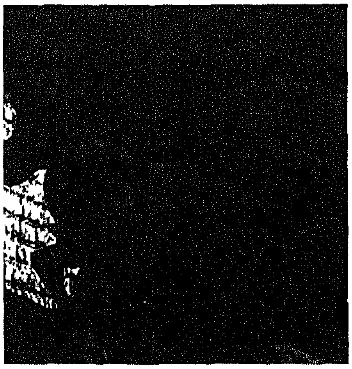
في البداية هزم البوير روبرتس في سلسلة من المناورات قبل أن يتمكن من تدريب ونشر قواته للاحتفاظ بالتفوق. ثم أحرز نصر بريطاني مهم في معركة باريدبيرج (Paardeberg) في شباط/ فبراير 1990 على الرغم من اضطراره إلى مغادرة فراش المرض ليتولى بنفسه حشد قواته. ولم يحدث بعدها أن نجح البوير في تحديه؛ فقد هزمهم في بلومفونتين (Bloemfontein) وكرونستاد (Kroonstad) مفسحاً بذلك الطريق أمام بريطانيا لضم دولة الأورانج الحرة (Orange Free State) في 24 أيار/ مايو، ثم واصل الهجوم فاستولى على بريتوريا في 5 حزيران/ يونيو منهياً الحرب على هذا النحو.

عاد روبرتس إلى إنجلترا ليتلقى مزيداً من الأوسمة، وترقية ليصبح القائد العام للجيش البريطاني، وهو المنصب الذي شغله بين 1901 ـ 1904. في تلك

المرحلة كان روبرتس واعياً بأن نزاعاً دولياً كان وشيكاً، فدعا بقوة إلى نظام تجنيد وطني لبناء الجيش الجرار، الذي توقع أن يكون البريطانيون في حاجة إليه، كما شجع القيام بتدريب الجنود الأفراد على الرماية الدقيقة.

على الرغم في تقاعد روبرتس عام 1904، فقد تطوع وهو في الثانية والثمانين بزيارة جبهة القتال في الحرب العالمية الأولى. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1914، وفي أثناء تفقد القوات الهندية التي تخدم في الخنادق أصيب بمرض ذات الرئة، وتوفي في 14 من الشهر نفسه في سان أومير (St. Omer). ومن ثم أعيد جثمانه إلى لندن ليدفن في كاتدرائية القديس بولس.

لقد حاز روبرتس الاحترام الدائم من جنوده لقيادته الحكيمة، ولاهتمامه بحسن أحوالهم، وقدرته الفريدة على تحقيق النصر بأقل الخسائر في الأرواح في جانبه. كما وقره الشعب البريطاني لنجاحاته المتعاقبة في الميدان وقدرته على الحفاظ على تلك المكاسب من دون خوض مزيد من الحروب. لقد أعجب العدو والصديق على السواء بشجاعته في مواجهة النيران. وقد أكسبت هذه السمات روبرتس مكانته من حيث كونه واحداً من أكثر قادة بريطانيا تأثيراً وتكريماً بالأوسمة والنياشين.



صلاح الدين الأيوبي

Salahdin

سلطان مسلم

(1193 - 1138)

اسمه العربي بالكامل صلاح الدين يوسف بن أيوب. ولد في تكريت بالعراق عام 1138. كان والده الكردي ضابطاً كبيراً في جيش القائد التركي - السوري نور الدين، الذي وقف في وجه الحملات الأوروبية الصليبية لتحرير الأرض المقدسة، وقد نهج صلاح الدين نهج والده فالتحق بالجيش بعد أن درس الفقه في سوريا. وببلوغه الثلاثين كان قد أثبت وجوده قائداً لوحدة صغيرة ثم تقدم إلى مركز قيادي في جيش نور الدين.

وفي عام 1164 كان صلاح الدين يمثل بجنده جزءاً من الجيش الذي طرد الصليبيين من مصر، ونجح في السيطرة على البلد بالكامل بعد حرب دامت أربع سنوات. وعندما توفي نور الدين، تولى صلاح الدين قيادة القوات

المحاربة كما تولى حكم مصر، وفي عام 1174 أنهى سيطرة الزمرة الحاكمة في مصر، وأقام بدلاً منها دولته الأيوبية؛ فقوى من شوكة جيشه بتعيينه أفراد عائلته ورفاقه المقربين في المناصب القيادية، وأسس سلاح البحرية، وبادر إلى القيام بعمليات حربية لوضع ما يعرف اليوم بـ«الشرق الأوسط» بأكمله تحت سيطرته.

وعلى مدى اثني عشر عاماً من القتال، غزا صلاح الدين العراق وسوريا. وفرض بحلول عام 1186 سيطرته على المنطقة كاملة، من مصر وحتى بغداد باستثناء الولايات الصليبية في فلسطين. أما وقد أحيط بالغزاة الصليبيين من كل جانب، فقد أعلن صلاح الدين الجهاد وأقسم ليطردن الصليبيين.

وفي عام 1187 قاد صلاح الدين جيشه المؤلف من عشرين ألف رجل، نصفهم من الرماة الفرسان إلى فلسطين. كان تكتيكه يقوم على استخدام الرماة لإنهاك أجنحة العدو ومهاجمة نقاط ضعفه، وبعد أن يشق الرماة صفوف العدو يهجم الفرسان بسيوفهم على ظهور الخيل، وكذلك سلاح المشاة، ويدمرون العدو تدميراً تاماً. وبعد أن أغرى الصليبيين بمطاردته في أرض جدب لا ماء فيها، استدار وهاجمهم في حطين في 4 تموز/ يوليو، وفي الحال قتل المسلمون أو أسروا معظم جيش الصليبيين. وكان من بين الأسرى القائد المسيحي جاي اللوزاني (Guy of Lisignan)، كما وقع في أيد المسلمين بقايا من «الصليب الحقيقي» الذي كان الصليبيون يحملونه ليلهمهم.

واصل صلاح الدين هجومه بعد حطين، فاستولى تباعاً على سلسلة متوالية من المدن والحصون قبل أن يدخل القدس في 2 تشرين الأول/ أكتوبر 1187، مسترداً سيطرة المسلمين على المدينة للمرة الأولى منذ الاحتلال الصليبي عام 1099. ونقيضاً لحمامات الدم التي تلت الانتصار الصليبي، عامل صلاح الدين أعداءه بعطف، بل أطلق سراح جاي على وعد بعدم رفعه السلاح في وجه المسلمين.

على الرغم من كل نوايا صلاح الدين الحسنة، لم يكن من حاربه هم آخر الصليبيين، إذ وصل جيش الحملة الصليبية الثالث بقيادة ريتشارد الأول، عازماً

هذه المرة على «تحرير» الأرض المقدسة. استولى جيش ريتشارد الجرار، يدعمه أسطوله في البحر المتوسط ويعززه جاي الذي حنث ـ خروجاً على المسيحية الحقة ـ بوعده ونظم جيشاً آخر، على مدينة عكا المهمة بعد حصار دام عامين.

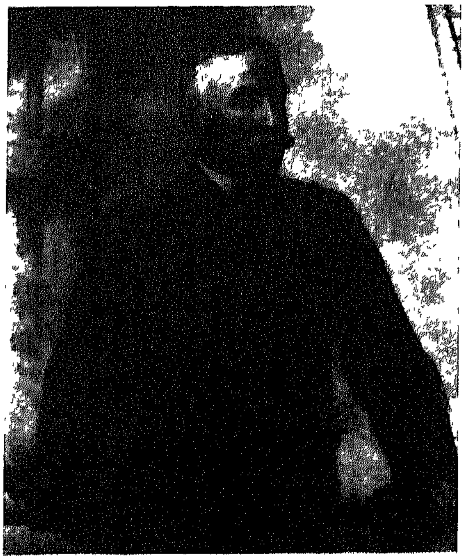
على الرغم من الخسارة نجح صلاح الدين في حشد قواته، وأوقف تقدم ريتشارد نحو القدس، مدمراً كل مخزون للطعام والإمدادات يمكن أن يكون فيه نفع للصليبيين. أخيراً، وفي 2 أيلول/ سبتمبر 1192، التقى القائدان واتفقا على هدنة مدتها ثلاث سنوات، يبقى في خلالها شريط ضيق من الساحل السوري في أيدي الصليبيين، بينما يحتفظ صلاح الدين بسيطرته على القدس، على أن يسمح المسلمون للمسيحيين بدخول غير مقيد إلى الأماكن المقدسة ودور العبادة في أرجاء فلسطين. وفي حقبة كانت البربرية تسودها أكثر مما يسودها الحلم جاء الاتفاق مذهلاً لكونه عادلاً وحاقناً للدماء.

ومع ذلك لم يتخل أي من صلاح الدين أو ريتشارد الذي عاد إلى إنجلترا عن هدفه في السيطرة المنفردة على الأرض المقدسة. فكلاهما كان يخطط لبدء العمليات الحربية من جديد مع انتهاء الهدنة، إلا أن صلاح الدين لم يكن لتتاح له فرصة أخرى لمحاربة الصليبيين؛ فبعد عودته إلى دمشق أصيب بالحمى الصفراء، وتوفي وهو في الخامسة والخمسين في 4 آذار/ مارس 1193، ودفن في مقبرة بجوار المسجد الجامع في دمشق. لقد عاش صلاح الدين المسلم التقي حياة بسيطة فلم يترك من بعده ثروة سوى دولة عاشت لعدة أجيال لاحقة خلفه فيها أبناؤه وأحفاده.

لقد برهن صلاح الدين على أنه القائد العسكري المسلم الأعظم في زمانه، وتوحيده للعالم الإسلامي هيأ الفرصة الوحيدة لخوض قتال ناجح ضد المسيحيين الأوروبيين الغزاة، وكان كذلك عادلاً في حكمه للأراضي التي غزاها، فكسب بذلك ولاء أتباعه.

في زمن كان الحماس الديني فيه هو الحافز لشن حروب واسعة النطاق،

ظل صلاح الدين الأيوبي موقراً من جانب أعدائه، رغم مقتهم للعقيدة الإسلامية التي كان يمثلها. بل إن الثناء الرفيع على بطولته وجهوده في الحفاظ على الحضارة ألهم مناوئيه كتابات أدبية منها **«الطلسم»** The Talisman للسير روبرت سكوت، والتي تتناول وقائع الحملة الصليبية الثالثة.



جورج ديوي

GEORGE DEWEY

قائد أمريكي

(1837 - 1917)

ولد ابناً لطبيب من مونتبلير (Montpelier) بفيرمونت (Vermont) في 26 كانون الأول/ ديسمبر 1837. درس في جامعة نوريتش (Norwich) قبل أن يلتحق بالأكاديمية البحرية الأمريكية. تخرج عام 1858 وشهد قتالاً مكثفاً وهو لا يزال ضابطاً صغيراً ففي معركتي نيوأورليانز عام 1862 وبورت هيدسون عام 1863، وكان قائداً للسّلوب الأمريكي [مركب شراعي وحيد الصاري] «مسيسبي». ثم انضم لاحقاً إلى أسطول الأطلسي الشمالي، الذي كان يحاصر الساحل الأطلسي وشارك في قصف فورت فيشر (Fort Fisher) بنورث كارولينا.

وفي أعقاب الحرب الأهلية كلف ديوي بمهام في البحر وعلى الساحل بما

في ذلك توليه منصب رئيس مكتب معدات البحرية الأمريكية عام 1889 ورئيس مكتب التفتيش والرقابة عام 1895.

جمع ديوي بين القيادة المطلقة والمعرفة المكثفة بغية إدخال تطويرات تقنية، فكان يخطط عملياته بعناية وينفذها بجرأة بمجرد دخولها حيز التنفيذ. كان قائداً بحرياً متميزاً في كل جانب. ولذا فإن تأثيره الطويل الأمد يرجع إلى استعداده الجيد في المكان والزمان المناسبين تماماً.

رقي ديوي إلى رتبة عميد بحري عام 1896، وتولى قيادة الأسطول الآسيوي في العام التالي. أوحت له حكمته التنبؤ باندلاع الحرب بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسبانيا، فأبقى على سفنه على درجة عالية من الاستعداد، والصيانة في مرفأها بهونج كونج. وفي اليوم التالي لإعلان الحرب رسمياً في 25 نيسان/ إبريل 1898، تلقى ديوي برقية من وزارة البحرية الأمريكية لإعلان الهجوم تقول: «توجه فوراً إلى جزر الفليبين، ابدأ العمليات ضد الأسطول الإسباني، عليك أن تستولي على السفن أو تدمرها».

قاد ديوي أسطوله المكون من أربعة زوارق، وقاربي مدفعية، وسفينة إمداد من فوق بارجته الأمريكية أولمبيا (Olympia) ضد أسطول إسباني مؤلف من سبع سفن حربية. وضع ديوي خطة هجوم ليلي، نظراً إلى ما كان يتمتع به الأسطول ا لإسباني من سمعة باعتباره أفضل أسطول في العالم آنذاك، وذلك بغية الاستيلاء على السفن في المرفأ لا محاربتها في عرض البحر. وفي صبيحة 1 أيار/ مايو أبحر ديوي إلى خليج مانيلا، وفي الساعة الخامسة وأربعين دقيقة فجراً، بدأ هجومه ضد السفن الإسبانية الراسية في كافيتي بوينت (Cavite Point). وكان أول أوامره إلى قبطان بارجته: «يمكنك إطلاق النار عندما تكون جاهزاً، يا جريدلي»، وهي العبارة التي أصبحت مشهورة في تاريخ البحرية الأمريكية.

وبحلول الظهيرة كان الأسطول الإسباني، إما مدمراً وإما خاوياً، حيث قتل 167 إسبانياً وجرح 214، ولم يلحق بأي من السفن الأمريكية أذى، في

حين أصيب فقط من البحارة إصابات طفيفة. أما حالة الوفاة الوحيدة في صفوف الأمريكيين، فكانت نتيجة الحرارة القائظة لا نتيجة القتال.

وقد علم ديوي الأسرى الإسبان بعد تحقيقه النصر عليهم، مدى المبالغة حول قوة الأسطول الإسباني كيف أن سفنهم كانت في حالة يرثى لها، في حين كانت فرقها تفتقر إلى الخبرة والتدريب. كما علم بأن القائد الإسباني أبقى عمداً على سفنه في مياه ضحلة لئلا تغرق رجاله إذا غاصت السفن.

إن سوء حالة الأسطول الإسباني لم تقلل من أهمية انتصار الأمريكيين؛ فبعد انتهاء المعركة بستة أيام رقي ديوي إلى رتبة لواء بحري، وعاد إلى وطنه ليستقبل استقبال الأبطال. وفي آذار/ مارس 1899، رقي إلى رتبة أميرال وهي أعلى رتبة يصل إليها ضابط في البحرية الأمريكية حتى ذلك الحين. وقد خدم ديوي الذي أعفي من التقاعد الإجباري، رئيساً لمجلس البحرية العام حتى وفاته في 16 كانون الثاني/ يناير 1917، في واشنطن دي. سي. وعمره ثمانون عاماً.

لقد أثبت ديوي للعالم بانتصاره في خليج مانيلا، انضمام الولايات المتحدة الأمريكية من خلال تفوقها في بناء السفن جرأة قادتها البحريين، إلى القوى البحرية العالمية؛ إذ إن المعركة الحيوية التي خاضها أنهت السيطرة الإسبانية في المحيط الهادي في الوقت الذي بدأ فيه نجم الولايات المتحدة الأمريكية يصعد كطرف رئيسي في الأحداث العالمية. لقد بدأ تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من حيث هي قوة العالم البحرية مع ديوي وما حقق من انتصار في الفلبين بفضل دقته وإقدامه المثاليين.



لويس الثاني دي بوربون
(أمير كونديه)
Louis II de Bourbon, Prince de Condé
قائد فرنسي
(1686 ـ 1621)

ولد دوقاً لأينهاين (Enghein) في 8 أيلول/ سبتمبر 1621، وكان يطلق عليه «أمير الدم»، بمعنى أنه كانت هناك صلة قرابة تربطه بالعائلة الملكية، وكانت طفولته بذخاً وامتيازاً وشب أكثر عطرسة مما كان مألوفاً في الطبقات الحاكمة. وبموجب حق انتمائه الملكي، تولى أولى مهام قيادته العسكرية وهو في التاسعة عشرة من عمره. وسرعان ما أظهر شجاعة وعناداً، وقدرة هائلة على تحديد نقاط ضعف العدوو ومن ثم استغلالها لصالحه.

وفي غضون ثلاث سنوات فحسب تولى كونديه قيادة الجيش الفرنسي، وكلف بمهمة صد الغزو القادم من الأراضي المنخفضة الإسبانية. فظهرت

شجاعته عند الهجوم؛ إذا حشد في روكروي (Rocroi)، في 19 أيار/ مايو 1643، مدفعيته ضد المشاة الإسبان الذين كانوا جديرين بصيتهم كأفضل سلاح مشاة في العالم، في حين طوق فرسانه فرسان العدو. وبمجرد أن أوقع الهزيمة بالفرسان الإسبان هاجم المشاة من المؤخرة، في الوقت الذي اندفع فيه مشاته كالسهم المارق صوب مقدمة جيش العدو. فدمر في يوم واحد الجيش الإسباني، الذي قتل منه عشرون ألفاً، في حين لم يخسر كونديه سوى ألفين من رجاله، وأنهى بذلك الهيمنة العسكرية الإسبانية على أوروبا والتي دامت ما يزيد على 150 عاماً.

لقد ظهرت في روكري مواهب كونديه التي أسهمت في نجاحه المتواصل؛ إذ كشف عن قدرته على تحليل أبعاد الموقف في سرعة ثم الرد العاجل واستغلال الموقف بحسم وتحويله لصالحه.

وبعد انتصار روكروي انتقل كونديه إلى جبهة الألزاس لمواجهة تهديد بافاري. وتمكن بعد ثلاث معارك ضروس خاضها في آب/ أغسطس 1643 من رد البافاريين إلى نهر الراين، لكنه أخفق في القضاء عليهم. وبعد ذلك بعام تصدى هو وتورين مرة أخرى للبافاريين الذين استأنفوا هجومهم على فرنسا، فانسحب البافاريون أيضاً هذه المرة بعد قتال دموي طويل.

واصل كونديه على مدى العقد التالي محاربة أعداء فرنسا الكثيرين في الوقت الذي حاول فيه تهدئة مخاوف الأطراف المتعددة داخل حكومة بلاده، إذ كان بعضهم يشعر بأنه مهدد بسبب شعبية الأمير. وعندما أرسل إلى إسبانيا عام 1647 مني بواحدة من هزائمه القلائل عندما تعذر وصول خطوط إمداده إلى جنوده في ليرزا (Lerida)، إلا أنه نجح في احتلال كاتالونيا (Catalonia).

وفي العام التالي تولى كونديه قيادة الجيش الفرنسي في إقليم فلاندرز لمواجهة الجيش الملكي للأرشيدوق ليوبولد وليم (Leopold William)، وتظاهر كونديه بأنه يتقهقر لسحب الإسبان من دفاعاتهم في لينز (Lens) في 20 آب/ أغسطس 1648، فلما طارد العدو كونديه أرسل الأخير بفرسانه فطوقوا الإسبان وقضى عليهم.

بعد ذلك واجه كونديه، بوصفه واحداً من أشهر أبطال فرنسا، عدواً آخر كان يتطلب مهارات دبلوماسية أكثر منها عسكرية. فخلال فترة 1648 ـ 1658 حين كانت فرنسا عرضة لحركات تمرد ومحاولات لإطاحة من في السلطة، شارك كونديه في «حركات التمرد» تلك، وتحالف مع أعدائه الإسبان السابقين ضد ملكة فرنسا. وفي عام 1658 قاد جيشاً إسبانيا ضد قوة موالية للملكة بقيادة رفيقه القديم تورين، وبعد معركة قصيرة تغلب تورين وانسحب كونديه. على الرغم من الحكم عليه غيابياً بالإعدام عام 1654 بتهمة الخيانة العظمى، سعى إلى الحصول على عفو عندما أنهت معاهدة برانس العمليات الحربية عام 1659.

لقد أتاحت فطنة كونديه السياسية وقدراته في القيادة العسكرية له فرصة جديدة لقيادة جيش فرنسي عام 1668، فاستعاد سمعته في فرنسا بما حقق من انتصار على الهولنديين في آرنهم (Arnhem) عام 1672، وما تلاه من انتصار على أمير أورانج (Orange) في سنيفي (Seneffe) عام 1674.

كانت سنيفي آخر ما حقق من انتصارات، فلم يعد بعدها قادراً على خوض قتال بعد أن اشتد عليه النقرس والشيخوخة وأمراض أخرى وهو في منتصف الخمسينيات؛ فتقاعد بعد أكثر من ثلاثين عاماً من القيادة في ميادين القتال، ليحيا من جديد حياة البذخ والامتياز، مكرساً حياته لأسرته واهتماماته الفكرية إلى أن وتوفي في مونتبلو (Fontainebleau) في 11 كانون الأول/ ديسمبر 1686، وعمره خمسة وستون عاماً.

لقد دلل كونديه على أنه تكتيكي بارع؛ إذ كثيراً ما كان ينتصر على المتناقضات الغريبة وقوات ا لعدو التي تفوقه عدداً. كان يقود من المقدمة، وقد أطلقت النيران مراراً على جياد يمتطيها فأرديت، وأصيب بالكثير من الجروح. على الرغم من أن تأثير معاصره توريه كان أكبر، ولا سيما أنه لم يواجه إطلاقاً اتهامات بالخيانة العظمى كما كانت الحال مع كونديه، فقد استحق الأمير صيته الذائع كواحد من أهم قادة فرنسا والقرن السابع عشر.



كيرت شتودينت

KURT STUDENT

قائد ألماني

(1890 - 1978)

ولد شتودينت في أسرة بروسية نبيلة في 12 أيار/ مايو 1890 في بيرخولوز (Birkholz) ببراندنبيرج (Brandenburg). التحق بمدرسة ليخترفيلد (Lichterfelde) العسكرية وعين ضابطاً في الجيش الألماني عام 1909، وفي عام 1913 تطوع للتدريب على الطيران، وبعدها بعام حلق فوق الجبهة الشرقية أثناء الحرب العالمية الأولى. وفي عام 1915 نقل إلى الجبهة الغربية حيث تولى وهو برتبة نقيب السرب القتالي التاسع، وأصيب بجروح في قتال جوي.

ظل شتوديت لمدة عشر سنوات بعد الحرب في الجيش الألماني الصغير ضابط أركان في سلاح الطيران يقوم بتدريبات على الطائرات الجديدة. وفي عام 1921 أصيب بجروح خطيرة في الرأس في تصادم طائرة منزلقة، لكنه سرعان ما

عاد ليشكل منظمة دفاع مدني ألمانية ظلت باقية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. وفي أعقاب مهمة استمرت عامين قام بها باعتباره قائد كتيبة مشاة عامي 1928 ـ 1929 تولى منصب مدير مدرسة التدريب الفني الجوي.

وفي غضون عامين من تولي أدولف هتلر منصب المستشار عام 1933، رقي شتودينت إلى رتبة عقيد في سلاح الجو المشكل حديثاً. وكان من بين مسؤولياته تطوير برامج التدريب وإدخال تطويرات فنية. ولاهتمامه بقدرات وحدات المظلات الكبيرة، زار روسيا لتحليل نظم تدريباتها والوقوف على تجاربها.

وفي عام 1937 أقنع شتودينت القيادة العسكرية الألمانية بأن سلاح المشاة المحمول جواً يمكن أن يقدم تكتيكاً جديداً أطلق عليه «التطوق الرأسي». وقد أنشأ مدرسة للمظليين في شتندال (Stendal) ووضع شروطاً صارمة لقبول المتطوعين، فإضافة إلى قبوله فقط جنوداً في أحسن حالات لياقتهم البدنية والصحية، أجرى لأول مرة في تاريخ العسكرية، سلسلة صورية من الاختبارات النفسية، للتأكد من أنه بإمكان متطوعيه تحمل الضغوط النفسية مثلما يمكنهم تحمل المخاطر البدنية لقتال المظليين.

أدرك شتودينت كذلك أن تكتيكات المشاة النظاميين وأسلحتهم لم تكن بالضرورة لتناسب احتياجات مظلييه. وبعد كثير من التجارب حول ما إذا كان ينبغي نشر المظليين في مجموعات صغيرة لشن عمليات تخريبية أو أن يكون ضمن وحدات كبيرة لمهاجمة أهداف رئيسية، خرج شتودينت بإجراء أسماه «قطرات الزيت». ووفقاً لهذا النموذج يتعين أن تقوم أعداد كبيرة من المظليين بالقفز معاً، ولكن بمجرد لمسهم الأرض، عليهم التجمع في مجموعات صغيرة في منطقة الإسقاط، ثم توسيع خطوط محيطهم والانضمام إلى مجموعات أخرى لتشكيل خط قتال. وقد أدمج شتودينت وحدات محمولة بالطائرات المنزلقة التي يمكنها توصيل المركبات والمدفعية الخفيفة لدعم المشاة المظليين، وذلك لإنجاز هذه المهمة.

كذلك ابتكر شتودينت وسيلة لفتح الحبل الثابت للمظلة يمكن الاعتماد

عليه، وزود المظليين بسلاح أساسي عبارة عن مسدسات آلية ذات معدل عالٍ في إطلاق النار، وقام بصرف حصص تموين خاصة تشمل كبسولات وعقاقير منشطة وذلك للإبقاء على حال التيقظ عالية في أثناء العمليات الطويلة. في أثناء التجارب والتدريبات، ظل شتودينت في رتبة عقيد، ولكن بحلول تموز/ يوليو 1938 كان قد أدهش رؤساءه حتى إنهم قاموا بترقيته إلى رتبة لواء وخولوه تشكيل الفرقة المظلية السابعة كسلاح خاص في سلاح الجو الألماني.

لم يشهد المظليون قتالاً في بدايات الحرب العالمية الثانية في بولندا، لكن قامت بضع وحدات يقارب حجمها حجم السرية بدعم العمليات في النرويج والدنمارك. وقد حدث أول نشر كبير لفرقة شتودينت من تحول الهجمات الخاطفة غرباً في أيار/ مايو 1940. لقد اعتمد كثير من نجاح العملية على استيلاء الوحدات المحمولة جواً في التوقيت الدقيق للمطارات والجسور وللقلعة البلجيكية المهمة في إيبن - إميل (Eben-Emael) في 10 أيار/ مايو. وحقق مظليو شتودينت أهدافهم في الوقت المحدد وبأقل الخسائر.

وبعد ذلك بأربعة أيام أصيب شتودينت بجرح خطير في الرأس، وعندما تعافى وعاد إلى الخدمة في أيلول/ سبتمبر التالي عاد برتبة فريق ليتولى قيادة الفيلق الجوي الحادي عشر. ثم قام بالتدريب على عملية غزو جوي لإنجلترا، ولكن عندما ألغيت تلك الخطة، نظم عملية إسقاط في جزيرة كريب بالبحر الأبيض المتوسط في 20 أيار/ مايو 1941. وعلى الرغم من نجاح العملية نجاحاً كاملاً، فقد مني الفيلق بأكثر من ستة آلاف قتيل، ليس فقط من جانب العدو بل أيضاً نتيجة مخاطر عملية القفز ذاتها. فألغى هتلر الهجمات المحمولة جواً مستبقلاً بسبب الخسائر الكبيرة في الأرواح وتضاؤل عدد المرافق الألمانية.

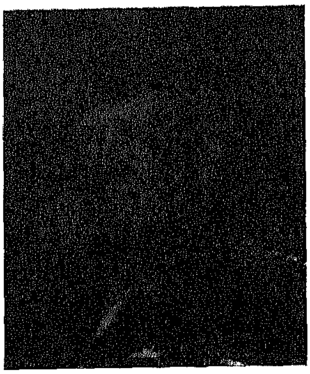
وباستثناء عملية محمولة جواً بحجم سرية دعماً لإنقاذ موسوليني في 19 أيلول/ سبتمبر 1943 وعملية إسقاط بحجم كتيبة أثناء هجوم الآردن في كانون الأول/ ديسمبر 1944، قضى مظليو شتودينت بقية الحرب كمشاة نظاميين. وكان هتلر يدرك القدرات القتالية لنخبة الجنود المحمولين وقتالهم على

الأرض، وواصل تكليفاته بضم وحدات جديدة، حتى بلغ مجموع الوحدات التي كان شتودينت يتولى قيادتها، حين رقي إلى رتبة فريق أول، عشر فرق محمولة جواً.

كان شتودينت وبعض مظلييه في هولندا في أيلول/ سبتمبر 1944، عندما أطلق الحلفاء عبارة «ماركت جاردن» (بستان السوق) على العملية المحمولة جواً الخاصة بهم، بهدف تأمين الجسور التي يراد لها أن تفتح الطريق لغزو الأراضي الألمانية في العمق، فأدت معرفته وخبرته دوراً مهماً في هزيمة المظليين الغزاة. واعترافاً بتميز أدائه، ولي قيادة جميع القوات الألمانية في الأراضي المنخفضة، حيث ظل هناك بقية فترة الحرب.

وقع شتودينت في شلاسفيخ - هوليشتين (Schleswing-Holstein) أسيراً في يد الإنجليز في أواخر نيسان/ إبريل 1945، وظل أسير حرب حتى عام 1948. ثم عاش في معتزل في ليمجو (Lemgo) بألمانيا الغربية حتى وفاته في 1 تموز/ يوليو 1978 وهو في الثامنة والثمانين من عمره.

لقد تبنى العديد من الدول ابتكارات شتودينت، بمن فيها خصومه. وعلى الرغم من أن الروس هم أول من شكلوا وحدات المظليين، فإنه أول من استخدم الجنود المحمولين جواً في الحرب الفعلية وطور الأفكار الوليدة للروس حتى أصبحت فناً مكتمل الأطر. فما من جيش رئيسي في أرجاء المعمورة اليوم إلا ولديه وحدة محمولة جواً. ويظل هؤلاء المظليون نخبة جيوشهم، وهم يتيحون لها القدرة على الحركة التي لم تعد بعد عتيقة، فجهود شتودينت الرائدة مستمرة التأثير في عمليات المظليين.



جورج باتون

GEORGE S. PATTON

قائد أمريكي

(1945 - 1885)

ولد في 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 1885 في سان جابرييل (San Gabriel) بولاية كاليفورنيا. نشأ باتون في أسرة ثرية من فرجينيا ذات تاريخ طويل في الخدمة العسكرية. التحق بأفضل المدارس الابتدائية قبل قبوله في أكاديمية ويست بوينت العسكرية. ولكن بسبب تعوق في التعلم ربما كان عُسْراً في القراءة، لم يتفوق باتون في الدراسة، ما تطلب بقاءه عاماً آخر ليتخرج عام 1909 عندما كلف بالخدمة في سلاح الفرسان. غير أن ما افتقده باتون في الدراسة، عوضه عنه زيادة بحيويته الهائلة.

ولأن باتون كان فارساً بارعاً، فقد مثل الجيش والولايات المتحدة الأمريكية في أولمبياد استكهولم عام 1912 في أول مسابقة ألعاب خماسية،

مؤلفة من السباحة والركض والفروسية والرماية والمبارزة. وبعدها بعام التحق بالمدرسة الفرنسية للفروسيّة، وبعد عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية كتب أول كتيب إرشادي عن سيف المبارزة. وفي عام 1916 انضم باتون إلى حملة قادها الجنرال جون جوزيف بيرشنج إلى المكسيك لمطاردة بانشو فيلا. وفي خلال تلك العملية تلقى باتون خبراته الأولى في استخدام العربات ذات المحركات، واكتسب قدراً من ذيوع الصيت عندما تصدى لمجموعة من رجال الفيلستاس (Vilistas) على متن جيادهم من عربته وقتل العديد منهم ببندقيته.

ظل باتون مع بيرشنج معاوناً له عند نشر قوات الحامية الأمريكية في فرنسا عام 1917. وبمجرد أن أدرك بيرشنج الحاجة إلى استخدام عربات مدرعة لكسر حال الجمود في حرب الخنادق، عين باتون قائداً لأول وحدة مدرعات أمريكية رسمية، كما عهد إليه بالإشراف على مدرسة لتدريب مجموعة من العسكريين في لانجريه (Langres) في تشرين الثاني/ نوفمبر 1917. وقد شهد أول لواء دبابات أمريكي القتال للمرة الأولى في سان ميهيل (Saint-Mihiel) في أيلول/ سبتمبر 1918. وفي خلال دعم لواء الدبابات التالي في الهجوم ميوز - آرجون (Meuse-Argonne)، أصيب باتون بجرح طفيف وحصل على صليب الخدمة المتميزة تقديراً لشجاعته.

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى، عاد باتون إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهو لا يزال قائداً لسلاح المدرعات الأمريكية الحديث الذي أصبح يعرف بلواء الدبابات 314. وقد ظل على مدى السنوات العشرين التالية مدافعاً متحمساً لحرب المدرعات، كما كلف بالعديد من المهام في سلاح الفروسية إضافة إلى التدريس. غير أن انخفاض الإنفاق في مرحلة السلم علاوة على الكساد الكبير حد من الأبحاث في مجال الدبابات وإنتاجها.

ولم تبدأ الولايات المتحدة الأمريكية بناء قوتها المدرعة إلا بعد بدء الحرب العالمية الثانية، ونجاح الهجمات الخاطفة للدبابات الألمانية. وفي تموز/ يوليو 1940 تولى باتون قيادة اللواء المدرع الأول الذي تم توسيعه ليصبح

الفرقة المدرعة الأولى في نيسان/ إبريل التالي. ومن آذار/ مارس وحتى تموز/ يوليو 1942، تولى باتون وهو برتبة لواء قيادة مركز التدريب الصحراوي عى طول حدود كاليفورنيا مع أريزونا، حيث وضع مبادىء المدرعات الأمريكية كما قام بتدريب وحدات المدرعات.

ساهم باتون في التخطيط للإنزال الأميركي في شمال أفريقيا وقاد قوة المهام الغربية إبان العملية الفعلية. وفي آذار/ مارس 1943 وفي أعقاب الهزيمة المفجعة للأمريكيين في ممر كاسرين (Kasserine Pass)، تولى باتون قيادة الفيلق الأمريكي الثاني. وسرعان ما حوّل الوحدة المنهارة معنوياً الضعيفة الحافز إلى قوة مقاتلة تتسم بالكفاءة، وذلك بإبدال القادة المعاونين وإلزام الجنود بالنظام الصارم، حتى يتسنى له شن الهجوم من جديد ويساعد على هزيمة دول المحور في شمال أفريقيا.

وفي تموز/ يوليو تولى باتون ـ وكان قد وصل إلى رتبة فريق ـ قيادة الجيش الأميركي السابع في غزو صقلية. وفي سباق غير رسمي لمن يصل أولاً إلى ميسينا، تفوق باتون بالجري على بيرنارد مونتجمري البريطاني الحذر، ما أكسبه شهرة في وطنه وعاد عليه بالحقد من جانب حلفائه. وبعد أن أمن صقلية، قام بزيارة المستشفيات التي يعالج فيها جنوده المصابون. وفي حادثة لقيت من الترويج الشيء الكثير، صفع باتون اثنين من المتطوعين غير المصابين والذين كانا يعانيان من «الإجهاد نتيجة القتال»، ناعتاً إياهما بالجبن لسعيهما الحصول على علاج طبي. ونتيجة لذلك، كان لباتون دور ثانوي في مهمة احتلال صقلية، وحرم من أي دور في الغزو التالي لقلب إيطاليا.

وفي كانون الثاني/ يناير 1944، نقل باتون إلى إنجلترا للمساعدة على التخطيط لغزو نورماندي وحيث كان لا يزال معاقباً بسبب حادثة الصفع، فقد تولى ـ إسمياً فقط ـ قيادة وحدة كانت قد شكلت، كي يظن الألمان أن الهجوم الرئيسي سوف يشن من كاليه بدلاً من نورماندي. ولم يتول باتون من جديد القيادة الميدانية بوصفه قائداً للجيش الثالث إلا بعد مضي شهر من الإنزال الناجح في نورماندي.

ومن خلال قيادة باتون للجيش الثالث ذاع صيته كواحد من أكفأ القادة الميدانيين. وفي آب/ أغسطس قاد الهجوم من رأس الشاطىء في آفرانشيه (Avranches) وحاصر ما يزيد على مئة ألف جندي ألماني في غضون أسبوعين في فاليه - أرجنتن جاب (Falaise-Argentan Gap). ثم واصل السير جهة الشرق، فوصل نهر سار (Saar) بحلول نهاية الشهر.

كانت تكتيكات باتون تتركز حول خفة الحركة وعامل الصدمة لسلاح مدرعاته؛ فكانت دباباته تشن الهجوم بأقصى سرعة ممكنة، وذلك للحيلولة دون تمكن الألمان من تشكيل خطوط دفاعية جديدة. بل غالباً ما كانت تتقدم أسرع مما هو متاح لخطوط الإمداد. وإذا ما رأى في الأمر ضرورة، كان يطلب المدد والذخيرة من الوحدات الأخرى، أو يسرقها بكل معنى الكلمة. وكان في بعض الأحيان بتجاهل أوامر رؤسائه، فيشن الهجوم دون الإفادة من قوات الاحتياطي الكبيرة ويسخر كل إمكاناته للقتال.

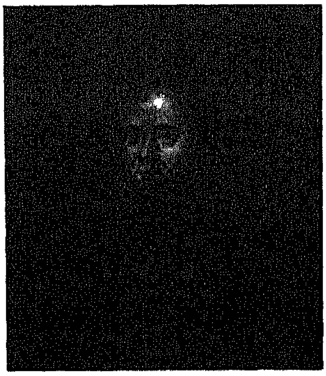
وبحلول كانون الأول/ ديسمبر قام باتون بتحريك الجيش الثالث صوب ميتس (Metz). وعندما قام الألمان بهجومهم المباغت في الآردن، بادئين «معركة النتوء» ومهددين المناطق الخلفية للحلفاء، حول باتون ببراعة مسار قواته تسعين درجة واندفع شرقاً لتخليص باستون (Bastogne) ووقف تقدم الألمان. ومن إقليم الآردن تحول صوب ألمانيا وعبر في 22 آذار/ مارس 1945 نهر الراين عند أوبنهايم (Oppenheim). وقام الجيش الثالث من دون هوادة بتدمير المدن والحصون التي رفضت التسليم مع استمرار تقدم الأمريكيين السريع. كما حاصر باتون قوة رئيسية ألمانية أخرى وهزمها في جيب الرور، واندفع صوب بافاريا، واخترقها إلى تشيكوسلوفاكيا والنمسا حيث وضعت الحرب أوزارها.

ولصراحة باتون غير المحدودة فقد عبر عن قلقه تجاه السوفييت بعد الهدنة عام 1945، مبيناً أنه يجب على الولايات المتحدة الأمريكية أن تحارب الشيوعيين آنذاك على أن تضطر إلى محاربتهم فيما بعد. هذا الموقف علاوة على معاملته اللينة اللنازيين السابقين الذي كان يعتقد أنهم ستكون لهم حاجة في

إعادة بناء ألمانيا، كلفه مركزه القيادي في الجيش، فكانت آخر مهامه قيامه بدور غير ذي أهمية نسبياً حاكماً لبافاريا. وفي 9 كانون الأول/ ديسمبر 1945 أصيب باتون، وهو في الستين من عمره في حادثة سيارة بالقرب من مانهايم (Mannheim)، وتوفي من مضاعفات إصابته في هايدلبيرج في 21 كانون الأول/ ديسمبر 1945، ودفن في المقابر الأمريكية في لوكسمبورج إلى جوار الجنود الذين سقطوا في أثناء توجههم إلى أوروبا.

كان باتون ـ الذي غالباً ما كان يظهر في زيه الكامل الموشى بالأوسمة والأوشحة ويضع مسدسة العاجي القبضة ذا عيار 45 في حزامه ـ رجلاً استعراضياً ألهم رجاله روح القتال في بسالة كما ألهم العامة الافتتان به. وكان ـ وهو من أطلق عليه (Old Blood and Guts) أي «القوي والجسور العجوز» ـ قائداً ميدانياً أفضل منه مفكراً عظيماً أو منظراً في فنون الحرب.

على الرغم من أن باتون لا يرقى إلى مرتبة جون فريدريك تشارلز فولر، أو هاينز جودريان، في ابتكار فلسفة لحرب المدرعات، فقد كسب كل حملة شارك فيها. لقد كان في الواقع أكثر شهرة وأقل تأثيراً في مزاجيته التي لا تكبح، كما أن تعليقاته بشأن القضايا السياسية التي تقع خارج نطاق مسؤولياته قد جعلته رائجاً إعلامياً. ومنذ ذلك الحين وكثير من القادة الأمريكيين يحاولون محاكاة باتون المزاجي، يظنون أن سلوك التباهي الاستعراضي يمكن أن يعوض الافتقار إلى الكفاءة. غير أن أولئك المقلدين ـ إضافة إلى جعلهم المرؤوسين لهم تعساء غير فاعلين ـ قد أخفقوا في أن يكونوا نسخة عن باتون في سجله؛ إذ كان يتمتع بقدرة على قيادة الرجال في الميدان ويحركهم للتغلب على كثير من المتناقضات الكبيرة.



ميشيل ني

Michel Ney

قائد فرنسي

(1815 - 1769)

ولد ني في سارلوي (Saarlouis) بإقليم الألزاس في 10 كانون الثاني/ يناير 1769. فر من البيت وهو في الثامنة عشرة ليلتحق بسلاح الفرسان الفرنسي مفضلاً إياه على أن يترسم خطى أبيه، صانع البراميل. وسرعان ما حصل - نتيجة فروسيته المشهودة وقدراته القتالية - على تكليفه كضابط وعلى الترقي السريع في الجيش الثوري. في عام 1796 أصبح قائد لواء، وفي عام 1800 كان قد وصل إلى قائد فرقة، وقد رقّاهم ني إلى أعلى المراتب بفضل القيادة الميدانية على جبهات القتال.

عرف بين جنوده بـ«الرأس الأحمر» ليس فقط بسبب لون شعره، ولكن أيضاً بسبب حدة مزاجه. وكان واحداً من سبعة عشر جنرالاً رقّاهم نابليون عام

1804 إلى رتبة مارشال الإمبراطورية. ومع أن الحملة التي سوف يقوم بها نابليون وني معاً لم تكن قد حانت بعد، فقد كان الإمبراطور وزوجته جوزفين، معجبين أشد الإعجاب بني، بل وهما اللذان رتبا زواجه من إحدى فتيات القصر.

وفي عام 1805 قام ني بنفسه، والذي كان قائد فيلق آنذاك، بقيادة هجوم عبر جسر إيلشنجن (Elchingen)، مّا مكّن الفرنسيين من محاصرة القوات النمساوية المؤلفة من 32 ألفاً وإرغامهم على الاستسلام. ثم اشترك ني وفيلقه في القتال في يانا وكان لهذه المشاركة إسهامها في النصر الذي تحقق في إيلو (Eylau) وفريدلاند (Eriedland). وفي تلك المرحلة انضم أنطوان هنري جوميني إلى ضباط ني وأدى دوراً مهماً في تشجيع المارشال على القيادة والتوجيه. كما بذل جوميني جهده لكبح جماح مزاجية ني والمساهمة في تواصل علاقته بزملائه المارشالات. فكان أن كافأ ني جوميني بإقراضه مالاً لنشر بعض كتاباته الأولى عن الحرب، والتي سوف يكون لها تأثير طويل الأمد في قادة العالم العسكريين. وبين الأعوام 1810 ـ 1811 حارب ني في البرتغال وإسبانيا. ورغم استمرار ظهور شجاعته الذاتية وجهود جوميني فقد كان ني يعبر عن آراء اعتبرها رؤوساؤه غير لائقة، فنحوه عن القيادة عام 1811.

وعند عودته إلى فرنسا انضم ني إلى نابليون استعداداً للغزو الوشيك لروسيا. وكان تولي الإمبراطور زمام القيادة هو ما يحتاجه ني ليصعد من كونه ضابطاً كفؤاً شجاعاً إلى أن يصبح قائداً مغواراً ممتازاً. وقد طالبه الإمبراطور بضرورة التعاون مع زملائه المارشالات وأن يحد من تصرفاته المتهورة في المعركة.

على الرغم من إصابة ني في أثناء تقدم الفرنسيين صوب موسكو فقد تولى قيادة حرس المؤخرة عندما اضطر الروس وطقس بلادهم نابليون إلى الانسحاب. فبدأ ني القتال بما يقرب من عشرة آلاف جندي، فكان يصد الهجوم تلو الهجوم وهو يؤمن انسحاب قوات نابليون الرئيسية. وفي الوقت

الذي وصل فيه ني إلى جسر كوفنو (Kovono) راحلاً عن روسيا، كانت قواته قد انحسرت في بضع مئات، وفي المعركة الأخيرة عند الجسر تناول ني بنفسه بندقية وانضم إلى خط النار الأول لصد تقدم الروس، وبعد عبور الجميع الجسر في أمان، تبعهم ني فكان آخر عسكري فرنسي تطأ قدماه الأراضي الروسية، وكرمه نابليون بالإمارة بلقب «أشجع الشجعان».

استمر في خدمة نابليون إبان الهجوم على فيسنفيلس (Weissenfels)، وليتسين، وليبسخ، في عام 1813، حيث أصيب للمرة الثانية. وعندما اضطر نابليون إلى العودة إلى فرنسا عام 1814 بسبب أعدائه، ظل ني معه، وبعد سقوط باريس بفترة وجيزة في 31 آذار/ مارس، تقدم ني بوصفه المتحدث باسم رفاقه المارشالات، من نابليون ونصحه بالتنازل عن العرش لصالح فرنسا وحفظاً لما تبقى من الجيش.

ومكافأة لني على مساعدته على رحيل نابليون، سمحت له عائلة بوربون الملكية التي استعادت حكم فرنسا، بالاحتفاظ برتبته ومنصبه. وقد خدم ني الملك لويس الثامن عشر بوصفه قائد المنطقة العسكرية السادسة وحاكماً لبيزناسون (Besancon) لأقل من عام عندما فر نابليون من منفاه في جزيرة إلبا ونزل مرة أخرى في فرنسا في خليج جوان (Golfe-Juan) في 1 آذار/ مارس 1815.

وعندما أمر الملك ني بالتصدي لنابليون، وعد ني الملك بإعادة الإمبراطور السابق إلى باريس في «قفص من حديد». وكان ذلك الوعد على ما يبدو صادقاً، غير أنه ما إن التقى نابليون حتى طغى ولاؤه القديم، وبدلاً من القبض على الإمبراطور العائد، عرض ني سيفه وخدماته على قائده السابق.

وكانت آخر معارك ني إلى جانب نابليون؛ فقد دعم ني تقدم نابليون إلى بلجيكا وهو قائد للجناح الغربي، حيث أخفق كل منهما في أن يبلي بلاءً حسناً في قتاله الأخير. إذ فشل في كاتر برا (Quatre Bras) في 15 حزيران/ يونيو 1815 في أن يحول دون تماسك قوات دوق ويلنجتون، وبعدها بثلاثة أيام خسر

ني معظم فرسان في هجمات متكررة ضد قوات المشاة الإنجليز، ما أدى إلى خسارة نابليون معركة ووترلو.

وفي أثناء القتال كان ني كعادته في مقدمة رجاله، وقد أصابت الطلقات خمسة من الجياد التي امتطاها. ثم حاول، ولباسه العسكري قد تهلهل ووجهه مسودّ من سخام المعركة، أن يحشد لآخر هجوم، صائحاً: «تعالوا وانظروا كيف يمكن أن يموت مارشال من فرنسا»!

وعلى الرغم من ما فاه به ني من كلمات حماسية فقد نجا من المعركة. وبعد أن نفي نابليون إلى سانت هيلينا، واجه ني البالغ من العمر ستة وأربعين عاماً، محاكمة في باريس على يد رفاقه المارشالات لارتداده إلى جانب الإمبراطور، ولثبوت التهمة عليه، فقد أعدم على يد فرقة إعدام رمياً بالرصاص في لوكسمبورج جاردينز (Luxembourg Gardens) في 7 كانون الأول/ ديسمبر 1815. وقد أفرز هذا الحادث قصصاً متفاوتة الصحة، ووفقاً لما يبدو أنه أكثر الروايات دقة، فإن ني هو الذي أعطى أمر إعدامه بنفسه. وفي رواية لم يثبت لها صحة، قيل إن فرقة الإعدام كلها كانت زائفة، وأن ني فر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث عاش بقية حياته مزارعاً، وفي رواية أخرى مدرساً.

لقد بلغ أداء ني قمته في حضور نابليون الذي كان يتولى القيادة ويطمئن إلى تعاونه مع رفاقه المارشالات. لقد نجم عن جرأته في بعض الأحيان أخطاء في ميدان القتال، لكنه كان عادة ما يحرز النصر، لكفاءة قيادته الذاتية وكذلك لشجاعته. لم يكن ني عبقرية استراتيجية مثله مثل جورج باتون في الحرب العالمية الثانية، وإنما كان قائداً لا يعرف الخوف، وكان بوسعه حفز رجاله إلى أداء البطولات الكبيرة. وإن تأثير ني الباقي هو كونه مثال القائد الذي كان يبدي الاهتمام القليل لسلامته الشخصية، في حين كان يضحي بكل شيء عن طيب خاطر من أجل قائده وبلده.



شارل الثاني عشر

Charles XII

ملك سويدي

(1682 - 1718)

ولد في استكهولم في 17 حزيران/ يونيو 1682. وقضى شطراً طويلاً من عمره إلى جانب والده وخلفه في العرش عند وفاته عام 1697، ساعده على الحكم مجلس وصاية، لكنّ نضج المراهق تشارلز هيأ له الاضطلاع بمسؤوليات العرش كاملة في أقل من عام.

ورث شارل من أبيه جيشاً متمرساً على الكفاءة، غير أنه قضى وقتاً بطوره بدمج المدفعية بمناورات المشاة وسلاح الفرسان، وبتركيزه على استخدام السلاح الأبيض في القتال المتلاحم. ولأنه كان يقدر أهمية خطوط الإمداد، فقد عمد إلى تطوير نظمه التموينية وقام بتحديث مرافق النقل، وهو ما أدى إلى إحداث أثره في جيوش أخرى من حيث التطوير المماثل.

وعلى الرغم من قوة الجيش السويدي، فقد قرر تحالفاً يضم بولندا وروسيا والدنمارك لانتهاز فرصة قلة خبرة الملك الجديد وإضعاف قوة السويد في بحر البلطيق. تحرك التحالف الثلاثي ضد السويد في نيسان/ إبريل 1700، وهو ماتطور إلى ما يعرف بحرب الشمال الكبرى. سمح شارل للقادة الذين كان والده قد اختارهم ليقودوا المعارك الأولى مع قليل من الأشراف، فكانت مكافأتهم له انتصارات أوقفت تقدم العدو.

أمر شارل بشن هجوم مضاد ضد الدنمارك، وسرعان ما اجتاح ذلك البلد وأنهى مشار170، وهو ماتطور إلى ما يعرف بحرب الشمال الكبرى. سمح شارل للقادة الذين كان والده قد اختارهم ليقودوا المعارك الأولى مع قليل من الأشراف، فكانت مكافأتهم له انتصارات أوقفت تقدم العدو.

أمر شارل بشن هجوم مضاد ضد الدنمارك، وسرعان ما اجتاح ذلك البلد وأنهى مشارفقط في هجوم مباغت كالعاصفة ليهزم ما يقرب من سبعين ألف روسي بقيادة بطرس الأول. وعلى مدى الأعوام الثلاثة التالية، سار شارل ضد بولندا وساكسونيا وهزم جيشيهما واحتل عاصمتيهما. وبحلول عام 1705 كان جيش شارل قد أخضع القوات الباقية في منطقة البلطيق، وظلت القوة الوحيدة ذات القيمة الفعلية هي روسيا، وكان القيصر بطرس على استعداد لصنع السلام.

ومع ذلك قضى شارل العامين التاليين يعزز جيشه ويطور من نظامه التمويني. وبما أنه كان يبدي قليلاً من الاحترام للقدرات القتالية ا لروسية، فقد قال: «إن تحقيق الغلبة على أهل موسكو لا يعد شيئاً يذكر، فمن الممكن هزيمتهم في أي وقت». وفي عام 1708 وقع في خطأ كبير، كالخطأ الذي وقع فيه قادة كبار من عصور أخرى، وذلك حين قرر رفض عروض السلام وغزو روسيا عن طريق البر.

استولى شارل على جرودنو (Grodno) في 5 شباط/ فبراير، وقبع في معسكر بالقرب من مينسك في انتظار ذوبان الجليد في الربيع. ثم استأنف هجومه في أثناء الصيف، غير أن الروس رفضوا الاشتباك في معركة مواجهة

ضارية، فكانوا يقومون بعمليات كر وفر، فيشتبكون مع الجيش السويدي في مناوشات ويدمرون كل ما يمكن أن يفيد منه الغزاة.

وعلى الرغم في الضعف الذي اعترى جيشه نتيجة الشتاء الروسي الطويل وخسارته لقافلة تموينه الرئيسية لصالح العدو، فقد اشتبك مع قوة الجيش الروسي الأساسية في بولتافا في 28 حزيران/ يونيو، إلا أن الروس هزموا السويديين هزيمة تامة في ثماني عشرة ساعة، ولم ينجُ من تلك المجزرة سوى شارل و1500 جندي.

فر شارل وحاميته الصغيرة جنوباً باتجاه الأراضي التركية حيث حكم السويد غيابياً طيلة السنوات الخمس التالية، وفي الوقت نفسه كان يحث الأتراك على إعلان الحرب ضد روسيا. وفي نهاية المطاف ضاق الأتراك بضيفهم غير المرغوب فيه وحاصروا جيشه في معتزله في بندر (Bender). فر شارل وسافر في رحلة مشهودة عبر إمبراطورية هابسبورج ليصل إلى بوميرانيا السويدية في أسبوعين فقط.

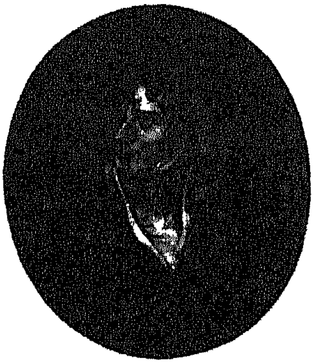
عاد شارل إلى بلاده للمرة الأولى بعد غيبة دامت عقداً من الزمن وبدأ يواصل جهوده في إعادة بناء جيشه لطرد الغزاة. حالفه النجاح في غالب الأحيان على مدى عامين، وبحلول عام 1717 توافرت لديه القوة الكافية لاستعادة زمام الأمور. وفي عام 1718 غزا شارل الذي كان في السادسة والثلاثين النرويج، ولكن قبل أن يتمكن من تحقيق النصر، أصيب بجرح مميت من طلقة بندقية بالقرب من هالدن (Halden) في 30 تشرين الثاني/ نوفمبر 1718.

خلف شارل على العرش أخته أولريكا إلينورا (Ulrika Eleonora) حيث بدأت على الفور مفاوضات سلام، وبموجب معاهدة نيستاد (Nystad) عام 1721 خسرت السويد معظم ممتلكاتها في البلطيق. لكنها حافظت على استقلالها، وحلت روسيا آنذاك محل السويد قوة رئيسية للبلطيق.

وتحيط الخرافات والأساطير ببطولات شارل الثاني عشر حاله حال كثير من الشخصيات التاريخية، لكن الثابت أنه كان قائداً مقتدراً في ميدان القتال

وأستاذاً في مسائل التموين والمناورات. وربما كانت «غلطته» الكبرى برفضه معاهدة السلام الروسية لا تعد خطأ بقدر ما كانت سوء توقيت؛ إذ أدرك أن اتفاق سلام في حد ذاته لن يكون كافياً منع الروس في نهاية الأمر من غزو السويد، ولذا، فمن المحتمل أنه آثر المخاطرة بالهزيمة في روسيا وجيشه قوي على مواجهة الغزاة في وطنه في وقت لاحق.

لا تزال السويد تكرم شارل الثاني عشر على أنه بطل، وتعتبره آخر ملك يحكم في عصر كانت البلاد فيه قوة عالمية، غير أن إنجازاته وتأثيره أقل كثيراً من إنجازات مواطنيه جوستاف أدولف ولينارت تورستنسون، وذلك نتيجة هزيمة شارل النهائية على يد الروس.



توماس كوكرين
THOMAS COCHRANE
قائد بريطاني
(1860 - 1775)

ولد كوكرين في أنسفيلد (Anesfield) بمقاطعة لاناركشير (Lanarkshire) عام 1775، وتأثر في بدايات حياته بوالده الذي أفقر أسرته نتيجة تجاربه العلمية، كما تأثر بعمه الذي كان ضابطاً بحرياً، وفي سن السابعة عشرة، عمل عمه مرشحاً للبحرية، ثم رقي في عام 1800 إلى رتبة ملازم وتولى قيادة المركب الملكي الشراعي ذي الصاريين «سبيدي» (Speedy)، وفي أثناء توليه قيادة هذا المركب، غنم أكثر من خمسين من الأسلاب بما في ذلك الحرّاقة [سفينة حربية شراعية] الإسبانية إيل جومو (El Gumo) عام 1801.

لقد عادت شجاعة كوكرين الشخصية وبراعته في فن الملاحة عليه باحترام مرؤوسيه وثناء الشعب البريطاني، غير أن مثاليته وصراحته الجريئة أوغرت عليه

صدور رؤسائه كما انعدمت ثقة القيادة البحرية به، وقد قاد كوكرين في نيسان/ إبريل 1809 هجوماً ناجحاً بالحرَّاقة ضد الفرنسيين في أكس رودز (Aix Roads)، بالقرب من برست (Brest) غير أن انتقاده إخفاق قائد الأسطول في استغلال النصر الأولي ترتب عليه محاكمته محاكمة عسكرية.

كذلك قضى كوكرين على كل طموح في مجال العمل البحري، وذلك بترشيح نفسه للبرلمان عام 1807، حيث احتج على ما اعتبره سوء إدارة الأسطول. وبحلول عام 1814 كان قد أوجد له أعداءً داخل البحرية والحكومة الذين بلغ مقتهم له أن دبروا له محاكمة بتهمة تزييف أوراق مالية. . دانت المحكمة كوكرين البرىء تماماً، وفصلته من البحرية، وحرمته من مقعده البرلماني.

وعلى مدى العقد التالي وظف كوكرين مهاراته البحرية في خدمة القضايا الثورية ففي أيار/ مايو 1817 قبل بعرض لقيادة الأسطول التشيلي في حرب الاستقلال ضد إسبانيا. فتمكن من إنهاء السيطرة البحرية الإسبانية على المياه التشيلية عام 1820، وذلك عن طريق قيامه بحملة من الحصار البحري وقصف المراكز الساحلية وغارات الإنزال. وفي العام التالي وجه كوكرين سفنه صوب الشمال لمساعدة خوسيه دي سان مارتين على تحرير بيرو.

ظل كوكرين في تشيلي يحظى بمكانة البطل في ذلك البلد المحرر حديثاً إلى أن تناحر كعادته مع الحكومة فلم يعد مأخوذاً بالسلام الذي ساهم في تحقيقه. وفي عام 1823 تولى مرة أخرى قيادة أسطول للمتمردين، وكانت هذه المرة في البرازيل ضد البرتغاليين. وقد استطاع بحراقتين فقط أن يشن هجمات متكررة على الأسطول البرتغالي المكون من ستين سفينة نقل وثلاث عشرة سفينة حربية، فأغرق منها العديد وحال دون دخول بعضها الآخر ميناء مارانهو (Maranhao) لإجراء إصلاحات أو للتزود بالوقود، ما أجبر الأسطول على العودة إلى البرتغال فتأكد نجاح حرب الاستقلال البرازيلية.

ومرة أخرى يثبت كوكرين تهوره في علاقته برؤسائه بمجرد أن توقفت

العمليات الحربية. ففي عام 1825 قبل بقيادة سلاح البحرية اليوناني الجديد، ولكنه لم يستطع الحصول على الدعم الكافي من الحكومة لتشييد أسطول له قيمته؛ فعاد محبطاً إلى إنجلترا، وفي 1829 حيث أبرئت ساحته في تهمة التزييف. وبعد كثير من المماحكة حصل على عفو من الملك، وعاد إلى عمله في البحرية الملكية عام 1832.

أما وقد ليّن تقدم عريكة كوكرين، فقد تحسنت علاقته برؤسائه حيث كان يتولى قيادة محطتي الاستقبال والإرسال؛ المحطة الأمريكية ومحطة الهند الشرقية في مرحلة 1848 ـ 1851، وقد رقي إلى رتبة أميرال. وفي خلال ذلك الوقت كان مدافعاً قوياً عن الطاقة البخارية والدفع اللولبي (الرفّاس) باستخدام مراجل الأنابيب، وهي الابتكارات التي استمرت تجاربه فيها بقية عمره المديد، وقد توفي في لندن في 30 تشرين الأول/ أكتوبر 1860، وعمره خمسة وثمانون عاماً.

لا شك في أن تطبيق كوكرين للدفع بالبخار كان له أثره على البحرية الملكية، كما أسهمت مساعدته للبلاد الأخرى إسهاماً كبيراً في حصولها على الاستقلال، ومع أن هذه الأعمال جديرة بالملاحظة، فهناك جانب آخر من الإنجاز لم يتخط في عصره مرحلة التخطيط، وهو ما يضع كوكرين على هذه القائمة.

فمنذ عام 1811، كان كوكرين يروج لـ«خطة حرب سرية» لتدمير الدفاعات البرية والبحرية. ومع اندلاع حرب القرم عام 1854، عدّل كوكرين من خطته لاستخدام «سفن المتفجرات ومراكب الغازات السّامة» لاجتياح الدفاعات المتمركزة براً من دون خسارة في جانب قواته. وكان تصميمهم سفن المتفجرات، أو «الهاون المؤقت» أشبه بسفن ألغام على شكل سيف كلمور ضخم [سيف إسكتلندي ذو حدين]؛ فكان بدن السفينة يغطى أولاً بطبقة أساسية من الطين ثم يوضع عليها أطنان من البارود، ثم يغطى هذا كله بشظايا من المعدن والزجاج والمسامير. ولإحداث مزيد من الضرر كانت الخطة تقضي

باستخدام عبوات أشبه بالقنابل تنطلق من الهاون الطافية ثم تنفجر مع احتكاكها بالأرض.. وقد قدر كوكرين أن ثلاثاً من سفن المتفجرات هذه بوسعها، إذا ما أحسن اختيار مواقعها في السواحل وتفجرها، أن تؤثر في تحصينات دفاعية داخل نطاق نصف ميل أو في سفن راسية في الميناء.

كذلك اقترح كوكرين بناء «سفن غارات سامّة» بطبقات متبادلة من الطين والفحم والكبريت، والتي في حال إشعالها يمكن أن تصدر أبخرة مؤذية تحملها الرياح إلى البر فتتسبب في قتل أو عرقلة مدافعي العدو. واستكمالاً لهذا السحاب الغازي يمكن للأسطول أن يصب القار والنفثالين على الماء، ويشعل هذه الكيماويات بالبوتاسيوم، ومن ثم ينقل المد هذه الكتل الملتهبة إلى ميناء العدو، وبمجرد تفرق ذلك اللهب، يمكن لرجال البحرية النزول إلى الشواطىء لتأمين المنطقة.

عندما اقترح كوكرين لأول مرة استخدام حرب الغازات هذه عام 1811، لم يجد إلا القليل من الدعم. وإبان الكيماويات بالبوتاسيوم، ومن ثم ينقل المد هذه الكتل الملتهبة إلى ميناء العدو، وبمجرد تفرق ذلك اللهب، يمكن لرجال البحرية النزول إلى الشواطىء لتأمين المنطقة.

عندما اقترح كوكرين لأول مرة استخدام حرب الغازات هذه عام 1811، لم يجد إلا القليل من الدعم. وإبانالملكية بطي توصيات كوكرين بالأختام؛ وعندما فضت الأختام عام 1908 كانت «خطط الحرب السرية» التي وضعها كوكرين لها من دون شك تأثيرها في حرب الغازات في أثناء الحرب العالمية الأولى.



يوهان سركليس فون تيلي

JOHANN TSERCLAES VON TILLY

مرتزق فلمنكي

(1632 - 1559)

ولد يوهان تيلي في قلعة تيلي بالقرب من نيفيل (Nivelle) في الأراضي المنخفضة الإسبانية لأسرة كانت منغمسة في الصراعات السياسية والدينية لذلك الوقت. التحق بالمدارس اليسوعية في ألمانيا قبل أن يبدأ عمله جندياً مرتزقاً وهو في الخامسة عشرة من عمره، فخدم طيلة العقد الأول من جنديته تحت إمرة دون إسبانيا على بارما (Parma) عام 1585 وذلك في حصار أنتويرب. وفي عام 1600 ترك تيلي الخدمة الإسبانية لينضم إلى الجيش النمساوي في قتاله ضد الأتراك في المجر، وسرعان ما توالت ترقياته حتى وصل إلى رتبة مشير عام 1605.

أثبت تيلي أنه أستاذ في الفن الإسباني المعروف بـ«تيريكو» (Terico)، أي

تشكيلات القتال في العمق، وهو ما يشمل رماة الرماح والمشاة المسلحين بالبنادق القديمة أو القربينات والتي كانت لها السيطرة على المعركة. وعندما انضم إلى الجيش البافاري بقيادة دون ماكسميليان (Maximillian) عام 1610، بدأ تيلي على الفور إعادة تسليح أفواجه وتعليمهم نظام «تيريكو»، ونتيجة لذلك تولى تيلي عند اندلاع حرب الثلاثين عاماً عام 1618 قيادة واحد من أفضل جيوش أوروبا تدريباً وأكثرها انضباطاً.

وفي عام 1620 غزا تيلي، الذي كان يقود جميع قوات العصبة الكاثوليكية، بوهيميا بجيش مؤلف من 25 ألف جندي فهزم الجيش البروتستانتي هزيمة فاصلة في وايت ماونتن (White Mountain) في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر. وقد مهد ذلك النصر لتيلي الاستيلاء على براغ ونهبها بعد أيام معدودة. ثم استغل نصره هذا متحولاً صوب ألمانيا وهزم قوات البروتستانت هناك على نمط قتاله. ولم تلق العصبة الكاثوليكية مقاومة شديدة إلى أن تمكنت قوة كبيرة من عرقلة حركتهم لمدة وجيزة في منجولشايم (Mingolsheim) في نيسان/ إبريل 1622، ما دفع بتيلي إلى الانضمام لقوات القائد الإسباني فردينان جونزالو القرطبي. في 19 أيلول/ سبتمبر استولى تيلي على هايدلبيرج وثنى بنصر في شتاتلوهن (Stadtlohn) في 6 آب/ أغسطس 1623، حيث قضى جيشه على جميع أفراد الجيش البروتستانتي إلا ألفين من مجموع 12 ألفاً.

عندما غزت الدنمارك ألمانيا لمعاونة رفاقهم البروتستانت، قضى تيلي على أكثر من نصف الجيش الدنماركي في معركة لوتر (Lutter) في 24 ـ 27 آب/ أغسطس 1626 وأجبر الناجين على التقهقر إلى حدودهم. فحصل على لقب الكونت لما أحرز من انتصارات ومنح أرضاً وألقاباً أخرى. احتفظ تيلي باللقب لكنه ظلّ يتمتّع بروح المرتزق المحترف.

كان تيلي في السبعين من عمره عندما بدأ آخر حملاته ضد جوستاف أدولف العظيم بعد دخول السويديين الصراع عام 1630. وقد سار إلى داخل غرب الأراضي الألمانية للسيطرة على سكسونيا وبراندنبيرج وذلك لكي يصد

تقدم السويديين. فحاصر مدينة ماجدبورك في أيار/ مايو 1631 بغرض استخدام المدينة نقطة دفاع حصينة وقاعدة إمداد استراتيجية لدعم هجوم مضاد. سقطت ماجدبورك في 20 أيار/ مايو غير أن النصر لم يأت بثماره المرجوة، وفقد ضباطه سيطرتهم على جنودهم الذين دمروا معظم المدينة وأعملوا السيف في سكان المدينة المدافعين عنهم البالغ عددهم ثلاثين ألفاً، ولم ينج من ذلك سوى خمسة آلاف. وبدلاً من أن تصبح المدينة قاعدة إمداد، لم يتبق لتيلي غير حطام مدينة محترق، ولقبوه «جزار ماجدبورك».

كانت ماجدبورك آخر انتصارات تيلي الكبيرة، ذلك القرصان الفلمنكي الذي كان في عمله الاحترافي يوظف نظام القتال الإسباني «التيريكو» في إيقاع الهزيمة بالأعداء. غير أن الزمن والتقنية قد تخطيا بمراحل «التيريكو». فهُزم تيلي على يد عدوه جوستاف؛ وذلك باستخدامه المدفعية الخفيفة المتحركة وبدمجه تشكيلات الفرسان والمشاة، فقد جعلت التشكيلات الطولية التي أفادت من قوة النيران وخفة الحركة نظام «التيريكو» المعتمد على تشكيلات العمق نظاماً بالياً.

وفي بريتنفيلد واجه تيلي وقواته المقسمة وفقاً لنظام «التيريكو» في 17 أيلول/ سبتمبر 1631، ابتكارات جوستاف فنالهم شر هزيمة؛ إذ سقط منهم سبعة آلاف ما بين قتيل وجريح ووقع ستة آلاف في الأسر. فر تيلي الذي تفوق عليه جوستاف في المناورة والقصف، وأعاد تنظيم قواته، وجند من يمكنه أن يحل محل الذين فقدهم، وجهز لصد تقدم القوات السويدية بمحاذاة نهر ليش. وفي 15 ـ 16 نيسان/ إبريل 1632 حاول تيلي غير مفلح منع جوستاف من عبور النهر واحتلال بافاريا. وأصيب تيلي في القتال وأجلي إلى إنجولشتات (Ingolstadt)، فأرسل جوستاف بدافع احترامه لعدوه بجرّاحه الخاص لمعالجة جراح تيلي، غير أن خطورتها على حياة المقاتل العجوز كانت أشد من أن يتحملها، فتوفي في 30 نيسان/ إبريل 1632 وهو في الثالثة والسبعين من عمره.

كانت هزيمة تيلي ثم موته يعنيان أكثر من مجرد سقوط بافاريا؛ فقد مثّلا

نهاية لنظام «التيريكو» القتالي الذي ساد أوروبا لمدة نصف قرن، وحلت تكتيكات جوستاف القائمة على التشكيلات الطولية وخفة الحركة محل التشكيلات العمق البطيئة لتيلي.

يحتل تيلي مكانته كواحد من القادة المقتدى بهم في حرب الثلاثين عاماً، وعلى الرغم من كونه مرتزقاً طيلة حياته، فقد ظل وفياً لمن يخدمهم، ولم يسع إلى سلطة أو نفوذ خارج نطاق ميدان القتال. وقد نال لطبيعته الزاهدة لقب «القس المدرع» بين جنوده، غير أنه أيضاً نال احترامهم كضابط محترف قدير. لقد كان تيلي رجل عصره كما كان أستاذاً في الاستراتيجيات والتكتيكات السائدة آنذاك. ومع ذلك، ذوى تأثيره مع طي صفحة نظام «التيريكو» القتالي الذي أصبح تاريخاً لا فائدة منه.



إدموند هنري آلنبي

Edmund Henry H. Allenby

قائد بريطاني

(1936 ـ 1861)

ولد آلنبي في أسرة لها قدر من الثراء ذات ارتباط بالكنيسة الإنجيلية الشرقية في 23 نيسان/ إبريل 1861. تخرج في الكلية العسكرية الملكية في ساندهيرست عام 1881. وانضم بوصفه ملازماً في فرقة فرسان إنسكلينج (Inniskilling) السادسة إلى فوجه في أفريقيا، حيث خدم لمدة ست سنوات في بيتشيو آنالاند (Bechuanaland) والزولو لاند (Zululand). وبعد قضائه مدة قصيرة في إنجلترا التحق في خلالها بكلية الأركان في كامبرلي (Camberley)، عاد إلى جنوب أفريقيا في الوقت المناسب ليشارك في حرب البوير (1899 ـ 1902). وفي نهاية الحرب رقي إلى رتبة عقيد، وتولى قيادة فرقة الرماح الخامسة في بريطانيا العظمى.

كان لفكاءة آلنبي قائداً ومدرباً، أثرها من حيث توليه سلسلة من المناصب ذات المسؤوليات المتزايدة الأهمية. وبحلول عام 1910 كان قد وصل إلى رتبة لواء ومفتش عام لسلاح الفرسان.

كان آلنبي بوصفه قائد سلاح الفرسان، ما زال في الخدمة الفعلية وقت اندلاع الحرب العالمية الأولى، فانتقل إلى فرنسا قائداً لفرقة فرسان قوات التدخل السريع عام 1914. وسرعان ما ثبت أن سلاح الفرسان لا دور له في حرب الخنادق التي تهيمن عليها الرشاشات، ولكن في الوقت الذي أصبحت فيه مواهبه كقائد لسلاح فرسان غير ملاحقة لتطورات الزمن، فإن قدرته على تطوير التكتيكات وقيادة الجنود في ميدان القتال لم تكن على هذا النحو. ففي عام 1915 أثبت كقائد لواء في معركة إيبر، وبعدها بعامين قاد الجيش الثالث في معركة آراس (Arras).

وفي صيف عام 1917 سنحت له الفرصة التي سوف تجعل صيته يذيع قائداً يأتي على قمة قادة بريطانيا في الحرب. كان العديد من الهجمات التي شنتها القيادة البريطانية ضد الأتراك في فلسطين قد أخفقت، وفي 17 نيسان/ إبريل ترك القيادة في فرنسا ليقدم نفسه في مصر، مكلفاً بأمر نصه «الاستيلاء على القدس قبل أعياد الميلاد».

نقل آلنبي على الفور مركز قيادته وهيأة أركانه من غرفهم المريحة في الفندق الذي يقيمون فيه في القاهرة إلى خيام على مقربة من جبهة القتال، فنال بذلك إعجاب المتطوعين وصغار الضباط. وفي الوقت الذي كان يمطر فيه نظام الاتصالات مع لندن بسيل من الطلبات بمزيد من الجنود والمدفعية الثقيلة، كان يقوم بإعادة تنظيم جيشه. وعلى عكس الخنادق في فرنسا، كانت طبيعة الأراضي وتضاريسها في فلسطين ممتازة لسلاح الفرسان، وقد زاد آلنبي من خفة حركته بتنظيمه كتائب الإبل المحلية ودمجها بسلاح فرسانه مشكلاً لواء الصحراء المحمول.

وفي تشرين الأول/ أكتوبر بدأ هجومه؛ فترك ثلاث فرق تظاهراً بهجوم

على غزة، في حين أمر مشاته بشن هجوم ضد دفاعات الأتراك التي بوغتت في بئر السبع. وبمجرد أن قضت قوات المشاة على الدفاعات، أرسل بسلاح فرسانه وإبله عبر المنطقة المفتوحة للاستيلاء على إمدادات المياه في المدينة.

ولم يخفف آلنبي من زخم هجومه بعد الاستيلاء على بئر السبع، بل أمر سلاح فرسانه وإبله بمطاردة الأتراك المنسحبين ليحول دون تمكنهم من بناء دفاعات شاملة. على الرغم من نقص إمداداته، فقد دحرت قواته الأتراك بسرعة خارج غزة، وفي 9 كانون الأول/ ديسمبر 1917 وقبل موعد أعياد الميلاد بنحو ثلاثة أسابيع كان قد احتل القدس.

وقد أجبرته التطورات في أوروبا على نقل عدد كبير من قوات مشاته إلى فرنسا في حملات عام 1918، وعلى أن يوقف هجومه لمدة تسعة أشهر في المدينة العتيقة بينما وصلت الإمدادات غير مدربة من بريطانيا العظمى. وفي الوقت الذي كان متأهباً فيه لمواصلة القتال، كان الأتراك قد أقاموا خط دفاع في العمق مؤلفاً من أربعين ألف جندي و350 قطعة مدفعية، ويمتد من المناطق الواقعة على شواطىء البحر المتوسط باتجاه الداخل وحتى وادي نهر الأردن شمالي يافا.

عمد آلنبي إلى اللجوء إلى تدابير خداعية متقنة تتألف من مخيمات وهمية ضخمة ومثلها من وحدات الفرسان على طول ميمنته العربية. وعندما اطمئن إلى أنه أقنع الأتراك بأن هجومه سوف يتركز هناك، بدأ يفتح وابلاً من نيران المدفعية المدمرة من الجهة العكسية للخط في 19 أيلول/ سبتمبر 1918. وبمجرد أن اخترقت قواته جبهة العدو، أمر لواء الصحراء المحمول بالتقدم، بدعم من المدفعية وقاذفات سلاح الجو الملكي.

وفي اليوم العشرين دخل فرسان آلنبي مجدل شمس ثم استداروا شرقاً لوقف أعداد كبيرة من أفراد الجيش التركي المنسحبين. واصل آلنبي مطاردته واحتل دمشق في الأول من تشرين الأول/ أكتوبر 1918 وحلب في الخامس والعشرين منه، مجبراً الأتراك على طلب السلام. وقد أنهت هدنة أبرمت في 30

تشرين الأول/ أكتوبر مشاركة تركيا في الحرب. وفي غضون 38 يوماً من القتال المتواصل تقريباً، كانت قوات آلنبي قد تقدمت 360 ميلاً وأسرت أو قتلت أكثر من ثمانين ألفاً من الأتراك وحلفائهم الألمان والنمساويين بينما كانت خسائره 853 قتيلاً و4480 جريحاً.

كوفىء آلنبي بترقيته إلى رتبة مشير ومن بعدها إلى فيكونت. وقد خدم منذ انتهاء الحرب وحتى تقاعده عام 1925 مندوباً سامياً في مصر، ثم عاد إلى إنجلترا بقية أيامه ممارساً لهواياته في الاهتمام بعالم الطيور والنباتات وليمضي مدة وجيزة في منصب رئيس جامعة أدنبرة. توفي وهو في الخامسة والسبعين في 14 أيار/ مايو 1936، ودفن في كنيسة وستمنستر.

عندما استولى آلنبي على القدس أصر في تواضع على السير مشياً إلى داخل المدينة لا على ظهر حصان أو في سيارة الأركان. ومع ذلك، يبدو من كبير الاحتمال أن «الثور» آلنبي كان يضرب ضباطه ويحقر من شأن رجاله ويروعهم، ولكن على الرغم من أنه ليس محبوباً بقدر كبير، فقد نال احترام الجميع، وبينما يحتل مكانه بسهولة في هذه القائمة باعتباره القائد البريطاني الأول في الحرب العالمية الأولى، فإنه يستحق كذلك مكاناً في التاريخ كآخر قائد يحقق نصراً من خلال الاستخدام التقليدي لسلاح الفرسان الحاشد.

فهرس المواضيح



موسوعة مشاهير العالم

دار الصداقة العربية
بيروت

دار الصداقة العربية - بيروت لبنان
للطباعة والنشر
Printing - Publishing

هاتف ٠٣/٤٩٠٧٩٩ - ٠١/٦٥٧٥٧٢ - فاكس ٢٠٧٧٠٧ - ص.ب ١٥٥/٤١٨